

نصيحة الأمير المملوك

المنسوب لأبي الحسن المواردي

تحقيق دراسة
د. فؤاد عبد المنعم أحمد
كلية الشريعة - جامعة أم القرى

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
ت: ٤٨٣٩٤٧٢ / ألكندرية



1. The first part of the report is a general introduction to the project. It describes the purpose of the study and the objectives that were set at the beginning. It also provides a brief overview of the methodology that was used to collect and analyze the data.

2. The second part of the report is a detailed description of the data that was collected. It includes information about the sample size, the demographic characteristics of the participants, and the specific measures that were used to assess the variables of interest.

3. The third part of the report is a presentation of the results of the study. It includes a series of tables and figures that show the mean scores, standard deviations, and correlations between the different variables. It also includes a series of statistical tests that were used to determine the significance of the findings.

4. The fourth part of the report is a discussion of the results and their implications. It compares the findings of the study to those of previous research and discusses the potential reasons for any differences. It also discusses the limitations of the study and suggests areas for future research.

5. The final part of the report is a conclusion that summarizes the main findings of the study and provides a final statement about the overall results.

1. The first part of the report is a general introduction to the project. It describes the purpose of the study and the objectives that were set at the beginning. It also provides a brief overview of the methodology that was used to collect and analyze the data.

2. The second part of the report is a detailed description of the data that was collected. It includes information about the sample size, the demographic characteristics of the participants, and the specific measures that were used to assess the variables of interest.

3. The third part of the report is a presentation of the results of the study. It includes a series of tables and figures that show the mean scores, standard deviations, and correlations between the different variables. It also includes a series of statistical tests that were used to determine the significance of the findings.

4. The fourth part of the report is a discussion of the results and their implications. It compares the findings of the study to those of previous research and discusses the potential reasons for any differences. It also discusses the limitations of the study and suggests areas for future research.

5. The final part of the report is a conclusion that summarizes the main findings of the study and provides a final statement about the overall results.

نصيحة الملوك

المنسوب لأبي الحسن المواردي

٢٩٧. ١٤

٢٥٣

٢

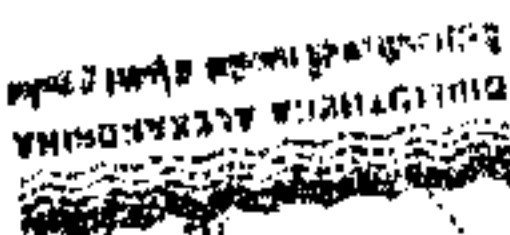
كتاب في السياسة

رقم التسجيل	٢٩٧. ١٤
رقم التصنيف	٢٥٣
رقم التوثيق	٢

تحقيق ودراسة وتعليق

دكتور فؤاد عبد المنعم أحمد
سليمة الشريعة - جامعة أم القرى

General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
ع. شجاع الدكتور مصطفى مشرفة
٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث
بالدين الأقوم والشرع الأحكم رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه
والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين •

أما بعد

فمن نعم الله وفضله علينا أن وفقنا منذ وقت مبكر في حياتنا بمعايشة
الامام الماوردي فقدمنا عنه دراسة متكاملة تضمنت معالم حياته وعصره
وتأثيره به وتأثيره فيه كما عرضنا لأهم آثاره ومصنفاته وآرائه وأفكاره^(١) •
كما قمنا بتحقيق كتاب قوانين الوزارة ، وقد طبع أكثر من طبعة^(٢) •
كما حققنا كتاب الأمثال والحكم^(٣) ، وقمنا بدراسة لكتاب (التحفة الملوكية
في الآداب السياسية) انتهينا فيها الى أن هذا الكتاب ليس للماوردي^(٤) •
وقد وقفنا على مخطوط نصيحة الملوك منذ عام ١٩٧٥ م ، وشرعنا في
تحقيقه وفقا للمنهج الذي نتبعه في تحقيقنا ، وهو تحقيق الكتاب بمؤلفات
الكاتب نفسه ، وقد استغرق تحقيقه من جهدنا وقتا طويلا على فترات
متقطعة بقدر ما سمحت به ظروفنا ومشاغلتنا وأعباؤنا بين القضاء والتدريس

-
- (١) من أعلام الاسلام (أبو الحسن الماوردي) دراسة مشتركة مع
الاستاذ الدكتور محمد سليمان داود ، طبعة مؤسسة شباب الجامعة ،
الاسكندرية ١٩٧٨ م •
(٢) الطبعة الثانية عام ١٩٧٨ م مؤسسة شباب الجامعة — الاسكندرية •
(٣) الطبعة الثانية عام ١٩٨٥ م ، مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية •
(٤) مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية عام ١٩٧٧ م •

بالجامعات وقد ألقى المخطوط الضوء على كثير من الأمور التي نطمئن اليها
— إلى حد ما — إلى هذا أن المخطوط نسب إلى الماوردي في وقت متأخر
ونعد بمشيئة الله — ان جعل الله في العمر بقية — بافراد دراسة في كتاب
خاص يتجاوز حجمه حجم هذا الكتاب المحقق نوضح فيه على أن هذا
المخطوط قد نسب إلى الماوردي وأنه ليس له •

وقد حصلنا على نسخة موضوع التحقيق من المكتبة الوطنية ببغداد
وتضمنها المجموع رقم ٢٤٤٧ ، وتقع في ٩٦ ورقة وتم نسخها عام ١٠٠٧ هـ •
وقد بذلنا جهدنا — قدر الطاقة — للحصول على نسخة أخرى للمخطوط
فلم نوفق •

ونسأل الله أن يكون عملنا خالصا لوجه الله في سبيل العلم واعلاء
الحق •

د • فؤاد عبد المنعم

الاسكندرية في ٢ من ذى القعدة ١٤٠٦ هـ
الموافق ٨ من يوليو ١٩٨٦ ميلادية •

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق والدراسة

حرصا على عدم التكرار في مؤلفاتنا وتحقيقاتنا نحيل في ترجمة
الموردى الى الدراسة التى كتبناها عنه والى الكتب التى حققناها له
— السابق الاشارة اليها — فضلا عن أن المخطوط ورد في نهايته تعريف
بالموردى •

ونركز فى هذه المقدمة على تقديم الدليل المقنع على أن كتاب نصيحة
الملوك ليس للموردى •

— وهناك أدلة كثيرة^(١) وأقواها فى نظرى الفحص الموضوعى للاحكام
الفقهية الواردة فى كتاب « نصيحة الملوك » بالمقارنة لما هو ثابت عن
الموردى فى كتبه الفقهية : الاقتناع ، الاحكام السلطانية ، الحاوى^(٢) •
وحرى بنا أن نقدم لهذا البحث ببيان له لاهميته • مع عرض لكتب
الموردى الفقهية التى سنعتمد عليها •

أهمية البحث :

يعد من الاخطاء العلمية نسبة رأى الى غير قائله • وقد اعتمد على كتاب

(١) نسأل الله أن ييسر فى اخراجها فى مؤلف مستقل •
(٢) سنشير الى تفسير الموردى عند عرضه للاحكام الفقهية محل الدراسة
وان كان الملاحظ على الموردى أنه لا يعرض لآراء أئمة المذاهب وانما يعرض
لآراء الصحابة والتابعين ، وفى بعض الاحيان يحيل الى أن المسألة خلافية وأن
كتب الفقه أولى بها . انظر تفسير الموردى ٤٦٤:١ فى شروط وجوب القطع مع
ارتفاع الشبهة •

« نصيحة الملوك » في استخلاص بعض الآراء والاحكام وأسندت الى
الماوردي حال كونها ليست له *

ففي رسالة « الفكر السياسي عند الماوردي »^(٣) أعتمد على كتاب
نصيحة الملوك في أكثر من عشرين موضعا *
وذهب البعض في تحقيق بعض مؤلفات الماوردي الى توثيقه
بكتاب « نصيحة الملوك » ، ففي تحقيق كتاب « تسهيل النظر
وتعجيل الظفر » احالات للتوثيق الى عدة مواضع من كتاب
نصيحة الملوك على الرغم من اختلاف الصياغة للشاهد في الكتابين^(٤) *

وكل من ترجم للماوردي من المحدثين أسند مخطوط باريس « نصيحة
الملوك » للماوردي مثل بروكلمان ، وجورجي زيدان وخير الدين الزركلي ،
ومصطفى السقا وعمر فروخ^(٥) *

كما أن كل الرسائل العلمية التي تمت مناقشتها في تحقيق ودراسة

(٣) للدكتور صلاح الدين بسيوني ، دار الثقافة ، مصر ، ١٩٨٣م ، ص ٣٦ ،
٨٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ،
٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٥٠ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ،
٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٤) حققه الدكتور محيي هلال السرحان ، طبعة دار النهضة ، بيروت ،
١٩٨١ أنظر صفحات ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ .

(٥) بروكلمان ٣٣٦:١ والملاحق ٦٦٣:١ ، وتاريخ آداب اللغة العربية
لزيدان ٣٣٥:٢ ، والاعلام ١٤٦:٥ ، ومقدمة ادب الدنيا والدين ، الطبعة الرابعة ،
١٠ ، وتاريخ الادب العربي لفروخ ١٤١:٣

أجزاء من كتاب الحاوى للماوردي ، عدت كتاب « نصيحة الملوك » ضمن كتبه (٦) .

حاجى خليفة ونصيحة الملوك :

لم نقف فيما اطلعنا عليه من كتب الماوردي أنه أشار الى كتاب نصيحة الملوك أو أستند اليه .

كما أن المصادر القديمة في ترجمة الماوردي لم تشر الى هذا الكتاب ضمن كتبه .

ويبدو لنا أن أول من أشار اليه هو حاجى خليفة فقد قال : أن « نصيحة الملوك للماوردي في معيد النعم ، ونقله بعضهم من الفارسية الى العربية وسماه « الدر المسبوك في نقل نصيحة الملوك » أوله : « الحمد لله على أنعامه وأفضاله » (٧) .

وقد رجعت الى كتاب « معيد النعم ومبيد النقم » للسبكي فلم أجده فيه إشارة الى كتاب النصيحة .

وتبين لى أن الافتتاحية التى أوردها حاجى خليفة تخالف الافتتاحية الواردة في نصيحة الملوك .

(٦) انظر مثلا تحقيق كتاب الحدود من الحاوى الكبير ، نال به إبراهيم صندوقى ، درجة الدكتوراة في الشريعة من جامعة أم القرى سنة ١٤٠٢هـ ج ٥٢:١ ، ورسالة عامر بن سعد نوري في تحقيق كتاب الرضاع وكتاب النفقات من الحاوى ، حصل به على درجة الدكتوراة في الشريعة من جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ ج ١ ص ٤٧ .

(٧) كشف الظنون ١٩٥٨:٢ .

فقد ذكر حاجي خليفة أن أوله « الحمد لله على نعمته وأفضاله » بينما
الثابت في نصيحة الملوك « بحمد الله نفتتح وعليه نتوكل وبه نستعين على
كل مقصود » •

كما تبين أن الافتتاحية التي أوردها حاجي خليفة هي افتتاحية التبر
المسبوك في نصيحة الملوك ^(٨) للإمام الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ) •

ويبدو لنا أن حاجي خليفة رأى مخطوط باريس « نصيحة الملوك » مع
مخطوط « معيد النعم ومبيد النقم » ولكنه لم يفحصه موضوعياً وأنه أخطأ
والتبس في الافتتاحية بذكر الافتتاحية الملوك للغزالي •

كتب الماوردي الفقهية :

من أهم كتب الماوردي الفقهية : الاقناع ، والاحكام السلطانية ،
والحاوي الكبير ، وهذه الكتب نسبتها الى الماوردي ثابتة وقد اشارت
مصادر التراجم وطبقات الشافعية اليها •

وتمثل هذه الكتب آراء الماوردي واجتهاداته الفقهية ونعرف بهذه

الكتب بإيجاز :

الاقناع :

قام الماوردي بتأليف كتاب « الاقناع » بناء على طلب الخليفة القادر
بالله (المتوفى ٤٢٢ هـ) حيث طلب من كبار علماء المذاهب الاربعة أن يؤلف
كل منهم مختصراً في مذهبه • فألف الماوردي الاقناع في أربعين ورقة

(٨) انظر ص ٥ ، طبعة الكليات الازهرية ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م •

مختصراً فيه الفقه الشافعي ، واثني عليه الخليفة القادر بقوله : « حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا » (٩) .

والاقتناع يشتمل على الاحكام الفقهية مجردة من الدليل وكان موضع ثقة العلماء وتقديرهم (١٠) .

وحفظ الله لنا نسخة مخطوطة منه بمكتبة الاوقاف بحلب (ضمت لمكتبة الاسلا حالياً) وقد تبين لنا وجود سقوط في بعض الجزاء منها (١١) .

الاحكام السلطانية

ألف الماوردي كتاب « الاحكام السلطانية والولايات الدينية » بناء على طلب خليفة عصره ، ويبدو لنا انه هو الخليفة القادر بالله . وقد كانت هذه الاحكام — على حد تعبير الماوردي — ممتزجة بالاحكام وكان يقطعهم عن تصفحها تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، فافرد لها الماوردي هذا الكتاب ممثلاً أمر من لزم طاعته (١٢) والكتاب يتضمن أصول التنظيم السياسي والاداري والمالي والحربي للدولة الاسلامية في عصر الماوردي وقد اعتمد فيه الماوردي على الادلة من الكتاب والسنة وبين مذاهب الائمة كأبو حنيفة ومالك ، ولم يعرض للمذهب الحنبلي ، فكأنه يرى أن الامام أحمد بن حنبل

(٩) المنتظم لابن الجوزي ١٩٩٠: ٨ ، معجم الادباء ٥٤: ١٥ ، ٥٥ .

(١٠) أنظر : المجموع شرح المذهب للنووي ، مطبعة الامام ٣٩٤: ١ ، ٤٩٩٤ ،

٩١: ٢ ، ٢٠٠ ، ٢٤٨ ، ٤١: ٣ ، وفتاوى الرملى على هامش الفتاوى الكبرى طبعة

١٣٥٧ ج ١ ص ٥١ .

(١١) المخطوط يحمل رقم ٦٧٥ وقام بنشره الشيخ خضر محمد خضر عن

مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

(١٢) الاحكام السلطانية ، طبعة بيروت ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٣ .

محدثا لا فقيها (١٣) ، ولعل هذا هو أحد الاسباب القوية التي دفعت بالفقيه الحنبلي أبا يعلى الفراء (المتوفى ٤٥٨ هـ) الى كتابة كتاب الاحكام السلطانية مبينا رأى الامام أحمد ليكن تحت بصر خليفة عصره ليتسنى للامام معرفة ماله منها فيستوفيه وما عليه فيوفيه وصولا الى العدل في القضاء والتنفيذ وتحريا للنصفة في أخذه وعطائه .

الحاوى (١٤) :

الحاوى ، وهو شرح مختصر الزنى ، قال الماوردى فى مقدمته ، « لما كان أصحاب الشافعى - رضى الله عنه - قد اقتصروا على مختصر

(١٣) لم يعرض الماوردى للمذهب الحنبلى فى أى من مؤلفاته الفقهية بما فيه الحاوى الكبير ، والواقع أن الماوردى لم يكن موافقا لان المذهب الحنبلى له أصوله التى يعتمد عليها وتميزه عن غيره من المذاهب وهى :
١ - الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة ، فمتى وجد نصا فى المسألة أفتى بمقتضاه دون الالتفات الى ما خالفه ولو كان المخالف من كبار الصحابة .
٢ - فتوى الصحابى عند عدم النص ، فاذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف لها مخالفا منهم ، لم يتجاوزها الى رأى آخر ، دون أن يدعى أن ذلك اجماعا بل يقول تورعا : ما يفيد أنه لا يعلم شيئا يعارض هذه الفتوى .
٣ - اذا تعددت الاراء من الصحابة فى الامر الواحد ، كان يلجأ الى اختيار أقربها من الكتاب والسنة ، بمعنى أنه لا يخرج عن رأى من هذه الاراء ، وكان يتوقف أحيانا عن الفتوى اذا لم يجد مرجحا لاحد تلك الاراء .
٤ - الاخذ بالحديث المرسل او الضعيف مرجحا على القياس ، ما دام ليس هناك اثر آخر يدفعه ، ولا قول صاحب ولا اجماع على خلافه .
٥ - اذا لم يجد شيئا مما تقدم من الاصول الاربعة السابقة لجأ الى القياس فاستعمله للضرورة .

اعلام الموقعين لابن القيم ٢٣٠١ .

(١٤) قال السبكى بعد أن أورد الرواية القائلة بأنه لم يظهر شيئا من مصنفات الماوردى فى حياته : « لعل هذا بالنسبة الى « الحاوى » والا فقد رأيت من مصنفاته غيره كثيرا وعليه خطه ، ومنه ما أكملت قراءته عليه فى حياته » . طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٩:٥ .

أبى إبراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى - رحمه الله - لانتشار الكتب
المبسوطة عن فهم المتعلم واستطالة مراجعتها على العالم حتى جعلوا
المختصر أصلاً يمكن تقريبه على المبتدى واستفاؤه للمنتهى ، ونجب صرف
العناية إليه ، وإيقاع الاهتمام به . ولما صار مختصر المزنى بهذه الحال من
مذهب الشافعى لزم استيعاب المذهب فى شرحه واستيفاء اختلاف الفقهاء
المتعلق به ، وإن كان ذلك خروجاً عن مقتضى الشروح التى تقتضى الاختصار
على إبانة المشروح ليصح الاكتفاء به والاستغناء عن غيره .

وقد اعتمدت بكتابتى هذا شرحه على أعدل شروحه ، وترجمته
(بالحاوى) رجاء أن يكون حاوياً لما أوجبه بقدر الحال من الاستيفاء
والاستيعاب فى أوضح تقسيم وأصح ترتيب وأسهل مأخذ » (١٥) .

ويقع الكتاب على حد قول الماوردى فى أربعة آلاف ورقة (١٦) وقد
بسط الماوردى فيه الفقه الشافعى عارضاً فيه فقه الصحابة والتابعين
وفقه أئمة المذاهب - عدا المذهب الحنبلى - مع بيان الأدلة ونقضها
وترجيح المذهب الشافعى .

والكتاب مخطوط يقع فى عشرين جزءاً (١٧) ويتضمن الفقه الإسلامى

(١٥) الجزء الأول من الحاوى ، مخطوط رقم ٨٣ فقه شافعى ، دار الكتب
المصرية ق ١ .

(١٦) المنتظم لابن الجوزى ١٩٩: ٨ ، ومعجم الأدباء تحقيق مرجليوث
٤٠٨: ٥ .

(١٧) يكاد الكتاب أنجز تحقيقه ودراسته فى رسالات علمية للدكتورة
والماجستير فى كلية الشريعة جامعة الأزهر ، ولجامعة أم القرى ، تحقيق كتاب
الزكاة للشيخ ياسين محمود الخطيب ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
وتحقيق كتاب (الحج) الشيخ غازى طه (دكتوراه) ، ومن كتاب النكاح إلى =

كله بداية بكتاب الطهارة وانتهاء بكتاب العتق وقد قال عنه ابن خلكان :
« لم يطالعه أحد الا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة في المذهب » ♦

الكافي شرح مختصر المزني

وحرى بالاشارة أن كتاب الحاوي غير كتاب الكافي شرح مختصر
المزني الذي أشار اليه السبكي في طبقاته عندما ترجم لشبيب بن عثمان
بن صالح الرحبي فقال : « ورأيت لشبيب فوائد عامتها من كتاب الكافي
في شرح مختصر المزني لأبي الحسن الماوردي صاحب الحاوي » (١٨)
وهذه العبارة تفيد أن الكافي غير الحاوي ، والكافي من الكتب الفقهية
المفقودة التي لم تصل إلينا .

= كتاب الصداق الشيخ عبد الرحمن اليماني « دكتوراه » ومن كتاب البيوع إلى
كتاب الرهن الشيخ محمد فضل مصلح الدين « دكتوراه » ، وقد أشرنا من قبل
إلى كتاب الحدود حققه إبراهيم صندقجي دكتوراه ، وكتاب القراض من الحاوي
عبد الوهاب السيد باخي « ماجستير » أكتوبر ١٩٧٩ ، المساواة والمزارعة
يوسف حسين حسن ، وكتاب التقليس عبد الفتاح محمود ادريس ، وكتاب
الصيد والذبائح مصطفى بن حاج اسماعيل ، عام ١٩٨٠ ، وكتاب الحوالة
والضمان عبد العزيز الرشيد محمد ، وكتاب الوكالة لزين إبراهيم .
(١٨) طبقات الشافعية الكبرى ٨:٥ .

بحث مقارن

بين الاحكام الفقهية الواردة في كتاب النصيحة

وكتب الماوردي الفقهية

نخصص هذا المبحث لبعض الاحكام المالية والجناائية الواردة في كتاب نصيحة الملوك مع مقارنتها بما هو ثابت عن الماوردي في كتبه الفقهية الاخرى •

وسنقتصر على المسائل الاتية :

- ١ — سهم المؤلفه قلوبهم كمصرف من مصارف الزكاة •
 - ٢ — مقدار ما يعطى للعاملين على الزكاة •
 - ٣ — مدى تخميس الفىء •
 - ٤ — حد السكر •
 - ٥ — قدر نصاب القطع فى السرقة •
- ونعرض لكل منها فى مطلب

المطلب الاول

سهم المؤلف قلوبهم

يرى صاحب كتاب النصيحة أسقاط سهم المؤلف قلوبهم كمصرف من مصارف الزكاة فقال : « والسنة في صدقة السوائم والعشور والاحماس وكل ما في باب الصدقات أن تقسم هذه السهام المذكورة الا سهم المؤلف قلوبهم لان الله أغنى عنهم ورفعهم بعز الاسلام وظهور الحق .. » (١)

وهذا القول يناقض ويخالف ما هو ثابت عن الماوردي في كتبه الفقهية جميعا اذ يرى أن سهم المؤلف قلوبهم باق .

فقال في الاقناع (٢) : « أن من مصارف الزكاة سهم المؤلف قلوبهم ، وهم الذين في تآلفهم قوة للمسلمين وأضعاف للمشركين ، فيدفع اليهم من سهمهم ما يكون به تآلفهم » .

وأوضح في الاحكام السلطانية أن سهم المؤلف قلوبهم لاربعة أصناف :

- أ - صنف يتآلفهم لمعونة المسلمين .
 - ب - صنف يتآلفهم للكف عن المسلمين .
 - ج - وصنف يتآلفهم لرغبتهم في الاسلام .
 - د - وصنف لترغيب قومهم وعشائرهم في الاسلام .
- فمن كان من هذه الاصناف الاربعة مسلما جاز أن يعطى من سهم المؤلف من الزكاة ، ومن كان مشركا عدل به عن مال الزكاة الى سهم المصالح من الفئ والغنائم (٣) .

(١) ق ٧٤ / ١ من المخطوط وانظر النص المحقق ص ٣١٧ .

(٢) ص ٧١ .

(٣) الاحكام السلطانية ص ١٢٣ .

وبسط المسألة في الحاوى وبين أن القائلين باسقاط سهم المؤلفة قلوبهم هما من الائمة : أو حنيفة ومالك ثم أفصح عن رأيه وفصله فقال : « وجملة ذلك أن مالكا وأبا حنيفة أسقط سهم المؤلفة قلوبهم بقوة الاسلام واستعلاء أهله » .

وسهم المؤلفة قلوبهم باق أهله الله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وتألف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، مسلمين ومشركين . . وفي جواز تألف المشركين بعد وفاته قولان :

أحدهما : يجوز اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) .

والقول الثانى : لا يجوز لان الله تعالى قد أعز الاسلام وأهله بما اعطاهم من قوة وزادهم من قدرة عن أن يتألفوا بأموالهم مشركا . . فاذا قيل : لا يجوز أن يتألفوا بمال لما جعل الله نقل أموالهم للمسلمين ولم يجعل لهم في أموال المسلمين حقا منعوا ذلك من أموال الصدقات وغيرها . . واذا قيل بجواز تألفهم جاز اذا قصد فيه نفع أن يعطوا مع الغناء والفقير لا من أموال الصدقات التى جعلها الله نقلا للمسلمين ولكن من سهم المصالح العامة وهو خمس الخمس من الفىء والغنيمة المعدة لمصالح المسلمين عامة . . .

وأما الضرب الثانى من المسلمين الذى لم يختلف قول الشافعى في جواز تألفهم فهم أربعة أصناف :

أحدهما : أن يكون من أعراب أو غيرهم من المسلمين في طرف بلاد الاسلام بازاء مشركين لا يقاتلونهم على الاسلام الا بمال يعطونه اما

لفقرهم أو لضعف نيتهم ، وفي مسير المجاهدين اليه مشقة عظيمة والمقترام
مال جزيل •

والصنف الثاني : أن يجوز من ذكرنا أزاء قوم مرتدين لا يقاتلونهم
على الردة الا بمال اما لفقر واما لضعف نية وفي تجهيز الجيش اليهم مؤونة
ثقيلة •

والصنف الثالث : أن يكونوا بازاء قوم بغاة وهذه حالهم معهم •
والصنف الرابع : أن يكونوا بازاء قوم مائعي الزكاة ولا يقاتلونهم
على بذلها الا بمال •

فهؤلاء الاصناف الاربعة يجوز تألفهم بالمال لما في تألفهم من معونة
المسلمين ونفعهم والذب عنهم (٤) •

ويتضح لنا من هذا العرض لمؤلفات الماوردي أنه يرى أن سهم المؤلفة
قلوبهم باق على خلاف الوارد في نصيحة الملوك •

(٤) الحاوي ج ١١ ق ١/٢٧٣ - ١/٢٧٦ مخطوط رقم ٨٣ فقه شافعي
دار الكتب المصرية ، وفي نفس المعنى مع ايجاز تفسير الماوردي ج ٢ ص ١٤٧ .

المطلب الثانى

مقدار ما يعطى العاملين على الزكاة

قال صاحب النصيحة « ويعطى العاملون — على الزكاة — مقدار الكفاية ، ولا يحل من الصدقات لال الرسول ﷺ ولا لغنى مؤسر ، ولا ملك مقتدر » (١) .

فصاحب النصيحة يرى أن يعطى العاملون على الزكاة أجره مساوية لعملهم فهي ليست صدقة ، ولذا يعطى العامل الغنى حال كون الصدقة لا تحل لغنى مؤسر .

ويرى الماوردى فى كتبه الفقهية أن العاملين على الزكاة يعطون أجور أمثالهم صدقة .

فقال فى الاقناع « والعاملين عليها — كمصرف من مصارفة الصدقات — وهم المتولون جبايتها وتفرقتها ، فيدفع اليهم منها قدر أجور امثالهم » (٢) .

وأوضح فى الاحكام السلطانية « سهم العاملين عليها فقال : هم صنفان أحدهما ، المقيمون بأخذها وجبايتها .
والثانى : المقيمون بقسمتها وتفريقها من أمين ومباشر ، ومقبوع وتابع ، وجعل الله أجورهم فى مال الزكاة لئلا يؤخذ من أرباب الاموال

(١) نصيحة الملوك ق ٧٤ / ١ ، والكفاية لغة هى كل شئ ساوى شيئاً حتى صار مثله . وكفى الشئ « يكفى » كفاية فهو كاف اذا حصل به الاستغناء عن غيره . المصباح المنير ص ٥٣٧ .
(٢) الاقناع ص ٧١ .

سواها ، فيدفع اليهم من سهمهم قدر أجور امثالهم ، فان كان سهمهم منها أكثر رد الفضل على باقى السهام ، وان كان أقل تمت أجورهم من مال الزكاة فى أحد الوجهين ، ومن مال المصالح فى الوجه الآخر » (٣) •

وبسط المسألة فى الحاوى وعرض لوجهة نظر الاحناف ورد عليهم •
فقال « أول سهم يبدأ بقسمه سهم العاملين عليها لامرين أحدهما أنه يستحق على عمل فصارت كالمعاوضة وغيره مواساة •

والثانى : أنه مقدر بأجورهم من غير زيادة ولا نقصان فهو قدر حقهم ، أو يكون أكثر من أجورهم فيعطوا منه قدر أجورهم ويرد الباقى على سهام أهل السهمان بالسوية أو يكون أقل من أجورهم فيجب أن يتم لهم أجورهم •

قال : العاملون على الزكاة هم صنف من أهل السهمان يعطون أجورهم منها صدقة •

وقال أبو حنيفة : هو أجرة وليس بصدقة لانهم يأخذون مع الغنى ولو كانت صدقة حرمت عنده على الاغنياء •

وهذا خطأ لان الله تبارك وتعالى قال « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ... » فلم يجز أن يزال عن الصدقة حكمها باختلاف المملكين •

ولان النبى ﷺ منع ذوى القربى من العمل عليها لتحريم الصدقات عليهم ، ولو خرجت عن حكم الصدقة الى الاجرة ما منعهم منها •

وليس ينكر أن تكون الاجرة صدقة اذا كانت مأخوذة من مال الصدقة
فاذا ثبت هذا فان كان العاملون عليها مستأجرين بعقد اجارة لم
يجز أن يكون المسمى فيه من الاجرة أكثر من أجور أمثالهم ، كما لا يجوز
في المستأجر على أموال الايتام .

وان لم يسم فليس له أكثر من أجره المثل ، وان لم يكونوا مستأجرين
بعقد كان لهم أجره المثل لمن استهلك عمله بغير عقد وذلك يختلف بقرب
المسافة وبعدها وقلة العمل وكثرتة (٤) .

يتضح لنا من هذا العرض اختلاف رأى صاحب النصيحة عن رأى
المأوردى ، فصاحب النصيحة يرى أن يعطى العاملون على الزكاة أجره
مساوية لعملهم ولا تعد صدقة بينما المأوردى يرى أنهم يعطون أجور أمثالهم
صدقته .

(٤) الحاوى الكبير ج ١١ ق ٢٨٧ / ب ، ق ٢٩٢ / ب .

المطلب الثالث

مدى تخميس الفىء

يرى صاحب النصيحة أن الغنيمة والفىء كان في عهد النبي ﷺ فيئان ويرى أن الفىء لا يخمس على حين أن الماوردي يفرق في الاسم بين الفىء والغنيمة ويرى أن في الفىء والغنيمة الخمس .
قال صاحب النصيحة : « وأما الغنيمة والفىء فقد كان في عهد النبي

ﷺ فيئان :

أحدهما ، للنبي ﷺ خاصة ، ولم يوجب المسلمون عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء من بنى النصير وأهل فهدك ، فكان ذلك للرسول ﷺ خاصة إلا أن النبي عليه السلام لم يبين به دارا ولم وقوت عياله ويجعل الباقي منها في نوائب المسلمين وحوادث أمر الدين يشتر به عقارا ، ولم يتمتع به في الدنيا فضل تمتع ، بل كان يأخذ منه قوته والآخر ، هو ما يفىء من أموال الكفار على المسلمين من غنيمة أو جزية أو خراج بنى تغلب ، فهو يعطى منه ذوى القربى وهو عندنا قرابة النبي ﷺ مقدار كفايتهم ، ويصرف الباقي في نوائب المسلمين من السلاح والكراع وأعطيات الجيوش التى تغزو أرض العدو ، ويعطون مقدار كفايتهم ، فإن فضل شئ من ذلك صرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيل ... » (١)
والماوردي ينتقد القول بأن الغنيمة فىء في عهد النبي ﷺ ويقول :
الغنيمة من اللغنم ، واللغنم المستفاد بغير بدل ، فكل ما أخذ من المشركين قهر القتال بايجاف خيل أو ركاب سمي غنيمة لاستفادته بغير بدل .

(١) نصيحة الملوك ق ٧٤ / ١ ، انظر النص المحقق ص ٣١٨ .

والفئ : هو الرجوع ، ومنه قوله تعالى (حتى تقىء الى أمر الله) (٢)

أى ترجع

والفئ : كل ما أخذ من المشركين عفوا بغير قتال ولا إيجاف خيل

ولا ركاب وسمى فبيئاً لرجوعه الى أوليائه الله تعالى وأهل طاعته بعد

خروجه عنهم الى أهل أعدائه وأهل معصيته ويقول الاصل فى الغنيمة قول

الله تعالى : (واعلموا أن ما غنمتم من شئء فان لله خمسة وللرسول ولذى

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (٣)

والاصل فى الفئ قوله تعالى : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القربى

فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى) (٤)

وقال : ان أوجه الافتراق بين الفئ والغنيمة أن لكل واحد منهما

اسم يختص به (٥)

والفئ عند الماوردى يخمس بينما صاحب النصيحة يرى أن الفئ

للسول ﷺ خاصة وما بقى منه بعد قوته وقبوت عياله جعله فى نوائب

المسلمين أى أن الفئ لا يخمس فى حياته أو بعد وفاته .

قال الماوردى فى الاقناع : كل ما أخذ من المشركين بغير إيجاف خيل

ولا ركاب من خراج أرض أو جزية رقبة أو مال صلح أو عشور تجارة

أو تركة ميت لم يخلف وارثاً فجميعه فئ ويصرف خمسة فى أهل الخمس

كالغنيمة (٦) .

(٢) الحجرات : مدنية من الآية ٩ .

(٣) ٨ الانفال : مدنية : الآية ٤١ .

(٤) ٥٩ الحشر : مدنية : الآية ٧ .

(٥) الحاوى ج ١١ ق ١٧٩ ، ١/١٨٤ .

(٦) الاقناع ص ١٧٩ .

وأكد هذا في الاحكام السلطانية وانتقد رأى أبى حنيفة : القائل :
لا خمس في الفىء • فقال : ونص الكتاب يمنع مخالفته (٧) لقول الله
تعالى : (ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذو
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) •

وبسط الماوردى المسألة في الحاوى — كتاب تقريق الخمس فعرض
للأراء المختلفة — وناقش رأى أبى حنيفة وانتهى الى تأييد رأى
الشافعى (٨) •

فقال : « وخمس الفىء والغنيمة مقسوم على مذهب الشافعى
على خمسة أسهم كان لرسول الله ﷺ في حياته سهم يصرف بعده في
مصالح المسلمين •

وسهم لذوى القربى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب باق لهم ما بقوا
وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لبنى السبيل •••

وقال أبو حنيفة — يقسم الخمس (في الغنيمة) على ثلاثة أسهم سهم
اليتامى ، وسهم المساكين ، وسهم بنى السبيل وأسقط منها سهم رسول
الله ﷺ وسهم ذى القربى •

وقال مالك : يصرف الخمس مع أربعة أخماس الفىء في وجوه
المصالح •

ويبين الماوردى وجهة نظره ورد على أبى حنيفة فقال :
والدليل على أن سهم رسول الله ﷺ ثابت في رواية محمد بن جبير

(٧) الاحكام السلطانية ١٢٦ ، ١٢٧ •

(٨) الحاوى ج ١١ ق ٢١٥ — ١/٢١٧

ابن مطعم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « مالى مما أفاء الله عليكم
الا الخمس ، والخمس مردود فيكم » .

فدل رده على ثبوته — وأن تغيير حكمه — لا على سقوطه .
والدليل على أن سهم ذى القربى ثابت يستحق مع الغنى والفقر لقوله
تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى)
فأضاف الخمس الى خمسة أصناف بلام التمليك وجمع بينهم بواو التشريك
فإنمضى الظاهر تساويهم في جميع الأوصاف التزاما بأمر الله تبارك
وتعالى ، وهو حينما وصفهم بذى القربى دل على استحقاقهم باسم القرابة
لا الفقر قال تعالى (فآت ذى القربى حقه والمسكين وابن السبيل)
(سورة الاسراء : من الآية ٢٦) .

ويختار صاحب نصيحة الملوك التفضيل في العطاء من الفء فقال :
وسن رسول الله ﷺ التفضيل في العطاء والتسوية تارة ، على ما أوجبه
الحال وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية .
وكان عمر وعثمان يفضلان على مقدار البلاء في الاسلام والغناء عنه
وموجب الأحوال ثم كان على يرى التسوية .

والتفضيل عندنا هو الاختيار وهو أشبه بكتاب الله عز وجل (٩) لأن
الله يقول : (وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما درجات منه)
(الايتان ٩٥ ، ٩٦ من سورة النساء) .

وقال : (قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون) (الآية

٩ من سورة الزمر) .

(٩) نصيحة الملوك ق ٤ / ب ، انظر النص المحقق ص ٣٢١ .

بينما يرى الماوردي التسوية في العطاء •
قال في الاقناع : « ويسوى بين المقاتلة في العطاء ، وان تفاضلوا في
العطاء » (١٠) •

وفي الاحكام السلطانية يبين لنا الماوردي أن القائلين بالتفضيل هم :
أبو حنيفة وفقهاء العراق ، وأن القائلين بالتسوية هم : الشافعية ومالك
فقال : « ولما استقر ترتيب الناس في الداووين على قدر النسب المتصل
يرى رسول الله ﷺ فضل بينهم في العطاء على قدر السابقة في الاسلام والقربى
من رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية بينهم في العطاء
ولا يرى التفضيل بالسابقة ، كذلك كان رأى على رضى الله عنه في خلافته
وبه أخذ الشافعي ومالك •

وكان رأى عمر رضى الله عنه التفضيل بالسابقة في الاسلام ، وكذلك
كان رأى عثمان رضى الله عنه من بعده ، وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق •
ولما ناظر عمر أبا بكر حين سوى بين الناس : فقال : أتسوى بين
دينها جر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وبين من أسلم عام الفتح خوف
السيوف •

فقال أبو بكر رضى الله عنه « انما عملوا لله ، وانما أجورهم على
الله ، وانما الدنيا بلاغ » (١١) •

يتضح لنا من هذا العرض أن رأى صاحب النصيحة أن الفئ لا
يخمس ، كما يرى التفضيل في الاعطاء ، وهو يخالف رأى الماوردي بأن
الفئ يخمس وأن الاعطاء بالتسوية •

(١٠) الاقناع ١٧٩ •

(١١) الاحكام السلطانية ٢٠٠ ، ٢٠١ •

المطلب الرابع

حد السكر

يرى صاحب كتاب النصيحة أن حد السكر هو ثمانين جلدة فقال :
« وأجمعت الأمة على جلد السكران بثمانين » (١) .

وهذا يناقض ما هو ثابت عن الماوردي .

قال في الاقناع « ومن شرب خمرا أو نبيذا مسكرا حد أربعين
باليدي والأيدي ، وحتى على رأسه القراب وبكت .

فان رأى الامام أن يبلغ بحد ثمانين اذا تهافت فيه فعل » (٢) .

فرأى الماوردي أن الحد هو أربعين وان للامام ان يصل به تعريزا

الى ثمانين .

وأكد ذلك في الاحكام السلطانية فقال : (والحد أن يجلد
أربعين بالأيدي وأطراف الثياب ويكت بالقول الممض والكلام المراد
للخبر المأثور فيه . . . ويجوز أن يتجاوز الأربعين اذا لم يرتدع بها الى
ثمانين جلدة فان عمر رضى الله عنه حد شارب الخمر أربعين الى أن رأى
تهافت الناس فشاور الصحابة فيه ، وقال : أرى الناس قد تهافتوا في
شرب الخمر فماذا ترون ؟ فقال على - رضى الله عنه - أرى أن تحده
ثمانين لانه اذا شرب الخمر سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افتري
فحدده ثمانين حد الفرية ، فجلد فيه عمر بقية أيامه والائمة من بعده
ثمانين فقال على - رضى الله عنه - ما أحد أقيم عليه الحد فيموت فأجد

(١) ق ٧٧ / ١ ، النص المحقق ص ٣٢١ .

(٢) الاقناع ص ٧٠ .

في نفسى منه شيئاً ألحق قتله الا شارب الخمر فانه شىء رأيناه بعد
رسول الله ﷺ فان حد شارب الخمر أربعين فمات منها كانت نفسه هدرا ،
وان حد ثمانين فمات ضمننت نفسه » (٣) .

ويتضح من هذا القول أن حد السكر عند الماوردي أربعين جلدة
ويجوز زيادته الى ثمانين من باب السياسة الشرعية .
وفي كتاب الحاوي بيان كاف وثاف وواف لهذه المسألة ، فهو يعرض
للأراء المختلفة ثم ينتصر لرأى الشافعى قال : « قد اختلف الفقهاء في
مقدار حد الخمر :

فذهب الشافعى الى أن حد الخمر أربعين لا يجوز أن ينقص منها ،
وما زاد عليها الى ثمانين تعزير يقف على اجتهاد الامام لا يزيد عليها
ويجوز أن ينقص عنها .

وقال مالك وأبو حنيفة وسفيان البوري : حد الخمر ثمانون كالقذف
لا تجوز الزيادة عليها ولا النقصان منها استدلالا برواية شعبة عن قتادة
أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو
الأربعين وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر استشار الناس ، فقال عبد الرحمن
بن عوف رضى الله عنه : أخف الحدود ثمانون فأخذ بها عمر فصار اجتهاد
الصحابه موافقا لفعل الرسول لان الأربعين بالجريدتين ثمانون » .

ورد الماوردي هذا الرأى وقال :

دليلنا قول الشافعى أخبرنا الثقة عن معمر عن الزهرى عن عبد
الرحمن بن أزر قال : (أتى النبى ﷺ بشارب . فقال : أضربوه ، فضربوه

بالأيدي والنعال وأطراف الثياب وحثوا عليه التراب ثم قال : بكتوه ، ثم أرسله) .

وما رواه حصين بن المنذر ، أبو ساسان ، أن الرقاشي قال : (شهدت عثمان بن عفان وقد أتى بالوليد بن عقبة ، فشهد عليه حمران بن أبان) (مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه) ورجل آخر ، شهد أحدهما أنه شرب الخمر ، وشهد الآخر : أنه تقيأها فقال للعلی : أقم عليه الحد فقال « على » للحسن : أقم عليه الحد فقال الحسن : ول حارها من تولى قارها (أى ولى صعبها من تولى سهلها) فقال « على » لعبد الله بن جعفر أقم عليه الحد ، فجلد عبد الله بالسوط وعلى يعد ، فلما بلغ الأربعين قال عثمان حسبك : جلد رسول الله ﷺ أربعين جلدة ، وجلد أبو بكر أربعين جلدة ، وجلد عمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب السى » .

قال الماوردي : هذا نص من وجهتين :

أحدهما : ما أخبر عن رسول الله ﷺ من اقتصاره على الأربعين والثاني : أخبار بأن كل من العددين سنة يعمل بها ويصح التخيير فيها . وقال في أدلة الحنفية ومن تابعهم :

لو كان في حد الخمر نص ما أجتهد فيه ولعملوا فيه على النقل وتحمل الرواية بجريدين ونعلين ، على أن أحدهما بعد الاخرى لان الأولى تقطعت فأخذ بالثانية .

وأن قياسهم على القذف مردود ، لان السبب يوجب الحد ، فوجب أن يختص بعدد لا يشاركه فيه ، كالزنا والقذف فان قيل : وجب أن لا يقدر بأربعين كالزنا والقذف فالرد : الحدود موضوعة على الاختلاف في المقدار

لاختلافها في الاسباب فجاز لنا اعتبار بعضها ببعض في التفاضل ولم يجز
لهم اعتبار بعضها ببعض في التماثل •

ولان الحدود تترتب بحسب اختلاف الاجرام ، فما كان جرمه أغلظ
كان الحد فيه أكثر ، لان الزنا لما غلظ جرمه للاشتراك فيه غلظ جده ،
والقذف لما اختص بالتعدي الى واحد كان أخف من الزنا ، والخمر لما
اختص بواحد لم يتعد عنه ، ووجب أن يكون أخف من القذف (٤) •
ويتبين لنا من هذا العرض أن رأى صاحب النصيحة في حد السكر
يخالف رأى الماوردي في كتبه الفقهية ، اذ يرى صاحب النصيحة أن الحد
ثمانين باجماع الامة بينما يرى الماوردي أن الحد أربعين ويجوز زيادته
الى ثمانين تعزيرا •

(٤) كتاب الحدود من الحاوي تحقيق ودراسة إبراهيم سنبلجي

المطلب الخامس

قدر نصاب القطع في السرقة

يرى صاحب النصيحة : أن السرقة لا يقطع فيها حتى يشهدوا. أنه سرق ما تبلغ قيمته عشرة دراهم من حرز (١) .

فقدر النصاب لديه عشرة دراهم ، وهذا يخالف ما هو ثابت عند الماوردي في كتبه الفقهية جميعا .

قال في الاقتناع : « ومن سرف ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار من غالب النقود الجيدة من حرز مثله ولم يكن له شبهة في الحرز ولا في المال ولا في المالك قطعت يده اليمنى من الزند وحسنت بالدهن الحار » (٢) .

فنصاب السرقة الموجب للقطع لدى الماوردي هو ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار .

وقد أكد الماوردي ذلك مع بيان اختلاف الفقهاء في كتابه الأحكام السلطانية فقال : « واختلف الفقهاء في قدر النصاب الذي تقطع فيه اليد . فذهب الشافعي إلى أنه مقدر بما تبلغ قيمته ربع دينار فصاعدا من غالب الدينار الجديدة . وقال أبو حنيفة : وهو مقدر بعشرة دراهم أو دينار ولا يقطع في أقل منه »

وقدره مالك بثلاثة دراهم . . . » (٣)

(١) نصيحة الملوك ق ٧٧/٢ وانظر النص المحقق ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٢) الاقتناع ص ٦٧ .

(٣) أحكام السلطانية ص ٦٠ .

ويتضح من ذلك أن القائلين بأن قدر نصاب القطع في السرقة عشرة دراهم هور أى فقهاء الحنفية •

وقد عرض الماوردى — فى الحاوى — رأى أبى حنيفة مبينا وجه الخلاف مع الشافعى ثم رد رأى الاحناف فقال : قال أبو حنيفة وأصحابه : يقطع فى عشرة دراهم فصاعداً وإن سرق من غيرها قوم بها •
فصار مخالفاً للشافعى من وجهين :

أحدهما : فى القدر

والثانى : فى جنس ما يقع به التقويم •

استدلوا برواية زفر بن الهذيل عن الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « لا قطع الا فى عشرة دراهم » •

وروى مجاهد وعطاء عن أيمن عن النبى ﷺ أنه قال « ادنى ما يقطع فيه السارق ثمن المجن — وكان يقوم دينارا » •
ورد الماوردى على ذلك فقال :

ودليلنا عموم قول الله سبحانه وتعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) (المائدة : من الآية ٣٨) • الا ما خصه الدليل والاجماع وروى عن الشافعى ، وعن سفيان ، وعن الزهرى ، وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ قال : « القطع فى ربع دينار فصاعدا » •

وروى عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعدا » وهذا يؤكد ، لانها اضافة الى سماعها •

وروى عن الشعبي عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« قطع في مجن قيمته خمسة دراهم » .

وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قطع سارقا سرق من صفة النساء (أى

الموضع المختص بهن في المسجد) ترسا قيمته ثلاثة دراهم (٣) .

يتضح لنا من هذا العرض أن رأى الماوردى في قدر نصاب السرقة

الواجب فيه القطع هو ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار فصاعدا بينما رأى

صاحب « نصيحة الملوك » أن قدر النصاب في السرقة هو عشرة دراهم أى

دينار ، وهو رأى أبى حنيفة وأصحابه .

والمراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

المراد بالمرادى من قوله الماوردى فى قدر نصاب السرقة

(٣) كتاب الحدود من الحاوى ج٢ ص ٤٥ وما بعدها .

لن نصيحة الملوك ؟

لا نستطيع أن نجزم باسم صاحب كتاب « نصيحة الملوك » ويبدو لنا من دراسة وتحقيق الكتاب أنه من وراة الحديث ، فقد ذكر أكثر من خمسة أحاديث بلفظ رويننا (١) .

كما أن صاحبه يحاول الجمع بين الشريعة والفلسفة ومن أقواله « الاقتداء بالله في أفعاله ... وهو مع ذلك حد من حدود الفلسفة ومعنى من معاني الحكمة » (٢) .

ويجل علماء الكلام ويبراهم الذابيين عن أصول الدين (٣) ويستند الى علماء المعتزلة كعمرو بن عبيد ، والجاحظ (٤) . كما أن صاحب النصيحة حنفى المذهب — فى الغالب — كما هو ثابت من الاحكام الفقهية التى أوردها فى كتابه .

وان الاحداث والوقائع التاريخية الواردة فى الكتاب تقف تقريبا عند منتصف القرن الرابع الهجرى .

كما أن صاحب النصيحة قد عرض للدولة السامانية فى خراسان ووصف الامير الماضى وصف معاصر له بأن قال « كان من ابناء الدنيا » (٥) فصاحب « نصيحة الملوك » من رواة الحديث ، يقول الشعر ويميل الى المتكلمين ، ومن المنتمين الى المذهب الحنفى غالبا ، عاصر الدولة السامانية أو كان قريبا منها .

(١) انظر ق ١/٢ ، ١/٥٩ ، ١/٩١ ، وانظر النص المحقق ص ٢٦٢، ٤٣ .

(٢) انظر نصيحة الملوك ق ٣٥/ب ، وانظر ص ١٧٠ .

(٣) النصيحة ق ١٥/ب ، وانظر ص ٩٣ .

(٤) النصيحة ق ٤٢/ب ، وانظر ص ١٩٩ .

(٥) نفس المصدر ق ١٩/ب ، وانظر ص ١٠٧ .

(٦) انظر نصيحة الملوك ق ١٩/ب ، وانظر ص ١٠٧ .

وبتتبع كتب التراث السياسى فى القرن الرابع والخامس وبتطبيق هذه المعالم عليها يبدو لنا أن « نصيحة الملوك » لأحمد بن سهل ، وكنيته أبو زيد البلخى ، لأنه من أهل بلخ فيها ولد ، وبها مات سنة ٣٣٢ هـ عن سبع وثمانين سنة ، وكان بارزا فى كل فن وان كان قليل الشعر ، وله كتاب « السياسة الكبير » « والسياسة الصغير » وأدب السلطان والرعية ، وسلك فى مصنفاته طريقة الفلاسفة الا أنه كان بأهل الادب أشبه ، وكان على صلة بوزير نصر بن أحمد السامانى ، وكان أبو زيد البلخى محدثا ، وذكر فى مجلس البزار (محدث بلخ ومفتيها فى عصره) فأثنى على عقيدته ، وقرر أن كتبه على كثرتها لا تتضمن خروجا على العقيدة على الرغم أنه معدود من الفلاسفة^(٦) ، ويذكر فى طبقات فقهاء الحنفية^(٧) .

منهج التحقيق

قمنا بتخريج الايات القرآنية والاحاديث النبوية وتوضيح الغامض والغريب من الالفاظ اللغوية كما حاولنا أن نبرز أوجه الاختلاف مع الموردي من خلال شواهد الكتاب .
وقمنا بوضع عناوين فى كل باب وفصل تعاون على جمع أفكار الكتاب .
كما قمنا باعداد فهرس شاملة للكتاب تيسيرا للرجوع اليه والانتفاع الكامل به .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يكون علما نافعا وعملا متقبلا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٦) معجم الادباء ١٤١٠: ١٥٢ ، والوفى بالوفيات ٤٠٩: ٤١٣ .
(٧) الطبقات السنية فى تراجم الحنفية ، لعبد القادر التيمى المصرى (المتوفى ١٠٠٥ هـ) تحقيق د . عبد لفتاح الحلو ، دار الرفاعى ، الرياض ٢٠٠٩: ١ .

1990年12月

مستند في مدينة الكويت

المجلد: ١٠٠٠

المسألة الأولى

الحمد لله رب العالمين

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

مجلسه ۱۲۲

[illegible]

المجلس الأعلى للدراسات والبحوث

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

وَيَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100
---	---	---	---	---	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	-----

سيرة الطاهر بن الحسين

من الماسكة - بينهما وقدرهما

الماء واليابس

بسم الله الرحمن الرحيم

علاء الدين محمد بن قلاوون

THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS



... ..

100

1980

1990

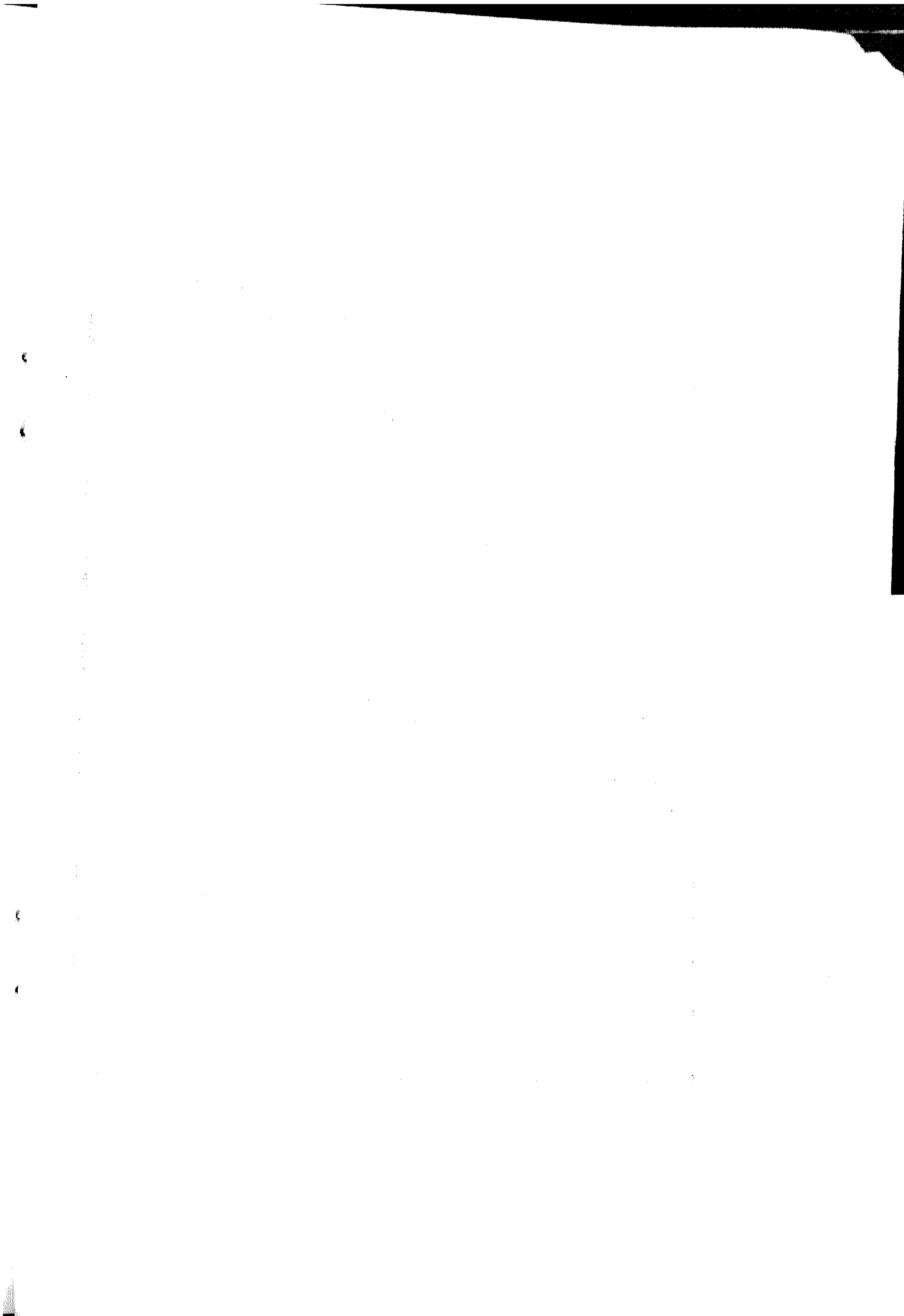


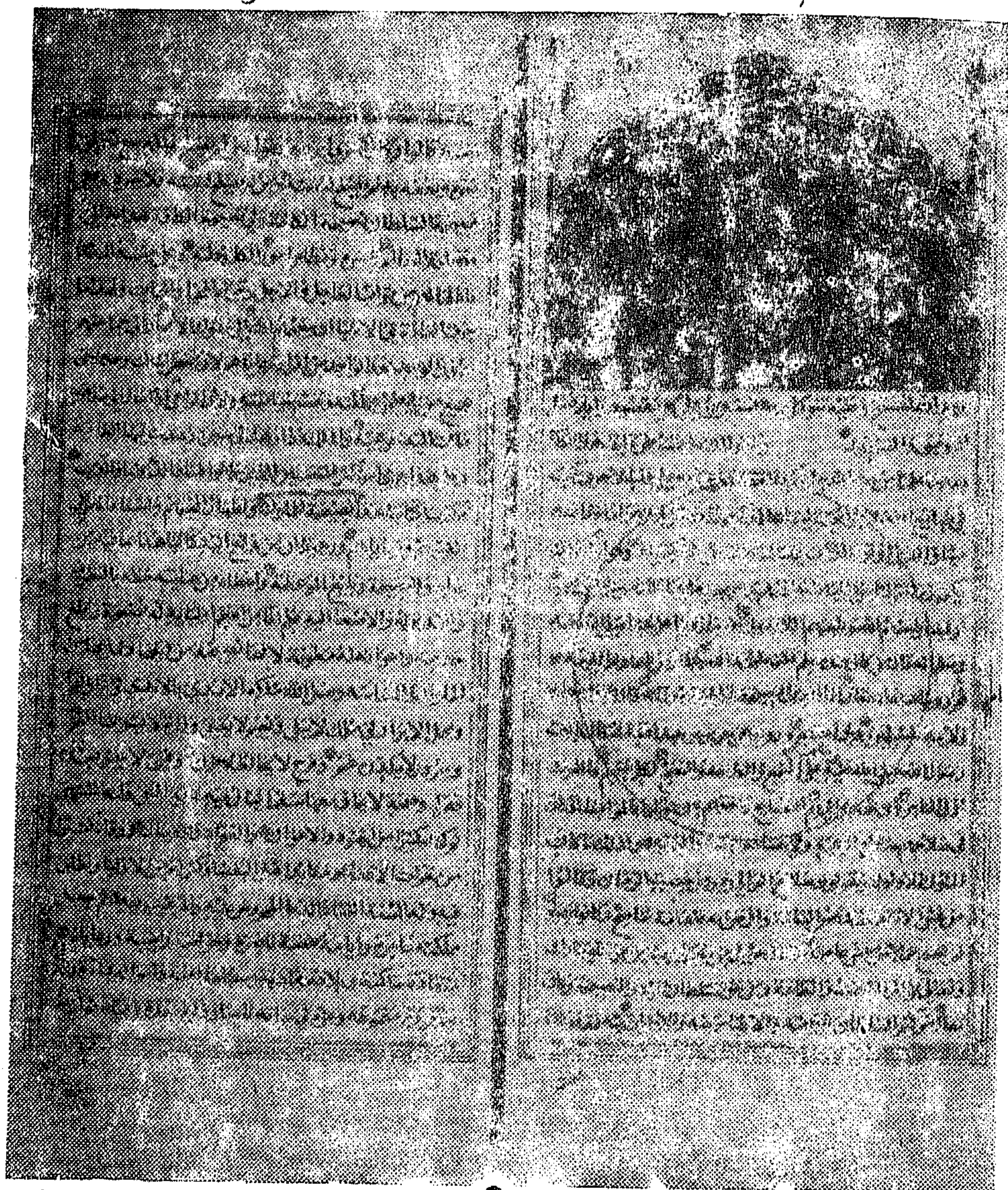
1990

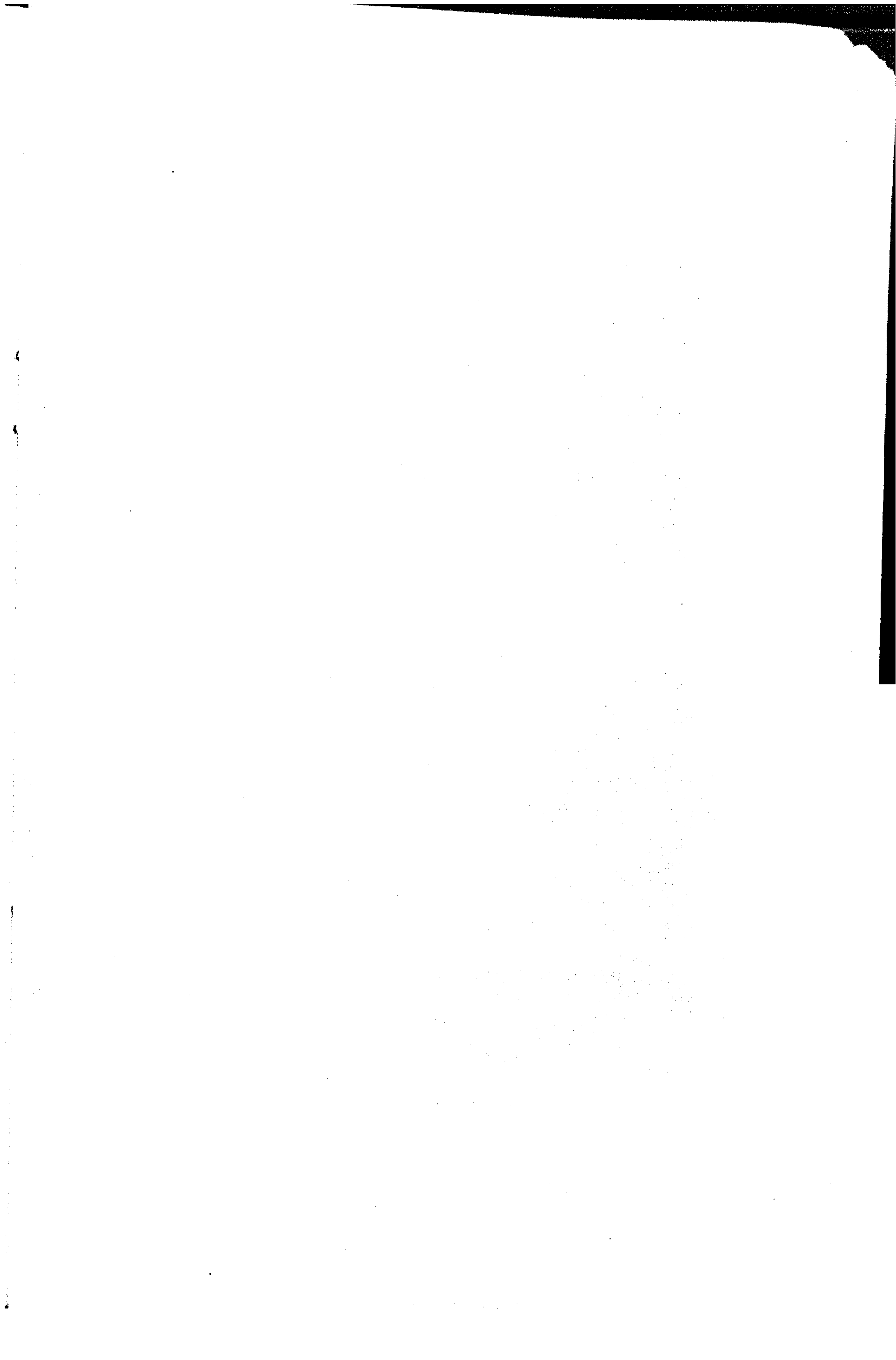
2



1. *Journal of the American Medical Association*, 1997; 277: 1039-1043.





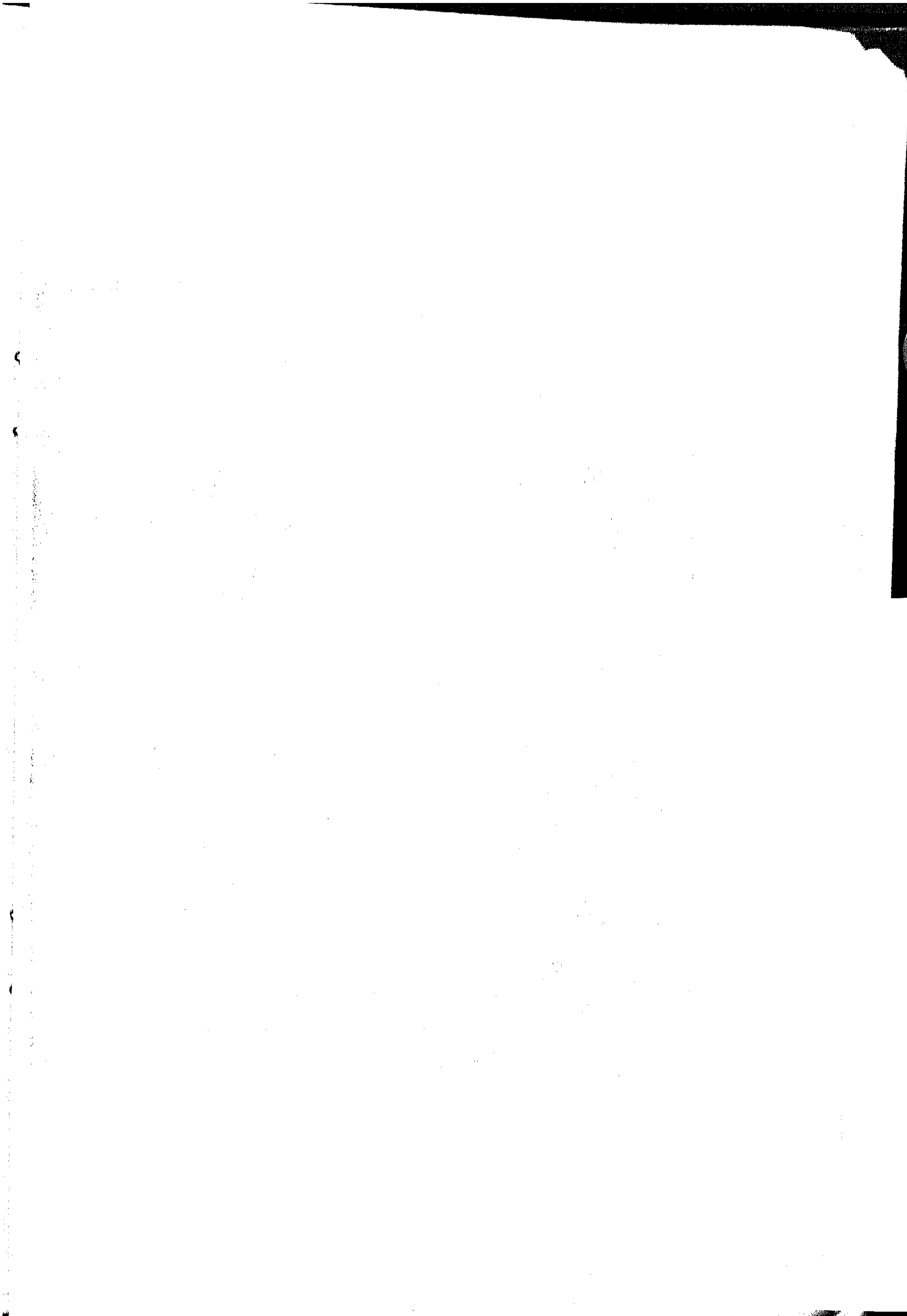


[illegible]

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

1. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 2. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 3. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 4. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 5. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 6. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 7. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 8. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 9. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*
 10. *Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.*

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠



نصيحة الملوك

النص المحقق

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بحمد الله نفتتح ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين على كل مقصود ، وإياه

نسأل التوفيق والتسديد •

ونقول : إن مما حملنا على تأليف هذا الكتاب بعد ما علمنا من حث

الله — جل ذكره — العقلاء من عباده على طلب الأجر ، وركب في طبائع

الفضلاء من المحبة لبقاء الذكر ، قول الله — جل وعز — : (وإذ أخذ الله

ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)^(١) • وقوله :

(إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في

الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)^(٢) •

ثم ما روينا عن نبينا ﷺ أنه قال : « من كان عنده علم فكتمه ألجمه

الله بلجام من نار يوم القيامة »^(٣) •

ثم ما روينا عنه أنه قال : « إنما الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول

الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وجماعتهم »^(٤) •

(١) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٨٧ •

(٢) ٢ / البقرة : مدنية / ١٥٩ •

(٣) المستدرک علی الصحیحین ١٠١:١ ، سنن أبی داود ٣:٣٢١ ، سنن

الترمذی ٣٢٤:٤ ، سنن ابن ماجه ٩٨:١ ، مسند الامام أحمد بن حنبل تحقيق

أحمد شاکر ٥:١٤ رقم ٧٥٦١ •

(٤) المعجم الكبير للطبرانی ٥٣:٢ •

وروى عن جرير بن عبد الله ^(٥) ، قال : « بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم » ^(٦) .

فالملوك أولى الناس بأن تهدي اليهم النصائح ، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ إذ كان في صلاحهم الرعية وفي فسادهم فساد البرية ، ولذلك ما كان الملوك الأولون يقولون : صلاح الوالي خير من خصب الزمان ^(٧) . وقالوا : من غش الإمام فقد غش العامة وإن ظن أنه للعامة مناصح ^(٨) وكانوا يقولون : لم ينصح عملا من غش عاملا ^(٩) .

وقال جليل من الحكماء : يجب من حق الله تبارك وتعالى على المرء : التوحيد والطاعة ، ومن حق السلطان : الود والنصيحة .

وكان يقال : من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه ، فقد خان (٢ / ب) نفسه ^(١٠) .

(٥) هو جرير بن عبد الله بن جابر ، صحابي جليل ، أسلم في السنة التي قبض فيها النبي ﷺ ، وقد وجهه النبي إلى ذي الخلصة (بيت فيه صنم لخشع) ليهدمها ، ومات جرير سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين . الطبقات الكبرى ٢٢:٦ ، الاستيعاب ٣٣٧:١ ، أسد الغابة ٣٣٤:١ ، تهذيب التهذيب ٧٤:٢ .

(٦) سنن النسائي ١٤٧:٧ .

(٧) عهد أردشير تحقيق الدكتور احسان عباس ٥٣ .

(٨) نفس المصدر ٧٥ .

(٩) نفس المرجع ٧٥ .

(١٠) العقد الفريد ٧:١ ، نهاية الارب ١٠:٦ ، كيلة ودمنه ٧٥ .

قالوا : وكان كسرى أبرويز^(١١) يقول : من لم يصلح للملكة مع تعلق ضرره ونفعه به لم يصلح لنفسه ، ومن لم يصلح لنفسه فلا خير فيه^(١٢) .

ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة ، وفي نصيحة الكافة هداية الى مصلحة العالم بأسره ، ونظام أمور الكل بجملته ، وعلى حسب ذلك يرجو باذنها من ثواب العاجل والآجل وجزاء المحيا والممات . ولهذا ما جرت العادة في الأنبياء أن يبعثهم الله الى ملوك الأمم أو الى جماعتهم دون الواحد بعد الواحد من أفراد رعاياهم ، لان شخص الملك وحده يفى بجميع من في ضمن مملكته وتحت سياسته ، ولأن الراعى اذا مال الى مذهب مالت اليه الرعية ، والملك اذا زهد في سيرة زهدت فيها العامة ، وعلى هذا جرى أمر أكثر المنتبئين^(١٣) الذين راموا فساد الدنيا والدين فكتبنا كتابنا هذا نصيحة للملوك واظهارا لمحبتهم ، وإشفاقا على أنفسهم ورعاياهم ، ورجونا أن من وقع اليه كتابنا هذا بما فيه من صادق النصيحة وبلغ الموعظة ، وأعطاه من عنايته حظه بالنظر فيه ، والتدبر له ، والاصغاء اليه ، علم أنا من أعظم أوليائه له نصيحة ، وأبلغ خدمه وأعوانه له معونة ، لأنها نصيحة من قبلها وعمل بها من الملوك والساسة وصل الله ملكه الأمدى بالأبدى في دار القرار ومحل الأبرار في ملك لا يبلى ونعيم لا يفنى ، ولذة لا يشوبها ألم ، وسرور

(١١) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، عامل رعيته بالعنف ، وقتل قتلة أبيه ، وأمسك عن الانفاق ، وغزا الشام وبلغ مصر ، وخصر ملك الروم بقسطنطينية ، وطالت مدته حتى ضجر الناس فخلعوه بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكه ، وسمات عيناه ، وقتله ابنه شيرويه . المعارف لابن قتيبة ٦٦٥ .

(١٢) أخلاق الملوك للجاحظ تحقيق العطوى ١٠٠ .

(١٣) المنتبئون : أدعياء النبوة . تاج العروبي ١٢٢٠ .

لا يكدره غم ، وفرح لا يخالطه حزن ، وغنى لا يغشى بعده فقرا ، وصحة لا يخاف معها سقما ، ينال فيه غاية المنى ^(١٤) . وكنة المشتهى ، ثم كفاه كثيرا من الجنود والاعوان والقواد والفرسان ، ووقاه كثيرا من معرات ^(١٥) الأعداء ، ومكائد أهل البغضاء ، وكثر له من الأولياء ، وأطلق فيه ، وله ، ألسنة الثناء والدعاء المحروض عليه ^(١٦) والمرغوب فيه .

ثم جعل مملكته عامرة ، وأيامه غضة ناضرة ، وخواصه راضية ، ورعياء منقادة ساكنة ، وبلاده هادئة ، وسبلها آمنة ، وأمواله داره ، وأعداؤه مقهورة مقموعة ، وعزه في حياته ناميا ، وذكره بعده باقيا ، ثم أزاح ^(١٧) عنه فضول الاشغال ، وطرح عنه فوادم الاثقال ، فان أخطأه في دنياه حظ يتمناه ، وفاته بعض ما يهواه ، عوضه الله عنه ما هو أجل قدرا ، وأعظم خطرا ، وأوفى وأهنى وأكثر وأسنى ، وعدا من الله حقا ، وقولا صدقا ، والله لا يخلف الميعاد .

على أن لا ننفرد في كتابنا بآرائنا ، ولا نعتمد في شيء نقوله على هوأنا دون أن نحتج لما نقوله فيه ونذكره بقول الله — جل وعز — المنزل في كتابه وأقاويل رسوله ﷺ المروية في سننه وآثاره ، ثم سير الملوك الأولين والائمة الماضين والخلفاء الراشدين ، والحكماء المتقدمين في الامم الخالية والايام الماضية ، اذ كان هؤلاء أولى بالتقليد فيما قالوا ، والاتباع فيما نسبوا والافتداء بهم فيما مثلوا .

(١٤) هكذا في الاصل ، والاصوب : غاية المنى .
(١٥) المعرات : ما يصيب الانسان من مكائد الأعداء .
(١٦) هكذا في الاصل ، والاصوب : المحرض عليه .

ورأينا أن نجمع ما قصدنا جمعه من ذلك في عشرة أبواب :

الباب الاول : في الحث على قبول النصائح .

الباب الثانى : في الإبانة عن جلالة شأن الملك والملوك ، وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من خلال التى تشاكل منازلهم وتضاهى مراتبهم .

الباب الثالث : في خلال التى من جهتها يعرض الفساد فى الممالك والملك .

الباب الرابع : فى فصول من المواعظ التى ينتفع بها ، ويعالج بها قساسة القلوب ويتداوى بها من أمراض الأهواء وأسقام الشهوات .

الباب الخامس : فى سياسة النفس ورياضتها .

الباب السادس : فى سياسة الخاصة من الاهد والولد والقراصة والخدم والجند .

الباب السابع : (٣ / ب) فى سياسة العامة وتدبير أهل المملكة .

الباب الثامن : فى تدبير الاموال ، جمعها وتفريقها .

الباب التاسع : فى تدبير الاعداء .

الباب العاشر : فى تقديم النيات وطلب التأويلات لكثير مما يجرى

بيانه على أيدي الملوك ، مما يكرهه كثير من العلماء والعقلاء .

1. The first part of the paper is devoted to a general discussion of the problem of the existence of solutions of the system of equations (1) for arbitrary values of the parameters α and β . It is shown that the system has solutions for all values of the parameters α and β if the function $f(x)$ is continuous and has a bounded derivative. The second part of the paper is devoted to a detailed study of the properties of the solutions of the system (1) for arbitrary values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) are unique and depend continuously on the parameters α and β . The third part of the paper is devoted to a study of the asymptotic properties of the solutions of the system (1) for large values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) approach zero as the parameters α and β approach infinity. The fourth part of the paper is devoted to a study of the properties of the solutions of the system (1) for small values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) approach a certain limit as the parameters α and β approach zero. The fifth part of the paper is devoted to a study of the properties of the solutions of the system (1) for arbitrary values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) are unique and depend continuously on the parameters α and β . The sixth part of the paper is devoted to a study of the asymptotic properties of the solutions of the system (1) for large values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) approach zero as the parameters α and β approach infinity. The seventh part of the paper is devoted to a study of the properties of the solutions of the system (1) for small values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) approach a certain limit as the parameters α and β approach zero. The eighth part of the paper is devoted to a study of the properties of the solutions of the system (1) for arbitrary values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) are unique and depend continuously on the parameters α and β . The ninth part of the paper is devoted to a study of the asymptotic properties of the solutions of the system (1) for large values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) approach zero as the parameters α and β approach infinity. The tenth part of the paper is devoted to a study of the properties of the solutions of the system (1) for small values of the parameters α and β . It is shown that the solutions of the system (1) approach a certain limit as the parameters α and β approach zero.

الباب الاول

الحث على قبول النصائح

واذ قد ذكرنا ما يجب على أهل العلم ، والعقل ، والديانة ، والفضل ،
الذين يوصون على أنفسهم ، وأمر الله ، وفرائضه ، وأحكامه ، ومواجبه
من نصيحة الملوك والائمة وبيننا أن ذلك مما يجمع نصيحة الكافة ، ويستصلح
بها (١) الخاصة والعامة ، وأوضحنا أن الله بعث أنبياءه ، وأمر
بها (٢) أوليائه ، وحث عليه علماء بريته ، وحكماء خليفته فائتمروا به ،
وانتهوا اليه ، وقدهنا أن أحق من يهدي إليه النصائح ، ويتخول بالمسواعظ
الملوك ، بأن به أنهم أحق الناس بقبول النصيحة ، وسماع الموعدة للخلال

عدة :

[اعلل نصيح الملوك] :

أولها : أن يترفعوا به عن مشاكلة أهل العباوة والجهالة ، وسوء
النشوء والعادة ، الذين لا يميزون بين منافعهم ومضارهم ، ولا يفرقون
بين محامدهم ومذامهم ، وعن مرتبة من يستخوذ عليه شهواته ، ويعلم
عليه هواه حتى يرين (٣) على قلبه (٤ / أ) ويكون من الذين لهم قلوب
لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، وإن
ذلك مما يجب على ذوي الهمم البعيدة ، والانفس الالوية أن يترفع ويستمع
بهمته عنه •

(١) من حيث العلم والعقل والديانة والفضل

(٢) هكذا بالاصل والاصح (به) فيهما في نسخة (٥)

(٣) يرين : أي يصير كصدا على جلاء قلوبهم فيعني عليهم معرفة الخير
من الشر . تاج العروس ج ٩ ص ٢٢٣ ، ٢٠٧

والثانية : أن يرغبوا في نتائج النصائح ، فإن النصيحة هداية الى سبل الرشاد ، وتبليغ الى نيل السداد ، وذلك ما يحمد عاجلته وآجلته ، وأولاه وآخرته .

والثالثة : أنهم أكثر الناس أشغالا ، وأعظمهم أثقالا ، وأبعدهم عن ممارسة أمورهم بأنفسهم ، ومشاهدة أقاصى أعمالهم بأعينهم ، وليس كل مستعان به يعين ، ولا كل وال يستقل بما يلي .

والرابعة : أنهم أبعد الناس من مجالسة العلماء ، وحضور مجالس الزهاد والواعظين والفقهاء ، الذين بهم تشحذ العقول ، وتبصر العيون ، ويذكر بالغبن^(٤) فهم عنه محجوبون ، وعن مفاوضاتهم ممنوعون مشغولون .
والخامسة : أنهم أبعد الناس من الاتعاظ بالموعظة ، والانقياد للتذكرة والقبول للنصيحة اذا خالف أهواءهم ، لأنهم أو عامتهم يغزوهم^(٥) العز والثروة ، والامن ، والمقدرة ، والجرأة ، والمتعة ، والسرور ، واللذة . وهذه كلها خلال تؤدي الى قساوة القلوب والانفة من تعلم العلوم ، وان كان فيها نجاحهم ، والاستنكاف من الاتعاظ ، وان كان فيه صلاحهم .

والسادسة : أنهم أقل الناس حذا من النصحاء المحضين ، والأوداء المشفقين ، لأن أكثر من يحتوشهم^(٦) من وزرائهم وأعوانهم وندمائهم لا يكلمونهم إلا بما يوافق أهواءهم ، ولا يستقبلونهم إلا بما يطابق آراءهم

(٤) في الاصل بالفين ولا يستقيم بها المعنى .

(٥) يغزوهم : يدخلهم ويتغلغل فيهم .

(٦) يحتوشهم : بمعنى من يحيطون بهم ويجعلونهم وسطهم . المعجم

الوسيط ج ١ ص ٢٠٦ .

مخافة على مهجهم ، وتحصينا لدمائهم ، واستدرارا لمطامعهم ، وضنا بمراتبهم ، ولأن أكثر من يلزم سددهم ، ويحضر أبوابهم ، ويتصرف في خدمتهم طلاب الدنيا ، وبائعو خطاياها ، يميلون معها إذا مالت ، ويزلون بها إذا زالت ، وليس من حق النصيحة متابعة الهوى ، ولا من خاصة الحق موافقة الشهوات ، وكيف يكون كذلك والله — جل وعز — يقول: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) ^(٧) ويقول الرسول ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل » ^(٨) . وكانوا يقولون : « آفة الرأي الهوى » (٤ / ب) وقالوا : « إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه في الممالك » ^(٩) . وقال بعض العلماء المتقدمين : « وعلى العاقل أن يعلم أن الرأي والهوى متعاديان ، وأن من شأن الناس تسويق الرأي واسفاف الهوى ، فيخالف ذلك ، ويلتمس أن لا يزال ^(١٠) هواه مسوفا ورأيه مسعفا » . ولهذه العلل ما لا يعدم الملوك من ينصحها ، ويستقصي لها في أبواب الدخل والخرج ، والتفريق والجبايات والنفقات ومن يدلها على عاجل مرافقها ، وينصح لها في مكيدة أعدائها ، ومناظرة مخالفها ، وقل من يجد من ينصحها في دينها ، ويبصرها مدام أمورها ومحامدها ، ويذكرها بعاقبتها ، وينهى اليها أخبار ضحاف الرعية ، وسوء أدب الخاصة والحاشية ، وظلم ذوي الجاه والمقدرة لذى الخمول والضعفة ، ولهذه العلة ما وضع

(٧) ٢٣ المؤمنون : مكية الآية ٧١ .

(٨) حديث ضعيف جدا ، أخرجه ابن عدى في الكامل عن جابر . ضعيف

الجامع الصغير ج ١ ص ١١٥ .

(٩) النص لدى الماوردي : أدب الدنيا والدين وينسب إلى الشعبي ص ٩٣

(١٠) هكذا بالأصل ، والأصح : لا يزال ، بحذف النون .

كثير من غش الوزراء في أس الملك ، أن الملك لا ينبغي أن يكون كاتباً لأن الكتابة صناعة ، ولا أن يكون حاسباً لأن الحساب مهنة . حتى قالوا : لا يجب أن ينظر في العلم والفقه ، ويبحث عن اختلافات الناس ليعرف الخطأ من الصواب من مذاهب الملة ، فإن ذلك مما ينفر عنه العامة ، ويفرق عليه قلوب الرعية ، وحتى قالوا : لا يجب أن يكون الملك بطلاً مقاتلاً ، فإن ذلك من أعمال الاساورة (١١) ، وإن الملك إذا ألجىء إلى القتال بنفسه فقد هلك وأنه ما دام له جنده فليس له أن يخاطر بنفسه ، ولأنه ما دام باقياً لا يعوزم من يقاتل عنه ، ويبذل مهجته دونه ، وإذا ذهبت نفسه لا يغنى عنه جمعه ولا ينفع بجيشه . في أمور كثيرة من مثل هذا ، إذا فكر فيها العاقل ، ونظر فيها المميز ، علم أنها من وضع الغاشين من الوزراء والاعوان الذين لسم يألوا أن يخلو الملك من كل فضيلة ، ويعرى عن كل منقبة ومعرفة ، حتى يكون كالأسير المكبول ، والذليل المقهور في أيديهم ، يفعلون بأملكه وأملك رعيته ما شاءوا ، ويديرون في المملكة ما أرادوا ، ويدعون في الملة من الأهواء المضلة والاحكام الجائرة ما رأوا . ولم يتبعوا سير الملوك الحزومة ، والسامية الكملة . كانوا على وجه الزمان ثم نظروا إلى من برز منهم بالفضل وحاز (٥/أ) قطب السبق ، علم أنهم لم يبلغوا غاياتهم ، ولم يدركوا نهاياتهم ، (ولم يدركوا) (١٢) إلا بفضل العقل والتميز والحكمة والتدبير ثم باليقظة الدائمة ، والعناية الشديدة ، والرياضة الكثيرة ، حتى فاقوا

and will continue until it has been determined whether or not the

(١١) الاساورة : للرماة الحاذقين والاصل اساورة الفرس : قوادها

وكانوا رماة الحديق . أساس البلاغة ص ٤٦١ .

(١٢) كذا في الاصل والمعنى يستقيم بدونها .

أقرانهم وراقوا^(١٣) أكفأهم في الملك ، ومضت أيامهم حميدة ، وبقيت آثارهم عتيقة • وسنذكر في مواضعه من الكتاب ما يحضر من بالغ حكمهم ، ومحاسن آثارهم ، ونافع مواضعهم ، ما يكون على ما ذكرناه شاهدا ، وعلى ما سطرناه دليلا ، بعون الله وحوله •

[تقريب الملوك لنصائحهم] :

وقد كان من الملوك الحزمة والخلفاء والائمة كثير ممن خالف هذه السيرة ، وتتكب هذه الطريقة ، فكان أحب الناس اليهم أصدقهم عن عيوبهم وأقربهم منهم أنصحهم لهم ، وأجأهم عندهم من نبههم على عيوبهم ، وبصرهم بذنوبهم ، يتواصون باجتناء النصائح ، وقبول الموعظ ، ويشترطون في عهددهم معرفة النصيح من الغش ، والناصح من الغاش ، وممن يجب أن يقبل ، وكيف يجب فيها أن يعمل •

وقد كان من آثار ملوك العجم وما أحيى من آرائهم ، ووصفوه في كتب لبنينهم^(١٤) أن قالوا : « أخلق الناس بالتورط والندم أعطاهم للنصحاء » وقالوا : « اتخذ من علمائك ونصحاءك مرآة لطباعك وفعالك ، كما اتخذ للصورة وجهك الحديد المجلو ، فانك الى صلاح طباعك وأفعالك أحوج منك الى تحسين صورتك ، والعالم الناصح أصدق وأعوز من الحديد المجلو »^(١٥) وجمع ذلك النبي ﷺ في قوله : « المؤمن مرآة أخيه المؤمن »^(١٦) •

(١٣) راق عليه : أي زاد عليه فضلا — تاج العروس ج ٦ ص ٣٦٣ •
(١٤) غير واضحة في الاصل • (١٥) سراج الملوك ٧٣ ، ومع اختلاف يشير في المصباح ٢٥٧ : ١ •
(١٦) صحيح ، أخرجه البخاري في الادب المفرد ٢٣٩ ، والطبراني في معجم الاخلاق ٩٢ ، والقضاعي في مسند الشهاب ١٥٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني ٦٣٢ : ٢ •

[من نصائح الحكام والحكماء]

وقد قال أردشير^(١٧) في عهده الجليل الخطر ، العظيم القدر ، الذي جعله دستور الملك : « وفي الرعية ضرب أتوا الملوك من أبواب النصائح ، والتمسوا اصلاح منازلهم بافساد منازل الناس ، فأولئك اعداء الناس واعداء الملوك ومن عادى الملك وجميع الرعية فقد عادى نفسه »^(١٨) .

وقال في فصل آخر : « وفي الرعية ضرب آخر تركوا الملوك من قبل أبوابهم وأتوهم من قبل وزرائهم ، فليعلم الملك أنه من أتاه من قبل بابه فقد آثره بنصيحته إن كانت عنده ، ومن أتاه من قبل وزرائه فهو مؤثر للوزير على الملك كل ذلك ضنا بالنصيحة وحثا للناس عليها »^(١٩) .

وقال سابور بن أردشير^(٢٠) في عهده لابنه : (٥ / ب) « واحذر أن تكون معروفا عند وزرائك بالسرور بالمتابعة لك على هواك أو أن يظهر لك إيثار لمن فعل ذلك منهم ، وتفضيل له على من سواه ، فيلتمسوا الحظوة لموافقتك على ما فيه ضياغ عملك وهلاك رعيته ، فان ذلك من أشد الأمور مخوفا لنصائح الاعوان ، وأكثرها ضررا على الملوك ، وانما جل حاجة الملك الى وزرائه لييصروهم ما عسى أن يخفى عليهم ، والاستماع بمشوراتهم

(١٧) هواردشير بن بايك ، أول ملوك الفرس الساسانية ، وازال ملوك الطوائف ، وكان ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر . المعارف ٦٥٣ ، العبر ٢٥٣ : ١ .

(١٨) عهد أردشير ٧٧ .

(١٩) نفس المصدر ٧٥ .

(٢٠) هو ثاني ملوك الفرس الساسانية ، ودام ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر . المعارف ٦٥٤ .

وآرائهم ، فإذا كان الرأي معطلا مرفوضا ، وهوى الملك مقتدى به متبوعا فأهون بمنفعتهم ، وأقلل بغنائهم » •

قال : « وقد كان بلغنا ممن مضى من الملوك أشد التوقى لذلك ، وأبلغ النهى عنه حتى لربما أظهر بعضهم لوزرائه الهوى فى الامر الذى يعرف خطأه وصوره ارادة امتحانهم ، وتكشيف نصائحهم فمن وافقه منهم اجتنب (٢١) ذلك فيه ، وعاقبه عليه بالتجهم والجبة (٢٢) » ومن أبى الا لزوم الصواب حفظ ذلك له وأثابه عليه » •

قال بعض الحكماء : لا يمنعك صغر شأن أمرىء من اجتناء (٢٣) ما رأيت من رأيه صوابا والاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريما ، ولا تحقرن للرأى الجليل ان أتاك به الرجل الحقيق ، فان اللؤلؤة النفيسة لا يستهان بها لهوان غائصها الذى استخرجها •

وقال أرسطاطاليس (٢٤) : استعن بمن نصح لمن يقدمك •
وكان أمير المؤمنين عمر يقول : ربحم الله امرأ اهدى الينا مساهتنا •
وقال النبى ﷺ : « من غشنا فليس منا » (٢٥) •

-
- (٢١) اجتنبى : عرف •
(٢٢) الجبة : المقابلة بما يكره . المعجم الوسيط ١.٦:١ •
(٢٣) اجتناء : اختيار وتفضيل •
(٢٤) هو أرسطوطاليس بن نيقوماخس ، صاحب كتب « السياسة » و « المنطق » وغيرها ويعرف لدى المفكرين العرب (بالمعلم الاول) لانه اول مؤسس لعلم المنطق ، وتلمذ على يد أفلاطون ، وكان يقول : الحق أولى بالمحبة من أفلاطون ، وكان مستشار الاسكندر ، ومات بعده . طبقات الامم ٢٦، ٢٧ ، طبقات الاطباء ٨٤ — ١٠٧ ، نزهة الارواح ١٨٨ — ٢٠٥ •
(٢٥) صحيح ، سنن الترمذى ٦.٦:٣ ، المستدرک ٩:٢ ، مسند الشهاب ١ : ٢٢٨ •

ولجلال شأن النصيحة ما كانت حكماء العرب تقول: أخوك من فضحك .
وقالوا : انصح أخاك فان قبل والا فغشه ، ففيل وكيف أغشه ؟ قال : اسكت
عن نصيحتك . فجعلوا السكوت عن النصح عقوبة للمنصوح على ترك قبوله
وكذلك ما قال الشاعر :

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح أرخص ما يباع ويوهب
فهذا هذا !

ثم ان كل ما نزل الله في الكتاب والأجرى على لسان رسوله وأمر بأخذه
واتباعه ، ثم ما تواصى به الحكماء سلفهم لخلفهم ، وأولهم لآخرهم من
حكمة بالغة أو كلمة نافعة ، أو موعظة شافية أو هداية مرشدة ، فانما هي
نصيحة ، ولذلك ما كانت الرسل عليهم السلام تقول لاقوامهم وتكرر عليهم
(٤/٦) (نصحت لكم) ، (وانصح لكم) (وأنا لكم ناصح أمين)
(ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم) فكان أهل الدين والعقل
والعلم والفضل يقبلونها بالشكر بقلوبهم ، ويجزونها على ألسنتهم ، ويخلدون
رسومها في دواوينهم وكتبهم ، ويمدحون قائل النصيحة على مر الايام ، وقد
كان كثير من الخلفاء اذا أحسوا من أنفسهم بعجب أو قضاظة أو تيه أو
قساوة سألوا العلماء أن ينصحوهم ويعظوهم ، فقد بلغنا عن أبي جعفر
المنصور (٢٦) أنه قال لسفيان الثوري (٧٢) عظمى وأوجز ، فقال : يا أمير

(٢٦) هو عبد الله بن محمد العباسي ، ولد سنة ٩٥ هـ ، وبويع بالخلافة
١٣٦ هـ ، كان له فقه وخبرة بأمور التدبير والسياسة ، وكان يضرب به المثل في
البخل . (الفخرى في الآداب السلطانية ١٤١ ، ١٤٦ ، دول الاسلام ٩٣ : ١ ،
وتاريخ الخلفاء ٢٥٩)
(٧٢) (٢٧) يلقب بالأمير ، المؤمن في الحديث ، نشأ في الكوفة وتعلم وله مصنفات
منها : الجامع الكبير والجامع الصغير في الحديث ، مات سنة ١٦١ هـ . فهرست
ابن النديم ٣٢٨ هـ ، حيلة الأولياء ٣٥٦ : ٦ ، دول الاسلام ١٠٩ : ١ ، ولشيخ
الاسلام الدكتور عبد الحليم محمود ترجمة وآقية عنه .

المؤمنين رأيت إن احتبس عليك بولك فلم يفتح دون أن تفتديه بجميع ملكك ؟ قال : كنت أفتديه بجميع ملكي . قال : فما تصنع بملك هذا قدره ؟ ! (٢٨)

ولقد دخل عمرو بن عبيد (٢٩) على أبي جعفر فقال له : عظني ، فوعظه بكلام طويل افتتحه بأن قال : ان هذا الامر لو كان يدوم لمن كان قبلك لم يصل اليك ، فان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتتر نفسك منه ببعضها . واعلم أنه واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر ، وأن أمة محمد خصماؤك يوم القيامة ، فان الله لا يرضى منك الا بما ترضى لنفسك ، وأنك لن ترضى لنفسك الا بأن يعدل عليك ، وأنه لا يرضى منك الا بالعدل على الرعية ، وان وراء بابك نيرانا تأجج من الجور (٣٠) في كلام له طويل ، وعتاب بينهما كثير .

وقال هارون الرشيد (٣١) لابن السماك (٣٢) : أعظني . فقال : اعلم أنك

-
- (٢٨) تنسب هذه المقالة لابن السماك في موعظته للرشيد ، الكامل في التاريخ ١٣٣:٥ .
- (٢٩) يكنى أبا عثمان ، زاهد متكلم ، ولد سنة ٨٠ هـ ومات ١٤٤ هـ . المعارف ٤٨٣ .
- (٣٠) ورد النص في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، المحاسن والمساوي ٢٨:٢ .
- (٣١) ولد عام ١٤٩ هـ بالري ، وهو خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وكان عالما بالادب والحديث والفقه ، مات سنة ١٩٣ هـ ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة . دول الاسلام ١:١٢١ ، تاريخ الخلفاء ٢٨٣-٢٩٧ .
- (٣٢) هو محمد بن صبيح السماك ، يكنى أبا العباس ، من متقدمي الزهاد ، توفي بالكوفة ١٨٣ هـ . حلية الاولياء ٢٠٣:٨ ، الطبقات الكبرى الشعرائي ٥٢:١ .

لست^(٣٣) أول خليفة يموت ، فقال : زدنى ، فقال : لو لم يمت من كان قبلك
لم يصل اليك ما أنت فيه ، فقال : زدنى فأنشأ يقول :

أتطمع أن تخلص لأبالك أمنت يد المنية أن تنالك
أما والله إن لها رسولا به لو قد أتاك لما أقالك
كأنى بالتراب عليك يحشى وبالباكين يقتسمون مالك
ألا فأخرج من الدنيا سليما ورج من المعاش بما رجا لك
فلست مخلفا في الناس شيئا ولست مزودا إلا فعالك^(٣٤)

وكذلك كان الملوك الاولون ، فكان الاسكندر^(٣٥) كثيرا ما يسأل
الحكماء أن يزودوه في سفره ما يستعين به على ملكه ، ودائما ما يكتب الى
أرسطا طاليس (٦ / ب) أستاذه ، فيكتب اليه بالمواعظ ، ويهدى اليه
النصائح وسنذكر في مواضعها من كتابنا من مواعظه له ، ونصائحه إياه .
فكان مما كتب مما يقربه الى خالقه وينفعه في معاده : « يا اسكندر ، لا تمل
الى ما يبید ، ويكون بقاؤه قليلا ، أطلب الغنى الذى لا يفنى ، والحياة التى

(٣٣) ليست : ساقطة من الاصل .

(٣٤) هذه الابيات من شعر أبى العتاهية . ديوانه ١٨٩ ، ١٩٠ ووردت
في بهجة المجالس ٣٣٧:٢ .

(٣٥) الاسكندر المقدونى ، وهو ابن فيليب ، أشهر قائد حربى فى العالم
القديم ، ولد بمدينة « بلا » سنة ٣٥٦ ق.م ، وتعلم على يد أرسطو ، ويعرف
لدى المسلمين « ذو القرنين » لانه بلغ قطرى الارض : مشرقها ومغربها ، وملك
خمس عشرة سنة ، وأفضى الملك اليه وله ست وثلاثون سنة . التنبيه والاشراف
٩٨ ، دائرة المعارف القرن العشرين ٣١١:١ — ٣٢٥ و ٧٧١:٧ ، الكامل فى
التاريخ ١٥٩:١ ، ١٦٢ .

لا تتغير ، والملك الذى لا يزول ، والبقاء الذى لا يضمحل » (٣٦) وقال :
« عجبت ممن استقر قلبه فى الدنيا وهى دائمة النصرم (٣٧) ، لا يعتبر بالملوك
الذين شرفوا وفازوا وتأكد فخرهم ، وكم عساك تعيش يا اسكندر » وقال ،
« اجعل العقاب بين ناظريك ، وفكر فيما وهب الله لك من النعم ، لا فخر
فيما يزول ولا غنى بعد أن لا يلبث ، أقنع تستغن ، لا تظلم (٣٨) على الدنيا
فانك قليل البقاء فيها » ، مما لو تتبعناه فى أخبار الملوك والائمة فى هذا
الباب لطال به الكتاب ، وانما أردنا مما أردناه أنه لما كان غرضنا فى كتابنا
هذا امحاض (٣٩) النصيحة • والصدق فى الموعظة لم تأمن أن يكون فيه بعض
ما يخالف رأى المائلين الى الشهوات والمستهترين باللذات من ذوى الممالك
والولايات فتمجه أسماعهم ، وتنبو عنه قلوبهم ، وليس يجوز لمن رغب فى
النصيحة أن يعرضها على هواه ، بل يجب أن يعرضها وهواه جميعا على
الحق ، وما يوجبه العقل ، فما قبلاه قبله ، وما رداه رده ، فربما يكون
الثقل (٤٠) على الطبع المكروه فى القلب أحمد عاقبة ، وأروح آخرة ، وأوفر

(٣٦) السياسة فى تدبير الرئاسة تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ص
٧٩ بلفظ « فازهد فى قليل تظفر بكثير ، ولا تمل الى ما يسر وفقده قريب ، واطلب
الغنى الذى لا يفنى ، والحياة التى لا تضمحل ، والملك الذى لا يزول ، والبقاء
الذى لا يتغير » وينصه فى طبقات الاطباء ج١ ص ٩٨ ، نزهة الارواح ج١ ص ٢٠٠
(٣٧) التصرم فعلها « صرم » بمعنى قطع . المعجم الوسيط ٥١١ : ١ .
(٣٨) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا أنها : لا تقبل .
(٣٩) امحاض : اسداء النصيح الصادق .
(٤٠) هكذا فى الاصل ، ونرى الاصح أن تكون (الاقبال) .

أجرا ، وأحسن ذكرا ، يقول الله جل ذكره (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل

الله فيه خيرا كثيرا) (٤١) .

ويقول : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا

شيئا وهو شر لكم) (٤٢) .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

والله اعلم .

(٤١) النساء : مدنية ١٩ ، وفي الأصل « عسى » .

(٤٢) البقرة : مدنية ٢١٦ .

الباب الثاني

في فضائل الملوك في علو مراتبهم وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم

من اجتناب الفضائل واجتناب الرذائل

أما تفضيل الله عز وجل الإنسان على سائر الحيوان ، وتفضيل
الحيوان على النوامي^(١) والجماد ، وتسخير الله جل ذكره للإنسان جميع
ما في العالم من سمائه وأرضه ، وما بينهما من عظام خلقته ، وأجناس
بريته ، فشيء لا ينبغي أن يعرض فيه بين أهل العقول شك ، ولا تنازع ،
ولا مرية ، ولا دافع لمشاهدة (٧/أ) الجميع إياه ، ومعاينة الجمهور له ،
واتفاق العقلاء عليه ، لقول الله جل ذكره : (وسخر لكم الشمس والقمر
وما في الأرض جميعا منه)^(٢) . وقوله : (وسخر لكم الشمس والقمر
دائمين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها)^(٣) . وقوله : (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)^(٤)
ثم فضل الله جل ذكره الملوك على طبقات البشر تفضيل البشر على سائر
أنواع الخلق وأجناسه ، لجهات كثيرة ، ودلائل موجودة ، وشواهد في العقل

والسمع جميعا حاضرة معلومة ، منها :

(١) النوامي : الحشرات . (٢) سورة النحل : ١١١ . (٣) سورة النحل : ١١١ . (٤) سورة النحل : ٢٢ .

(٥) سورة النحل : ٢٢ . (٦) سورة النحل : ٢٢ .

(٧) سورة النحل : ٢٢ . (٨) سورة النحل : ٢٢ .

(١) النوامي : النباتات . أساس البلاغة ص ١٩٢ . (٢) سورة النحل : ٢٢ .

(٣) سورة النحل : ٢٢ . (٤) سورة النحل : ٢٢ .

(٥) سورة النحل : ٢٢ . (٦) سورة النحل : ٢٢ .

(٧) سورة النحل : ٢٢ . (٨) سورة النحل : ٢٢ .

(٩) سورة النحل : ٢٢ . (١٠) سورة النحل : ٢٢ .

[علو مرتبة الملوك]

ان الله جل وعز اكرمهم بالصفة التي وصف بها نفسه فسماهم ملوكا
وسمى نفسه ملكا ، فقال : (ملك يوم الدين) ^(٥) وقال : (فتعالى الله الملك
الحق) ^(٦) وقال فيما وصف به ملوك البشر : (إن الله قد بعث لكم طالوت
ملكا) ^(٧) وقال : (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا) ^(٨) • وقال في المعنى
أثناء الذي يستحق الانسان أن يسمى ملكا إياهم ، واصطفائه لنفسه وامتداحه
به : (لن الملك اليوم لله الواحد القهار) ^(٩) • وقال : (قل اللهم مالك الملك
نؤتي الملك من نشاء وتنزع الملك ممن نشاء) ^(١٠) وقال : (وقتل داود جالوت
وآتاه الله الملك والحكمة) ^(١١) وقال : (وآتيناهم ملكا عظيما) ^(١٢) • فآتاه
الله من هذه الصفة مثل ما آتاه من الاسم الذي رضىه لنفسه ، وامتدح به
الى خلقه ثم من عليهم به ، وأبان فضلهم فيه فقال : (نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا) ^(١٣) • فليس أحد في حكم هذا اللفظ أولى بالفضل ، ولا
أجلز قسما ولا أرفع درجة من الملوك ، اذ كان البشر مسخرين لهم وممتهنين

(٥) ١ الفاتحة : مكية ٤

(٦) ٢٣ المؤمنون : مكية ١١٦ و ٢٠ طه : مكية ١١٤ .

(٧) ٢ البقرة : مدنية ٢٤٧ .

(٨) ٥ المائدة : مدنية ٢٠ .

(٩) ٤٠ غافر : مكية ١٦ .

(١٠) ٣ آل عمران : مدنية ٢٦ .

(١١) ٢ البقرة : مدنية ٢٥١ .

(١٢) ٤ النساء : مدنية ٥٤ .

(١٣) ٤٣ الزخرف : مكية ٣٢ .

لخدمتهم ، ومتصرفين^(١٤) في أمرهم ونهيهم .

ومنها : أن الله جعل الملوك خلفاءه في بلاده ، وأمناءه على عبادته ، ومنفذى أحكامه في خليقته ، وحدوده في بريته ، وكذلك ما قيل : (السلطان ظل الله في الأرض)^(١٥) لأن من حقه أن يحتذى مثاله فيها ، ويحیی رسومه في سكانها ، هذا مع أنه جعلهم عمار بلاده ، وسماهم رعاة عبادته ، تشبيها لهم بالرعاة الذين يرعون السوائم والبهائم ، تمثيلا (٧ / ب) لرعاياهم بالاضافة اليهم بها ، ولهذا المعنى سماهم الحكماء « ساسة » اذ كان محلهم من مسوسيههم محل السائس مما يسوسه من البهائم والدواب الناقصة الحال ، من القيام بأمور أنفسها ، والعلم بمصالحها ومفاسدها ، وسموا أفعالهم الخاصة بهم سياسة ، ولذلك ما كانت الامم الماضية في الايام الخالية ، والعرب الخاصة تسميهم « أرباب الارض » ، والارباب : مطلقا ومقيدا ، لانهم كانوا يتوقعون منهم ، ويرجون من قبلهم أن يقوموا لهم ، وفيهم من تنفيذ أحكام الله ، وامضاء حدوده ، واقامة فرائضه وسننه ، وفي النظر في مصالحهم ، وحوائجهم ، ومضارهم ، ومنافعهم ، في الشاهد مقام الرب الذي لا سبيل الى ادراكه ومشاهدته تبارك وتعالى ، وبهذا الاسم ما

(١٤) في الاصل مسخرون ، وممتنون ، ومتصرفون .

(١٥) مطلع حديث ضعيف بلفظ « السلطان ظل الله في الأرض ، يأوى اليه الضعيف ، وبه ينتصر المظلوم ، ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة » رواه ابن النجار عن أبي هريرة . ضعيف الجامع الصغير ٣ : ٢٣٩ ، وقد أخرجه القضاعى عن عبد الله ابن عمر بلفظ « السلطان ظل الله في الأرض يأوى اليه كل مسلم » مسند الشهاب ٢ : ٢٠١ رقم ٣٠٤ وقال فيه الالبانى : موضوع . سلسلة الاحاديث الضعيفة ٢ : ٦٩ رقم ٦٠٤ .

خاطب النابغة^(١٦) النعمان بن المنذر^(١٧) حيث يقول :

سَتُبْلَغُ عَذْرًا أَوْ نَجَاحًا مِنْ أَمْرِي ۖ إِلَىٰ رَبِّهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ رَاجِعٌ (١٨)

وقال عدی بن زید: (۱۹)

وتفكر رب الخورنق اذ أشرف يوما واللهدي تفكير (٢٠)

ولجلالة حال الملوك ما سمي أهل اللغة الملك « رأسا » اذ جعلوا محله

[illegible]

(١٦) النابغة الذبياني: زياد بن عمرو، وينتهي نسبه إلى مسعود بن

دبيان بن بغيض ، ويكنى ابا امامه ، شاعر جاهلي من الطبقة الاولى من اهل
العمامة ، قال في المخرة : الاغانى ١ : ٣ ، نصابة الارب ٢ : ٣ ،

خزانة الادب ١٣٥:٢ ، والاعلام ٩٢:٣ .

(١٧) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، وكنيته أبو قابوس ، من أشهر ملوك الحيرة في الحاهلية ، توفي نحو ١٥ قبل الهجرة .

الكمال: ٢٨٦: ١، ٢٨٩: ١. وفيه نصوص كثيرة من الكتاب المقدس.

(۱۸) اورده ابن السكيت المتوفى ۲۴۴ هـ بلفظه عدد كلمه (سبيلغ) فقد
ردت بلفظ (سييلغ) . ديوان النابغة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ۲۳۷

(١٩) عدى بن زيد بن جهماد بن زيد العبّادي التميمي : شاعر ، من دهاة

أجاهليين ، كان قروياً ، من أهل الحيرة ، فصيحاً ، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشأ ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ، تزوج هند بنت

النعمان بن المنذر ، وقتله النعمان في سجنه بالبحيرة نحو ٣٥ قبل الهجرة . الشعر والنعمان بن المنذر ، وقتله النعمان في سجنه بالبحيرة نحو ٣٥ قبل الهجرة . الشعر والنعمان بن المنذر ، وقتله النعمان في سجنه بالبحيرة نحو ٣٥ قبل الهجرة . الشعر

والشعراء ص ١١٢ ، الاغانى ٩٧٠٢ ، وخزانة الادب ٣٨١ : ١ ، والإعلام ٩٠٥

(٢٠) ورد البيت ادى الطرطوشى فى سراج الملوک . (١٠٠)

وتبين أن رب الخورنق إذ فكّر في السماوات والأرض واليهوي تذكر

٢٢ مقارن الإغاني ١٣٩٢ء واللسان ١: ٣٦٦ء وعاهد التخصيص ١٤١٤ء

والشهر والشعراء من الأندلس والخواريق: ينسب إليها النعمان النعماني أو ذو
الأكاسير، وهي معربة من «الخرنكاه»، وهو موضع الشرب في العرب ١٧٤،

وشفاء الغليل ٧٧ • ١٠٣ في ربيع ٧٠٢٢ غنيمة من شيفالكا

من رعيته محل الرأس من البدن ، وكل الاعضاء مسخرة له ،
ومهيأة لحمله ، ولأنه لا بقاء للجسد الا به ، ولا قوام له الا معه ،
ولأنه العضو الذى يتجمع فيه اللحواس الذى لا بقاء للحيوان
إلا به ، ولا فرق بينه وبين الموت والجماد إلا من جهتها ، وهو
معدن العقل والتمييز الذى فضل الله الانسان به على جميع الحيوان . فقال
فيه الشاعر (٢١) وهو يمدح حميد بن عبد الحميد (٢٢) :

والناس جسم وامام الهدى رأس وأنت العين فى الراس
وقال آخر :

لو صلح الرأس واستقام اذن قام على العدل كل أساس
وقال بعض الفضلاء من ملوك الهند فى عهد له إلى ابنه: « أعلم يا بنى
أن وصيتى هذه اياك ، وعهدى هذا اليك بمثل رجل حى قائم (٨ / ٤)
فرأسه أنت أيها الوالى ، وقلبه وزيرك ، ويده أعوانك ، ورجلاه (٢٣)
رعيته ، والروح الذى تقوم به عدالتك ، فصن هذا الرجل صيانتك نفسك ،
فاستصلح أوصاله كاستصلاحك أعضاء جسدك » .

ولجلالة شأن الملك ما سمي فى الدين واللغة سلطانا ، والسلطان فى
اللغة : هو الحجة ، قال الله عز وجل : (أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم
إن كنتم صادقين) (٢٤) . وقال : (لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو

(٢١) الشاعر هو على بن جبلة ، الملقب بالعكوك ، كان ضريرا ، مات
سنة ٢١٣ هـ . أنظر فى ترجمته : الشعر والشعراء ٨٦٨ ، الاغانى ١٨ : ١٠٠ —
١١٤ تاريخ بغداد ٣٥٩ : ١١ ، والبيت من ديوانه ٧٤ كما ورد فى الشعر والشعراء
٨٦٨ ، والاغانى ١٨ : ١١٣ .

(٢٢) هو حميد بن عبد الحميد الطوسى ، من كبار قواد المأمون كان جبارا
فيه قوة وبطش وكان المأمون ينتدبه للمهمات ، مات سنة ٢١٠ هـ . النجوم
الزاهرة ٢ : ١٩٠ .

(٢٣) فى الاصل (يده ورجلاه) والصواب ما ذكرناه .

(٢٤) ٣٧ الصافات : مكة ١٥٦ ، ١٥٧ .

ليأتينى بسلطان مبين» (٢٥) . فجعل الله تبارك وتعالى العادلين من الملوك حجة على خلقه ، وكذلك ما صرفت الامامية (٢٦) ما روى عن النبي ﷺ « أن الارض لا تخلو من حجة » (٢٧) . الى الامام المعصوم الذى يدعونه ويلهجون بذكره واجلاله حال الملوك ما سمي المسلمون السلطان الاجل في الاسلام إماما ، لانه ممن يجب أن يؤتم به ، ويقتدى به في فعله ، ويؤتمر له بأمره . فهذه المعانى الجاليلة ما تدل عليه الاسامى الشريفة التى خصت بها الملوك وان كنا أخبرنا أن نعبر في كتابنا هذا من هذه الاسامى كلها بالملك ، اذ هو الاسم الأشهر الاعم ، والاجزل الامحس .

ومن جلالة شأن الملوك وفضائلهم على الرعايا وطبقات الناس أن كل من تحت يدى الملك من رعاياه ، وان كانوا مناوئيه في الصورة ، ومشابهيه في الخلقة ولم يتكلف هو اقتناءهم ولا شراءهم — فان محلهم منه في كثير من الجهات محل المملوكين ، ولذلك ما قال الله جل وعز في قصة سبأ: (إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) (٢٨) . لان (ملك يملك) في أصل اللغة من الملك لا من الملك ، ولانهم بأجمعهم ينقسمون قسمين : بين من محله منه محل المادة ، وبين من محله منه محل الآلة، فهو يستعملها

(٢٥) ٢٧ النمل : مكية ٢١ .

(٢٦) الامامية هم الذين قالوا بالنص الجلى على ائمة على رضى الله عنه وكفروا الصحابة . الجرجاني : التعريفات ص ٣١ .

(٢٧) هذا القول (اعلى بن أبى طالب) رضى الله عنه بلفظ (اللهم لا تخلو)

الارض من قائم لله بحجة) . حلية الاولياء ج ١ ص ٨٠ .

(٢٨) ٢٧ النمل : مكية ٢٣ .

في مادته على ما يريد ويهواه ، ويحبه ويراه ، ثم يخرج له صورة عمله على مقدار حذقه بالصناعة ، واصابته في الغرض والنية .

[طاعة الرعية للملوك]

هذا ما أخذ الله على كافة الخلق من حسن الطاعة للامام العادل ، والملك الفاضل ، وصدق المؤازرة والتعظيم له ، وترك الخلاف عليه ما أطاع الله ولزم فرائضه وحدوده (٨/ب) فقال : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٢٩) . وقال النبي ﷺ « أطيعوا الامام ولو كان عبدا حبشيا ما أطاع الله فيكم » (٣٠) ، وقال : « من سعى الى سلطان ليذله أذله الله » (٣١) . فهذا قليل من كثير مما أبان الله به من فضائل الملوك ، وعلو منازلهم ، وارتفاع مراتبهم ، وجلالة أقدارهم ، وبعد أخطارهم ، وجليل نعم الله عليهم ، وفنون أياديه لهم ، فالواجب في جميع أبواب القضايا ألا يكون أحد أشكر الله ، وأحسن قياما بأداء فرائضه ، وأوامره ، ورعاية لما استرعى ، وحفظا لما استحفظ منهم ، إذ كان هذا هو

(٢٩) ٤ النساء : مدنية ٥٩ .

(٣٠) أخرجه البخاري عن انس بلفظ « اسمعوا وأطيعوا ، وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى » والزبيبة : مثلا في سواد رأس الاسود ، وجعودة شعره . تيسير الاصول الى جامع الاصول ٣٦:٣ ، صحيح البخاري ٧٨:٩ كما أخرجه الامام أحمد وابن ماجه . صحيح الجامع الصغير ٣٣:١ ، سنن ابن ماجه ٩٥٥:٢ .

(٣١) أخرجه البزار عن حذيفة بلفظ « ما من قوم مشوا الى السلطان ليذلوهم الا أذلهم الله قبل يوم القيامة » . ورجاله رجال الصحيح خلا كثير بن أبي كثير التيمي وهو ثقة . مجمع الزوائد للهيتمي ٢١٦:٥ وأخرجه الترمذي رقم ٢٣٢٥ عن أبي بكر بنص « من أهان سلطان الله في الارض أهانه الله تعالى » وأبو داود الطيالسي ٢٦٢٠ ، ورواه أحمد في مسنده ٤٢٠:٥ و ٤٨-٤٩ ، ومسنده الشهاب ٢٥٩:١ . وقال الالباني : حديث حسن صحيح الجامع الصغير ٢٦١:١

المعهود من أفعالهم بمن ملكهم الله أمورهم من عبيدهم وخدمهم ، ولأنهم إذا ذكروا نعم الله — عز وجل — على أضعف خلقه ، واحسانه على أقل خطرا ، ولا بالاضافة اليه قدرا ، مع أنهم إذا أعطوهم ، أعطوهم مال غيرهم عبيده نعمة لم يجدوا لاحسان خلق بعضهم الذى بعض فى جنبه وديعة عندهم أو أشركوهم فى سلطان من سواهم عارية فى أيديهم ، بل أعطوهم سريع الزوال قريب الاضمحلال ، والذي ربما ضرهم ولم ينفعهم ، ربما يكون هلاكهم دنيا ودينا ، وآخرة وأولى ، ثم لم يرضوا مع ذلك منهم الا أن يكون كل ما كانت نعمهم عليه أكثر وأيديهم لديه أظهر ولهم أشكر ، والى طاعتهم أسرع ، ثم يكون أعظم عندهم بلاء ، وأحسن بحقوقهم قياما ، وعلى أوامرهم ونواهيهم محافظة ، ورأوا مع ذلك أن من قصر فى شئ منه أو غير أو بدل أو كفر نعمة أو غمط (٣٢) صنيعه كان قد استحق منهم المقت والحرمان والعقوبة والخذلان ، ولا سيما من أصر ، على ذلك اصرارا ، وأتى المعصية جهارا ، وهذا ميزان يجب على العاقل أن يزن كثيرا مما يقع بينه وبين خالقه به ، ومثال ينبغى أن يحتذى عليه ، وإذا كان هذا فى الشاهد على ما ذكرنا ، ومعاملتهم من تحت أيديهم على ما بينا .

[طاعة الملوك لله سبحانه]

وجب عليهم إذا ذكروا نعم الله عليهم ، وآلاءه لديهم فى تقخير شأنهم ، واعزاز سلطانهم ، وتفويضه اليهم سياسة (٩ / أ) عباده ، وعمارة بلاده ، وندبه اياهم الى ملك الابد ، والنعيم السرمدمع عامة نعمه التى لا تحصى عددا ، وخاصتها التى لا توصف عظما ، أن يخافوا

(٣٢) غمط : احتقر ، واستصفر . اللسان مجلد ٢ ص ١٠١٨ .

عاقبة الكفران وجزاء العصيان • هذا ومن الواجب على من يرغب في الزيادة
ويطمع في الاهمال والمدة ، ويتمنى حسن التوفيق والمعونة في العاجل ،
وحسن المثوبة في الآجل ، أن يدأب ويجتهد في الشكر والطاعة ، ويجتنب
الكفور والمعصية ، فان جزاء الشكور الاحسان والمريذ ، وجزاء الكفور
العقاب والتكدير ، والخذلان والتعيير • هذا الذى يلزم العارفين بالله ،
ويجب على المقربين به والذاكرين لآلائه ، والمعترفين بحق كتابه وآياته ،
فان الله — جل وعز — يقول : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي
لشديد) (٣٣) • ويقول : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم) (٣٤) • ويقول : (وبدلناهم بجناتهم جنتين ذواتى أكل خمط
وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا
الكفور) (٣٥) •

[واجب الملك حيال نفسه]

ثم ما يجب على الملك من غير هذا الطريق أن يكون أشد الناس ترفعا
عن الدناءة ، وتنزها عن الخساسة ، وتعاليا عما يشين العرض ، ويفسد
المروءة ، ويؤذن بخراب المملكة ، ويبقى قبح الأحداث ، وما يخل بجلالة (٣٦)
المكانة ، ورفع المنزلة ، وأن يختار من السنن أشرفها ، وأعلاها ،

(٣٣) ١٤ ابراهيم : مكية ٧ •

(٣٤) ١٣ الرعد : مدنية ١١ •

(٣٥) ٣٤ سبأ : مكية ١٦، ١٧ — والخمط : شجر لا شوك له ص ١٥٩ —

والاثل : شجر ثابت الاصل ص ١٠ — والسدر : شجر قليل الغناء عند الاكل ص

٢٢٧ من المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني •

(٣٦) فى الاصل بخلالة •

ويرتاض^(٣٧) من الافعال بأرفعها ، وأسناها ، ثم يرتكب كثيرا من المؤلم المكروه^(٣٨) ، ويجتنب كثيرا من الملهو المحبوب ، لينال السيرة التي تشاكل رتبته ، وتضاهي منزلته . وقد قال أردشير : « اعلّموا أن دولتكم تؤتى من مكانين : أحدهما ، غلبة بعض الامم المخالفة لكم . والاخر ، فساد أدبكم »^(٣٩) ، ثم من الواجب على الملك الفاضل ، والسائس العادل ألا يكون على أحد من رعيته ولا ممن في ضمن مملكته وجلة حاشيته ، في تحسين أدبه ، وقمع شهواته المفسدة الضارة ، أقدر منه على نفسه ، فان من عجز عن سياسة نفسه ، وتقويم أخلاقها ، كان خليقا أن يكون عن تقويم غيره أعجز ، ولا يكون الانسان قادرا على نفسه ما لم يقدر على تغليب العقل على الطبع ، والرأى على الهوى ، بل يحكم العقل على (٩ / ب) الطبع ليختار ما يدل عليه العقل على ما يميل اليه الطبع ، ويؤثر ما يثير اليه الرأى على ما يصبو اليه الهوى ، ثم يقابل بمحاسنه مساوئه ، وبمحامده مذاره ، حتى يعود نفسه الامور الفاضلة ، ويروضها الرياضة المحمودة ، ويكتسب الخلال التي تشاكل حاله ، والافعال التي تشاكل^(٤٠) مرتبته ، ولأن يثقل هذا عليه في جنب ما يرومه من فضلة العاجل والآجل ، ويقصد من تقديم الاجر وتخليد الذكر ، فان من المتقرر في العقول والتمكن عن النفوس الا ينال المعالى الا بتجرع المكاره ، ولا يدرك أطراف الفضائل الا بتحمل المشاق .

(٣٧) يرتاض : يتعود .

(٣٨) ارتكاب المؤلم المكروه يقصد به الافعال المؤلمة التي تكرهها النفس ولكن يتقرب بها الانسان الى ربه .

(٣٩) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٥٨ .

(٤٠) تشاكل : تشابه وتناسب .

قال الله — جل وعز — : (لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (٣٨)
وقال : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة) (٣٩) .

وقال الرسول ﷺ : « حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات » (٤٠) .
وقال عمرو بن عبيد (٤١) : لقد رضت نفسي رياضة لو اردتها على
ترك الماء لتركته .

وقد كان غلب على المأمون (٤٢) أمير المؤمنين شهوة « الطوين » (٤٣)
فكان يأكله كثيرا ، واجتمع الاطباء يعالجونه بكل علاج ، ويحتالون له بكل
حيلة ، فلم يصبر عنه ، فدخل عليه ثمامة بن اشرس (٤٤) ورآهم عنده
يتشاورون في أمره ، ويتوامرون (٤٥) في علاجه . فقال : يا أمير المؤمنين ،
فأبى عزمة من عزمات الخلافة ؟

فقال المأمون : قوموا فقد كفيتم العلاج ، ولم يعد الى ذلك .

(٣٨) ٣ آل عمران : مدنية ٩٢ .

(٣٩) ٩ التوبة : مدنية ١١١ .

(٤٠) صحيح ، أخرجه مسلم عن أنس بن مالك وأبى هريرة . صحيح

مسلم ٢١٧٤:٤ حديث رقم ٢٨٢٢ سنن الترمذى ٤: ٦٩٣ رقم ٢٥٥٩ .

(٤١) فى الاصل (عبید الله) والصواب ما ذكرناه ، وسبق ترجمته ص ٢٧

(٤٢) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن أبى جعفر المنصور ،

وكنيته أبو العباس ، ولد سنة سبعين ومائة ، وتولى الخلافة ١٩٨ هـ ، كان ذكيا

محبا للعلم فيه دهاء وسياسة مات فى رجب ٢١٨ هـ . تاريخ الامم والملوك

٦٤٦:٨ ، الكامل ٢٢٧:٥ ، دول الاسلام ١٣٢:١ .

(٤٣) غير واضحة فى الاصل ، ولعلها نوع من الطعام .

(٤٤) وكنيته أبو معن ، من كبار المعتزلة ، كان له اتصال بالرشيد ثم

المأمون ، وكان ذا نواذر وملح ، مات سنة ٢١٣ هـ . تاريخ بغداد ١٤٥:٧ ، وفضل

الاعتزال وطبقات المعتزلة ٧٣ ، ٢٧٢ .

(٤٥) يتوامرون أى يصدرون الاوامر فى علاجه .

ولا شيء أغلب على قول الناقصى العقول والحزم من افراط الحب
عشقا ، وقد قال فيه أحد من جربه ، وأكثر القول فيه ، والوصف له :
الحب ظهر أنت راكبه فاذا صرفت عنانه انصرفا (٤٦)
وقال آخر :

قد عذب الحب هذا القلب ما صلاحا
فلا تعدن ذنبا أى يقال صحا
بقية فى لتقوى الله باقية
ولو لم أكن كحريص لم يدع مرجا (٤٧)
وقال آخر :

لعمري لقد أوفيت همى من الهوى
على الشيب الا أن مركبه صعب
(١٠ / ١)

تقاربت حتى قيل لى هكذا الهوى
وباعدت حتى قيل ما هكذا الصب
وانى لسلم للهوى غير أننى
لنفسى فيما لا يحل لها حرب (٤٨)
وقال الآخر فى المعنى الاول :

(٤٦) المعنى المراد أن ذا الارادة يتحكم فى مواطنه وحبه .
(٤٧) المعنى المراد أنه يترك لقلبه العنان فى الحب طاهرا ثم يكبح بالتقوى
جماعه .
(٤٨) المعنى المراد أنه يمارس حبه حلالا ، ثم يقاوم نفسه ويحاربها فى
غير الحلال .

فإن عليات الأمور مشوبة

بمستودعات في بطون الاسود^(٤٩)

وقال آخر :

إن يبلغ المجد أقوام وان كرموا

حتى يذلوا — وان عزوا — لأقوام

ويشتموا فتري الاكوان مشرقة

لا عفوا ذل ولكن عفوا أحلام^(٥٠)

وقال أحد الملوك : طلاب العلى بركوب الغرر^(٥١) .

وقال أبو تمام^(٥٢) في المعتصم يذكر مساعيه في غزو الروم وتحمله

ما تحمل من المشاق في فتح عمورية^(٥٣) .

خليفة الله كافا الله سيفك عن

جرثومة^(٥٤) الدين والاسلام والحسب

(٤٩) نسبه الثعالبي الى كلثوم بن عمرو (العتابي) في التمثيل والمحاضرة

٨٣ وفي الايجاز والاعجاز ١٦٩ . والاسود : جمع أسود ، وهو أخبث الحيات .
والمراد من البيت : أن المعالي مقترنة بالمخاطر .

(٥٠) نسبهما القالى لابن عائشة . ذيل الامالى ٤٧ ، وجمهرة الامثال

٢٣٠:١ ونهاية الارب ٥٤:٦ ، وأدب الدنيا والدين تحقيق السقا ٢٤٥ دون نسبة
وفي هذه المصادر « الالوان مسفرة » بدلا من « الاكوان مشرقة » . والمعنى
المراد أن المجد لن يصل لقوم حتى يصبروا على اذى من دونهم حلما وعفوا .

(٥١) اللغز : الخطر . اللسان المحيط ٩٧٢:٢ .

(٥٢) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، ولد بسوريا ١٨٨ هـ ، وكان

ابوه نصرانيا فأسلم هو ، ورحل الى مصر ، واستقدمه المعتصم الى بغداد ،
وقدمه شعراء وقته ، مات ٢٣١ هـ . نزهة الالباء ١٢٣ ، ١٢٤ ، وفيات الاعيان
٣٣٤:١ — ٣٤١ ، النجوم الزاهرة ٢٦١:٢ ، والوحشيات لابي تمام ١٧٠ .

(٥٣) عمورية : بلد من بلاد الروم ، غراه المعتصم سنة ٢٢٣ هـ بسبب أسر

العلوية واستصراخها (معجم البلدان ٧٣:٣ ، مرصد الاطلاع ٣٨٢:٢ .

(٥٤) جرثومة الشيء : أصله . تاج العروس ٢٢٦:٨ .

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها

تنال الا على جسر من التعب

فبان بهذه الاخبار الماثورة ، والايات المسطورة ، والابيات السائرة
المشهورة ، أن الفضائل لا تدرك الا بمجاهدة الطبع ، والحمل على البدن
والنفس في قمع الشهوات الموبقة ، والاهواء المخلقة^(٥٥) للاعراض أو
الاديان ، وان أكثر ما يشق على الانسان تركه وفراقه من الافعال المذمومة
لحاجات وشهوات ومنشؤها سوء العادات ، مستولد من امراج^(٥٦) النفس
واهمال الطبع ، وأن من اراد الانتقال من مذمومها الى محمودها ، ومن
مستقبحها الى مستحسنها كان منه ممكنا وعليه قادرا ، ومن تعود الخير
سهل عليه اتيانه ، ومن تعود الشر صعب عليه الانتزاع منه ، وما أحسن
ما مدح به العطوى^(٥٧) آل برمك^(٥٨) حيث يقول فيهم :

ان البرامكة الكرام تعودوا

فعل الجميل فعودوه الناسا

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا

لم يوهنوا لبناهم أساسا

(٥٥) المخلقة من أخلق بمعنى أبلى وأهلك . أساس البلاغة ٢٤٨ .

(٥٦) امراج النفس : ترك النفس على غير ضبط .

(٥٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، من شعراء الدولة العباسية
كان مولده ومنشأه بالبصرة ، وكان معتزليا ، مات نحو ٢٥٠ هـ . لسان الميزان
٢٤٧:٥ ، ٢٨٥ ، والاعلام ٦١:٧ .

(٥٨) أسرة أصلها من مجوس بلخ ، تولت الوزارة في العصر العباسي ،
واشتهرت بالسياسة والتدبير والعلم والكرم ، وأول من وزر من آل برمك «خالد»
وزر للسفاح ثم لأبي جعفر المنصور ، وولده يحيى بن خالد للرشيد ، وكان
معلمه وقد سجنه ومات ١٩٠ هـ . الوزراء والكتاب ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٧ ودول
الاسلام ١٢١:١ .

واذ هم صنعوا الصنائع في الوري

جعلوا لها طول البقاء لباسا^(٥٩)

وقال آخر :

(١٠ / ب)

تعودت مس الضر حتى ألفتـه

وأسلمنى مر الليالى الى الصبر

ووسع صدرى للاذى كثرة الاذى

وقد كنت أحيانا يضيق به صدرى^(٦٠)

وكانت العرب تقول : « الخير عادة والشر لجابة »^(٦١) . وتقول :

« العادة أملك بالارب »^(٦٢) وقال كثير من الحكماء : « العادة طبيعة

خامسة »^(٦٣) .

واذا كان هذا على ما بينا ، فلا أحد أحق باختيار المحامد وتعودها من الملوك ، لانه لا يكون مؤديا حق جلالته ، وعارفا بفضل منزلته ، حتى يترك كثيرا من شهوات النفس ، ولذات البدن ، في جنب الفضائل التي يجب عليه حيازتها ، فيختار الشكر على الكفر ، والتدين على التهلك ، والعلم على

(٥٩) شعر العطوى جمع وتحقيق محمد جبار المعبيد ، مجلة المورد ،

المجلد الاول ، العدد الاول والثاني وقد أورد الزوزنى في حماسة الظرفاء ١٩٩:٢ ، ٢٠٠ البيت الاول والثالث .

(٦٠) البيتان لابی العتاهية . ديوانه تحقيق شكرى فيصل ١٧٥ .

(٦١) أورده ابن ماجة عن معاوية عن رسول الله ﷺ سنن ابن ماجة ٨٠:١

رقم ٢٢١ والطبرانى في الكبير ٩٠٤:١٩ ، الحلية ٢٥٢:٥ ، ومسنند الشهاب ٢٧:١

وقال الالبانى : حديث حسن . صحيح الجامع الصغير ١٣٧:٣ رقم ٣٣٤٣

واللجابة : اللزوم والمواظبة . مختار الصحاح ١٥٤ .

(٦٢) مروج الذهب ٢٧:٢ .

(٦٣) ذكره المسعودى بلفظ العادة هي الطبيعة الثانية ج٢ : ٢٨ ، وورد

بلفظه كحكمة للطباء لدى الثعالبي . التمثيل والمحاضرة ١٧٩ .

الجهل ، والعقل على الحمق ، والشجاعة على الجبن ، والجود على البخل
والصبر على الجزع ، والحمد على الذم ، والحلم على الطيش ، والرزانة
على الخفة ، والصدق على الكذب ، والتواضع على التكبر ، والعدل على
الجور ، والصواب على الخطأ ، والحزم على التهور وأمثالها • فان لكل
شيء من المذام ثمرة مدمومة ، ولكل شيء من المحامد عاقبة محمودة •
فيجب على من أحب الخير ، أن لا يفعل الا الخير ، ومن كره الشر
أن يتجنب الشر ، مع أن من ارتكب المخازي من الامراء والمذام من الملوك
كان في ملكه كالمزوق المفتعل وكالمستعار المموه ، وحق للملك الفاضل أن
يترفع عن هذه الدنية ، ويتنكب هذه الرذيلة ، ولا يرضى أن يكون حظه من
جلالته أن يسمى بالاسم الحسن الشريف ، ويشتهر بالفعل السيء القبيح
فانه اذا فعل ذلك ، كان كالتشبع بما لا يملك • وكلابس ثوبى زور ، فما
أبلغ في هذا المعنى قول القائل حيث يقول :

اذا ركبوا الاعواد^(٦٤) قالوا فأحسنوا

وما خير قول لا يصدقه فعل

ولقد بلغنا : أن عبد الملك بن مروان^(٦٥) خطب يوما بمكة ، فلما صار
الى موضع العظة ، قام اليه رجل من الصوجان^(٦٦) فقال : مهلا ! مهلا !

(٦٤) ركبوا الاعواد : يقصد اعتلوا المنابر .

(٦٥) عبد الملك بن مروان : أحد خلفاء بني أمية ، كان عالما عاقلا قوى
الهيئة شديد السياسة حسن التدابير للدنيا ، توفي عن ستين عاما في سنة
٨٦ هـ . دول الاسلام ٦٠ : ٦١ الفخرى في الاداب السلطانية ١١٠ ، ١١٤
وتاريخ الخلفاء ٢١٤ — ٢٢٢ .

(٦٦) الصوجان (بالضم) اليابس الصلب . التكملة والذيل والصلة للصفاي
ج ٢ ص ٦٦ والمراد رجل من البادية .

انكم تأمرون ، ولا تأتمرون ، وتنهون ولا تنتهون ، أفنقتدى بسيرتكم في أنفسكم ؟ أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟ فان قلتم اقتدوا بسيرتنا فأين وكيف ، وما الحجة ؟ (١١ / أ) ومن النصير من الله في الاقتداء بسيرة الظلمة الجورة الذين أكلوا أموال الله دولا (٦٧) ، وجعلوا عباد الله خولا (٦٨) ، وان قلتم أطيعوا أمرنا ، واقبلوا نصيحتنا ، فكيف ينصح غيره من يغش نفسه ؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عدالته ؟ وان قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، واقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فعلام قلدناكم أزمة (٦٩) أمورنا ؟ وحكمناكم في دمائنا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أفصح بفنون العظات ، وأعرف بوجوه اللغات منكم ؟ فتلحوا (٧٠) عنها لهم ، والا فاطلقوا عقالها ، وخلوا سبيلها ، يبتدر اليها الذين شردتموهم في البلاد ، ونقلتموهم في كل واد ، أما لئن بقيت في أيديكم لانقضاء المدة وبلوغ الغاية ، فان لكل قائم يوما لا يعدوه ، وكتابا بعده يتلوه (٧١) (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) (٧٢) وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (٧٣) ، ومما وجد في كتاب (اسهامة) (٧٤) الملوك : « ليكن عملك

(٦٧) دولا : الدولة اسم الشيء الذي يتداول بعينه . مفردات غريب القرآن للصفهاني ١٧٤ .

(٦٨) خولا : خدما . مختار الصحاح ٢٥١ .

(٦٩) أزمة أمورنا : أي قياد أمورنا .

(٧٠) تلحوا عنها : أي اتركوها .

(٧١) النص مع اختلاف يسير في المصباح المضيء ٤٧٠٢ ، ومحاضرة

الابرار ١ : ١١٤ ، ١١٥ .

(٧٢) ١٨ الكهف : مكية ٤٩ .

(٧٣) ٢٦ الشعراء : مدنية ٢٢٧ .

(٧٤) (اسهامة) هكذا في الاصل ، ويبدو لنا أنها (سياسة) .

أحسن من قولك ، فان حسن القول مفردا أغرى به ، وحسن العمل افراد
البنية » (٧٥) .

ولقد قرأنا في عهد لبعض ملوك الهند الى ابن له : « لا يريبك رأيك ،
أنك اذا أحسنت القول دون الفعل ، فقد أبلغت الى السامعين منك دون أن
يصدق قولك فعلك ، ويحقق شرك علانيتك » (٧٦) .

وقال زعيم الهند الذى يدعى (البد) : لن يبلغ ألف رجل من اصلاح
رجل واحد — بحسن القول دون الفعل — ما يبلغ رجل واحد من اصلاح
ألف رجل بحسن الفعل .

وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يتعوذ من السفنة تصف
وقلوب تعزف (٧٧) وأعمال تخالف .

ولقد أفتتح بهذه المعانى أو عامتها سابور بن أردشير الملك عهده
الجليل الخطر العظيم القدر في بابه الى ابنه حيث قال : « أما بعد فانك قد
وليت أمرا لا يفوقه أمر شيء من أمور الدنيا » ، وبلغت غاية ليس وراءها
دجاز (٧٨) لاحد من الناس ، فاسم بنفسك الى ما يلائم الخطر الذى أصبحت
عليه ، من خصال الفضل ، وتمسك من العدل بعصمة ، يصل لك ما أنت فيه
من غضارة العيش ، وزهرته (١١ / ب) بالنعيم الذى لا زوال له ، ولا
انقلاب ، وتبقى لك حسن الاحدوثة ، اذ ودعت ما أنت بسبيله ، فانك موروث

(٧٥) قوانين الوزارة ٥٤ مع اختلاف .

(٧٦) في وصية أرسطاطاليس لاسكندر (ضمن أثر أن لارسطو الفيلسوف
في العربية) ٣٦ ورد ما نصه « ولا يرينك رأيك أنك اذا أحسنت القول دون الفعل
فقد أبلغت السامعين منك دون أن يصدق قولك فعلك وتحقق سريرتك علانيتك »
(٧٧) تعزف : عزف عن الشيء مله وزهد فيه . والمراد قلوب ترهد
في الخير .

(٧٨) مجاز : مكان .

ولا انقلاب ، وتبقى لك حسن الاحدوثة اذا اودعت ما أنت بسبيله فانك مورث ما أنت فيه ، ومسلو به ، وخارج منه الى ثواب ما تقدم لنفسك أو عقابه «
 ووجدنا لبعض الحكماء من ملوك الهند في عهده الى ابنه : « يا بني ، انى قد وليتك من الامر جسيما ، وعصبته بك ، فخذ له سبيله (٧٩) واقبله بقبوله ، ولا تكونن مسرورا ان كان منك لعاجل يقع ولا لنيل شهوة ، فان ذلك أوخم ما أنت نائل منه ، أو بذل ما أنت مصيب به ، فان نازعتك شهوتك الى تلك الامور فاتهمها أشد الاتهام ، وغالبها أشد المغالبة ، فان أظفرك الله بها دفع عنك شرها ، فليكن فرحك بذلك أشد بفرحك بمن ظفرت به من اعدائك فان فضل ما أنت تاركه لله من هواك على ما أنت مصيب من لذته وسروره كفضل ثواب الله أهل الجنة على ما تقسم للناس من معاشهم في الدنيا .
 ولقد أوجز عمرو بن عبيد حيث قال لأبى جعفر المنصور : « إن الله لم يرض أن يكون أحد من الناس فوقك ، فلا ترض أن يكون أحد ، أشكر له منك » (٨٠) .

ومما يجب على الملك أن يكون ما فيه من الفضل والشرف في أفعاله وخصاله وعقله وكماله ، موازيا لكل نقصان في رعيته ، لانه انما استرعيها ليرعاها ، واستحفظها ليحفظها ، وليسد خلقتها ، ويجبر فاقتها ، ويدفع نقصان منقوصها ، ويستتر عيب معيبيها ، ويقيم متأودها (٨١) ، ويذب عن

(٧٩) غير واضحة في الاصل .

(٨٠) ورد النص في عيون الاخبار ١٠٦:١ منسوباً لشبيب بن شيبه في قوله للمهدى وبلغنى (ان الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترضى بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام) ويشبهه في البيان والتبيين ١٠٠:٢ .

(٨١) تأود : مال وانحنى .

حريمها ، وينصف مظلومها من ظالمها ، ويحملها على شرائع دينها ، وفرائض ملتها ، وحدودها ، وأحكامها ، وإذا كان هذا هكذا فكيف يكون سائسها الناقص الجاهل ، والظالم الغاشم أو المتهتك المضيع ، ومن يكون في رعيته من هو أجمع لخصال الخير ، وأحرز لأسباب الفضل منه ؟ فكيف ينقاد له الفاضل المتدين ، والعدل المثبت الا قسرا وأضطهادا وجبرا واضطرارا ، يتوقع زوال المحنة عنه بزواله ، ودفع الظلم عنه بارتفاعه ، وإذا كان هذا هكذا كان ذوو الفضل من رعيته أعداءه ، وذو الفصائل من أهل ولايته أعوانا عليه ، وأخلق بمثل هذا الملك أن يكون سريع الزوال (١٢ / أ) وشيك الاضمحلال .

وقد قال أردشير الملك في عهده : « اعلموا أن قتالكم الاعداء من الامم قبل قتالكم سوء الادب من النفس رعيتم ليس بحفظ ، ولكنه اضاءة ، وكيف يجاهد العدو بقلوب مختلفة وأيديه تعادية (٨٢) ونال في فصل آخر : « اعلموا أنه ليس للملك أن ييخل ، لانه لا يقدر أحد على استكراهه ، وليس له أن يغضب ، لان الغضب (والقدرة) لقاح (السرف) والندامة ، وليس له أن يلعب ، ولا يعبت ، لان اللعب والعبث من عمل الفراغ ، وليس له أن يفرغ ، لان الفراغ من أهر السوقة ، وليس له أن يحسد الا ملوك الامم على حسن التدبير ، وليس له أن يخاف لأن الخوف من المعوز ، وليس له أن يتسلط ان هو أعوز » (٨٣) .

(٨٢) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٦٠ .

(٨٣) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٦٩ باستبدال لفظة

(القدرة) بـ العداوة ، ولفظة (السرف) بـ الشر .

وقال الاسكندر الحكيم : « من عجز عن تقويم نفسه فلا يؤمن (من) لا يستقيم له » (٨٤) .

قال : « ودخل أسقف نجران على مصعب بن الزبير (٨٥) فكلمه بشيء فغضب فضرب وجهه بالقضيب وأدماه ، فقال له الاسقف : ان شاء الامير أخبرته بما أنزك الله على لسان عيسى ، ولا يغضب ، قال ، قل . قال : نجد في التوراة لا ينبغي للامام أن يكون سفيها ومنه يلتمس الحكم ، ولا جائرا ومنه يلتمس العدل » (٨٦) .

وفيما كتب به أرسطاطاليس الى الاسكندر : « وقد يجب على الملك أن يختص بأحسن الخواص ، وذلك أنه علم مشار اليه ، وغرض يقصد نحوه ، والآفة الصغرى في الملك مقدارها غير صغير ، وكذلك الفضيلة في الملك أضوا وأطرى وأكثر مقدارا » .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

لا بد للشاة من راع يدبرها

فكيف بالناس ان كانوا بلا وال

وان أضيف الى الاذنب أمرهم

دون الرؤوس فهم في حال اهمال (٨٧)

وقال آخر :

(٨٤) أثران لارسطو في العربية ٣٦ مع تغيير طفيف ، ولفظة (من)

ساقطة من الاصل .

(٨٥) هو مصعب بن الزبير بن العوام ، ولد سنة ٢٦ هـ ، وولاه أخوه

عبد الله بن الزبير البصرة سنة ٦٧ ثم ولاه الكوفة ٦٨ ، وقتل سنة ٧١ . طبقات

ابن سعد ١٨٢:٥ ، الكامل ٩:٤ ، تاريخ الطبرى ١٦٠:٦ نهاية الارب ٨٠:٢١ .

(٨٦) لباب الاداب ٧١ ، بهجة المجالس ٩٣٩:١ .

(٨٧) أوردهما الماوردي ونسبهما الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

تسهيل النظر ١٩٦ .

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا (٨٨)

وكذلك ما قال بعض الشعراء في بعض الملوك ورآه ركيكا متخلفا :

خنازير ناموا عن المكرمات

فأنبهم قـدر لـم ينم

فيا قبحهم في الذى خولوا

ويا حسنهم في زوال النعم (٨٩)

(١٢ / ب) وقال آخر :

اذا لم يكن صدر المجالس سيد

فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل مالى رأيتك راحلا

فقلت له من أجل أنك فارس (٩٠)

(٨٨) البيت لصلاه بن عمر بن مالك ، لقب بالافوه الاودى ، لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الاسنان ، وهو شاعر يمانى جاهلى . وورد البيت في العقد الفريد ٦٠١ ، المعمرن والوصايا ١٣١ ، روضة العقلاء ١٣١ ، الاحكام السلطانية ٥ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، البهجة ٣٥٢ : ١ ، المصباح ٤٧٢ : ١ ، تهذيب الرياضة ٩٧ ، بدائع السلك ١٠٧ .

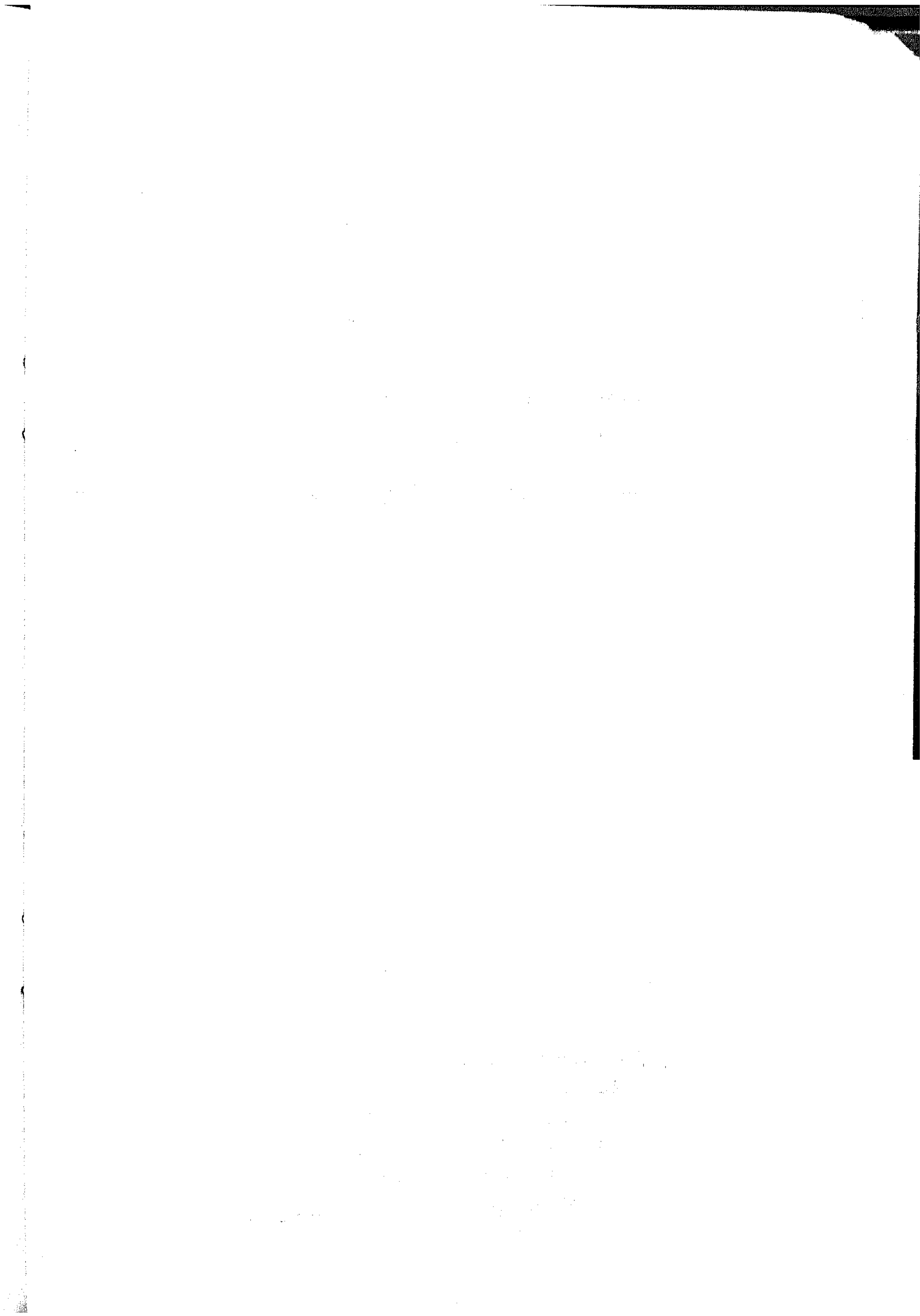
(٨٩) البيت لـ (محمد بن محمد بن عروس) شيرازى نزيل سمراء . كاتب وشاعر ، توفى ٢٨٠ هـ والبيتان (ينسبان الى محمود الوراق فى ديوانه ١٢٠) نقلا عن حماسة الظرفاء تحقيق محمد حبار المعيد ١٤٥ : ٢ .

(٩٠) ورد فى التذكرة السعيدية ٣٤٦ دون نسبة .

وروى الاعمش^(٩١) عن شقيق بن سلمة^(٩٢) أنه قال له : يا سليمان
والله ما عند هؤلاء واحدة من اثنين : ما عندهم تقوى أهل الاسلام ، ولا
أحلام أهل الجاهلية • فكيف يعظم العلماء والحكماء من كان محله عندهم
هذه المحال الموصوفة الا ضرورة واقتارا^(٩٣) •

واذا قد وفينا هذا الباب حقه من الخطاب ، ودلنا على ما ذكرناه
وأخبرنا به من كتاب الله وسنة رسوله وشواهد العقول وآثار الحكماء ،
فنحن خاتموا وصائرون الى الباب الذى يتلوه فى ترتيب أبواب الكتاب ،
لنقول فيه ما يحضرنا بعون الله وتوفيقه •

(٩١) هو سليمان بن مهران الأعمش وكنيته أبو محمد الأسدي مولى بنى
خاهل كوفي أصله من بلاد الرى ولد سنة ٦٠ هـ وتوفى سنة ١٤٨ هـ الطبقات الكبرى
لابن سعد ج٦ ص ٣٤٢ — ٣٤٤ المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ •
(٩٢) هو شقيق بن سلمة الأسدي يكنى أبا وائل أمه نصرانية ومات فى
زمن الحجاج — المعارف ص ٤٤٩ • الاستيعاب ج٢ ص ٧١٠ •
(٩٣) اقتارا : من قتر : ضاق عيشه • المعجم الوسيط ٧٢١ •



الباب الثالث

الابانة عن الاسباب التى من جهتها يعرض الاختلال والفساد

فى الممالك وفى أحوال الملوك

نقول ان أحوال الامم المعروفة أخبارها ، والممالك المشهورة آثارها ، والملوك المنقولة اليها وأوائل أيامها وأواخرها ، متقاربة متشابهة ، ولذلك ما روى عن نبينا ﷺ فيما وصف به حال أمته « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل حتى لو كان فيهم من دخل جحر ضب لدخلتموه » (١) ، وان كان الله قد خص هذه الامة بوجود الحق فيها الى يوم القيامة ، وجعل اجماعها حجة على مواضع اختلافها ما بقيت ، ووعدا النصر والتأييد الى آخر الزمان ، وتصرم (٢) مدة الدنيا .

الدين القويم أساس الملك

وكان مما جرت عليه أمور العالم ، واستمرت عليه عادات الامم ، أنه لم تكن مملكة الا كان أسها ديانة من الديانات ، وأصلها ملة من الملل ، عليها بنيت شرائطها وفروعها ، وجرت أحكامها ، وحدودها ، ولم يكن ديانة قديمة ولا حديثة الا كان أولها الدعاء الى معرفة الله جل وعز وتوحيده ،

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى بلفظ « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتهم » اللؤلؤ والمرجان ٧٢٤ وهداية البارى ١٣١:١ ومختصر صحيح مسلم ٢٩١:٢ . أخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة باختلاف يسير . سنن ابن ماجه ١٣٢٢:٢ .
والقذة : الريشة المقذوفة أى المحذوفة أطرافها . أساس البلاغة ٧٥٠ .

والمراد كالسهم المتساوية .

(٢) انقطاع وانتهاء .

والترغيب فيما عنده للمطيعين المتدينين (١٣ / ١) من جزيل الثواب وكريم المآب ، والحث على التزود الى دار القرار والبقاء ، والترهد في دار النقلة والقناء ، حتى اذا خرج الآتى بشريعتها والواضع لاركان ملتها حقا كان ذلك أو باطلا من بينها ، وقع الاختلاف فيما بين أمتة ، والتنازع في أهل ملتة ، فربما كان ذلك منافسة في الرياسة ، وربما كان مخالفه في الدين ، ثم لا يزال اختلافهم يحملهم على التعصب ، ويؤديهم الى التحزب ، ولا تزال الايام تتابع ، والامد يطول ، حتى يبعد بأصل الدين عهودهم ، وينسوا كثيرا ما ذكروا به ، وربما فتحت عليهم خزائن الدنيا فمالوا اليها ، حتى صارت مملكتهم على مر الايام دنيا تيه^(٢) ، تتداولها أيدي أبنائها ، وسبب استهم شهوانية ، تشح عليها أنفس طلابها ، ويتعادي عليها أربابها ، كما قد روى ذاك عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه لما أتى بتغنائم القادسية جعل يتصفحها ، وينظر اليها ، ويبكى . فقال له عبد الرحمن بن عوف : (٤) يا أمير المؤمنين هذا يوم فرح وسرور . فقال : أجل ولكن ما أوتى هذا قوم قط الا أورثهم العداوة والبغضاء .

أسباب فساد الملك :

ثم ربما جعل الملوك ممالكها وراثه منهم يرثها الاخلاف الاسلاف ، والابناء الآباء والاصاغر الاكابر ، يعهد بعضهم الى ولده^(٥) من غير امتحان

(٢) دنيا تيه : دنيا ضياع وضلال . المعجم الوسيط ٩٢ .
(٤) عبد الرحمن بن عوف الزهرى القرشى ويكنى أبا محمد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين جعل عمر الخلافة فيهم توفى في المدينة سنة ٣٢ هـ . المعارف ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٨٤٠ - ٨٥٠ .
(٥) في الاصل : والده .

له في عقله ، ولا معرفة منه بفضله ، ولا وقوف على علمه بأمور الديانة التي هي أصل المملكة وأسسها ، ولا استقلال بأسباب الملك التي هي فروعها وحراسها ، فاذا وقع فيها الغر الممتحن بسكر الشباب والثروة ، وسكر العز والمملكة والفراغ والقدرة، يرى أن ليس فوقه يد قابضة، ولا عين راقبة ولا قوة قاهرة ، أمن حوادث الزمان ، واغتر بمساعدة الايام ، ولم يذكره الامن والخوف ، ولا الدولة الزوال ، ولا السلامة والصحة المرض والزمانة ولا العز الذل ، ولا الغنى الفقر ، ولا الظفر الخيبة ، فخال (٦) الدنيا كلها سرورا بحثا ، ولذة صرفا فاتبع فيها اللذات وآثر فيها الشهوات ، ونسى ما صنع الله بمن كان قبله من أمثاله ممن هو أشد (١٣/ب) دمه قوة وأكبر جمعا ، وعمى عما يشاهده في أيامه وساعاته من حوادث الزمان ، ونوائب الليالي والايام ، ولم يذكر ما قاله الملوك الاولون : « من تاه في ولايته ذل في عزه » . واذا صار لذلك صارت همته من الملك التمتع حلالا كان أو حراما ، وبغيته من المقدرة التسلط والتطاول حقا أم باطلا ، وأعرض عن أحكام الدنيا جانبا ، وضرب عن حدود السياسة صفحا ، وصارت سياسته عبثا ، ورعايته لهوا ، ثم خلف ذلك في عقبه ميراثا ، وفي أتباعه سنة ، وعند ذلك يكثر في رعيته الظالم والمظلوم ، والغاشم والمغشوم واقتدوا بملوكهم في امراج (٧) النفس في لذاتها ، واتيانها هواها من الشهوات الحيوانية الصادة عن مواجب العقول . وتفرقت عنه الاهواء ، واختلفت فيه الآراء ، فأما أبناء الدنيا والمؤثرون لها والحرصاء عليها فتقربوا الى الملوك بالنصائح التي

(٦) فخال : فظن .

(٧) امراج النفس : تركها وتخليتها .

لهم شطرها ، والمشورات التي لهم ثمرتها ، فكثير عند ذلك وزراء السوء ،
أعوان الظلمة ، فجرعواهم الغش في طعم النصح ، وأروهم الضلال في صورة
الهدى ، وعرضوا عليهم الغي في معارض الرشد ، وحجبواهم عن النصحاء
الحكماء ، وحالوا بينهم وبين العلماء الفضلاء ، فضلوا وأضلوا ، وهلكوا
وأهلكوا ، فاذا كانوا كذلك صار الحكماء ، والعلماء والبصراء ، بالعيوب في
صورها ، والمذام بأعيانها ، بين ذليل مقموع ، ومطرود محجوب ، ومن بين
متحرج تمنعه ديانتته عن اتیانسه ، وحكيم يترفع عن صحبتته ، وخائف يرى
أنه أن واجهه فيما فيه صلاحه ونصحه ، رقابله بما فيه نجاته ورشده ،
عاقبه عليه أشد العقاب ، وعذبه آلام^(٨) العذاب ، لان الحق مر ، ونصح من
ينهى عن الهوى ثقیل الا على العاقل الكامل ، والحازم الفاضل ، وكثير من
هذه الابواب قد نال ملوك زماننا هذا من أهل ملتنا ، وولاة أهل قبلتنا •

فهذه كلها أبواب الفساد التي تعرض من جهة حب الرياسات والشهوات

والتشاح^(٩) عليها •

وأما الباب الذي طريقه طريق الدين خاصة : فهو أن كلام كل كتاب ،
وأخبار كل نبی لا تخلو من احتمال تأويلات مختلفة ، لان ذلك موجود في
الكلام بنفس (١٤ / أ) طباعه ، ومعلوم أن الكلام كلما كان أفصح وأعرب
وأحسن نظما وأبعد مخرجا ، كان أشد احتمالا لفنون التأويلات ، وضروب
التفسير ، ولا كلام أولى بهذه الصفات من كلام الله جل ذكره ، اذ كان
أفصح الكلام ، وأوجزه ، وأكثره رموزا ، وأجمعه للمعاني الكثيرة والاحرف

(٨) هكذا في الاصل نرى الاصح : اذاقه آلام العذاب •

(٩) التشاح : التدافع والتزاحم •

اليسيرة ، وكان كتابنا الذي هو القرآن أولى الكتب وأخصها بهذه المعاني ،
اذ كانت اللغة التي أنزل الله بها أفصح اللغات ، وكان كتابا جعل نظمه حجة
على قومه ، وعلمنا لنبيه ﷺ ، ولا بد في الدين من وقوع الحوادث التي يحتاج
الى النظر فيها ، والنوازل التي لا يستغنى العلماء عن استخراجها ، وعن
خبر يشكل معناه ، وأثر تختلف التأويلات في فحواه على مر الايام ، فاذا
دفعوا اليه اختلفت الآراء في المسائل ، وتفرقت الاهواء في النوازل ، وصار
لكل رأى تبع ، ومشروعون وأئمة ومؤتمون ، ثم مع طول الزمان ازدادت لها
أنصار ومتعصبون ، وأعوان ومحامون ، فكان سببا لاختلاف الامم وانشقاق
عصاها ولا يخلو دين من الاديان ، ولا ملة من الملل من منافقين فيها ،
ومعادين لها ، فاذا وجدوها مختلفة متباينة متعادية ، أظهروا مكائدهم
المضمرة ، ومطاعنهم المكنونة ، فدسوها في مذاهبهم ، واخترعوا اختراعات
كاذبة ، فوضعوها في أخبارهم ، فافتتنت بذلك أعوانهم ، وفسدت
أغمارهم ^(١٠) ، ثم قصدوا الملوك وهم أخلاء ^(١١) من علم الدنيا ، أعراض
عن أصول الشريعة ، مترفون منغمون ، أهواؤهم التمتع بالذات ، وآمالهم
مصروفة الى نيل الشهوات ، وهمهم الحرية والخلاعة ، والمروق عن الطاعة
فزينوا عندهم الملاهى والملاعب ، وحرصوهم على استعمال المزامير والمعازف
والقوا اليهم ما يشين العرض ويخلق المروءة ^(١٢) ويفسد المملكة ، ويميت
الديانة ، ويخالف بين أهواء الرعية ويغير أمارات الشريعة ، فقبلوها منهم
لما وافق أهواءهم من الاستخفاف بالدين ، وطرح ثقله ، فاذا صار أمر الملوك

(١٠) الاغمار : غير المجربين . أساس البلاغة ٦٨٦ .

(١١) والصحيح : خلو .

(١٢) يخلق المروءة : يبليلها ويهلكها . المعجم الوسيط ٢٥١ .

وهم من يقتدى بأفعالهم ، وتقتفى آثارهم في سيرهم ، كذلك جرى عليه خواصهم (١٤ / ب) وخدمهم ، ولكل خاص خاص ، ولكل مقتد مقتدى به ، فعند ذلك تختلف السيوف (١٣) لان أهل الأديان يعتقدون الخروج على الملك واتباعه ، والسلطان وأشياعه ، ويستحلون إزالة يده ، وأهل الدنيا لا يرعون له حقاً ، ولا يعرفون فيه منقبة لا يبلغونها بالتقدير في أنفسهم ، ولا يوجبون له طاعة تلزمهم ، بل يرون أن الملك قد صار من عز بز أو من غلب سلب فيكثر لذلك الخوارج ، وتخرّب الممالك ، وتفسد الرعايا ، وتشيع المعاصي والفواحش ، وتكثر المؤن (١٤) ، واحتجج الملك العدد الكثير ، والعدة الوافرة ، ثم ربما ضاقت أموال المملكة عن مؤن الاعوان والحاشية ، فأدى ذلك إلى شغب الجند ، وتحزب آراء الاعوان ، ولا يبالي الملك أن يجحف بالرعية ، ويحمل عليها ، ولا تبالي الرعية أن تعين عليه ، فان أطاعت طاعت مقسورة مقهورة ، وان اضطربت وغلبت كانت عند الله وعند أهل الدين ، والعقل ، والرأى ، والفضل معذورة ، وعند أنفسها مشكورة مغفورة ، وإذا زال ما يطمع في الملك أعداؤه ، ويرغب في أبطال الدين مخالفوه .

الراشدون وحماية الدين :

وعلى هذا جرت أحوال أمتنا مع نبينا ﷺ وبعده ، فان خلفاء الراشدين كانوا لا يرون الخلافة إلا لأحياء الدين ، ولا الأمانة إلا لأصالح المسلمين ، وكانوا أهل رافة بالمؤمنين ، سيرتهم العدل ، وقولهم الفضل ،

(١٣) تختلف السيوف : تقع الاضطرابات الداخلية .

(١٤) تكثر المؤن : يزداد الطلب على الاقوات . بتصرف من المعجم الوسيط

وقضاؤهم الحق ، وكلامهم الصدق ، وقد لبسوا المسوح والصوف ، وجردوا السيوف يضربون بها وجوه الكفار ، وأخذوا السياط يقمعون بها رؤوس الفجار ، حتى فتحوا الفتوح وهزموا الجيوش ، وقهروا الجبابرة ، وقتلوا الفراعنة ، وأظهروا نور الحق في الغرب والشرق ^(١٥) ، ظاهرهم الخشوع وباطنهم الخضوع لله ، وبغيتهم الآخرة والاستخفاف بالدنيا جعلوها تحت أقدامهم ، إذ عرفوها حق معرفتها ، ووضعوها في منزلتها ، كقول النبي ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة » ^(١٦) وقوله حين مر بمزبلة فقال: «ومن سره أن ينظر إلى الدنيا بحذافيرها فليُنظر إلى هذه » ومر بشاة ميتة (١٥/أ) ملقاة في مزبلة فقال: « ما ترون هذه هانت على آهلها حتى رموا بها ، للدنيا على الله أهون من هذه على أهلها » ^(١٧) .

وكان عمر بن الخطاب يقول لعماله : « انا لا نوليكم على أشعار المسلمين • ولا على أبشارهم ، وانما نوليكم لتقيموا فيهم الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن » ^(١٨) . وقال النبي ﷺ لعامل وقد رجع من ولايته بشيء طفيف ، فقال ، هذا أهدى إلى : « ما بال أحدكم اذا وليناه أمرا من أمور

(١٥) هكذا بالاصل : والاصح بالمغرب والمشرق .
 (١٦) أخرجه الترمذی عن سهل بن سعد . سنن الترمذی ٥٦٠:٤ كما أخرجه الطبرانی وأبو نعیم . كشف الخفاء ٢٢٥:٢ ، كما رواه البزار . مجمع الزوائد ٢٨٨:١ .
 (١٧) أخرجه أحمد بن حنبل عن ابن عباس ، وإسناده صحيح . المسند ١٩:٥ كما رواه أبو يعلى والبزار . مجمع الزوائد ٢٨٧:١ .
 (١٨) أشعار : ممتلكات المسلمين من الزروع والأرض : المعجم الوسيط ٤٨٧:١ .
 (١٩) النص في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨١:٣ مع اختلاف لفظي يسير وتاريخ الطبري ج٤ ص ٢٠٤ .

المسلمين أن يقول هذا لكم ، وهذا أهدي الى ؟ ألا جلس في حفش أمه فينظر هل يهدي اليه » (٢٠) .

حتى خلف من بعدهم خلف رغبوا في الدنيا ، وآثروها ، وسعوا لها ، وقدموها ، وتتعلموا فيها ، واتخذوا مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، وتركوا رعاياهم هملا ، الا من عصم الله منهم .

فهذه الخلال التي ذكرناها في هذا الباب هي التي تخرب الممالك ، وتفسد الاديان ، وتطمع الاعداء في الملوك ، وتخالف بين السيوف ، قد عدناها وذكرناها ، ولكل داء من هذه الادواء دواء يستشفى به ، ولكل فساد وجه صلاح يؤتى به ، وباب تحرز لمن أراد التحرز والاحتياط لمن مال الى التوفيق .

الملوك وسير السابقين :

أما ما ذكرنا من بعد عهد النبي ﷺ ، وأصحابه والصالحين في صدر أمتهم ، حتى تأدى ذلك الى قساوة القلوب ، والاغترار بالدنيا ، والانخداع لها ، فان أخبارهم غصة طرية ، وان بليت أجسادهم فآثارهم حاضرة عتيدة ، وان غابت أعيانهم ، فينبغي للملك الحازم ، والسائس الصارم ،

(٢٠) صحيح ، أخرجه البخارى عن أبى حميد الساعدي : ان رسول الله ﷺ استعمل عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله ، فقال يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي لى ، فقال له : « أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا » صحيح البخارى ١٦٢:٨ كما أخرجه مسلم بلفظ قريب ، مختصر صحيح مسلم ٩٠:٢ وأخرجه أبو داود أيضا جامع الأصول ١٢٤:٢ والحفش : البيت الصغير من بيوت الاعراب . المجرد للغة الحديث لعبد اللطيف البغدادي ٣٨٥:١ ، والمعجم الوسيط ١٨٤:١ .

أن يتعهد قلبه بسماع آثارهم ، وقراءة سيرهم وأخبارهم ، وهدْيهم ،
ويتفكر فيما أقام الله جل وعز من دلائله الواعظة ، وأعلامه الشاهدة في
أرضه وسمائه ، وفيمن كان قبله من الملوك الماضية ، ليعرف بذلك حاله ،
ويرى نفسه ، فانها قائمة نصب عينه ، تخاطبه وان لم تنطق ، وتعظه وان
لم تسمع^(٢١) ، وسنفرد للمواعظ بابا على أثر هذا ، ونذكر فيه ما نظنه
نافعا كافيا ان شاء الله .

الملك وأصحاب الأهواء :

وأما دفع مضرة أصحاب الأهواء ، والطاعنين في الدين ، والخادعين
عنها بالحيل الغارة والأباطيل الخادعة ، فان التحرز منه النظر في كلام
المتكلمين الذابين^(٢٢) عن أصول الدين ، المتدربين بمناظرة الملحد
والمخالفين (١٥ / ب) ، والجمع بينهم ، والسماع منهم ، والاستماع
لتأويل الآثار ، وتفسير الأخبار ، ومعاني الآي ، فان من نظر في هذه
المعاني عرف فضل علوم الإسلام على سائر العلوم ، وقوة هذا الدين على سائر
الأديان ، وفضل هذه الشريعة في الحسن والقوة ، على كل شريعة وملة
انتسبت إليها أمة واعتزت^(٢٣) إليها فرقة ، فان لم يحضر المتكلم الحاذق ،
والعالم الصارم ، فقرأ كتبهم المؤلفة في تأييد الدين ، وإظهار محاسنه ،

(٢١) في الاصل : يخاطبه .. ينطق .. يعظه .. يسمع ، والسياق

يقتضى ما ورد في النص المحقق .

(٢٢) الذابين : المدافعين .

(٢٣) في الاصل : اعتزى ، والمعني : انتسب .

والتأويلات ، وعلل الاخبار « وصرف بعض أوقات الفراغ ، والخلوة إليه ،
فان ذلك لا يعوز (٢٤) الملك إن أراد ، ولا يفوته إذا طلبه .
وأما غلبة وزراء السوء ، وطلاب الدنيا على الملك ، ونفور الحكماء
والعقلاء منه ، فان وجه التحرز منهم ، إظهار الأمانة والعفة ، والعدل في
الرعية ، والشفقة عليها ، والرفقة بها ، وفتح أبواب النصائح فيها ، فانه
إذا فعل ذلك أظهر كل منهم ما يوافق ميل ملكه ، ويقارب رأى رئيسه ،
مؤمنا كان أو منافقا ، مخلصا كان أو مرائيا ، وأقبل عليه أهل الدين ،
والحكمة ، والأمانة ، والخشية ، والصدق في النية أقبالا ، وأتوه
أجفالا (٢٥) ، فأشاروا عليه بالحق ، وهدوه إلى الرشاد ، ونهوه عن
الفساد ، وأهدوا له النصائح ، وثنوه عن القبائح ، « فان السلطان سوق
وانما يجلب الى كل سوق ما ينفق فيه » (٢٦) .

الملك ووحدته أمته :

وأما التحرز من اختلاف قلوب الرعية وتفرق أهواء العامة من جهة
الدين ، فان وجهة التدبير فيه والترتيب على منازل مختلفة منها :
أن يحمل الناس على ترك الخوض فيما يؤديهم إلى التفرق ،
ويدعوهم إلى التحزب ، فان ذلك هو أمر الله الذي أمر به عباده ، وسنة
رسوله التي أكدها عليهم ، وسياسة الملوك الحزمية من قبله .

(٢٤) في الاصل : يعون .

(٢٥) المراد : سراعا . المعجم الوسيط ١ : ١٢٨ .

(٢٦) قاله أبو حازم لسليمان عبد الملك . عيون الاخبار ١ : ٢ ، العقد الفريد
٢٣ : ١ وينسب الى عمرو بن عبيد . فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٤٩ ، وأورده
الثعالبي قولا لابي الحسن أخى سيف الدولة . الإيجاز والاعجاز ٢٣ .

قال الله جل وعز : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
إخوانا) (٢٧) .

وقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات واولئك لهم عذاب عظيم) (٢٨) .

(١٦ / أ) وقال : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٢٩) .

وفي آي كثيرة بينهاهم فيها عن التفرق والتحزب .
وقال النبي ﷺ : « رحم الله من ترك المراء ، وان كان محقا » (٣٠) .

وقال : « لا تختلفوا في الصفوف فتختلف قلوبكم » (٣١) .
وقال أبو بكر الصديق (٣٢) — رحمة الله عليه — لسلطان الفارسي (٣٣) .

في كلام — وهو محق فيه — دع الكلام فاني أخاف أن يختلف أصحاب رسول

(٢٧) ٣ آل عمران : مدنية ١٠٣ .

(٢٨) ٣ آل عمران : مدنية ١٠٥ .

(٢٩) ٦ الانعام : مدنية ١٥٣ .

(٣٠) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أنس بلفظ «من ترك الكذب وهو باطل
بنى له قصر في رياض الجنة ، من ترك المراء وهو محق ، بنى له وسطها » سنن
الترمذي ٣٥٨:٤ رقم ١٩٩٣ وسنن ابن ماجه ٢٠:١ رقم ٥١ . وقد ضعفه
الالباني . ضعيف الجامع الصغير ١٨٤:٥ رقم ٥٥٣١ .

(٣١) صحيح ، أخرجه النسائي ٨٩:٢ ، ٩٠ ، مختصر سنن أبي داود
للمنفرد ٣٣٢:١ رقم ٦٣٤ .

(٣٢) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التميمي القرشي
أول خلفاء الراشدين ، مات في ١٣ هـ . صفوة الصفوة ٢٣٥:١ ، تاريخ الخلفاء
٢٧ — ٨١ .

(٣٣) صحابي أصله من مجوس أصبهان ، وهو الذي دل على حفر الخندق
ونوفي سنة ٣٦ هـ . طبقات ابن سعد ٧٥٠:٤ — ٩٤ ، وحلية الاولياء ١٨٥:١ و ٢٠٨ .

الله ﷺ . في أمثال كثيرة من أمثالها هذا . هو التدبير المحكم في قطع سبب الاختلاف والحيلة فيه — أولا — أن يتلو فيهم الآيات والآثار التي أمر فيها بالائتلاف ، ونهى عن التفرق والاختلاف ، ثم يؤدب نفسه ، ويؤنبو بعزر ، ويعاقب من أحدث بدعة أو ألد في سنة ، فإن لم يتهبىء ذلك (٣٤) وكان الإختلاف والتفرق عم وقد سبق عمر بعض الملوك وتقدم أيامه ، فالوجه أن لا يدع محدثا يحدث في أيامه ، ولا سيما إذا كانت مخالفة لظاهر الشريعة وأصل الملة ، ويدبر فيه التدبير الأول ، فإن لم يتهبىء ذلك إذ هو متعذر عسير قد تكلفه من كان قبلنا من الملوك الحزمة المعنيين (٣٥) بأمور الدين والملك ، واجتهدوا فيه فلم يتهبىء لهم ما أرادوا ، وتعذر عليهم من ذلك ما راموا ، فإن فيه وجهين : أحدهما ، الرغبة في الآخرة محضا ، وصرف الهمة إليها صرفا ، وطلب ما عند الله للمخلصين في دينه ، والمجتهدين في إدراك حقه ، فاذا اختار ذلك بالنظر العدل وسماع الأقاويل حتى يصح عنده الحق فيما اختلفت فيه الأمة ، ثم دعوة الناس والتلطف لبثه ونشره بالتقريب على مذهب الحق ، واعانة الدعاة إليه ، والناظرين فيه ، والحسبة في كل ما يجرى على يده من ذلك ، فإن فيه الأجر العظيم والثواب الجزيل الكريم ، وهو طريق الأنبياء ﷺ ، وسبيل الأولياء والصالحين والأئمة الراشدين من أهل دعوتنا ، ومن كان قبلنا ، ولا ييأس فاعل ذلك ، ومقدم النية فيه ، من توفيق الله ومتابعة عصمته إليه ، ونصرته على مخالفيه ، فيجتمع له الدين والدنيا .

(٣٤) في يتهبىء ذلك : بمعنى يهتد لذلك .

(٣٥) في الاصل : المعينون .

والثانى ، أن يعتقد الحق ، ويظهر جملة ما اجتمع إليه أهل ملته ،
واتفق عليه ألسن أهل دعوته ويجتهد في معرفة ذلك (١٦ / ب) على اليقين
والصحة ، ثم قام بالشرائع ، وأنفذ الأحكام ، وبسط العدل والإحسان ،
ونفى الجور والعدوان ، ولا يتعرض بشيء مما اختلف اناس فيه بعد معرفة
الجملة ، إذ لا مطمع في جمع أهواء الناس على رأى واحد ، سيما بعد ماتقدم
المدد الطويلة ، وتتابع الازمنة المتراخية^(٣٦) ، وسبق وقوع الاختلاف •

حسم أطماع العدو :

وأما الحيلة في حسم أطماع العدو منه ، فمن جهات :
أولها وأقربها هو الذى قدمنا من إئتلاف قلوب الرعية ، وجمع كلمتهم
بالعدل والانصاف والفضل والاحسان ، وعمارة المملكة بهذه الأسباب ،
واستيفاء الخراج والغلات من هذه الوجوه •

والثانية : التنظف^(٣٧) عن المطامع الدنية ، والاخلاق الذميمة ، وإتباع
الشهوات والاستهتار باللذات ، ولا سيما فيما حرم الله ونهى عنه ، والسمو
إلى نيل الفضائل ، ودرك المناقب من العلم والدين والعدل والرفق وسائر
خصال الفضل ، فان هذه مراتب من نظر فيها وفكر في مغبتها ورأى نفسه
عن سمتها غفلا وعن حليها عطلا لم تطمع نفسه ، وخاف الدنومنها ، ثم حسن
التدبير في الأمور ، واستشار ذوى الألباب والرأى والتجارب ، فقد قيل :
« كابد عدوك باصلاح عيوبك » • ولهذا كتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر :

(٣٦) المتراخية : المتوالية •

(٣٧) التنظف : الترفع •

« أصلح من نفسك (ما)^(٣٨) يرد الرعية إلى إيجاب الحق لك ، واطهر العظايا والأدب في رعيته فانها تنمي رعيته وتذل أعداءك ومن ناوأك » .
وقال : « أصلح نفسك لنفسك تكن الناس تبما لك »^(٣٩) .

ثم جمع الجنود المختارين ، والجاشية المنتخبين المتدربين بالوقائع والحروب ، والاحتيايل لاستجماع آرائهم وقلوبهم بالعدل بينهم ، وإثابة المحسن على إحسانه ، وإجزاء المصيء على إساءته ، وإدراار أرزاقهم على ما سنذكره في باب سياسة الخاصة إن شاء الله .

وجوه التحرز من الفساد :

فأما التحرز من الوقوع — فيما يرى فيه ملوك زمانه — عند ظهور الفساد وتغير الأمور واستئثار^(٤٠) الملوك بأموال الرعية ، وإظهار الحيف والميل إلى الدنيا ، وما في هذا الباب فمن وجوه :

أولها ، مراقبة الله عز وجل (١٧ / أ) ، والعلم بأن الله أولى بأن يتبع ، والرسول أحق من يقتدى بهم ، وأن يعلم أن الله عز وجل يجزى كل نفس بما كسبت ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى »^(٤١) .

ثم يسمو بهمته إلى أن يكون أفضل عند الله وعند العقلاء ، وأرفع منزلة لدى الحكماء منهم ، فان أخص الناس بهذه الصفة وأولاهم بهذه الهمة الملوك ، لأنهم لم يرضوا إلا أن يكونوا فوق أشكالهم ونظرائهم من

(٣٨) في الأصل (من) .

(٣٩) ورد النص به في لباب الآداب (لابن منقذ) : ٥٨ ، تسهيل النظر :

١٣٥ ، وفي أدب الدنيا والدين : ٣٢٨ (نقلا عن تسهيل النظر) ، نزهة الارواح

٢٠١ : ١ ، وطبقات الاطباء ٩٨ : ١ .

(٤٠) أى انفراد .

(٤١) ٣٥ سورة فاطر : مكية ١٨ .

أهل نوعهم درجة ، وأعلى منهم منقبة ، وأظهر منهم فضيلة ، فإن لم يكن كذلك — بأن يلحق بالفضلاء من الملوك — فإن الملوك يتفاضلون فيما بينهم في الخصال الشريفة ، فيجب على الملك الفاضل أن يقتدى بأفاضلهم دون أرادلهم ، ويقتفى آثارهم في فضائلهم دون رذائلهم ، فإذا لم تكن أمة من الأمم إلا كان في ملوكها حزمة وساسة وحكماء ومتدينون ، بل كانوا لا يرون من أهل الدين إلا من كانت هذه سبيله ، فمن خالفها أو عدل عنها ، وتكذب كان ملكه ملك المتغلب المبتز والدخيل المحتل ، ثم قد يتفاوت اختلاف الملك الواحد في أفعاله ، في الحسن والقبح ، والفضائل والرذائل ، فيجب على الملك البعيد الهمة الذي يرى الاقتداء أن يقتدى به ، ويتبع سنته ، ويحتذى سيرته في محاسنها لا في مساوئها ، وفي أفاضلها لا في أرادلها ، فقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال : (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن أساءوا أسأنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا) (٤٢) وقال بعض الحكماء : « إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم في الهلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم » (٤٣) • وقال الله جل ذكره : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) (٤٤) • وقالوا : وشكا رجل إلى حكيم من الحكماء فساد الزمان فقال : « أنت الزمان فان صلحت صلح ، وإن فسدت » (٤٥) •

(٤٢) ورد الحديث بلفظه عن أبي حذيفة — رواه الترمذى في سننه ج ٤ ص ٣٦٤ رقم ٢١١٧ — وقال الالبانى بضعفه ج ٦ ص ٧٧ الحديث رقم ٦٢٨٥ وشرح السنة للبغوى ٣٢:١٣ برقم ٣٤٤٤ .
(٤٣) من حكم الحسن البصرى : حلية الاولياء ١٥٧:٢ .
(٤٤) ه المائدة : مدنية ١٠٥ .
(٤٥) من أقوال الحكيم : أحنف بن قيس لمعاوية ورد النص في المصباح ١٨٣:١ وورد بأسلوب مطول في التبر المسبوك ٧٧ ومجمع الامثال ٤٢٥:٢ .

ثم ليس شيء مما نودعه كتابنا هذا إلا ولو أردنا أن نستشهد عليه
بقول ملك من الملوك أو خليفة من الخلفاء أو أمير من الأمراء ، ونكثر من
أقوالهم ، لوجدناه مسطرا لهم مكتوبا ، ومدونا عنهم محفوظا ، ووجدنا
(١٧/ب) من الملوك من كان إليه مائلا ، وبه قائلا ، وله مؤثرا وفاعلا ،
ومهما شكنا في شيء فلا شك أنه كان لله أنبياء ومرسلون ، وأولياء ملكوا
الدنيا ، وقادوا العساكر والجيوش ، ودوخوا البلدان بالجنود ، فما منعهم
جلالة حالهم ، وعظم ملكهم ، وكثرة جيوشهم ، وكثافة جنودهم وسواد
جموعهم من إثارة طاعة الله ، والعدل في خليقته وبريته ، فعاشوا ملوكا
وماتوا ملوكا ، وبقيت آثارهم ، ولسان الصدق عنهم كأنهم أحياء وإن
ماتوا ، وشهود وإن غابوا ، وقد كان سليمان بن داود (٤٦) الذي قص الله
علينا نبأه ، وأخبر أنه ألان له الحديد ، وأذل له الشديد ، وسخر له الجن
والإنس ، والسباع والبهائم والوحوش ، وأنواع الحيوان والرياح تجري
بأمره رخاء حيث أصاب ، وكان من قبله أبوه داود (٤٧) عليهما السلام ، جعله
الله خليفة في الأرض ، وأميننا على الخلق .

وقد كان منهم يوسف (٤٨) النبي ﷺ ، ومنهم ذو القرنين الذي أثنى الله

(٤٦) سليمان بن داود : هو نبي من أنبياء بني إسرائيل ، خلف أباه داود
على ملك بني إسرائيل ، وهو الذي بنى بيت المقدس على ما أسسه أبوه ، وتوفي
سنة ٩٢٦ قبل الميلاد . تاريخ الأمم والملوك ٢٥٢:١ ، ٢٦٢ والكامل في التاريخ
١٢٨:١ ، ١٣٦ وتاريخ ابن الوردي ٣١:١ والانس الجليل ١١٧:١ — ١٤٥ .
(٤٧) داود عليه السلام من انبياء بني إسرائيل ، انزل اليه الزبور ، وقد
تولى ملك بني إسرائيل ، وأسس بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد ، ودام
ملكه أربعين سنة ، وكان عمره لما توفي مائة سنة . الكامل في التاريخ ١٢٨:١
وتاريخ ابن الوردي : ٣٠:١ .

(٤٨) يوسف بن يعقوب عليهما السلام نبي من بني إسرائيل ، مكنه الله في
أرض مصر ، وتوفي عن مائة وعشرين عاما . ابن كثير : قصص الانبياء
٣٠٦:١ — ٣٥٩ .

عليه ، ثم موسى بن عمران^(٤٩) ، ويوشع بن نون^(٥٠) وذووهم . ثم كان خاتم النبيين وسيد المرسلين نبينا ﷺ ، ملكه الله كثيرا من بسلاده في أيام حياته ، وقاد الجيوش ، وساق الخيول ، وفتح الفتوح ، ودبر الأمور ، فلم يمنعه ذلك من طاعة الله والائتمار بأمره ، والاجتناب عن نهيه ، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ثم كان خلفاؤه الراشدون ، وأصحابه المهتدون الذين فتحوا البلاد ، وقهروا أهل العناد ، وكانت سيرتهم ما قد ذكرنا ثم كان من بعدهم عمر بن عبد العزيز^(٥١) وهو من بنى مروان الذين^(٥٢) عاشوا في الأرض ، وغيروا السنن ، وأظهروا البدع ، فلم يكن قبله منهم مثله ، أمر ببيع الخزائن ، ورد المظالم ، وأزال اللعن عن آل الرسول ، ورغب في العلم ، ونشر الفضل ، وقرب أهل العلم ، والزهد ، فلم يمنعه فساد أهل زمانه وأقربائه ونظرائه ، من صلاحه وتدينه وتحريه الحق .

وكذلك كان يزيد بن الوليد^(٥٣) ، فإنه أظهر الدين ، وتعصب له وبسط

(٤٩) موسى بن عمران ، نبي من انبياء بنى اسرائيل ، نزلت عليه التوراة ومات وعمره مائة وعشرين سنة . تاريخ ابن الوردي ٢٤٠ : ١ .

(٥٠) يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ، وأهل الكتاب يقولون : يوشع ابن عم هود ، نبي من انبياء الله إلى بنى اسرائيل ، وكان يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى وفاته وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة . ابن كثير : قصص الانبياء ٢ : ٢١٣ .

(٥١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ويكنى أبا حفص ، ولي الخلافة سنة ٩٩ هـ ، وساد حكمه عدل الخلفاء الراشدين ، ولقب بخامس الخلفاء الراشدين ، وتوفي وله تسعة وثلاثون سنة عام ١٠١ هـ وأنظر في ترجمته سيرة عمر بن العزيز لابن الجوزي ، وصفة الصفوة ٢ : ١١٣ — ١٢٧ وتاريخ الخلفاء ٢٢٧ : ٢٤٦ وملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن العزيز .

(٥٢) عاشوا : أفسدوا . أساس البلاغة ٦٦٥ .

(٥٣) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويكنى أبا خالد ، ولقب بالناقص لكونه نقص الجند من أعطياتهم ، ووثب على الخلافة ، وقتل ابن عمه الوليد ، وتملك ، كانت خلافته ستة أشهر ناقصة ، ومات وعمره خمسا وثلاثين سنة في عام ١٢٦ هـ . دول الاسلام ٨٦٠ : ١ وتاريخ الخلفاء ٢٥٢ .

العدل ، وقتل ابن عمه على الظلم والجور والإلحاد والكفر (١٨ / أ) ثم
تنام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام ثم
قال : « والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ، ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة
في الملك ، وما بى إطراء نفسي ، وإنى لظلوم لها ، ولكنى خرجت غضبا لله
ولدينه ، وداعيا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، لما هدمت معالم الهدى ،
وأطفئ نور أهل التقى ، وظهر العنيد المستحل لكل حرمة ، والراكب لكل
بدعة ، والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ، وإنه لابن عمى في الحسب وكفؤى
في النسب ، فلما أن رأيت ذلك استخرت الله في أمرى وسألته ألا يكلنى إلى
نفسى ، واستعنت بمن أطاعنى من أهل ولايتى ، إلى أن أراح الله منه العباد ،
وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى »

أيها الناس إن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ، ولا أجرى
نهر ، ولا اكتنز مالا ، ولا أعطينه زوجة ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلد
إلى بلد حتى أسد فقر ذاك البلد وخصاصة أهله فيما يغنيهم ، فإن فضلت
فضله ، نقلتها إلى البلد الذى يليه ممن هو أحوج إليه منهم ، وعلى أن
لا أجبركم^(٥٤) فى ثغوركهم فأفتنكم وأفتن أهاليكم ، ولا أغلق بابى دونكم ،
فياكل قوياتكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن
بلادهم وينقطع معه نسلهم ، ولكن لكم أعطياتكم فى كل سنة ، وأرزاقكم
فى كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم ،
فإن أنا وفيت لكم بهذا فعليكم السمع والطاعة ، وحسن المؤازرة والمكاتفة ،

(٥٤) أجبركم : من جبر الأمير الفزاة حبسهم فى الثغر وفى نحر الفزاة ولا
يرجعهم . وفى الاصل أجهزكم ولا يصح بها المعنى .

وإن أنا لم أف لكم به فلكم أن تخلعونى ، إلا أن تستتيبوني ، فإن تبت ، قيلتم منى وإن رأيتم أحدا أو عرفتموه يعرف بالفضل والصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبائعوه فأنا أول من أباعه وأدخل في طاعته • أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق • أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » (٥٥) •

فأما خلفاء بني العباس فقل من خلا منهم أو من أفاضلهم من خصال حميدة لو اقتدى به فيها وأخذت عنه لكان لذلك أهلا ، فقد كان منهم أبو العباس (٥٦) أول الخلفاء ، ظاهر الزهد كثير الفضل والعلم • وكان أبو جعفر (١٨ / ب) المنصور (٥٧) أخوه كثير العلم شديد الاعتقاد في الدين ، وكان قد صحب عمرو بن عبيد قبل توليه الخلافة ، وأخذ عنه العلم والدين ، وكان أحرص الناس على الاستكثار منه في حال الخلافة ، وله معه آثار معروفة وأخبار مشهورة •

ثم كان ابنه (٥٨) على مذهبه ، وكان هارون الرشيد متدينا شديد

(٥٥) النص في تاريخ الامم والملوك ٢٦:٩ ، ٢٧ ، وباختلاف لفظي يسير في تاريخ الخلفاء ٢٥٣ والكامل في التاريخ ٢٦٩:٤ ، ٢٧٠ •

(٥٦) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن المطلب بن هاشم ، ويكنى أبا العباس ، ويلقب (السفاح) لسرعة سفكه الدماء ، فأتبعه في ذلك عماله في المشرق والمغرب ، ومات سنة ست وثلاثين ومائة عن اثنتين وثلاثين سنة • تاريخ الامم والملوك ٩ : ١٥٤ ودول الاسلام ٩٣:١ وتاريخ الخلفاء ٢٥٨ •

(٥٧) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولد سنة ٩٥ هـ وبويع بالخلافة سنة ١٣٦ هـ وكان صارما مهيبا ذا جبروت وسطوة ، وعلم وفقه وخبرة بأمور التدبير والسياسة ، وكان يضرب به المثل في البخل ، وتوفي سنة ١٥٨ هـ • تاريخ الامم والملوك ٩ : ١٥٥ — ٣٢٢ سير أعلام النبلاء ٨٣:٧ — ٨٩ ودول الاسلام ٩٣:١ ، ١٠٧ والفخرى في الاداب السلطانية ١٤١ ، ١٦٠ •

(٥٨) المهدي : محمد بن عبد الله العباسي : ولد سنة ١٢٦ هـ ، وبويع بالخلافة بعهد من أبيه ، وكان محببا الى الرعية حسن الخلق والخلق ، وتوفي سنة ١٦٩ هـ دول الاسلام ١٠٧:١ ، ١١٢ وتاريخ الخلفاء ٢٧١ ، ٢٧٣ وتاريخ الامم ٣٢٣:٩ و ١٢:١٠ •

التعصب للإسلام والديانة ، ظاهر الشهامة جلدا في السياسة والحماية ذابا
عن أركان الملة منكمشا^(٥٩) في الدعوة ، غزا الروم غير مرة بنفسه • وكتب
إلى عظماء الكفرة بتهديده ووعيده ، وحج إلى بيت الله ماشيا وراكبا ، وقل
ما كان يخلو من غزوة أو حجة في كل عام ، ولذلك ما قال فيه مادحه :

في كل عام غزوة ووفادة ثنيت بين نواهما الأقران
غزو وحج مات بينهما الكرى باليعملات شعارها الوخدان
يصل الهجير بعزة مهديه لو شاء صان أديمها الأكنان
لكنه في الله مبتذل لها إن التقى مسدد ومعان^(٦٠)

وكان مولعا بالفقهاء ، مقربا للعلماء ، مهتما بأمر دينه ، حتى كان
يوصف بالتقوى والخشية فقال فيه أبو نواس^(٦١) :

إمام يخاف الله حتى كأنه يراه من التقوى صباح مساء^(٦٢)
وفي كثرة غزوه وإخافته أهل الكفر والشرك يقول :
وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق^(٦٣)

(٥٩) منكمشا : من انكمش في سعيه أي أسرع . أساس البلاغة ص ٨٣٣
(٦٠) والشاعر يمدح الرشيد بأنه يغزو ويحج في كل عام ويواجه صعابا
لا يطيقها الأقوياء وبضحى براحتة ونومه ، ويركب الأبل السريعة في ترحاله
ويقاتل في الحر الشديد بوجه مشرق لو شاء صانه في القصور ، لكنه يتحمل
التضحية في سبيل الله .

اليعملات ، اليعملة من الأبل النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل .
الوخدان : الأسراع وتوسيع الخطو .

(٦١) هو الحسن بن هانئ ولد في سنة ١٤٦ بالبصرة ، شاعر العراق في
عصره ، نظم في جميع أنواع الشعر ، وأجود شعره خمرياته ، وتوفي سنة ١٩٨ هـ
الشعر والشعراء ٢: ٨٠٠ — ٨٣٠ ، وفيات الأعيان ١: ٣٧٣ — ٣٧٥ ، وخزانة
الأدب ١: ٣٤٧ — ٣٤٨ .

(٦٢) الديوان ص ٢١ — طبعة بيروت ١٩٨٢ .

(٦٣) الديوان : ٤٥٢ والشعر والشعراء ٢: ٨٠٥ ، العقد الفريد ١: ٢٩٠ .

ثم كان من بعده المأمون ، وهو لو باهت به هذه الامة سائر الامم في ملوكها لكان ذلك أهلا ، ولوجد لها عليهم به فضلا ، علما ، وعقلا ، وأدبا . وحزما ، وأربا ، ورأيا ، وفهما ، وشهامة ، وعزما ، ونظرا في أبواب السياسة ، وجدلا في العلم . واجتهادا في اختيار المذاهب ، وشغفا بالعلم وأهله . وتعصبا للتوحيد ، وتوفيرا على سائر أبواب الملك حقها ، وأعطاها قسطها ، وله آثار موجودة ، وأخبار ماثورة ، وفي الكتب مشهورة مسطورة . وكذلك المعتصم^(٦٤) فان أخباره في كثرة (١٩ / أ) غزواته مذكورة ، ووقائعه مشهورة ، وكان متدينا جلدا بأسلا شهما ، ذابا عن الدين ، حاميا عن عورة المسلمين .

قالوا : وبلغ من حمايته لهم أنه ذكر بين يديه وفي مجلسه أن امرأة مسلمة أسرت في الروم في وقعة جرت بين المسلمين وبينهم ، فجعلت تنادى وتندب وتقول : « وامعتصماه » ! .

فقال على فوره : « لبيك ، لبيك وقام فركب مركوبه ، وخرج على وجهه من ساعته وهو يقول : « لبيك ، لبيك » وتقدم الى خاصته وحاشيته ، أن يلحقوا به ، وجعل الجيش والخدم يتلاحقون به أولا فأولا ، فما نزل

(٦٤) هو أبو اسحق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور . الثامن من خلفاء بني العباس ، وكان مولده سنة ١٧٨ هـ ، وولى الخلافة سنة ٢١٨ هـ وملك ثمانين سنين وثمانية أشهر ، وثمانية أيام ولذلك يسمى بالخليفة (المثلث) ، وتوفى سنة ٢٢٧ هـ وله ست وأربعون سنة .
التنبيه والاشراف ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ والكامل في التاريخ ٢٣١:٥ — ٢٦٦ وتاريخ الامم والملوك ٦:١١ وتاريخ الخلفاء ٣٣٣ — ٣٤٠ والمعارف ٣٩٢ والمصباح ٥٠٢:١ .

الا على مرحلة ، وما أقلع عن وجهه^(٦٥) حتى دخل أرض الروم ، وتعرف ،
أمر تلك المرأة ، واستدل عليها ، فانقذها ، وخلصها وأنكى في الروم نكاية لم
يكن بمثلها له عهد ، كل ذلك إظهارا للحق ، واعتدادا لما يجب عليه ويلزمه من
صيانة الدين وحماية أهله ، وفي ذلك يتولى أبو تمام فيه :

خليفة الله كافا الله سعيك عن جرثومة الدين والإسلام والحسب
لو كان بين صروف الدهر من رحم موصولة أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامك الالتي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب^(٦٦)
ثم كان الواثق^(٦٧) مذكورا بشدة رغبته في الدين ، وولوعه بالعلم ،
وأهله ، وتعظيمهم ومجالستهم ، والاستكثار منهم ، وتحريره^(٦٨) التوحيد
والعدل ، وامتحانه المخالفين ومناظراتهم وحملهم على قبول الحق ودونهم .
من خلفاء بني العباس .

ثم كان الامراء من ولاية خراسان من الطاهرية^(٦٩) ، لهم آثار عجيبة ،
وسياسات سديدة ، من إعزاز الدين ، وحيطة الملك ، والرغبة في العلم

(٦٥) النص لدى ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٢٤٧:٥ .

(٦٦) الديوان وشرحه ٣٢ ، ٣٣ وفي البيت الاول (جازى) بدلا (كافا)
وفي البيت الثانى (ان) بدلا من (لو) .

(٦٧) الواثق بالله ، هارون بن محمد بن المعتصم العباسى ، ويكنى أبا
جعفر وأبا القاسم ، ولد سنة ست وتسعين مائة ، وبويع بالخلافة سنة سبع
وعشرين ومائتين . ومات سنة مائتين واثنين وثلاثين . التنبيه والاشراف ٣١٢
ودول الاسلام ١٣٩:١ ، تاريخ بغداد ١٥:١٤ والمصباح ٥١٠:١ وتاريخ الخلفاء
٣٤٠ — ٣٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٠: ٣٠٦ — ٣١٤ .

(٦٨) فى الاصل : وتجريده ، وهو تصحيف .

(٦٩) فى الاصل : الظاهرية ، والطاهرية نسبة الى عبد الله بن طاهر بن
الحسين ، حاكم خراسان وما وراء النهر ، مات سنة ثلاثين ومئتين ، وله ثمان
واربعون سنة . تاريخ بغداد ٤٨٣:٩ ، وسير أعلام النبلاء ٦٨٤:١٠ .

والآداب ، وإجلال أهله ، وتجميل أثوابهم^(٧٠) بهم ، وتتبع أفاضلهم في البلدان ، وحملهم من الآفاق ، وعنايتهم بكتابة الكتب وتصحيحها وصحبة أهل الآداب والفضل وهمة في اصطناع المعروف ، وبث الخير ، ونظر في أمور الرعية ، وحماية عن الحوزة ، حتى إذا فتر في هذه الأسباب آخرهم كان ذلك سببا لزوال مملكتهم وانقضاء دولتهم وتصرم مدتهم •

وكذلك كانت أحوال ملوك سامان المحدثين (١٩ / ب) ، فكان نصر بن أحمد^(٧١) ، من عباد الأمراء وزهادهم بالاضافة إلى من كان قبله وبعده •

وكان الأمير : الماضي أبو ابراهيم^(٧٢) كثير الغزو ، حسن التواضع ، ثقل الهمة ناصرا لظاهر الشريعة ، رحيما بالرعية ، شديد الرغبة في الخشية ، واطهار فرائض الملة ، يتحرى العدل ، ويظهر الحق وإن كان من أبناء الدنيا •

وكان إسحاق بن أحمد^(٧٣) مذكورا بالعلم والآداب والمحبة لأهله ، وكثرة مجالسهم والاستئناس بهم •

(٧٠) (أثوابهم) يبدو لنا أنها (مجالسهم) •

(٧١) نصر بن أحمد الساماني ، صاحب خراسان ، توفي ٢٧٩ هـ . تاريخ

الطبري ١٠ : ٣٠ •

(٧٢) هو : اسماعيل بن أحمد الساماني ، أمير خراسان وما وراء النهر ،

ومات ٢٩٥ هـ ولقب بعد وفاته بالأمير (الماضي) . الكامل في التاريخ ١٧٧:٦

صير أعلام النبلاء ١٤: ١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٣: ١٦٣ ، وشذرات الذهب ٢: ٢١٩

(٧٣) هو إسحاق بن أحمد بن أسد الساماني ، وقد خرج وابنه إلياس

على (السعيد نصر بن أحمد الساماني) وقد اقتتلا أكثر من مرة حتى اختفى

إسحاق ثم طلب الأمان فأمن عام ٣٠١ هـ وبقي في بخارى إلى أن مات . الكامل

٣٤٦:٦ •

وكان الشهيد^(٧٤) موصوفاً بالعدل في الأحكام ، والتسوية بين القريب والبعيد والشريف والوضيع فيها ، والنظر في أمور الرعية والرحمة بها ، ويتحرى التخفيف عنها والرفق بها .

وكذلك كان حال أفاضل الملوك من آل ساسان من قبل ، على ما دلت عليه آثارهم ، فقد قال أردشير - في عهده الذي جعله دستوراً للملك : « واعلموا أن الدين والملك أخوان توأمان ، لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن الدين أس الملك ، ثم صار الملك بعده حارس الدين ، فلا بد للملك من أسه ، ولا بد للدين من حارسه » فان مالا حارس له ضائع ، وما لا أس له مهدوم »^(٧٥) .

وقال : « اعلموا أنه لم يجتمع رئيس في الدين مسر ورئيس في الملك معن في مملكة واحدة قط إلا انتزع الرئيس في الدين ما في يدي الرئيس في الملك ، لأن الدين أس ، والملك عماده ، وصاحب الاس أولى بجمع البنيان من صاحب العمران »^(٧٦) .

وكذلك قرأنا في عهد أنوشروان ، وسابور من تعظيم الدين والذب عنه والاجتهاد في حمايته وصيانته وروينا في آثارهم وأخبارهم ، وقرأنا في رسالة أرسطاطاليس إلى الاسكندر :

(٧٤) هو أحمد بن اسماعيل بن نصر الساماني ، يكنى أبا النصر ، ولي الإمارة للمكتفي العباسي ، ولقب بالشهيد لأنه قتل بعض غلمانه سنة ٣٠١ .
الكامل ١٤٤:٦ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الاصفهاني ١٧٢ ، الاعلام ٩٣:١ .

(٧٥) عهد أردشير ٥٣ ، المصباح ٢١٤:١ ، المنهج السلوك في سياسة الملوك ٢٠ .

(٧٦) عهد أردشير : ٥٤ بنصه تحقيق د. احسان عباس .

« آى ملك أخدم ملكه دينه فهو مستحق للرئاسة ، وآى ملك أخدم دينه ماله فالملك له آفة » (٧٧) ♦

وقال : « من يتمسك بالسنة فحرام عليك دمه وإدخال المذلة عليه » (٧٨) ♦

وقال : « دافع عن دينك تصلح عاقبتك » ♦

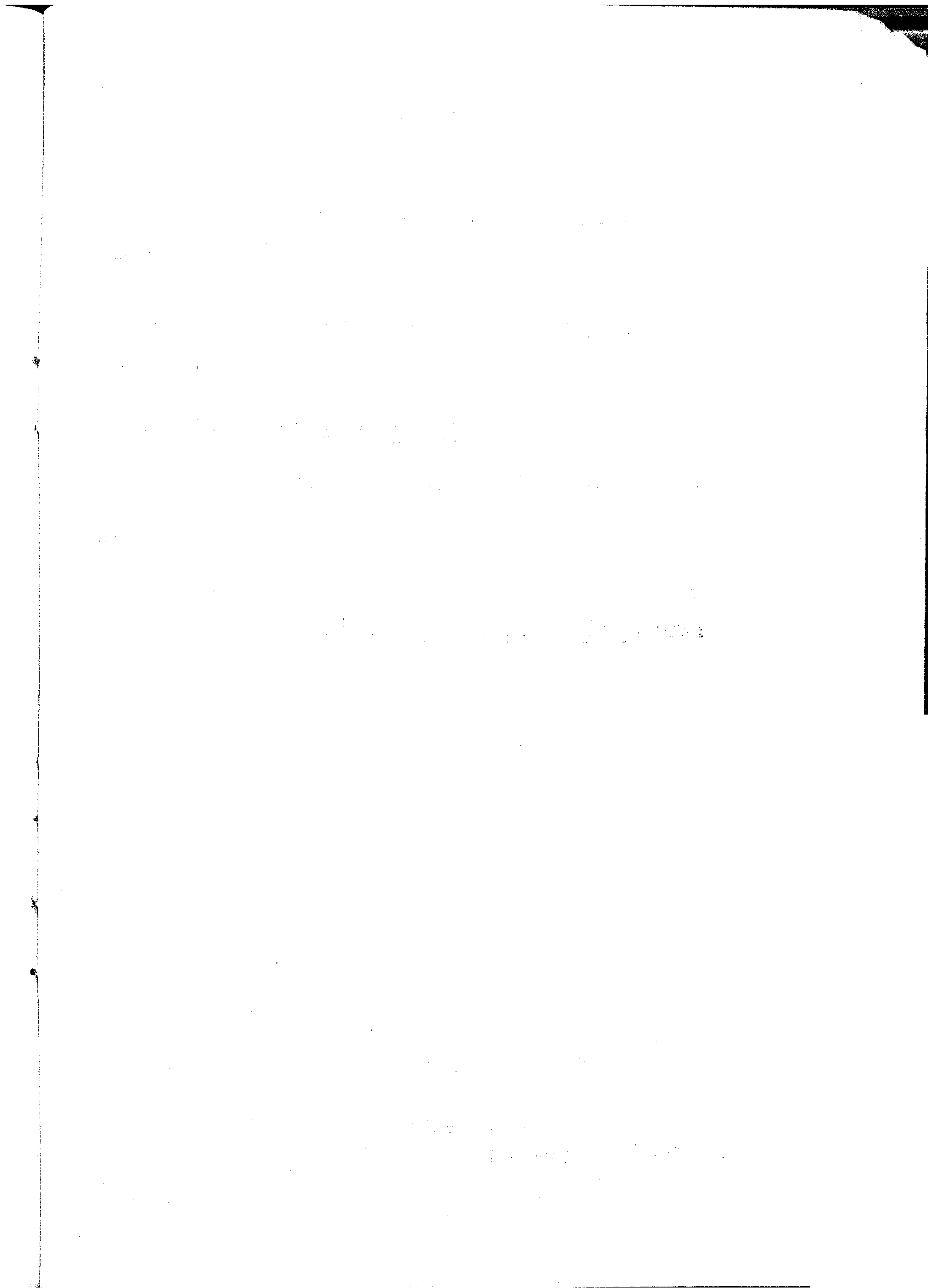
وقال : « صير دنياك وقاية لآخرتك ولا تصير آخرتك وقاية لدنياك » (٧٩) ، فى أمثال لها كثيرة وأشباه عدة من أخبار (٢٠ / أ) الملوك المخصوصين بالفضائل ، والمتجنبين للرزائل ، وكفى بما ذكرناه دليلا على ما قصدناه ، والله الحمد والمنة على توفيقه وتسيده ، انه وليه ومستحقه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ♦

(٧٧) السياسة فى تدبير الرئاسة : ٧٧ بلفظ « يا اسكندر ! آى ملك أخدم ملكه دينه فهو مستحق الرئاسة ، وآى ملك جعل دينه خادما لملكه فهو مستحق بناموسه ، ومن استخف بالناموس قتله الناموس » .

(٧٨) عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء ج ١ : ٩٩ .

(٧٩) نزهة الأرواح وروضة الأفراح ٢٠٢ : ١ ، وعيون الأنبياء فى طبقات

الأطباء ج ١ : ٩٨ .



الباب الرابع

في المواعظ التي تبصر غرور^(١) الدنيا وتذكر بالآخرة وتنفع
من نظر فيها واستمع لها وتهديه الى العدل في ملكه

الوعظ فريضة :

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)^(٢) .

وقال : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)^(٣) وقال له :

(وذكرهم بأيام الله)^(٤) وقال : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا)^(٥) .

وكان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة^(٦) .

فالوعظ والتذكير فريضتان واجبتان ، وسننتان ماضيتان على^(٧)

أهلها بكتاب الله جل وعز — وسنة رسول الله ﷺ .

وقد أمر الله الموعوظين بالاستماع لها ، والاصغاء إليها ، فليس أحد

وإن جل خطره ، وعظم قدره ، ممن يجب أن يترفع عن استماع الموعظة ،

وقبول النصيحة ، لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجل ،

واستحق من الله البشري في العاجل ، والثواب في الآجل ، ومن عقلاء خلقه

الثناء والمدح والإكرام والدعاء ، فان الله — عز ذكره — يقول : (فبشر عباد

(١) هكذا في الاصل ، ونرى الاصبوب (بغرورى) .

(٢) ٥١ الذاريات : مكية ٥٥ .

(٣) ١٦ النحل : مكية ١٢٥ .

(٤) ١٤ ابراهيم : مكية ٥ .

(٥) ٢٤ النور : مدنية ١٧ — ولفظ الله ليست موجودة في الاصل .

(٦) راجع ما تقدم ص ٤٣، ٤٤ أحاديث النصيحة .

(٧) في الاصل : على من ، والمعنى يستقيم بدون (من) .

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ^(٨) ثم قال : (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) ^(٩) .

فيجب على الملك الفاضل، والسائس الكامل ، الذي ربما أنفق الأموال، وعمل الأعمال ، ليمدحه بها ^(١٠) مخلوق جاهل ، أو شاعر كاذب ، أو ماجن مترخص ، أن رغب في هذه المنزلة التي يمدحه بها رب العالمين ثم فضلاء المسلمين ، وإن الله — جل ذكره — جعل الخير في الاعتبار ، والاعتبار بالتفكر ، وحث عليه في غير موضع من كتابه ، فقال : (أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) ^(١١) . وقال : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار) ^(١٢) .

فمن قريب ما يجب أن يفكر فيه ويتدبره ، أن يتذكر أحوال القرون الماضية ، والملوك الأولين (٢٠/ب) الذين كانوا أشد منه قوة ، وأكثر جمعا ، وأبين آثارا، وأطول أعمارا ، الذين بنوا المدائن ، وجمعوا الخزائن ، وحفروا الأنهار ، وعمروا الديار ، وشيدوا القصور ، ودبروا الأمور ، وجمعوا الجموع ، وقادوا الجيوش ، وساقوا الخيول ، ودوخوا البلاد ،

(٨) ٣٩ الزمر : مكية ١٧ ، ١٨ ، وفي الاصل : « عبادي » .

(٩) ٣٩ الزمر : ١٨ .

(١٠) في الاصل : به .

(١١) ٣٠ الروم : مكية ٨ .

(١٢) ٣ آل عمران : مدنية ١٩١ .

وأذلوا العباد ، ومشوا في الأرض مرحا ، واختالوا بما أوتوا فرحا ، فأخذهم الله بما كانوا يكسبون ، فأصبحوا بعد العز والمنعة ، والملك والرفعة ، والصوت والسطوة ، والذكر والصولة ، عظاما رميما ، ورفاتا هشيما ، وأصبحت منازلهم خاوية ، وقصورهم خالية ، وأجسادهم بالية ، وأصواتهم هادئة تنبئك آثارهم معاينة وتقرع أسماعك أخبارهم مجاهرة ، فلم يصحبهم من الدنيا ما جمعوا ، ولم يدفع عنهم الردى ما كسبوا ، ولعلمهم ندموا حيث لم تنفعهم الندامة ، وتلهفوا حيث لا يغنى عنهم التلهف ، وإن الباقى عما قليل كالفانى ، والخابر عن قريب كالأضى ، وما بينهما إلا أنفاس معلومة ، وأيام معدودة ، سريعة الانقضاء قريبة الانتهاء ، فليحذر المغتر بماكه ، والممتنع بعزه ، هذه الصرعة ، وليستعد لهذه الوجهة ، ولينتبه لهذه الموعظة ، فإن الله جعلها في أوائل مواعظه وكررها في مواضع من كتابه حيث يقول : (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثارا في الأرض) (١٣) وقال : (وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (١٤) . وعد كثيرا منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد) (١٥) . وقال : (وعادا وثمودا وأصحاب

(١٣) ٤٠ غافر : مكية ٨٢ .

(١٤) ٣٠ الروم : مكية ٩ .

(١٥) ٨٩ الفجر : مكية من ٦ — ١٤ .

الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ، وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا (١٦)
هذا خبر صدق ، وقول حق ، وقد جعل الله بكل ما شوهد في أيامه ، وعوين
في زمانه ، ممن رفعهم الدهر ثم وضعهم ، وأعلاهم ثم صرعهم ، ودارت
عليهم دوائره ، ونابتهم نوائبه ما في بعضه مفتح لمعتبر ، وبلاغ لمذكر .
• (٢١/١) •

قالوا : وأشرف أبو الدرداء (١٧) صاحب رسول الله ﷺ على أهل
حمص (١٨) ، فقال : « يا أهل حمص ، أتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا
تدركون ، وتجمعون مالا تأكلون ، إن من كان قبلكم بنوا شديدا ، وأملوا
بعيدا ، وجمعوا كثيرا فأصبحت اليوم مساكنهم قبورا ، وأملهم غرورا ،
وجمعهم بورا » (١٩) .

وقد قال بعض فصحاء الملوك في خطبته : « ألم تروا مصارع من كان
قبلكم ، كيف استدرجتهم بزخرفها ، ونعمتهم ، ثم تركتهم ، وقد تخلت
عنهم فهم في حيرة مظلخة (٢٠) وظلمة مدلهمة ، تركوا الأهلين والأموال
والأولاد والعيال فمساكنهم القبور ، وقد خلت منهم الدور ، وتقطعت منهم

(١٦) ٢٥ الفرقان : مكية ٣٨ ، ٣٩ — أصحاب الرس قوم قتلوا نبيهم —
تبرناه تتبيرا : دمرناه تدميرا . زاد المسير ج٦ : ٦٠ ، ٩١ .

(١٧) هو عويمر بن زيد وقيل ابن عامر ، الصحابي ، الحكيم ، الزاهد ،
وقد أبلى يوم أحد بلاء عظيما ، وهو مقرئ أهل دمشق وقاضيه ، وكان يهابه
معاوية ويتأدب معه ، توفي سنة ٣٢ هـ . دول الاسلام ٢٥٠ : ٢٥١ ، والمعارف ٢٦٨ ،
وصفة الصفوة ١ : ٦٢٧ — ٦٤٣ .

(١٨) حمص : مدنية بدمشق .

(١٩) النص في حلية الأولياء ١ : ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ مع اختلاف لفظي يسير
ولفظ أملهم غير واضح في الأصل .

(٢٠) مظلخة : أي شديدة . المجلد ٤٨٧ .

الأوصال والصدور ، وصاروا ترابا باليا ، وكان لهم الله ناهيا ، (فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (٢١) .

ولقد أحسن في هذا المعنى لبيد (٢٢) في قصيدته الحكيمة حيث يقول :

فقل لا له ، إن كان يعقل (٢٣) أمره

ألم يعظك الدهر ؟ أمك هابل

فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب

لعلك تهديك القرون الأوائك

فان لم تجد من دون عدنان باقيا (٢٤)

ودون معد فلتزعك العواذل (٢٥)

(٢١) ٣٥ فاطر : مكية ٦ ، ٥ .

(٢٢) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، ويكنى أبا عقيل ، من شعراء
الجاهلية وفرسانهم ، قدم على رسوله في وفد بني كلاب ، فأسلموا ورجعوا الى
بلادهم ، ومات وهو ابن مائة وسبعة وخمسين سنة ، في سنة إحدى وأربعين
للهجرة الشعر والشعراء ٢٨٠:١ ، ٢٨١ ، وخزانة الادب ٢٤٦:٢ ، ٢٤٧ ،
والاستيعاب ١٣٣٥ — ١٣٣٨ ، والاعلام ١٠٤:٦ .

(٢٣) الديوان ص ١٤١ القصيدة ٤٤ البيتان ٦٥٥ وفي الشعر والشعراء
٢٨٥:١ « يقسم » بدلا من « يعقل » .

(٢٤) نفس المصدر : « والدا » بدلا من « باقيا » .

(٢٥) الابيات في الشعر والشعراء ٢٨٥:١ ، والمتع ٣٧٤ ، ٣٧٥ والبيتان

الثاني والثالث في مجمع الامثال — مع تغيير طفيف ص ١٢٧ .

وقال في هذا المعنى الذى تضمنه هذا الباب صالح بن عبد القدوس (٢٦) :

كم رأينا من أبلج ذى عتو	لم تهبه المنون وهو مهيب
بينما يبتلى المدائن والاطمان	إذ باكرته الخطوب
فتردى ولم تجبه جنود	أحصروا حصر لأمر ينوب
بل حثت فوقه التراب ولم تصر	ف رداه إذ يهتف المكروب
وينادونه وقد صم عنهم	ثم قالوا وللنساء نحيب
ما الذى عاق أن تحير جوابا	أيها المقول الأديب الأريب
أن تكن لا تطيق رجوع جواب	فلقد ما ترى وأنت خطيب
ذو عظام وما وعظت بقول	مثل وعظ بالصمت إذ لا تجيب

وقال :

فان أملت أن تبقى فسائل	بما أفنى القرون الخاليات
(٢١/ب) وأين ذوو المعالى والمساعى	بنو الأحرار أهل المآثرات
وأين ثوت ملوك الروم واسأل	بحمير فى الدهور الماضيات
وأين ملوك بنى عبد شمس	ولاة منابر وبنو ولات
وأين الراتقون لكل فتق	وأين الموسعون ذوو الجدات (٢٧)

(٢٦) صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الجذامى، ويكنى أبا الفضل، شاعر حكيم، وكان متكلماً يعظ الناس فى البصرة، أتهم عند المهدي العباسى بالزندقة فقتله ببغداد نحو ١٦٠هـ. فوات الوفيات ١: ٣٩١، طبقات الشعراء ٨٩-٩٢، معجم الأدباء ٤: ٢٦٨ و ٢٦٩، الاعلام ٣: ٢٧٧، وتاريخ بغداد ٩: ٣٠٣. (٢٧) الجدات: الحظ والفنى والرزق. لسان العرب المحيط ١: ٤١٣.

وكتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر : « اعتبر بمن مضى قبلك ،
ولا تكن عبرة لمن بعدك ، لا تمتد أملك إلى ما ينفد ، فبذلك الطمع الكاذب ،
وانظر إلى حال نظرائك ممن سلف في الملك ، واعلم أن حكمك فيه
كحكمهم » (٢٨) .

فصل آخر في المواعظ

عدم الأمان للأيام :

ثم لا ينبغي للملك الممتع بطول المدة في ملكه ، والمنفس به في عمره ،
والسالم من نوائب زمانه ، والمظفر على أعدائه في أيامه ، والمدرِك منها كثيرا
من أمانيه وآماله ، أن يغتر بمساعدة الدولة له ، ومواتاة الدهر إياه ، ويتسنى
لطول الإملاء والامهال حوادث الأزمان ، وبغتات تغير الأيام ، حتى يغمض
عينه عن ملاحظة الغير ، ويغفل عن مراقبة الغير ، فان ذلك ربما يكون من
أعظم حجج الله عليه ، وأبلغ محنة له ، وقد ذكر الله ذلك كله في كتابه اذ
يقول : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) (٢٩) * ويقول
في قوم الكفار : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرا لأنفسهم
إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) (٣٠) *

وقال النبي ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع يقيمها الريح
مرة هكذا ومرة هكذا ، ومثل الكافر مثل الأرزة حتى يكون انجعافها مرة » (٣١)
وليعلم أن البقاء منها إلى فناء ، والظعن (٣٢) منها إلى ارتحال والصحة إلى

(٢٩) ٣٥ فاطر : مكية ٣٧ .

(٣٠) ٣ آل عمران : مدنية ١٧٨ .

(٣١) أخرجه البخاري ومسلم عن كعب بن مالك بلفظ « مثل المؤمن كالخامة
من الزرع ، تفيئها الريح مرة ، وتعديلها مرة ، ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى
يكون انجعافها مرة واحدة » صحيح البخاري ١٤٩٠:٧ مسلم ٢١٦٣:٤ برقم ٢٨١٥
واللؤلؤ والمرجان ٧٩١ ، الخامة : اللين من الزرع ، الارزة : جنس من اثن
الاشجار ، وانجعافها : الانقلاع .

(٣٢) الظعن : الارتحال ، ولا يستقيم بها المعنى ، والاصوب الاقامة .

سقم والسلامة والعافية إلى بلاء ومرض ، والسرور مشوب بالحزن ،
والصفو مما زج للكدر ، وإن كان كثير من الناس لعشقه بما يهواه ، وولوعه
بما يتمناه منها ، يرى صفوها ولا يرى كدرها ، ويبصر سرورها ، ويعمى عن
شرورها ، ويجد طعم ملاذها ولا يحس بآلامها ، كالمسموم الذى يجد حلاوة
العسل نلا يشعر بمرارة السم فيكون فى حلاوته هلاكه ، وقديما ما قيل :
(حبك الشيء يعمى ويصم)^(٣٣) ثم ليعلم أن بلوغ الأمانى ، وإدراك أطراف
الآمال واستقامة الأحوال (٢٢ / أ) التى هى غاية طلبته ونهاية أمنيته ،
سم قاتل ، وسيف مستأصل ، وإيذان بالآداب ، وقرب بالبوار . وقد بين
الله ذلك فى كتابه حيث يقول : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزمنت
وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن
لم تغن بالأمس)^(٣٤) . وقال فى قصة قارون : (وآتيناه من الكنوز ما إن
مفاتيحة لتتوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب
الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب
المفسدين)^(٣٥) . ثم حكى — عز وجل — أنه قال : (إنما أوتيته على علم عندى

(٣٣) ذكره الماوردى فى الامثال والحكم : حديث ص ٦٥ رواية بلال عن
أبى بردة عن أبيه وأيضا فى قوانين الوزارة ٩٧ ، كما رواه الامام أحمد فى مسنده
وأبى داود فى سننه والبخارى فى تاريخه عن أبى الدرداء الخرائطى ، وهو حديث
حسن كما ذكر السيوطى : الجامع الصغير ١٣٤ ويشير العجلونى فى كشف
الخفاء ١ : ٤١١ الى أن العرقى وابن حجر قررا : أنه يكفى سكوت أبى داود عليه
فليس بموضوع ولا شديد الضعف .
(٣٤) ١٠ يونس : مكية ٢٤ .
(٣٥) ٢٨ القصص : مكية ٧٦ ، ٧٧ .

أو لم تعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر
 جمعا (٣٦) ثم قال جل وعز : (فخشفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة
 ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) (٣٧) • وقال : (حتى إذا
 فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) (٣٨) • وقال أمير المؤمنين على (٣٩) رضى
 الله عنه : « كم من مستدرج بالاحسان ، وكم مغرور بالسفر عليه ، وكم
 مفتون بحسن القول فيه ، ما ابتلى الله أحدا بمثل الاملاء له ، لأن الله يقول :
 (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نهى لهم خير لأنفسهم) (٤٠) • وقد عرف ذلك
 الحكماء ، وذكره الشعراء ، فقال بعضهم ، وسئل عن حاله • كيف حال من
 يفنى ببقائه ؟ ويسقم بسلامته ! ويؤتى من مأمنه ؟ •

وقالت العرب : « من مأمنه يؤتى الحذر » (٤١) ، وقد يما قالوا : « ما
 استجمع لاحد أمله الا اسرع في تفريقه أجله » • وقيل : « يا ابن آدم لو
 رأيت الاجل ومسيره بغضت الامل وغروره » • وقد ذكر كثيرا من هذه
 المعانى أردشير في أول فصل من عهده حيث قال : « إن صيغ الملوك غير
 صيغ الرعية ، فالملك بطبعه العز والامن والسرور والقدرة على طباع الانفة

(٣٦) ٢٨ القصص : مكية ٧٨ •

(٣٧) ٢٨ القصص : مكية ٨١ •

(٣٨) ٦ الانعام : مكية ٤٤ •

(٣٩) على بن أبى طالب ، يكنى أبا الحسن رضى الله عنه ، ولد سنة ٣٢
 قبل الهجرة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن
 عم النبي وصهره ، واستشهد في سنة ٤٠ هـ وله اثنان وستون سنة . مشاهير
 علماء الامصار ٧٠٦ ، الاستيعاب ١٠٨٩ ، دول الاسلام ٢٣:١ ، وصفة الصفوة
 ١ : ٣٠٨ — ٣٢٥ •

(٤٠) ٣ آل عمران : مدنية ١٧٨ •

(٤١) قاله أكرم بن الصيفى الفاخر : ٢٦٥ ، مجمع الامثال ١٧٧:٢ ، نهاية
 الارب ٣ : ٥٣ •

والجراحة والبطر ، والعبت ، ثم إنه كلما ازداد في العمر تنفسا ، وفي الملك سلامة زاده في هذه الطبائع الأربع حتى يسلمه الى سكر السلطان الذي هو أشد من سكر الشراب ، فينسى النكبات والعثرات والغير والدوائر ، وفحش تسلط سلطان الأيام ولؤم غلبته الدهر فيرسل يده ولسانه بالقول والفعل » (٤٢) .

قال : « وقد قال الأولون منا عند حسن (٢٢ / ب) الظن بالأيام تحدث الغير » .

قال : « وقد كان من أولئك القوم من يذكره عزه الذل ، وأمنه الخوف ، وسروره الكآبة ، وقدرته العجز ، فاذا هو جمع بهجة الملك وفكرة السوق ولا حزم إلا في جمعها » (٤٣) .
وقد قال بعض الشعراء :

إذا تم أمر بدا نقصه	توقع زوالا إذا قيل تم (٤٤)
حياتك بالهم ممزوجة	فلا تقطع العيش إلا بهم
أطايب دنياك مسمومة	فلا تأكل الشهد إلا بسم (٤٥)

(٤٢) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ٤٩ .

(٤٣) نفس المصدر ص ٥٠ .

(٤٤) بنصه لدى الماوردي في قوانين الوزارة ١٥٦ ، وفي عيون الاخبار ٣٣٢:٢ ، وكتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ٢٩:١ وبدلا من كلمة (بدا) كلمة (دنا) .

(٤٥) أوردها الماوردي في أدب الدنيا والدين تحقيق مصطفى السقا ص ٢٣٩ على الترتيب التالي :

همومك بالعيش مقرونة	فما تقطع العيش الا بهم
إذا تم أمرا بدا نقصه	ترقب زوالا إذا قيل تم
إذا كنت في نعمة فارعها	فان المعاصي تزيل النعم
وحام عليها بشكر الاله	فان الاله سريع النقم
حلاوة دنياك مسمومة	فما تأكل الشهد الا بسم
فكم قسدر دب في مهلة	فلم يعلم الناس حتى هجم

وتنسب هذه الابيات لسيدنا على بن أبي طالب ، وتوجد في ديوانه ص ٥٣

وقال آخر :

أرى بصرى قد رابنى بعد كبرة وحسبك داء أن تصح وتسقى (٤٦)

وقال آخر :

أرى صاحب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعمها
كبان بنى بنيانه فأتمه فلما استوى ما قد بناه تهدما

قال : وكتب الاسكندر الى أرسطاطاليس بعدما نفذت يده في الشرق
والغرب، وبلغ من الملك ما لم يبلغه قبله أحد: أكتب الى بموعظة موجزة تردع
وتنفع ، فكتب إليه : « إذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب ، وإذا
هنتك العافية فحدث نفسك البلاء ، وإذا اطمأن بك الأمر فاستشعر الخوف
فإذا بلغت نهاية الأمل فاذكر الموت ، وإن أحببت نفسك فلا تجعل لها في
الإساءة نصيبا » (٤٧) .

قال : ووعظ بعض الحكماء ملكا فقال : « أيها الملك إن الدنيا دار عمل
والآخرة دار ثواب ، ومن لم يقدم لم يجد ، فمر نفسك حلوة عيشها بترك
الإشارة اليها ، وأعلم أن زمام العافية بيد البلاء ، ورأس السلامة تحت
جناح العطب ، وباب الأمن مستور بالخوف ، فلا تكونن في حال من هذه
النكت غير متوقع لأضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام الهلكة ، فإن

(٤٦) قائله حميد بن ثور الهلالي . ديوانه ص ٧ ، الايجاز والاعجاز : ٤٠
وبدلا من (كبره) (صححة) وبدلا من (تسقى) (تسلما) وكذا في عيون الأخبار ١٩١:٥ ،
ونهاية الارب ٦٥:٣ كما أورده الماوردي في الامثال والنحكم ص ١٦١ وفيه (بعد
صححة) بدلا من (بعد كبرة) .

(٤٧) سلوك المالك في تدبير الممالك : ١٤٩ ، وسراج الماوك للطرطوشي :

الزمان عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بعناية الاستعداد ، فإذا فعلت ذلك
استغنيت عن الوعظ » .

وقالوا : وكتب سليمان بن داود عليهما السلام على كرسيه : « إذا
صحت السلامة نزل البلاء ، وإذا تمت العافية نجم العطب ، وإذا ظهر
الأمن علا الخوف » (٤٨) .

وقال (٢٣ / أ) بعض من عرف هذه الدار :

ما أعجب الدهر في تصرفه ونقل سلطانه ودولته
من كان يدري أن النعيم الى يؤس رأى الهم في مسرته
وقال آخر :

يريد الفتى طول السلامة جاها فكيف يرى طول السلامة يفعل (٤٩)
وقال آخر : (٥٠)

كانت قناتي لا تلين لغامر فألأنها الاصباح والامساء
ودعوت ربي بالسلامة جاها ليصحنى فاذا السلامة داء

(٤٨) ورد في قوانين الوزارة للماوردي : ٨٤ ، الخوارزمي في مفيد العلوم
ومبيد الهموم : ٢٠٤ ، والطرطوشي في سراج الملوك : ٣٥٦ .
(٤٩) في الامثال والحكم — تحقيقنا — ص ١٤١ فيه (يود) بدلا من (يريد) ،
و (جاها) بدلا من (البقا) .
والبيت لـ (نمر بن تولب) وهو من أمثاله السائرة ، شعره القصيدة
٣١ البيت ٢٢ ، الايجاز والاعجاز : ١٤٥ ، نهاية الارب ٦٧:٣ ، جمهرة أشعار
العرب : ٢١٩ ، المتع : ١٧٦ ، الحيوان للجاحظ ٥٠:٣ ، بهجة المجالس
٢٣٧:٢ ، وعيون الاخبار مجلد ٣٢١:٢ .
(٥٠) هو الشاعر عمرو بن قميئة توفي نحو ٨٥ قبل الهجرة . زهر الاداب
٣٢٢:٢ ، المتع : ١٧٦ الكامل ٢١٨:١ ، عيون الاخبار ٣٢٢:٢ ، العقد الفريد
٣٢٥:١ ، الايجاز والاعجاز : ٤٠ ينسبه الى النابغة الجعدي ، وفي ذيل ديوان
لبيد : ٢٢١ ، ديوان عمر بن قميئة ص ٧٧ من المنسوب اليه ، وللنمر بن تولب
في ديوانه : ١٢٩ .

فصل آخر

الوقت وصالح العمل :

وليلعم المنهمك في لذاته ، والحريص على نيل شهواته ، والمفتون بآماله وأمنيته ، أنه لا ينال منها شيئاً إلا بثلاثة أشياء :

(الأول : أنه) ^(٥١) يفنى فيه أيامه المحدودة ، التي هي أعظم الأشياء عنده خطراً ، وأجلها لديه قدراً ، وأعزها فقداً ، والذي كل فائت سواء مستخلف ، وكل ذاهب بعده مرتجع .

والثاني : أنه يقرب به من أجله ، ووقت وفاته (وهو) ^(٥٢) هادم لذاته ومنغص شهواته ، وقاطع آمانيته .

والثالث : أنه يشغل ويعقل ^(٥٣) بطلبه إياه وسعيه له حظاً من الآخرة التي هي دار قراره ومجتنى ثمرات أعماله ، فإذا فكر في قدر ما يناله في حيث ما يفوته ، لم يزد قدره ، ولم يتبين له خطراً ، وعلى حسب ذلك يجب أن تكون رغبته فيه وميله إليه ، وكلفه به .
وفي بعض ذلك ما يقول الشاعر :

ما نلت شيئاً من الدنيا تسريه إلا وأنت به تدنو من الأجل

وقال الحسن البصري : ^(٥٤) « إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يوم ذهب

(٥١) ما بين القوسين ، ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه .

(٥٢) هو : ساقط من الاصل .

(٥٣) يعقل : يحبس ويعطل .

(٥٤) هو الحسن بن أبي الحسن ، ويكنى أبا سعيد ، من علماء التابعين جمع بين العلم والعمل والعبادة ، وكان أحد كبار أئمة عصره ، وإمام البصرة ، وتلمذ عليه كبار الفقهاء والمتكلمين المسلمين ، توفي سنة ١١٠ هـ . ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٦:٧ ، أحمد بن حنبل : الزهد ٢٥٨:٢٨٩ ، أبو نعيم الاصبهاني : حلية الاولياء ١٣١:٢ ، ابن الجوزي : الحسن البصري نشرها الخانجي ١٩٣١ ، والدكتور احسان عباس ترجمة مطولة عن الحسن البصري طبعة دار الفكر العربي .

بعضك » (٥٥) « يا ابن آدم انك للم تنزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك » (٥٦) .

وقد قال رسول الله ﷺ : « ما من ساعة تمر على ابن آدم لا يذكر الله فيها إلا كانت حسرة عليه يوم القيامة » (٥٧) . واستحسن من الحجاج (٥٨) كلامه على المنبر : « إن امرأ ذهب من عمره ساعة في غير ما خلق له لخايق أن تتناول عليه حسرته » .

وقال آخر : في الضن بالأيام والساعات .

شاع في الفناء سفلا وعلوا وأراني أموت عضوا فعضوا (٥٩)

(٢٣ / ب)

ليس من ساعة مضت بى إلا نقصتني بمرها بى جروا (٦٠)

(٥٥) حلية الاولياء ٢: ١٤٨ ، ١٥٥ .

(٥٦) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون ج٣

ص ١٣٣ .

(٥٧) رواه الطبراني في الاوسط ، وفيه عمرو ابن الحصين العقيلي ،

وهو متروك . مجمع الزوائد ١٠: ٨٠ .

(٥٨) الحجاج بن يوسف الثقفي ، ويكنى أبا محمد ، أمير العراق ، كان

جبارا عنيدا ، ومخازيه كثيرة بيد أنه كان عالما فصيحا مفوها مجودا للقرآن ،

يقال أنه قتل أكثر من مائة ألف نفس صبورا ، وسمعوه يقول عند الموت : رب

اغفر لى فان الناس يزعمون أنك لا تغفر لى . ومات في سنة ٩٥ هـ عن ثلاث

وخمسين سنة من العمر . تاريخ الامم والملوك ٨: ٩٦ ، وفيات الاعيان :

٢٤: ١ — ٣٤٨ ، دول الاسلام لاذهبي ١: ٦٥ ، وتهذيب التهذيب ١: ٢١٠ ،

الكامل في التاريخ ٤: ١٣٢ .

(٥٩) بهجة المجالس ٢: ٣٣٨ وينسبه لمحمود الوراق .

(٦٠) هكذا في الاصل . والجرو : هو الصغير من كل شيء .

وقال آخر في هذا المعنى :

ما هي إلا ليلة ثم يومها	وحول إلى حول وشهر إلى شهر
مطايا يقربن الصحيح من البلا	ويدنين أشلاء الكريم من القبر
ويتركن أزواج الغيور لغيره	ويقسمن ما يحوى الشحيح من الوفر

فصل آخر

غرور الانسان وضعفه :

وليعلم المتكبر المختال : بما ينال فيها من الغرور والمقدرة ، والاموال والبسطة والملك والرفعة ، المعجب بما أوتى من العدد والعدة ، والمنعة والقوة أنه وإن كان عزيزا بالاضافة الى غيره فمن تحت يده ، وغنيا بعوارى القيمات (٦١) عند فقراء رعيته قادرا بالاضافة إلى ضعف حاشيته ، فإنه في نفسه وبالاضافة الى القادر عليه ذليل فقير ضعيف مهين ، وكيف لا يكون كذلك ؟ وهو ممن يؤذيه البراغيث والذباب والبعوض والديدان وكثير من الهوام (٦٢) فلا يمتنع بقوته عنها ، ولا يتنصف (٦٣) عن كثير منها . ثم انه ان (٦٤) نظر إلى كبار خلق الله في سمواته وأرضيه ، وجباله ، وبحاره ، ومائه ، وناره ، لم ير لجسمه الصغير الضعيف في جنبه مقدارا ، ورأى صغره عنها عيانا جهارا ، وإذا ذكر حالته في بدئه وانقضائه ، وأوله وآخره وجد أوله (٦٥) نطفة قذرة، وآخره تربة مذرة (٦٦) ، وهو فيما بين الحالتين وعاء لأنتن الأنتان ، وأقذر الأقدار ، ثم إن فكر في عاقبة أمره ، ومرجع شأنه ، وجد جسمه الذي ربه (٦٧) طعاما لأضعف الحيوان ، وأوهن الدواب من الحشرة والديدان ، ثم إن فكر في ضعف جسمه ، وقلة حيلته ، وصغر قدره إذا وجعه

(٦١) بعوارى القيمات : بما أعطى من الاشياء القيمة .

(٦٢) الهوام : الحشرات .

(٦٣) يتنصف : يقدر .

(٦٤) هكذا في الاصل ، ويبدولنا الاصح : اذا .

(٦٥) في الاصل : وجدوا له .

(٦٦) مذرة : قذرة .

(٦٧) ربه : زاده ونماه .

بعض أعضائه ، وضرب عليه بعض أجزائه الدالة بضعف تركيبها على سرعة
الأنحلال ، ورأى أنه لا يدفع عنه جنوده ، ولا تغنى خيوله وحصونه ، فكيف
إذ جاء مالا بد منه ، وقد تفاقم داؤه وعز دواؤه ، واشتد قلقه ، وضاق
نفسه ، وعرق جبينه ، واشتد أنينه ، وغارت عيناه ، وتقلصت شفتاه ،
وارتعدت فرائصه ، وكلت (٦٨) جوارحه ، وعاین سكرات الموت ، وحسرات
الفوت ، وأيقن بترك ما جمع ، وأوعى ، والخروج مما شيد وبنى ، وبفراق
من عشق وأحب ، وعاین آثار ما عمل واكتسب وود أنه (٢٤ / ٩) كان
أضعف خلق الله ، وأفقرهم ، وأقلهم ، وأخملهم ، ثم عمل بطاعة الله واجتنب
معصيته . فمن لم يشاهد ذلك من نفسه ، فقد شاهده من غيره ، وعلم أنه
لا محالة إليه مصيره ، ومنقلبه ، وما بعد أمره أمر وأدهى ، وأشد وأبقى ،
ثم ليذكر مقدار الأرض التى هو يملك بعضها فى خلق الله من أفلاكه ونجومه
وسماواته ، ثم مقدار مملكته ورعيته من الأرض ومن فيها ، ثم مقداره من
رعيته ، فإنه إذا فكر فيه بانتهى له قلته ، وعلم أنها من صغار الهمم والأقدار
(أقل البلى) (٦٩) ، حيث لم تسم همته إلا إلى إدراك مملكته القليلة المقدار
الضيقة الرقعة فى جنب الملك الكلى والعز الأبدى .

فإذا عرف ذلك من نفسه فعلى حسبه أن يكون تكبره وتجبهره وخيلاؤه
وتخونه ، وليعلم أنه لا يتكبر أحد ولا يختال بسلطان (٧٠) يناله إلا جاهل
بمقداره ، قليل المعرفة بنفسه ، قصير الهممة صغيرها ، إذ كان يرى أن

(٦٨) كلت : تعبت وضعفت .

(٦٩) غير واضحة فى الأصل .

(٧٠) سلطان : وفى الأصل السلطان .

سلطانه فوق قدره ونفسه دون ملكه . ثم لو بعدت همته وأرتقت (٧١)
معرفته لما رضى بالفانى عن الباقي بدلا ، وبالدينيا عن الآخرة عوضا .
وقد قال بعض الحكماء : لم يتكبر أحد إلا لصغر قدره ، ودناءة نفسه ،
وقد قال ذلك عمرو بن عبيد حين قيل له : أقتنعت من الدنيا بخبز وشعير ،
فقال : أقنع منى من رضى بالدينيا عوضا عن الآخرة . وقيل للعتابي : (٧٢)
فلان بعيد الهمة قال : اذن لا غاية له إلا الجنة . وقال أرسطاطاليس
للاسكندر : إياك والعجب فإنه يفسد كبير الفضل .

(٧١) وارتقت ، غير واضحة بالاصل .
(٧٢) العتابي هو كلثوم بن عمرو ، ويكنى أبا عمرو ، وكان شاعرا محسنا ،
وكاتبا فى الرسائل مجيدا ، مات سنة ٢٢٠ هـ . الشعر والشعراء تحقيق أحمد
شاکر ج٢ ص ٨٦٧ ، تاريخ بغداد ٤٨٨: ١٣ ، معجم الادباء تحقيق مرجليوث
ج٦ ص ٢١٢ — ٢١٥ .

فصل آخر

التخلي عن الشهوات :

وليذكر الملك الفاضل : إذا انبسط أمله ، وازدحمت أمانيه ، أن عمره في هذه الدار وإن طالت أيامه ، وتتابع أعوامه ، ثلاثة أيام : فيوم منقضى بما فيه لا يعود إليه أبدا ، ويوم منتظر ليس في يده منه إلا آماله وأمانيه ، ويوم هو فيه قد آذنه بالرحيل عنه سريعا ، لا يبقى عليه بؤسه ولا يلبث له نعيمه ، حتى يصير يومه أمسه ، وغده يومه ، وإن شاء جعله ساعات ، فإنه يجتهد على هذه السبيل فلا يطولن عليه الأمد ، ولا يهولنه الصبر عن شهوة مخلقة للعرض مفسدة للمروءة ، مكسبة (٢٤ / ب) للمذمة ، موجبة للعقوبة فإنما هو صبر يوم واحد من عمره أو ساعة من يومه ، إن صبر فيها عن شهوة فاحشة أصلح بها حياته الأبديّة الدائمة ، وإن ارتكب فيها محرما أفسدها ، فلينظر في مقدار يومه وساعته من مقدار الأبد والحياة السرمدة ، وفي الشهوة المنقضية في نيل الشهوات الدائمة ، قرب شهوة ساعة قد أورثت حزنا طويلا قال الله جل وعز في هذا المعنى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) (٧٣) وقال : (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) (٧٤) وقال الرسول ﷺ « إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف فقال تحت شجرة ساعة ثم سار وتركها » (٧٥) ، وقال « ما الدنيا في الآخرة إلا كرجل أدخل

(٧٣) ١٦ النحل : مكية ٧٧ .

(٧٤) ٧٠ المعارج : مكية ٧٦٦ .

(٧٥) أخرجه الترمذى عن عبد الله بن مسعود بلفظ قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء ، فقال : « مالى وما للدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . الجامع الصحيح ٤ : ٥٨٩ ، تيسير الوصول ٢ : ١٠٤ ، وقال أي نام وقت الظهيرة .

أصبعه في اليم فليُنظر بماذا ترجع إليه » (٧٦) ♦

وقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » (٧٧) ♦

وقال فيه بعض الشعراء :

هو السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما ترك العين في النوم
لا تعجلن رويدا إنها دول دنيا تنقل من قوم إلى قوم

وقال لبيد :

فأضحى كأحلام المنام نعيمهم وأى نعيم خلته لا يزائل
وفي الترهيد عن الشهوات ما قال بعض الحكماء : العبيد ثلاثة : عبد
الرق ، عبد البدر (٧٨) ، وعبد الشهوة ، وهو شرهم حالة ، وأذمهم عاقبة ،
وقد قال بعض حكماء الفرس لبعض ملوكها : أما استحسننت من العقل أن
تبدل اسم الكريم (٧٩) لثيما واسم الحر عبدا ؟ أألمت تعلم أن اسم العبودية
واللؤم إنما يقع على الشهوات لأن صاحبها مستعبد أبدا مجرور مسحوب ،

(٧٦) أخرجه الترمذي عن قيس بن أبي حازم ، وقال : ان الحديث حسن صحيح . الجامع الصحيح ٥٦١:٤ ، كما أخرجه الحاكم في مستدركه عن قيس ابن أبي حازم عن المستورد رضي الله عنه ج ١٩:٤ .

(٧٧) أخرجه الترمذي عن ابن عمر قال : أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال : « وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور » فقال — لى — ابن عمر : إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك لا تدري يا عبد الله ما أسمك غدا » الجامع الصحيح ٥٦٨:٤ ، وقد أورد الماوردي الحديث في قوانين الوزارة ص ٨٣ .

(٧٨) البدر : جمع بكرة ، وهى المال الكثير . تاج العروس ٣٤:٣ .

(٧٩) فى الاصل : الكرم .

والعقل كريم . أو ما رضيت حتى جعلت الكريم للتئيم مركبا ، والحر للعبد
عبدا ، وسميت حرا كريما ، وسميت عاقلا لبيبا ، جعلت عقلك لشهواتك عبدا
ورأيك لهواك مركبا ؟ *

وقال بعض الزهاد : إن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا ، والحرص
والشهوة صير الملوك عبيدا *

وقال بعض الشعراء :

(هواك — فلا تكذب — عليك أمير
وأنت رهين في يديه أسير)

(٢٥ / ١)

يسومك عصيانا وأنت تطيعه وطاعته عار عليك كبير

وقال آخر :

كم أسير لشهوة وقتيل اف للمشتهى خلاف الجميل
شهوات الإنسان تكسبه الذل وتلقيه في البلاء الطويل

فصل آخر

الدنيا عدو في ثياب صديق :

وليذكر المنهمك في شهواته ، والمشتهر بلذاته ، أنه لا يعشق شيئاً من الدنيا ويهواه ، ويشتهيه ويتمناه إلا وهو إذا ناله وظفر به مله وسئمه ، وكرهه عن قريب قربه ، حتى يلفظه لفظ المرار ، ويمجه مج الأجاج ، ويمله ملال البغيض ، ثم إنه لا ينال شيئاً يشتهيه إلا بكثير مما لا يشتهيه . فلا ينال الملك إلا بالخدمة الطويلة ، والرياضة الصعبة الشديدة ، والمخاطرة العظيمة ، والأشغال الكثيرة ، والآمال البعيدة ، التي ربما أتت دونها المنية ، وإذا كان هذا هكذا فترك الطلب لشهوات الدنيا بما يفوت به الدين أولى بالملك العاقل ، وأشبهه بأفعال الحازم الكامل سيما إذا كان فيها مرتكباً إثماً وعاراً ، يدحض الدين ، ويبقى قبـح الأحداث أو راغباً في لذة حيوانية يشاركه فيها البهائم المبهمة والسباع الضارية ، والكلاب العاوية ، وضعاف الحيوان من الهوام والحرشة ^(٨٠) ، لأن الصبر عن المحبوب والنجاة من المكروه كالكفر بالمحبوب والوقوع في المكروه سواء لا تفاوت بينهما . هذا وربما كانت المكاره فيما يظنه محاباً ، والفساد فيما يحسبه صلاحاً والهلاك فيما يتوهمه نجاة . فقد يجمع الملك والجنود ليكونوا له عدة على أعدائه وجنة عند لقائه ، فيكون فيهم هلاكه .

(٨٠) الحرشة جمع حريش دويبة صغيرة وهي أكبر من الدود على قدر الاصبع . لسان العرب المحيط ٦٠٨:١ .

ويكسب الحريص مالا ليريجه من تعب الفقر ونصب الحاجة فتكثر به حاجاته ويزداد تعب ، ويربى الولد ليكون له عضدا وعلى اعدائه يدا ، وربما كان أعدى اعدائه له وشر منابذيه عليه ، فحقيق بالملك إذا أبصر بالدنيا على هذه الصورة ، وعلم أن داءه فيها من دوائه ، ومكروهه في محبوبه ، وعدوه من صديقه ، أن يجعل سعيه فيها تزودا إلى غيرها ، وقصدا لما سواها ، وقد عرف ذلك من قال فيها :

(٢٥ / ب)

إذا امتحن الدنيا لبيب تكتشف له عن عدو في ثياب صديق (٨١)
وقد قال الحسن البصري في صفة الدنيا : « فأصبحت كالعروس
المجلوة ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب لها والهة ، والنفوس لها عاشقة ،
وهي لأزواجها كلهم قاتلة » (٨٢) .

وقد كتب الحكيم إلى الاسكندر : « ما رغبتك في شيء لو كان محمودا
لما كان في الدواب منه أكثر مما فيك ، وهو أقوى عليك ، فما الفخر فيه
والدواب أكثر فيه منك ، وهو يهتك العمر ، وينقص البدن ، ويفسد السنة »
قال : « وقد تنازع النفس منازع شديد المؤنة وهو النهمة ، والنهمة تنتج
الندامة ، والندامة تنتج الدناءة ، والدناءة تنتج سقوط النفس ، وسقوط
النفس تنتج الميل إلى المحقرات ، والميل إلى المحقرات هتك لكل فضيلة » .
ومن هذه الآفة تحدث الاوجاع العجيبة والامور المفسدة والفجور ،
وما أشبه ذلك .

(٨١) قاله أبو نواس . ديوانه ص ١٢٩ ، عيون الاخبار ٣٣٢:٢ ، الشعر
والشعراء ٨١٩:٢ ، والايجاز والاعجاز للثعالبي ٤٧ ، المحاسن والمساوىء
٤٨:٢ ، والمضنون به على غير أهله ٨٧ ص ٤٣ ، التمثيل والمحاضرة ص
٨٩ ، وبهجة المجالس ج ٢ ص ٢٩٥ ، التذكرة السعيدية ص ٤١٩ .
(٨٢) هي جزء من كتابه الى عمر بن عبد العزيز . والنص في الحلية ١٣٥:٢

فصل آخر

محاسبة الله للملوك :

وليعلم الملك المتدين بدين الحق والمعتز بملة الاسلام ، أن الله انما استرعاه عباداه ، واستنعمه بلاده ، ومن بأنواع نعمه عليه ، وصنوف أياديه لديه ، محنة له وابتلاء ، وقد بين الله ذلك في كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل حيث قال : (الذى ^(٨٣) خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) ^(٨٤) . وقال : (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) ^(٨٥) . وقال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) ^(٨٦) . وقال النبى ﷺ « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون » ^(٨٧) وأنه سائله عما استرعاه ، ومحاسبه فيما استحفظه وآتاه على مثاقيل الذر ، وموازنين الخردل ، كما بين ذلك في كتابه حيث يقول : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ^(٨٨) وقال : (لتسألن عما كنتم تعملون) ^(٨٩) . سؤال مفرد

(٨٣) فى الاصل : هو الذى .

(٨٤) ٦٧ الملك : مكية ٢ .

(٨٥) ٤٧ محمد : مدنية ٣١ .

(٨٦) ٢١ الانبياء : مكية ٣٥ .

(٨٧) اخرجه مسلم ٢٠٩٨:٤ رقم ٢٧٤٢ فى كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل

الجنة الفقراء .

(٨٨) ٢١ الانبياء : مكية ٤٧ .

(٨٩) ١٦ النحل : مكية ٩٣ .

ومحاسبة مفزع ، لا سؤال مستفهم يحتمل التغيير ولا محاسبة مستعلم
يجوز عليه التلبيس ، ثم هو محتج عليه بما اتاه من صنوف نعمه
وقسم له من جزيل قسمة ، وما سخر له من عباده ، ومهد له في بلاده ،
وملكه من أمواله وخزائنه . ثم هو محتج عليه (٢٦ / أ) بما أقام في خلقه
من الدلائل على حكمته ، وأنه لم يخلق الخلق عبثا ، ولم يتركهم
سدى ، ثم هو محتج عليه بكتابه الذي أنزل ، وأمره باتباعه في فرائضه
وأحكامه ، وبرسوله الذي أرسل وأمره بالاعتداء به في سيره وآثاره ، ثم
هو سائله عن كل ما أمره به من إصلاح نفسه وإقامتها على طاعته ،
وأوامره وفرائضه ، ثم سائله عن خاصته الذين أمره (٩٠) بتأديبهم
وتقويمهم ، والاستعانة بهم على تنفيذ أموره ، وإمضاء أحكامه ، وإقامة
حدوده وأعلامه ، ثم عن عباده الذين استرعاه إياهم ، حتى عن آخر عبد
وأمة في أقصى مملكته وأدناها ، وأسفلها وأعلاها ، وأنه لا ينجيه منها إلا
الصدق ، ولا يرضيه إلا الحق ، ومن وراء الحساب والسؤال فوز عظيم ،
أو عذاب أليم ، فوز لمن بطاعته عمل في نفسه ، والعدل في عباده ، والحق
في بلاده ، وأداء الأمانة في أمواله ، وعذاب على من عمل بمعاصيه ، وارتكب
مناهية ، خبر من الله — جل ذكره — حق ، وقول صدق ، حيث يقول (يوم
تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت) (٩١) وهم
لا يظلمون) (٩٢) وقال : (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) (٩٣) وقال : (رسلا

(٩٠) في الاصل : أمرهم .

(٩١) في الاصل : ما كسبت .

(٩٢) ١٦ النحل : مكية ١١١ .

(٩٣) ٢ . التكاثر : مكية ٨ .

مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (٩٤) وقال :
(بل الانسان على نفسه بصيرة) (٩٥) *

وقال رسول الله ﷺ : « ما من وال يلي (٩٦) ولاية إلا جاء يوم القيامة
ويداه مغلوانتان أنجاه عدله وأهلكه جورته » (٩٧) ، ثم قال الله في تقسيم
العاصيين والمطيعين : (فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي
المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي
المأوى) (٩٨) وقال (يوم يأت لا تكلم نفس الا بأذنه فمنهم شقى وسعيد فأما
الذين شققوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات
والأرض) (٩٩) ، فهم في عذاب دائم ، وألم غير منصرم ، إن بكوا لم يرحموا
وإن صبروا لم يؤجروا ، وإن استغاثوا لم يغاثوا ، (لا يقضى عليهم
فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها) (١٠٠) وإن سألوا الرجعة ليعملوا
صالحا قيل لهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) (١٠١) ، ثم يقول الله محتجا
عليهم : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) (١٠٢) وإن افتدوا

(٩٤) ٤ النساء : مدنية ١٦٥ .

(٩٥) ٧٥ القيامة : مكية ١٤ .

(٩٦) في الاصل (والى) والصحيح ما ذكرنا .

(٩٧) أخرجه الامام أحمد بن حنبل والطبراني عن أبي أمامة بلفظ « ما من
رجل يلي امر عشرة فما فوق ذلك الا أتى الله يوم القيامة مغلوله يداه الى عنقه
فكه عدله أو أوبقه اثمه » ومن رجاله يزيد بن أبي ملك وثقة ابن حبان وبقيّة
رجالهم ثقات . مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ والمسند ٢٦٧ : ٥ .

(٩٨) ٧٩ النازعات : مكية ٣٧ الى ٤٠ .

(٩٩) ١١ هود : مكية ١٠٥ : ١٠٧ .

(١٠٠) ٣٥ فاطر : من الآية ٣٦ .

(١٠١) ٢٣ المؤمنون : مكية ١٠٨ .

(١٠٢) ٣٥ فاطر : مكية ٣٧ .

لم يقبل منهم (٢٦ / ب) • يقول الله عز وجل : (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه ، كلا ••) (١٠٣) •

ويقول : (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ، ولهم عذاب أليم) (١٠٤) •

(واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ) (١٠٥) وقد وصف الله نعيمهم مجملا فقال (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) (١٠٦) ، وقال : (وفيها ما تشتهيہ الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) (١٠٧) ، وقال : (لهم فيها ما يشاءون) (١٠٨) ، وقال : (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها ، وزللت قطوفها تذليلا) (١٠٩) ، وقال : (حور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون) (١١٠) ، وقال : (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) (١١١) ، وقال : (إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (١١٢) ، وقال : (ولا يمسنا

(١٠٣) ٧٠ المعارج : مكية ١١ : ١٥ •

(١٠٤) ٥ المائدة : مدنية ٣٦ •

(١٠٥) مجذوذ : مقطوع ، والآية من سورة هود ١٠٨ •

(١٠٦) ٥٠ ق : مكية ٣٥ •

(١٠٧) ٤٣ الزخرف : مكية ٧١ •

(١٠٨) ١٦ النحل : مكية ٣١ •

(١٠٩) ٧٦ الانسان : مدنية ١٤ •

(١١٠) ٥٦ الواقعة : مكية ٢٢ الى ٢٤ •

(١١١) ٥٢ الطور : مكية ٢٤ •

(١١٢) ١٥ الحجر : مكية ٤٧ ، ٤٨ •

فيها لغوب (١١٣) ، وقال : (يا عباد (١١٤) لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) (١١٥) .

وقال الرسول ﷺ « قال الله : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » (١١٦) . في آي وآثار مثلها كثيرة . ثم قسم الله الأئمة قسمين : فقال في بعضهم : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) (١١٧) وقال في آخرين : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (١١٨) .

فلينظر الملك المتدين أي الإمامين هو ؟ ومن أي الفريقين يعد نفسه ؟ فقد قال النبي ﷺ « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » (١١٩) ، وقال : « الكيس من دان نفسه وعمل بما يرضى الله » (١٢٠) ، فان الله جل وعز — أبي أن يجعل العاصين له كالمطيعين ، والمصلحين كالمفسدين عقلا وخبرا ،

(١١٣) ٣٥ فاطر : مكية ٣٥ .

(١١٤) في الاصل : يا عبادى .

(١١٥) ٤٣ الزخرف : مكية ٦٨ .

(١١٦) متفق عليه بين أئمة الحديث عن أبي هريرة : رياض الصالحين

٦٦٧ .

(١١٧) ٢٨ القصص : مكية ٤١ ، ٤٢ .

(١١٨) ٣٢ السجدة : مكية ٢٤ .

(١١٩) من أقوال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انظر الجامع الصحيح

للترمذى ج٤ ص ٦٣٨ ، المصباح ج١ ص ٣٥٣ ، والخطبة ج١ : ٥٢ ، صفة الصفوة ج١ : ١٠٩ ، سيرة عمر ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(١٢٠) أخرجه الحاكم في مستدركه عن شداد بن أوس رضى الله عنه بلفظ

« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع هواها وتمنى على الله عز وجل » ج٤ : ٢٥١ .

فقال في محكم كتابه : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (١٢١) ، وقال : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) (١٢٢) ، ثم قال : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (١٢٣) ، وقال : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) (١٢٤) ، (٢٧ / أ) فليأتمر عبد بأمر الله في تدبر هذه الآيات ، وليصدق بها إذا عرف حقها ، ولا يقول العبد : إني أصر على المعاصي وأتمنى على الله الأمانى ، وأرجو رحمة الله فإن الله جعل رحمته للمؤمنين المحسنين ، فقال : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) (١٢٥) ، وأعد مغفرته للأوابين التوابين فقال حاكيا عن ملائكته وحملة عرشه (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) (١٢٦) ، وقال (فإنه كان للأوابين غفورا) (١٢٧) وقال : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) (١٢٨) ، وقال : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم

(١٢١) ٤٥ الجاثية : الآية ٢١ .

(١٢٢) ٣٨ ص : مكية ٢٨ .

(١٢٣) ٣٨ ص : مكية ٢٩ .

(١٢٤) ٦٨ القلم : مكية ٣٥ ، ٣٦ .

(١٢٥) ٧ الاعراف : مكية ٥٦ .

(١٢٦) ٤٠ غافر : مكية ٧ .

(١٢٧) ١٧ الاسراء : مكية ٢٥ .

(١٢٨) ٤٢ الشورى : مدنية ٢٥ .

مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار (١٢٩) ، وقال : (يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) (١٣٠) ، ثم قال : (وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتكم العذاب ثم لا تنصرون) (١٣١) .

أو يقول العبد أرجو رحمة مع المعصية ، والمغفرة بلا توبة ، قال الله جل وعز : (تآك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) (١٣٢) .

وقد شاهد الملك خلاف ما أمله في سياسته ، وصدده في معاملته ممن تحت يده ، فإن الرجاء من توابع الإحسان ، والخوف من توابع الإساءة ، فمن أساء في فعله كان الخوف أولى به من الرجاء ، فلا يطلبن شيئا من غير وجهه فيجرمه ، ولا يضعنه في غير موضعه فيضيع ، وليعلم الملك المتدين أنه لا بد له من المصير الى حالة يتمنى أن لو جاز له التمنى أن يعتاض (١٣٣) يوما واحدا يعمل فيه بطاعة الله بجميع الدنيا ، ولو كانت بحذافيرها ، وعسى أن يكون قريبا ، فليغتنم هبة الله الجليلة في أيامه فانما هي رأس ماله ، وطلب الربح مع خياع رأس المال متعذر عسير .

فكفى بما قدمناه من هذه المواعظ موعظة لتعظ ، وتذكرة لمن وفقه الله

لطاغته وعصمه من معصيته .

(١٢٩) ٣ آل عمران : مدنية ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١٣٠) ٣٩ الزمر : مدنية ٥٣ .

(١٣١) ٣٩ الزمر : مدنية ٥٤ .

(١٣٢) ٢٨ القصص : مكة ٨٣ .

(١٣٣) يعتاض : يستبدل .

الباب الخامس

في سياسة النفس ورياضتها

الملوك وتقوى الله :

ومما يجب أن يقدم في هذا الباب ، أنا لم نقصد في كتابنا هذا ما يعده كثير منهم أدباء في الجلسة ، واللبسة ، والركبة (٢٧/ب) والطعمة ، والانيات التي يتجهلون بها فيما بينهم ، والذى يتزبون به ، لأنهم بذلك أعلم منا ، وأنهم قد أخذوا منها فوق ما يمكننا وصفه وشرحه ، ثم قد ألف لهم أتباعهم وأبناء الدنيا منهم كتباً كثيرة قديمة وحديثة في دونها كفاية في هذه الأبواب ، ومندوحة عما يتكلفه متكلف من أهل هذا الزمان ، ولعل كثيراً مما فعلوه من ذلك ليست فيه فائدة في باب السياسة ، ولا جدوى على الراعى والرعية .

ولكننا أردنا أن نجعل كتابنا هذا كتاباً دينياً : نريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم ، ونظام ممالكهم وأحوالهم ، بكتاب الله رب العالمين ، وسنن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والملوك الأولين ، ونحذرهم سوء المصرع ولؤم الميته وقبح الأحداث ، واستحقاق العقوبة عاجلاً وآجلاً .

فنقول : ان أول ما يجب على الملك المعنى بأمور رعيته ، المهتم بحماية حوزته ، وعمارة بيضته ، تقوى الله ، فإنها أفضل ما تواصى به الفضلاء والعلماء ، وانها عصمة لمن اعتصم بها ، وحرز لمن تمسك بها ، وملجأ لمن لجأ إليها ، وامن لمن استشعرها ، وجمال لمن لبسها ، وعز لمن اعتر بها ، ومهابة

لمن استقبلها وسلاح لمن قاتل بها ، وذخر لمن اكتسبها ، وفضيلة لمن اقتناها
وهي مع ذلك وصيته جل وعز الى خلقه ، وأمره الملقى اليهم ، ووصية الانبياء
والمرسلين وعباد الله الصالحين ، والفضلاء من الملوك الماضين ، والحكماء
المتقدمين ، من أهل كل جيل وملة ودين ونحلة ، وقد تكفل الله لمتقيه بالفرج
والمخرج ، واليسر والنصر والرزق فقال : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب) ^(١) ، وقال : (ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون) ^(٢) ، وقال : (واعلموا أن الله مع المتقين) ^(٣) ، وقال : (ثم
ننجى الذين اتقوا) ^(٤) ، وقال : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزاه إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ^(٥)

وقد قال بعض شعراء الجاهلية في جاهليته وكفره :

يسر الفتى ما كان قدم من تقى إذا عرف الداء الذى هو قاتله ^(٦)
وقال الأعشى : ^(٧)

(١) ٦٥ الطلاق : مدنية ٣٠٢ وفى الاصل « لم » بدلا من « لا » .

(٢) ١٦ النحل : مدنية ١٢٨ .

(٣) ٢ البقرة : مدنية ١٩٤ .

(٤) ١٩ مريم : مكية ٧٢ .

(٥) ٦٥ الطلاق : مدنية ٥٤٤ .

(٦) ورد في حماسة الطرفاء للزوزونى ت ٤٣١ ج ١ ص ١٨٤ دون أن ينسبه
والحيوان ج ٦ ص ٥٠٧ ، وورد البيت في حلية الاولياء ١٥٢:٢ وأن الحسن
البصرى كان يتمثل بهذا البيت في أول النهار وفي آخر النهار يتمثل بالبيت التالى :
وما الدنيا بباقيّة لحي ولا حى على الدنيا بيباق

(٧) هو ميمون بن قيس بن جندل وكنيته أبو بصير ، ويعرف بأعشى
قيس ، والأعشى الكبير ، ولقب بذلك لضعف بصره ، وأدرك الاسلام ولم يسلم ،
مات حوالى سنة ٧ هـ . الشعر والشعراء ١: ١٢٣ ، والآغنى ٩: ١٠٨ .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
(٢٨ / ١)

ندمت على أن لا تكون كمثله
وأنت لم ترصد بما كان أرصدا (٨)
وقال زهير بن أبي سلمى ، وهو جاهلي : (٩)

رأيت التقى والبر خير تجارة
وما هو الا ما ابتنى في حياته
وذخرا إذا ما المرء أصبح ناقلا
إذا قدموا يوما عليه الجنادلا
وقال آخر :

ألا كل من يتق الله مصون
وان الذي نال التقى لسعيد
وقال آخر :

ولست أرى السعادة جمع مال
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
ولكن التقى هو السعيد
وعند الله للاتقى مزيد
وما لا بد أن يأتي قريب
ولكن الذي يمضى بعيد (١٠)

(٨) أورد الاصبهاني في الحلية (ج ٥ ص ٣١٨) عن عثمان بن عبد الحميد قال : دخل سابق البربري على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عظمي يا سابق وأوجز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ ان شاء الله ، قال هات فأنشده :
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ندمت على أن لا تكون شركته
وأفريت بعد الموت من قد تزودا
وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا
كما أورده ابن الجوزي : في سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٥ .
(٩) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، حكيم شعراء الجاهلية ، توفي سنة ١٣ قبل الهجرة . الاغانى ٢٨٨ : ١٠ ، خزانة الادب تحقيق عبد السلام هارون ج ٢ : ٣٣٢ .

(١٠) قاله الحطيئة تكلمة ديوانه ص ٢٥٢ ، والاغانى ١٧٥ : ٢ في وصية عبيد الله بن شداد لابنه ، والامالي ٣٣٥ : ٢ ، ولبسب الاداب ٢٢ ، عين الادب والسياسة ٢٦٨ ، وبهجة المجالس ١٩٦ : ١ ، البيت الاول وينسبه الى الحطيئة

قال (١١) افلاطون : التقى رأس النجاح ، وهو مفتاح القضايل (١٢) .
وقال أرسطاطاليس للاسكندر : تأدب بأهل التقى المشهورين
بالزهد (١٣) .

وقديما ما قيل : الولد بوالده ، والمتؤدب بمؤدبه ، والجند بقائدهم ،
والناسك بالدين ، والعامّة بالملوك ، والملوك بالتقوى ، والعقل بالثبوت (١٤)
وقد قال أردشير في عهده : سعادة الرعية في طاعة الملوك ، وسعادة
الملوك في طاعة الله المالك (١٥) .

في معنى التقوى :

وقرأنا لحكيم من ملوك الهند في عهد له إلى ابنه : واعلم أنك لست
بشيء إلا بالله ، وأنه ليس لك شيء إلا ما نلت من رضوان الله ، وإنك بان
تتقه في حقه عليك يقق شرا من ذلك ، وإن تتق فيه غيره لا يدفع عن نفسك
ولا يدفع عنك دافع .

ومعنى التقوى التي ذكرها الله ، وأثنى على عامليها ، هو إثارة طاعة
الله ، والانتهاز عن معصيته فالتقى هو المطيع ، والمطيع هو المؤمن ، والمؤمن
هو المسلم ، لأن هذه الأسماء كلها مدائح الله جل وعز لمن استحقها بالأفعال
الصالحة ، والمساعي الفاضلة ويشتمل على أفعال كثيرة ، وهي تنقسم إلى
خمس أقسام :

أولها : معرفة الله جل وعز — حق معرفة ، واحدا قديما ، احدا فردا
حكيمًا جوادا ، رحيمًا برا ، صادقا قادرا ، عليما ، حتى لا يشك عارفه ثم

(١١) قال غير موجودة بالاصل .

(١٢) نزهة الارواح ١٧٢:١ .

(١٣) وصية أرسطاطاليس للاسكندر ص ٣٩ مع تغيير طفيف .

(١٤) النص في كلية ودمنة ١٧٠ ، وعين الادب والسياسة ١٥٦ .

(١٥) النص في التاج لاخلق الملوك ص ١١ .

يسميه بأسمائه الحسنی ، ویصفه بصفاته العلیا ، فلا یضیف إليها شیئا
مما نفاه عن نفسه ، ولا ینفی عنه شیئا من خلقه ، ولا یجعل معه فی خلقه
(٢٨ / ب) شریکا ، ولا له منهم ندیدا ولا شبیها بوجه من الوجوه أو معنی
من المعانی •

ويعلم أنه بر بعبادة ، رحيم بخلقه ، لا يكلفهم الا الوسع ، ولا يريد
بهم الا اليسير ، ولا يعذبهم الا بذنب ، ولا يقضى عليهم الا بالحق ، ولا
يقول ولا يرضى لهم الا الصدق ، وأن قضاءه حق ، وقدره حتم ، وأن من
رحمته بخلقه ، وحسن نظره لهم ، أنه بعث الأنبياء مبشرين ومنذرين ،
وأنزل على ما أنزل منهم الكتاب المبين ، الذي هداهم به الى دار النعيم ،
وحذرهم به العذاب الأليم •

وثانيهما : (١٦) (ثم) الايمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وضمن أداء فرائضه
وما جاء النبی به ﷺ ، والبعث والنشور ، والثواب والعقاب ، والوعد
والوعيد ، وكل ما يجب على المؤمنین اعتقاده ، فإن هذا أساس الدين ،
وأصل أفعال المؤمنین ، وإن الله لا یقبل عملا مع الجهل به والشك فيه ،
والخطأ فی صفاته وأفعاله ، وإضافة السوء إليه وإشراكه فيه ، وإن طال
وكثر •

وثالثها : (ثم) القيام بأداء الفرائض التي هي : الصلاة ، والزكاة ،
والصيام ، والحج ، والجهد فی سبیل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن

(١٦) ثانيها ، ثالثها ، ورابعها ، ساقطة من الاصل •

المنكر على شرائطها ، وأوقاتها ، وصورها ، وتمامها وعند مكانها ، واستعادة القدرة عليها ، وارتفاع المعاذير دونها .

واجتناب الكبائر التي أوعده الله عليها بنار الأبد ، وأوجب فيها التنكيل والحد مثل الزنا ، والقذف ، وأكل الربا ، والرشا (١٧) ، وأكل أموال اليتامى ظلما ، والقتل ، والظلم وشرب الخمر ، ولعب الميسر ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

ورابعها : (ثم) إقامة حدود الله ، وامضاء أحكامه في عباده ، والقيام بالقسط في بلاده ، والحكم بالحق في دماءهم ، وأموالهم ، وأنفسهم ، وأبشارهم ، وفروجهم ، وأعراضهم ، وتجنب ظلمهم ، والتعدي عليهم ، والميل بينهم ، ثم الاقتداء برسول الله ﷺ في سننه الظاهرة ، وسيرته المستفيضة النافعة التي جعلها الله شعارا للأمة ، وأمارات للملة ما لم يوجد فرضها في كتاب الله نصا ، فإن كثيرا منها فرائض ، وكثيرا منها مواجب وبعضها أكد من بعض ، والله قد أمر بأخذها عن الرسول وتلقيها عنه بالقبول بقوله : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (١٨) ، وقوله : (وأطيعوا الله والرسول) (١٩) .

وخامسها (٢٠) : (ثم) التأديب (٢٩ / أ) بآداب الله والأقتداء بنبيه ﷺ فيها ، فإن الله لم يدع شيئا فيه صلاح خلقه ، في محياهم ومماتهم ،

(١٧) الرشا : ويعنى الرشوة .

(١٨) ٥٩ الحشر : مدنية ٧ .

(١٩) ٣ آل عمران : مدنية ١٣٢ .

(٢٠) وخامسها : (ساقطة من الاصل) .

وجمال معاشيهم ومعادهم ، مما ينالون به فضيلة أو ينتزهون به عن رذيلة
الاهداهم اليه ، وجثهم عليه ، وبصرهم به في كتابه ، وسنن الانبياء من خلقه
واليس شيء مما يقرب (٢١) ويزلف لديه في الآخرة الا وهو فضيلة لفاعله
وشرف وزينة ، ومدحة في الدنيا ، ولا شيء مما نهى عنه وزهد فيه في الدنيا
إلا وهو رذيلة ودناءة فيهما • فإن أسباب الدنيا موصولة بأسباب الآخرة ،
وفي صلاح إحداها صلاح الأخرى ، وفي فسادها فسادها •

الملوك وإقامة الدين :

وليس إقامة أمر الدين مما يجب على الملوك دون غيرهم ، إلا أن الملوك
أولى به ، وأحق باستعماله ، والأخذ بأدابه لخصال كثيرة منها : ما ذكرناه
من أن نعم الله — عز ذكره — عليهم أظهر ، وأياديه عندهم أكثر ، فالأولى
بهم أن يكونوا لله أشكر ، وأطوع ، وإلى أوامره ونواهيهم أسرع •
ومنها ، أن مقامهم الذي أقامهم الله فيه مقام الذاب عن حوزة الدين
والقائم بأمور المسلمين ، فاذا ضيع الملك شيئاً مما هو مفوض اليه ، ومعصوب
به ، ولم يعتد به غيره من رعيته ضاع ، وان ضيعه كثير من الرعية وقام به
هو لم يضيع •

ومنها ، ما قدمناه من أن فعل الملك أفعال ، وقوله أقوال ، لأنه إذا فعل
شيئاً اقتدى به في فعله ، واثمر لأمره ، فتصير أقواله سنناً وأفعاله سيرة
تبقى على مر الزمان وتتابع الأيام ، فإن فعل حسناً جرى له أجره ، وإن
فعل سيئاً جرى عليه وزره فقد روى النبي ﷺ أنه قال : « من سن سنة

(٢١) في الاصل : تقرب •

حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» (٢٢) الحديث •

ومنها ، إذا عرف بالتقوى والدين أحبته قلوب الرعية ، واتفقت عليه كلمة الخاصة والعامة ، ورغب أهل الدين والمعنيون به في مجاورته وصحبته ، ووثقوا منه بالعدل ، فإن رأوا منه محبوبا شكروه عليه ، وإن رأوا مكروها عذروه فيه ، إذا كان فعل من ذلك بما أوجبه الدين وأمر به رب العالمين •

ومنها ، أنه يزيده في قلوب الأعداء مهابة ، لأن للدين والصلاح والهدى والعفاف جلالة في النفوس ، ومهابة في القلوب والعيون ، وذلك مما يعرف مشاهدة ، ويعلم معاينة •

الملوك والفضائل الواجبة :

(٢٩ / ب)

وهذه الدلائل كلها تبين عما ذكرنا ، وتوضح ما قدمنا مع ما ذكرنا أن ذلك من رأى الملوك الفضلاء ، والأئمة العقلاء ، والأمراء الأمناء ، ففيهم قدورة ، وفي أقاويلهم ومذاهبهم حجة ، لمن أراد الاقتداء ومال إلى الاحتجاج فيما يراه ويختاره •

ثم مما يجب على الملك أن يقتنيه من الفضائل والمآثر والمناقب والمفاخر التي لا يستغنى عنها أو يحتاج إليها في الديانة والسياسة الحكيمة المليية يكسب بها الحمد ، ويستحق بها المدح ، ويستأهل (٢٣) بها الفضل •

(٢٢) رواه مسلم عن جرير ، صحيح مسلم الحديث ١٠١٧ ج ٤ ص ٢٠٥٩ كتاب العلم ، وسنن ابن ماجه الحديث ٢٠٣ ج ١ : ٧٤٠ والعجلوني : كشف الخفاء ٣٥٣ : ٢ •

(٢٣) « في الاصل يستأصل » •

في فضل العلم :

العلم ، فإن العلم من أجل الفضائل شأنا ، وأعلاها مرتبة ، وأسناها منزلة ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد رضى الله وصفا لنفسه ، وجعله في أول مراحله التي أمتدح بها إلى خلقه . فقال : (إن الله بكل شيء عليم) (٢٤) ، وقال : (عالم الغيب والشهادة) (٢٥) ، وقال : (وكان الله عليما حكيما) (٢٦) ، وقال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) (٢٧) ، وقال : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) (٢٨) ، وقال رسول الله ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » (٢٩) ، وقال : « يسير العلم خير من كثير العبادة » (٣٠) ، وقال : « إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب » (٣١) ، وقال : « الناس رجالان : عالم ومتعلم

(٢٤) ٨ الانفال : مدنية ٧٥ و ٩ التوبة : مدنية ١١٥ و ٢٩ العنكبوت : مكية ٦٤ و ٥٨ المجادلة : مدنية ٧ .
(٢٥) ٩ التوبة : مدنية ١٠٥ ، ٩٤ ، ١٣ الرعد : مدنية ٩ ، ٣٢ السجدة ، مكية ٦ .
(٢٦) ٤ النساء : مدنية ١٧ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ٤٨ الفتح : مدنية ٢٦ .

(٢٧) ٣ آل عمران : مدنية ١٨ .

(٢٨) ٣ آل عمران : مدنية ٧ .

(٢٩) أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء في حديثه (من سلك طريقا يطلب به علما) تيسير الوصول ٣ : ١٥٢ كما أخرجه ابن النجار عن أنس بن مالك « العلماء ورثة الأنبياء تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة » ، السيوطي : الجامع الصغير ٢١٠ ورمز إليه بالضعف . (٣٠) رواه الطبراني في الكبير ، وفيه خارجة بن مصعب ، وهو ضعيف جدا . مجمع الزوائد ١ : ١٢١ . وقال البيهقي ورويناه صحيحا من قول مطرف ابن عبد الله بن الشخير . الترغيب والترهيب للمنذرى ١ : ٥١ .

(٣١) رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء وسط حديث « من سلك طريقا

يلتمس فيه علما . . . » سنن ابن ماجه ١ : ٨١ كما رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه والبيهقي . الترغيب والترهيب ١ : ٥٣ .

وما سوى ذلك همج لا خير فيه » (٣٢) ، وقال الامام الفاضل على رضى الله عنه : قيمة كل انسان ما يحسن (٣٣) ، وقال رحمة الله عليه : العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال (٣٤) ، وقال : مات خزان المال ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة (٣٥) . وقال : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة وهمج راع تابع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور الحكمة ، ولم يلجوا إلى ركن وثيق (٣٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما عبد الله بمثل الفقه فى الدين » (٣٧) .
وروى عن بزرجمهر بن التحنكار حكيم العجم : حسبك من جلاله العلم أن كلا يدعيه ، وإن لم يكن من أهله ، وحسبك من خسارة الجهل أن كلا ينتفى منه وإن كان من أهله .

وقال حكيم من حكماء الفلاسفة : العمى خير من الجهل فإن أصعب ما يخاف من العمى التردى فى هوة ، وأهون ما يخاف من الجهل التردى (٣٠ / ١) فى هوة .

قالوا : ولما أراد الإسكندر الخروج إلى اقاصى الأرض . قال لأرسطاطاليس : أخرج معى ، قال : قد نحل جسمى وضعفت عن الحركة فلا ترعجنى (٣٨) ، قال : فأوصنى بشئ يرفع قدرى ويحببنى الى رعيتى

-
- (٣٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط وفى سند الكبير الربيع بن بدر والآخر نهشل بن سعيد ، وهما كذا بيان . مجمع الزوائد ١٢٢:١ .
(٣٣) نهج البلاغة ٢:٢٠٢ ، قوانين الوزارة للماوردى ١٦٢ ، والبيان والتبيين ٧٧:٢ ومجمع الامثال ١١٧:٢ ، تذكرة ابن حمدون ٧ .
(٣٤) نهج البلاغة ٢:٢٢٥ ، وعين الادب والسياسة ٢٨٦ .
(٣٥) نهج البلاغة ٢:٢٢٥ ، وعين الادب والسياسة ٢٨٦ .
(٣٦) نهج البلاغة ٢:٢٢٥ ، عين الادب والسياسة ٢٨٦ .
(٣٧) ضعيف ، أخرجه البيهقى عن ابن عمر . الجامع الصغير ٢٨٣ .
(٣٨) لباب الاداب تحقيق أحمد شاكر ص ٥٢ .

قال : تعلم العلم ، وبثه ، واستتبط منه ما يحلو بقلوب الرعية ، تفقد لك
الرعية من غير حرب •

وروى الواقدي قال : قيل لأردشير ما العلم والشرف في الأقدار ؟
قال : علم تستتبطه فتعلمه من لا يعلم • قال : وأوصى بزرجمهر ابنه فقال :
يا بني عليك باستتباط العلم ، وبثه ، تجد به العز في العاجلة ، والشرف في
الآجلة ولا تكونن كالبهائم : إن جاءت رعت ، وإن شبت نامت •

وقال عبد الله بن المعتز : (٣٩) ما مات من أحياء علما ، ولا أفتقر من ملك

فهما •

ثم لم يتفاضل الناس في شيء من الصناعات والسياسات والمراتب
إلا بالعمل والعقل الذي هو أم العلم وأصله ، وإن كان لا ينتفع بالعقل إلا
إذا كان مربى ومقوى بالعلم المستفاد • هذا مع جلاله موقع العلماء من
القلوب ، وفخامة أسمائهم في الصدور ، ثم إنه الشيء الذي لا يستغنى عنه
في ديانة ولا سياسة ولا صناعة • فالملك حقيق بأن لا يرغب عن هذه الفضيلة
الجليلة ، ولا يبخس لحظة منها ، ولا يدع نفسه عن سمتها غفلا ، ولا من
حليها عطلا ، مع ما ذكرناه من حاجته الضرورية إليه •

(٣٩) هو أبو العباس ، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل العباسي ،
شاعر مبدع ، نولى الخلافة يوما وليلة ، ومات خنقا ٢٩٦ هـ نزهة الالباء في
طبقات الادباء ١٧٦ ، ١٧٧ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٦٣ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٦٥ -
١٦٧ ، تاريخ بغداد ١٠ : ٩٥ - ١٠ : ١ ، مفتاح دار السعادة ١ : ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
مرآة الجنان ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٧ ، العبر ٢ : ١٠٤ ، ١٠٥ ، سير أعلام النبلاء ١٤ :
٤٢ ، ٤٣ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٢١ - ٢٢٤ •

ثم إن العلم المطلق جنس تحته أنواع كثيرة ، وصور مختلفة متباينة متفاضلة في نفعها وجلالتها ، وعلى حسب ذلك يتفاضل بها عالموها ، فإنه ليس من صناعة صغر مقدارها أم جل ، وكثر نفعها أم قل ، إلا وفيها علم يعلمه أهلها ، وليس في القوة البشرية إدراك كل الفنون ، ولا إيتاء كل العلوم وإذا لم يكن في كل ذلك مطمع فالأولى بالعاقل أن يختار منها أجلها قدرا وأعظمها خطرا ، وأعمها نفعاً في الدين والدنيا وليس فن من فنون العلم أولى بهذه الصفة من علم الدين الذي يتقرب به إلى الله جل ذكره ، ويبتغي به الآخرة ، ويقدم إليها به الذخر ، ولا أشد مشاكلة (٤٠) للملوك ومعونة لهم على سياسة المملكة وحماية الديانة من العلوم الدينية التي يرجع بجمليتها إلى خمسة أقسام :

أقسام العلوم الدينية :

أولها ، علم (٣٠/ب) التوحيد الذي هو معرفة الله — جل ذكره — وعلوم الآلهية التي قدمنا ذكرها .
وثانيها ، ثم رواية آثار رسول الله ﷺ ، ونقل أخباره التي هي أصول الأحكام ومباني الحلال والحرام ، وفيها سنن الرسول ﷺ ، ومغازيه ، ومعرفة أصول الديانة ومخارجها وإثباتها ، وبدء كونها ، وسنن خلفائها ، وسياسة أمرائها ، وأقاويل علمائها .

وثالثها ثم علم الفقه الذي هو معرفة الملة وسنن الشريعة .
ورابعها : ثم علم المواظ التي تذكر بالآخرة وتبعث على اكتساب

(٤٠) مشاكلة : مماثلة .

الأجر وطلب الخير •

وخامسها : ثم علم اللغة الذي لا تستغنى عنه فرقة من هذه الفرق (٤١) ولا أهل نحلة (٤٢) من النحل إذا أراد أن يكون كاملا في صناعته ، وفاضلا في ديانته ومذهبه ومقالته ، إذبها يعرف نظم كلام الله وآثار رسوله ، ويوقف على مواقع خطابه ، ومعاني كتابه ، فهذه جملة أقسام العلوم الدينية •

تقديم علم الدين :

والترتيب في العلم أن يبتدأ بتعليم اللغة ، وتحفظها عند الحداثة وعنقوان الشباب ، والشره ، وعند غلبة الحفظ ، وفراغ القلب عما يدفع إليه الملك في حال تملكه ، والاشتغال بسياسة مملكته ، ورعاية رعيته ثم إذا بلغ وعقل ولزمته حجة الله ابتداء في علم الدين الذي طريقه علم الكلام ، حتى يعلم من ذلك ما يجب عليه علمه ولا يسعه جهله ولا يجوز لعاقل غفلته ، إذ هو أولى العلوم بالتقديم أولا لأن الاصابة فيه إيمان وسعادة ، والخطأ فيه كفر وشقاوة ، فالواجب على الإنسان أن يبادر بالشئ الذي يعظم ضرره ونفعه •

ولعلة ثانية : وهي أنه أجل العلوم في ذاته ، وأفضل الفنون في ميزاته لأنه انبحث عن الله ، وعن آياته ، ومعلومه هو جل وتعالى ، وكل ماكان من العلوم أجل معلوما وأعلى وأفضل وأسنى ، كان العلم به أجل وأفضل ، ولا معلوم أجل ممن يبحث بهذا العلم ويستدل به عليه •

(٤١) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

(٤٢) هكذا في الاصل والاولى أن تكون (صاحب) .

وثالثة : أنه بحث عن الديانة ، وذب عن الملة التي بينا أنها أصل المملكة

وأُس العِمارة ، وقطب السياسة ، وصلاح الدنيا والآخرة .

ورابعة^(٤٣) : إن الملك يحتاج إليه ، ويستعين به في المجالس الحافلة ،
والعساكر الكثيفة الجامعة عند قتال أهل الملل المخالفة مرة ، وأهل البغى
والعصيان (٣١ / أ) أخرى ، فيجب عليه أن يعرف هل يحل له قتالهم ،
ويجوز له اغتيالهم ، لأنه إن ظفر بظلم وجور فقد خسر ، وإن غلب بهما فقد
غلب ، وإن خصم بهما فقد خصم .

ثم يحتاج إلى محاجتهم ومناظرتهم ودعوتهم إلى الإيمان والطاعة ،
وقد جرت السنة بتقديم الدعوة وإقامة الحجة عند القتال ، فإذا لم يكن عند
الملك علم دينه ومذهبه كان مغلوبا محجوبا ، وربما صار حجج عدوه عليه
تفريقا لجمعه ، وتشتيئا لجيشه ، وإفسادا لقلوب أوليائه عليه .

وهذه إحدى الحيل التي لم تزل الملوك يحتالون بها ، ويلتجئون اليها
عند التقاء الجيش وموازة الفئتين ، وفي الخطب والرسائل المذكورة والمخاfl
المشورة ، فبالحجاج فرق على — رضى الله عنه — بين طلحة^(٤٤) والزبير^(٤٥) ،
ثم بين الخوارج ، وبالحجاج من قبل استحل أبو بكر — رضى الله عنه — قتال

(٤٣) في الاصل : وخامسة .

(٤٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني ، ويكنى أبا
محمد ، صحابى ، شجاع ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة
أصحاب الشورى ، وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام ، قتل يوم الجمل وهو
بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ . طبقات ابن سعد ٢١٤:٣ ، والاستيعاب ٧٦٤:٢ ،
وصفة الصفوة ٣٣٦:١ ، وتهذيب التهذيب ٢٠:٥ .

(٤٥) هو الزبير بن العوام بن خويلد الاسدى القرشى ، ويكنى أبا عبيد
الله ، الصحابى الشجاع ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه
فى الاسلام ، قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ . صفة الصفوة ٣٤٢:١ ، وأسد الغابة
٢٤٩:٢ ودول الاسلام ٣٠:١ .

أهل الردة • وبالشبهة المخرجة في صورة الحجة غلب معاوية^(٤٦) عليا وفرق بين بصائر أصحابه ونيات أوليائه بصفين^(٤٧) ، وكذلك ما كتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر : وإذا كتبت كتبك فاقراً كتبك على العامة ، واذكر احتجاجك عليهم من كتبك ، وأذع من كتبهم مالا^(٤٨) يجب ستره عن العامة ، وحاجة الملوك إلى المعرفة بالاحتجاج أشهر من أن يحتاج معه إلى احتجاج واستشهاد والاستدلال ، وقد يجوز أن يحضر الملك في كل وقت من يسد مسده ويجوز أن لا يحضر في كل وقت ، ولكن الملك في نفسه إذا لم يكن عالماً كان^(٤٩) منقوصاً غير موفور ، متخلفاً غير مبرز •

ثم خامسة^(٥٠) أن يتحرز به من حيل الموهين والممخرقين وأعداء الملك والدين من الزنادقة والمحددين ، الذين ذكرنا أن بغيتهم قصد الملوك ، وافسادهم ، واغتيالهم ، واصطيادهم ثم الاستعانة بهم على إفساد الرعية مرة ، وقصد الرعية وإفسادها على الملك ، وتفريق كلمتها ، وشق عصاها ، وارتفاع الخلاف بينهما أخرى ، وفي كل منهما هدم أركان الملة ، واستئصال الديانة والمملكة • وفي أحكام علم الدين تحرز من هذا الفساد ، وتحصن من

(٤٦) هو معاوية « بن أبي سفيان » صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن مناف ، صحابي ، أسس الدولة الاموية في الشام ، وكان سياسياً موصوفاً بالدهاء والحلم ، مات سنة ٦٠ هـ وعمره ٧٧ عاماً . دول الاسلام ٤٥١ ، وتاريخ الخلفاء ١٩٤ .

(٤٧) صفين تقع ما بين أعالي العراق وبلاد الشام ، جرت بها حربا بين علي بن أبي طالب ومعاوية عام ٣٦ هـ . وقعة صفين لنصر بن مزاحم تحقيق عبد السلام هارون ، المقدمة .

(٤٨) غير موجودة في الاصل وبها يستقيم المعنى .

(٤٩) كان : ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى دونها .

(٥٠) في الاصل ثم سادسة .

هذا العارض المجتاح ومن أقبح الأشياء بالملك أن يقصده عدو من أعداء دينه وملكه وهو هارب من حجة العالم الخاصي وسطوه الجاهل العامي ، فيصطاده (٣١/ب) اصطياد الوحش والطير حتى يخرج من دينه ، ويفسد عليه آخرته ، ويهدم به مملكته ، فيسلم له ذلك جهلا بأصل دينه وعجزا عن نصرته مذهب .

وسادسه^(٥١) إن علم الدين أصله وطريقه الاستدلال بالشاهد على الغائب ، وبالتفق عليه على المختلف فيه ، وجهة استخراج الرأي وهذا هو علم السياسة على الحقيقة ، وطريق النظر في العواقب ، ومناظرة العمال والكتاب والوزراء . فهذه الوجوه كلها توجب أن يكون الملك أولى الناس بتقديم علم الدين على سائر فنون العلوم .
ثم إن أحب الازدياد من العمل والاستكثار منه طلبه واستفادة على الترتيب الذي ذكرناه والترتيل الذي نزلناه .

وقد قدمنا أن أولى الأشياء به تقديم رواية الآثار ، وعلم أخبار الرسول ﷺ ، وأهل القدوة من أصحابه ، والخلفاء الراشدين من بعده ، وأخبار السير والمغازي ، فإن في ذلك ما يؤكد الفن الأول ، والعلم الأجل ، لأنه يقف به على معرفة أصول الملة ، وبدئها ، وفضائل نبيها ، وآياته ومعجزاته ، ومحاسن شريعته ، ودينه ، وملكته ، وتفسير كتابه ومشكله ، ومعاني آثاره ، فلا يمكن لزور تزوير حديث عليه ، ولا لأهل ملة ادعاء فضيلة لمذهبهم ، ومنقبة لمتهم^(٥٢) لا يكون عنده أحسن منها في دينه

(٥١) في الاصل : وسابعة .

(٥٢) غير واضحة في الاصل .

وشريعته ، ولا سيرة حسنة للملوك الامم إلا وجد في سير خلفائه مثله ، فلا يخدع من عرف سير الخلفاء ، وأخبار الوزراء وآثار الامراء الاسلاميين بأخبار الامم المتقدمين ، وآثار الملوك الماضين إلا أن يكون الإنسان ممن يؤثر الكذب على الصدق عمدا ، والمزور على المحقق قصدا ، ويميل من الرشاد الى الضلال عنادا وبهتانا . وهذا داء يعيب الطبيب دأؤه ، وجنون يوثس الحكماء علاجه .

ثم في معرفة الأخبار وسماعها ، أنس يربو على كل أنس وأدب يفوق كل أدب ، وسبب يبين الاخلاق المحمودة والمذمومة ، وعلم السياسات العادلة والجائرة ، واستفادة علم بمكايد الرجال وآداب الملوك وفنون المذاهب ومعرفة بالرجال ، واعتبار بالزمان وفقه في الأحكام ، وعلم بالحلال والحرام .

ثم إن أراد الازدیاد من العلم فعلم الفقه ، الذى هو علم الشرائع والأحكام ، فانه فرض على كل مسلم ، وجمال لكل أحد (٣٣ / أ) ، ولا غنية بالملوك والائمة — خصوصا — عنه لانه لابد لهم من النظر في مظالم الرعية والبرية ، وسماع دعاويهم ، وبياناتهم^(٥٣) ، وأيمانهم ، وشهادتهم والأمر بها ، وربما أمر الامير بالصلاة ، وكتب إليه بأحد الزكوات والصدقات ، ورفع إليه في المناكح والتزاويج ، والبيوع ، والمواريث ، وسائر فنون الأحكام .

وربما رفع إليه في شىء من قسمة المغنم والفىء ، ووضع أموال المملكة مواضعها ، فالملك أحق الناس باقتناء هذه الفضيلة لئلا يحل محل

(٥٣) هكذا في الاصل ونرى أنها (بياناتهم) .

الجاهل المحتاج الى فقيه وقاض في العلم الذي هو خاص به ، وعام لجميع رعيته ، وفيه قوام سياسته ، ولا يتكل على قاض ومفتى^(٥٤) في كل نازلة وحادثة • ثم لا يجوز أن يخلو نفسه من فضيلة يجد الى ادراكها سبيلا اعتمادا على كاف يكفيه ، ونائب ينوب عنه ، لانه ان فعل ذلك كان قد فاز بالفضيلة غيره ، وسبق الى المنقبة سواء ، وعلى أنه ان^(٥٥) بلغ من الفقه مبلغا مرضيا أمكنه الاجتهاد والنظر لنفسه ، وطلب الحجج لها والتأويل لأرائه ، فلا يعمل الا ما يجوز له في التأويل ويتهيأ له بالحيل الفقهية الهرب من كثير من الحرام إلى الحلال ، ومن الباطل إلى الحق ، فيكون له فيه حجة في ديانتته ، وزينة في مملكته ، وازالة للتهمة والريب عن نفسه ، ونجاة في آخرته •

ثم علم المواعظ والتذكير : فقد بينا أن الملك من أحوج الناس اليه ، وأحراهم بالنظر فيه ، للخلال التي ذكرناها آنفا ، وحكيناها عن غيرنا بدءا ثم ليس شيء من فنون العلم بعد الا وفيه مستمتع ظاهر ، وبه منتفع من الطب والحساب والهندسة والنجوم ، ولكن علم الدين أولى ، وأفضل وأرفع وأجل ، وأخص بالملك الفاضل والسائس الكامل لامتناس الحاجة اليه وتعويل الجماعة عليه ، ولأن الملك قد يجد من يحسب له ، ويمسح^(٥٦) ويتطيب له ، ويكتب ، ولا يجد من يعتقد عنه الصواب ويعبد عنه الرب ، ويرغب عنه في الآخرة ، ويذب عنه في الديانة ، وللخصال الآخر التي ذكرنا والعلل التي سطرنا •

(٥٤) هكذا في الاصل ، ويبدو لنا الاصح : أو مفت •

(٥٥) أن : ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى دونها •

(٥٦) يمسح : من المساحة وأعمالها •

تحصيل العلوم الدينية :

ولا يمكن استفادة هذه العلوم إلا بمعونة أمرين :

أحدهما : مجالسة العلماء والحكماء من أهل كل طبقة .

والثانية : النظر في كتب الديانة ، والعناية بتعلمها ودراستها .

فيجب على الملك الفاضل أن يستكثر (٣٢ / ب) من مجالسة العلماء

والفقهاء من كل طبقة من هذه الطبقات ، ولا يخلو مجلسه في أوقات فراغه

من كتب ينظر فيها ، ويستأنس بها ، ويعلم أن الأنس بالعلماء إذا حضروا

مجلسه ليس بأقل من الأنس بالمطرب والمغنى والمسخرة والمهوى ، بل ذلك

أوفر ، وأفضل ، وأحسن ، وأنبل ، وأزین ، وأجمل ، على ما فيه من اكتساب

الأجر ، وجميل الذخر ، وحسن الأحدثوة على مر الزمان .

ومن تألف الخاصة ، والتحبب إلى العامة ، واستمالة العلماء الذين

هم أشرف طبقات الرعية مرتبة ، وأرفعهم درجة .

ولقد قرأنا « لسابترم » ملك الهند في عهد له إلى ابنه : « فإن كنت

شاغلا نفسك بلذة فليكن لذتك في محادثة العلماء ، ودراسة كتبهم ، فإنه

ليس سرورك بالشهوات ببالغ منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك (مخاطرتك

فيه بالغة) (٥٧) غير أن ذلك يجمع الى عاجل الغى وخامة (٥٨) العاقبة » .

وفي منشورات أفلاطون : اعرف الله وحقه ، وأدم عنايتك بالتعلم ،

والأدب الصالح أكثر من عنايتك بغذائك يوما بيوم (٥٩) ، وأعلم أن التواني

في العناية بالخيرات شر كثير .

(٥٧) غير واضحة في الاصل .

(٥٨) وخامة العاقبة : سوء العاقبة .

(٥٩) نزهة الارواح ١٨٠:١ وهو مما أملاه أفلاطون على تلميذه

أرسطاطاليس .

وفي حكم الأولين : جالس الكبراء وسائل العلماء فإن مجالستهم غنيمة

وصحبتهم سليمة ، ومؤنتهم حقيقة ، ومشاهدتهم زين (٦٠) .

وقال عمر بن الخطاب : لا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، واستشر

في أمرك الذين يخافون الله (٦١) .

وقال الحكيم للاسكندر ، واعلم أن العلم زين الملوك ، وفيما كتب إليه

قد وجب عليك حق الحكمة ، فكافىء (٦٢) من رغبت فيها بإفشائها ، وأجر

على المعلمين والمعلمين ، وصير من نال المرتبة فيها من خاصتك ، وأعلم أن

سيما الحكمة أكرم السيماء (٦٣) وحديثها أهنا الحديث ، والبحث عنها

أفضل الفوائد ، لا تغفل ذلك فإنك لا تعترض (٦٤) منها ، ولا تتال من غير

أهلها ما ينال منها .

وقال عبد الله بن المعتز : علم الإنسان ولده التجلد (٦٥) ، وقال :

الجاهل صغير وإن كان شيخا ، والعالم كبير وإن كان حدثا .

ومكتوب في أميرنامه (٦٦) صحبة العلماء أزين بالملوك من شريف

الباش وبهى الحلوى وهم منهم أعظم غنى من عتيد (٦٧) المال وعزيز الجند ،

وفيه : كل آمننا من غش العلماء ، فإن العالم قد عرف عاقبة الغش ، وأوجب

(٦٠) ورد النص في المنهج السلوك في سياسة الملوك ٨ .

(٦١) حلية الأولياء ١: ٥٥ .

(٦٢) كافىء : جاز .

(٦٣) يبدو لنا أنه يعنى (السمات) الخصائص .

(٦٤) لا تعترض : لا تستبدل .

(٦٥) التمثيل والمحاضرة ص ١٦٦ وفيه : علم الرجل ولده المخلد .

(٦٦) كلمة فارسية تعنى رسالة الأمير .

(٦٧) عتيد : كثير ووفير .

على نفسه اجتنابه ، ثم في تمكن العلماء وأهل الدين من مجلس السلطان قطعاً لأطماع الغواة من أهل الأهواء الفاسدة ، (٣٣ / أ) واليدع المهلكة التي ذكرنا أنها إحدى أسباب فساد الديانة ، والمملكة ، وتداعى أركان الملة فيجب على الملك الفاضل ، والسائس العاقل ، ان لا يغفل عن هذه الخلة ويستبدل بالطبقة الفاسدة من المخانيث والمغنيين وأشباههم هذه الطبقة ، فإن الملك الفاضل ، والسائس العاقل أن (٦٨) لا يغفل أحد من أن يندس عرضه ، وملكه ، وعقله بالقواد ، وذكر عورات الناس ، والتواجد على الغلمان ، والنسوان والعشيق والمعشوق ، فإن هذا كله سخر وركاكة يجب على البعيد الهمة أن يترفع عنها ويربأ بهمة عنها ، ولا سيما ما أحدث شعراء هذا الزمان : فإنهم يودعون أشعارهم الفحش والكفر ، ويدسون فيها من مذهبهم الفاسدة ، ويغرون فيها بطلب اللذات واتباع الشهوات على سبيل الأمن والطمأنينة ، والجسارة والجرأة ، والاستخفاف بالدين وشرائعه ، والملة ووظائفها ، فإن ذلك كله مضر بأصل الاعتقاد وأمر الديانة ، ثم مجالسة أمثالهم من الناس ، والاستكثار من أشباههم من الأنذال (٦٩) قصور همة ، وسوء عادة وتشبه بهم . ولم يزل العلماء والحكماء وأهل الدين يتحاذرون مجالستهم ، وينادون بمخالفتهم ، ويتواصون بمجالسة أشراف الناس وجلتهم ، ويشبهون (٧٠) القرين بالقرين ، ويستدلون بالخدین على الخدين (٧١) ، وقد قال الله — جل وعز — لرسوله : (واذا رأيت الذين يخوضون

(٦٨) هكذا بالأصل ، والمعنى يستقيم بدونها .

(٦٩) الأنذال جمع نذل وهو الخسيس المحتقر ، لسان العرب المحيط ج ٣ : ٦١٣ .

(٧٠) في الأصل : يشبهون .

(٧١) الخدين : الصديق في السر

في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره (٧٢) ، وقال : (وذو
الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) (٧٣) ، وقال : (وإما
ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (٧٤) .
ولما أراد الله ذم الدنيا والتزهيد فيها وصفها بأنها (لعب ولهو) (٧٥)
ليرغب عنها العقلاء ، ويزهد فيها الفضلاء ، فقال : (إنما الحياة الدنيا لعب
ولهو) (٧٦) ونفى عن نفسه اللعب واللهو بقوله — عز وجل : (أفحسبتم أنما
خلقناكم عبثا) (٧٧) ، وقال أردشير في عهده : بما أخبر ، أن اللعب والهو
ليس من أخلاق الملوك ، وأنهما مضران بأسباب المملكة مؤذنان بخرابها ،
مؤديان إلى تداعيها .

« وأعلموا أن منكم من يستريح إلى اللهو والدعة ثم يديم من ذلك
(٣٣ / ب) ما يورثه خلقا وعادة فيكون ذلك لقاح جد لا لهو فيه ، ونصب
لا خفض فيه مع الهجنة في الرأي والفضيحة في الذكر » (٧٨) وقال رسول
الله ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أمرؤ من يخال » (٧٩) .

(٧٢) ٦ الانعام : مكية ٦٨ .

(٧٣) ٦ الانعام : مكية ٧٠ .

(٧٤) ٦ الانعام : مكية ٦٨ .

(٧٥) ٦ الانعام : مكية ٣٢ .

(٧٦) ٤٧ محمد : مدنية ٣٦ و ٥٧ الحديد : مدنية ٢٠ .

(٧٧) ٢٣ المؤمنون : مكية ١١٥ .

(٧٨) عهد أردشير تحقيق احسان عباس : ٦٦، ٦٥ .

(٧٩) رواه أبو داود والترمذي وحسنه ، والبيهقي والقضاعي عن أبي
هريرة رفته ، وتساهل ابن الجوزي فأورده في الموضوعات ، ومن ثم خطاه
الزركشي وتبعه في الدرر ، وقال الحافظ في اللآلئ ما قال الترمذي يعني أن
الحديث حسن . كشف الخفاء ٢ : ٢٨١ ، وأخرج الحديث الحاكم في مستدركه
١٧١ : ٤ .

وقال : « المرء مع من أحب »^(٨٠) .

قالوا : وكان أمير المؤمنين — على رضى الله عنه — يقول : لا تتواخ
المرء المسلم الما جن ولا الأحق ولا الكذاب ، فأما الما جن فيزيّن لك فعله ،
ويود أنك مثله ، ويحسن لك أسوأ خصاله ، ولا يعينك في أمر معادك ،
فمقارنتك إياه خب^(٨١) وقسوة ، ومدخله اليك ومخرجه من عندك شين وعار
عليك وأما الاحق : فلا يثبّر عليك بسداد وان أحبك ولا يهتدى لصرف
السوء عنك وان أجهد نفسه لك ، وربما أراد نفعك فيضرك ، فسكوته خير
من منطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته ، وأما الكذاب : فإنه
لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك ، وينقل الأحاديث اليك ، وكلما نفذت
أحاديث مطها بأخرى ، حتى إن ليخبر بالصدق فما يصدق .

وقد قال بعض الأدباء : على العاقل ألا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور
من الناس ما استطاع الا بالافضل في الدين وفي العلم وفي الاخلاق ، فيأخذ
عنه ، أو موافقا له على اصلاح ذلك فيؤيدها عنده ، وان لم يكن عليه فضل ،
فإن الخصال الصالحة من المرء لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين ، والمعنيين
والمؤيدين ، وليس لذى العقل قريب ولا حميم هو أقرب منه وأحب اليه من
موافقيه على صالح الخصال فيزيدونه ويثبتونه ولذلك زعم بعض الاولين :
ان صحبة بليد نشأ مع الحكماء أحب اليه من صحبة لبيب^(٨٢) نشأ مع الجهال .
قالوا : وكان أردشير الملك يقول : ما شئ أضر على من معاشره سخي

(٨٠) حديث صحيح ، أخرجه الترمذى عن أنس بن مالك . الجامع
الصحيح ٥٩٥:٤ وصحيح الجامع الصغير للالبانى ١٣:٦ .
(٨١) فى الاصل (حبا) ، وخب : ذهاب الروء .
(٨٢) الامثال والحكم : ٥٥ وفيه (أريب) بدلا من (لبيب) .

أو مخاطبة وضيع لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأديب الحبيب كذلك تفسد بمعاشرة السخيف حتى يقدح ذلك فيها ، ويزيلها عن فضيلتها ، وكما أن الريح إذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيا به النفوس ، وتقوى به جوارحها ، كذلك إذا مرت بالنتن فحملته ألت له النفوس وأضر بأعلاقها (٨٣) .

وقد قال في ذلك بعض الشعراء المصبيين :

هو صاحب كل ذي حسب ودين فإن المرء يعرف بالقرين
(٣٤ / أ) وقال طرفة بن العبد :

عن المرء لا تسك وابصر قرينه (٨٤) فإن القرين بالمقارن مقتدى (٨٥)

فيجب على الملك وغيره ممن يحب تعلم العلوم ، ولا سيما علم الديانة والاعتقاد ألا يقلد أحدا دينه ، ولا يقبل منه مذهب إلا بعد تدبر وتفكر ، وحجة ومناظرة وتبين ومباحثة ، ولا يجعل بينه وبين شيء من المذاهب عداوة ولا ولاية إلا بعد شهود الشواهد ، وقيام الدلائل على صحته أو فساده ، وإذا كان على مذهب قد نشأ عليه وقبله واختاره واعتقده فلا ينتقل عنه إلى غيره إلا بعد تبين المنتقل عنه وصحة المنتقل إليه فإذا تبين عنده فساد مذهب فلا يجب أن يعاند فيه ، ويتعصب له ، ولا ينظر فيه إلى كثرة

(٨٣) عهد أردشير . تحقيق د. احسان عباس : ٩١، ٩٠ ، التاج في أخلاق الملوك : ٣٢ ، ومروج الذهب ١ : ١٨٦ ، وعين الأدب والسياسة ١٦٠ .
(٨٤) أورد الناسخ على حاشية الكتاب ، ورد في نسخة أخرى (وسئل عن قرينه) .

(٨٥) ديوان عدى بن زيد في موسوعة الشعر الجاهلي ٢ : ٤٤٥ ، العقيد الفريد ٢ : ٢٠٤ ، نهاية الأرب ٣ : ٦٥ ، أدب الدنيا والدين : ٧١ ، جمهرة أشعار العرب : ١٦ ، الأمثال لابن عبيد ٢٧٩ ، نثر الدر للابن ١ : ٤٤٦ ، ومنسوب فيها جميعا لعدى بن زيد ، وفصل المقال ١٦٤ ، وشرح القصائد التسع ٢ : ٨١٧ .

أهل وعديد ، وعزة أصحاب ودول ، فإن هذه أسباب كثيرا ما تغر الأغمار والجهال ، وتخدع العوام والاعفال ، وهى كلها قد تنفق فى الباطل كما تنفق فى الحق ، ولكن الواجب أن ينظر إلى صحة المذاهب بدلائلها ، ويحكم لها بشواهدا التى جملتها الكتاب المأمور بتصديقه والسنة المندوب إلى اتباعها ، والعقل المجمع على تصديقه واجماع الامة المشهود لها بالعدالة ، لان التماذى فى الباطل مضموم عند الجميع ، واللجاج عند ظهور الحق سفيه عند الجمهور ، ولا معنى فيهما يعقل ، ولا فائدة وراءهما تؤمل ، لأن المراد من العلم والنظر والتبين والفكر إصابة الحق ، والبغية منه الظفر بالصواب ، فإذا أصابه فلا معنى للعناد والجحود وتصنيع المبتغى والمطلوب .

ولا يجوز للملك أن يشعر قلبه الاستنكاف والأنفة ، والتهيه والنخوة من الانقياد لخصمه ، والرجوع عن مذهبه على يده ، إذا تبين خطاه ، وظهر فسادُه .

فإن من نظر أو ناظر أو فكر أو دبر فاستبان له خطأ مذهبه ، وبطلان مقالته كان أحسن ظفرا ، وأجزل خطا ، وأوفر قسطا ، بل كان الحظ كله له ، والفائدة بأسرها عنده ، وقد قال أرسطاطاليس : أى ملك تماذى فى رأيه بعد ظهور الخطأ له فهو معين على نفسه سار لأعدائه ، أى ملك عمل باللجاجة فهو منفرد بغرته ، وهو من العطب قريب .

وقد احتال قوم من أعداء الدين (٣٤ / ب) ومخالفى الملل على ما تقدم فى كتابنا ، فقالوا فى كتب ألفوها ، ومخاريق قد صنفوها ، إن الملك السائس لا ينبغى له أن يشتغل بالنظر فى المذاهب ، ولا ينسب إلى أحدهما دون آخر

ولا ينصر أقواها دلالة ، وأثبتها شهادة ، واعتلوا بأن ذلك مما يفرق عليه الجماعة ، وينفر عنه قلوب أكثر الرعية ، ويشئت عليه آراء العامة . وقد بينا أنها حيلة ضعيفة ، ومكيدة واهية سخيفة ، وكشفنا عن وجوه ما في علم الدين من الفضائل التي تعود بصلاح المملكة والملك ، وفيما وصفه هؤلاء ، تصريح بأن الملك يجب أن يكون كافرا جاهلا ، وغفلا غافلا عن مصالح معادوم معاشه ومحاسن دينه ودنياه ، وعلى خلاف هذا جرت العادة ، ووردت الآثار المشاهدة عن الانبياء والخلفاء والملوك الفضلاء على مر الأيام وتتابع الأزمان والأعوام ، بل كان الذين ذكرناهم من الملوك ذابيين عن أديانهم ، ناصرين للهم مقاتلين عن أخلاقها ، ومجاهدين في سبيلها ، داعين إليها ، مستخفين منكايين بمن أطلعوا منه على ابتداع مذهب فاسد ومقالة ضالة .

وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا أن عامة الخلفاء كانوا يذهبون مذاهب ويقولون أقاويل عليها يوالون ، ويوادون ، ويناظرون ، حتى لا يرى منهم من خالف هذا المذهب إلا قليلا .

ومما كتب به أرسطاطاليس إلى الاسكندر : تمسك بإثبات السنة فإن فيها كمال التقاسير^(٨٦) ، لا تصارم^(٨٧) من كان يلي الحق ، ولا تحارب المتمسك بالدين دافع عن دينك تصلح عاقبتك .

وقال : أي ملك نقض سنة ، وضعها من تقدمه ، بلا حجة تصح له من بطلان السنة الأولى ، فهو معاند .

وقد قال أردشير في هذا المعنى كاملا جامعا لعامة ما ذكرنا وهو : أنه

(٨٦) عيون الاطباء في طبقات الاطباء ٩٨:١ بالنص الوارد في المتن، نزهة الأرواح ٢٠٠:١ بلفظ « وخذ نفسك باتيان السنة فإن فيها كمال التقى » .
(٨٧) لا تصارم أي لا تقاطع .

لا ينبغي للملك أن يعترف للنسك والمتنبئين^(٨٨) أن يكونوا أولى بالدين ،
ولا أحذب عليه ، ولا أغضب له دنه ، ولا ينبغي للملك أن يدع النسك بغير
الأمر والنهي لهم في نسكهم ودينهم ، فإن خروج النسك أو غير النسك من
الأمر والنهي عيب على الملك ، وعيب للمملكة ، وثلمة يتسببها الناس بينة
الضرر للملك ولمن بعده^(٨٩) .

وقال : واعلموا أن العاقل المحروم سال^(٩٠) لسانه عليكم ، وهو أقطع
سيفيه وإن أشد ضرركم به من لسانه ما صرف الحيلة فيه (٣٥ / أ) إلى
الدين ، فكأن بالدين يحتج ، وللدين فيما يظهر يغضب ، ويكون للدين
نكاؤه^(٩١) وإليه دعاؤه ، ثم إنه أوجد للتابعين والمصدقين والمناصحين
والمؤازرين منكم ، لأن بغضة الناس موكلة بالملوك ومحبتهم ورحمتهم موكلة
بالضعفاء والمغلوبين .

وقد قرأنا لبعض ملوك الهند في عهد له إلى ابنه إذا أشكت عليك الأمور
فليكن مفزعك فيها للعلماء ، فإن أدنى غايات العقل التي يصلح عليها أمر
الوالى أن يكون عنده من رأى ما يعرف به فضل الخطئة المصيبة على الخطئة
المردية^(٩٢) ، إذا أوردت عليه ، وقال : ولعل رأيك يريك أن أخذك عن الناس
واقْتَباسك منهم ، مزر بك عندهم أو مسخف لامرك في أنفسهم ، فإن عرض
ذلك فاطرحه أشد الاطراح فإن الذى يسعد به من فائدة العلم أو يشقى به

(٨٨) فى عهد أردشير : المتبتلين .

(٨٩) عهد أردشير ص ٥٧ .

(٩٠) سال لسانه المراد مسلط لسانه .

(٩١) نكاؤه : شدة القتل . المنجد ص ٩١٣ .

(٩٢) المردية : المهلكة .

من مخالفة الجهل ، أعظم خطرا في النفع لك والضرر عليك من أن يعد له شيء
سواه .

فهذه آراء الفضلاء من الملوك والحكماء من ذوي العقول في طلب العلم
وتبيين الصواب ، وابتغاء الحق ، والتدين بالصدق ، وهم أولى بالاعتناء بهم
وأحق وأجدر وأخلق .

ومما يجب على الملك إذا علم ما ذكرناه من فنون العلم ، وصح له
أعتقاده في أصول الدين ، وقوى بالله معرفته ، وتحقق عنده معدلته^(٩٣) وحكمته
وانتهى إلى ما أشرنا عليه به من التمسك بالتقوى ، وإصابة طريق الهدى أن
تكون مساعيه ، وأفعاله ، وسيره ، وأقواله ، وآدابه ، التي يتأدب بها
وسياساته التي يجرى عليها ، وعاداته التي يختار أعتيادها ، واقتناءها
مأخوذة من جهتين : إحداهما ، هي الاقتداء بالله جل وعز في أفعاله ، وما
أظهر من دلائل حكمته في آثار صنعته من صواب القول ، وصالح العمل فيما
يجوز له إدراكه ، ويحسن به طلبه وابتغاؤه ، وتهويه مقدرته ، وتبلغ طاقته
فإن ذلك أرفع ما تسمو إليه الهمم ، وينتهي إليه بعد الأمل ، وهو مع ذلك
حد من حدود الفلسفة ، ومعنى من معاني الحكمة .

والثانية ، أن ياتمر له بما أمر به ، شكرا له جل وعز عن آلائه ،
وأعترافا له بحسن بلائه ، لما ذكرناه متقدما أن ذلك أولى به وأشبهه بعلو^(٩٤)
منزلته ، وشرف رتبته ، فإذا علم وعرف وصح عنده ووقف على أن الله قد

(٩٣) يقصد : عدله . لسان العرب المحيط ج ٢ ص ٧٠٦ .

(٩٤) في الاصل (بعلی) .

وصف نفسه بالحكمة ، ودلت الدلائل من شواهد في (٣٥ / ب) خلقه على أنه حكيم ، اجتهد في استحقاق هذا الاسم واستفادة هذه الصفة ، على مقدار الطاقة ، ومبلغ المعونة من خالقه ، وبارئته ، ومبدعه ومنشئه ، ومعنى « حكيم » يوجد في اللغة العربية على وجهين :

أحدهما ، على معنى العالم ، والعليم ، وهو الذى لا يخفى عليه الأشياء .

والآخر ، إنه محكم لأفعاله وأقواله ، ولا تفاوت في فعله ، ولا تناقض

في خلقه ، ولا عيب ، ولا فساد ، ولا لعب ولا خطأ في حكمه .

فأما معنى العالم فقد ذكرنا وبيننا ما يجب على الملك من اقتنائه ،

وإيثاره ، واستفادته واختياره ، والأختصاص بأجل فنونه شأننا ، وأعظمها

نفعاً ، وأبينها حجة ، وأعمها صلاحاً .

وأما المعنى الآخر فإننا نقول : إن من الواجب على الملك في جلالة شأنه

وعلو مكانه أن يجتهد أن تكون أفعاله كلها جدا ولا هزل فيها ، وحكمة لا عبث

فيها .

ولقد قرأنا لبعض الحكماء من ملوك الهند في عهده : « أن الله لم يرض

لنفسه من عباده إلا بمثل ما رضى لهم به منه ، فإنه رحيم وأمرهم بالتراحم

وصدقهم وأمرهم بالصدق ، وجاد عليهم وأمرهم بالجود ، وعفا عنهم ورضى

لهم بالعفو ، فليس قابلاً منهم إلا مثل الذى أعطاهم ولا أذن لهم في غير ما

أتى اليهم ، فأعط من وليت من عباد الله من رأفتك ورحمتك وجودك ما ترغب

في مثله لنفسك من ربك ، موقناً بأنك إذا أعطيت ذلك من أمرت أن تعطيه

أعطاكه الله ، وإنك إن منعتك منعه الله » .

قال: وقيل للاسكندر: ما علامة دوام الملك؟ قال: الجد في كل الأمور
فيل: فما علامة زواله؟ قال: الهزل^(٩٥). • وقديما ما قيل: إن الجد لقاح
الشرف. • قالوا: وكان أنوشروان الملك وجه رسولا إلى بعض أعدائه من
الملوك، فأمره أن يتعرف سيرته في نفسه ورعيته، فرجع إليه فقال: أيها
الملك وجدت الهزل عنده أقوى من الجد، والكذب أكثر عنده من الصدق،
والجور أوقع من العدل، فقال أنوشروان: رزقت الظفر به، ثم دعا بعض
قواده فقال له: سر إليه وليكن عملك في محاربته بما هو عنده أضعف وأقل
وأوضع، فإنك منصور وهو مخذول فسار إليه فقتله، وغلبه، واستولى على
مملكته. • قال: وكان أنوشروان يقول: «الهزل آفة الجد، والكذب عدو
الصدق، والجور مفسدة العدل» (٣٦ / ٤) فإذا استعمل الملك الهزل ذهبت
هيئته، وإذا استصحب الكذب أستخف به، وإذا أظهر الجور فسد سلطانه
• قالوا: وكان نقش خاتم رستم: (٩٦) الهزل منقصه، والكذب منغصه^(٩٧). •
والجور مفسدة.

وإذا علم الملك خبرا^(٩٨) أو دلالة أن الله — جل وعز — جواد لتفضله على
خلقه بالنعم الجسام والآلاء العظام، اجتهد في سعي استحقاق هذا الاسم
وإدراك هذا المعنى بغاية وسعه، ومبلغ جهده، فلا يرضى على أحد من خلق
الله بموجود يجوز الجود عليه به، هذا على ما عرف من مدح الناس الجواد

(٩٥) المسوردي: قوانين الوزارة ٥٨. •
(٩٦) هو رستم بن فرخهرمز صاحب يزدجرد الذي وجه لقتال العرب
وهو خليفة أبيه بخراسان. • تاريخ الطبري ج ٢: ٢٣٢. •
(٩٧) منغصة: تكدير وشقاء. •
(٩٨) في الاصل: خيرا. •

وذهبهم البخيل على وجه الدهر ومر الايام ، وفي كل جيل وطبقة ، وأهل دين ونحلة ، وبكل لسان ولغة ، وإذا عرف أن الله — جل ذكره — قد وصف نفسه بالقدرة ، وامتدح الى خلقه بصفة القوة ، ودل على ذلك بشواهد الظاهرة ، ودلائله القاهرة ، وعلم مع ذلك أن الله قد قلده الانتقام من أعدائه وعصاة خلقه ، والحكم بينهم ، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم اجتهد في إدراك هذه الصفة الفاضلة على مقدار طاقته ومنتهى قدرته ، وسبيله في ذلك بأن يرتاض باستعمال آلات الشجاعة ، وتعلم أبواب المحاربة والمواقعة ، حتى يصير بحيث ينال هذه الفضيلة ، ويستحق هذه المنقبة ، ويستأهل هذه الصفة من المواقعة والمواثبة والفروسية والمراكضة والسباق والرماية ، وتمارين النفس على الصبر الشديد وحمل السلاح الثقيل ، وكما يعين على ذلك ، فإن الانسان يزداد بمثل هذه الأمور قوة إلى قوته ، ويضيف قدرة إلى قدرته ، كما أنه يتعلم (٩٩) العلم والاستفادة من أهل العقول والأفعال يزداد عقلا إلى عقله وعلما إلى علمه ، وإن الله — جل وعز — قد أمر الملوك بقتال الكفار والبغاة والفجار من كل طبقة من أعداء الدين ، وأخبر أن فيه صلاحا للخليقة وتحصينا للرعية ، وإعزازا للديانة ، فقال جل وعز : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (١٠٠) ، ولا يتهيا استعمال الحديد عند المناجزة والمقارعة من لم يتدرب به ولم يعتده ، وحاجة الملوك إلى القتال والمحاربة واستعمال السلاح عند الملاقاة والمواقعة أشهر (٣٦ / ب) من أن يحتاج معه إلى استدلال ، وعليه إلى استشهاد .

(٩٩) في الاصل : يتعلم .

(١٠٠) ٥٧ الحديد : مدنية ٢٥ .

ثم إذا علم أن الله تبارك وتعالى مع قدرته على معالجة العاصين من خليقته ، وقوته على مؤاخضة الغواة من بريته ، وصف نفسه بالحلم ، ودل عليه خبرا وعقلا ، إذ كان ولم يزل عالما بمعاصي عباده له ، وكفرهم به ، وجحدهم^(١٠١) لنعمه ، وافترائهم عليه ، وهو يحلم عنهم ، ولا يعجل بعقوبته ، ثم وصف نفسه بهذه الصفة حيث يقول : (إن الله غفور حلیم)^(١٠٢) ويقول : (وكان الله عليما حلیم)^(١٠٣) ، ومدح به نبيه إبراهيم صلى الله عليه حيث يقول : (إن إبراهيم لأواه حلیم)^(١٠٤) ، وجب عليه أن يقتدى به وبنييه صلى الله عليه ، ولا يعجل بعقوبة المذنب ، ولا يسرع إلى الانتقام من المجرم حتى تحقق الكلمة ، وتقطع المذرة ، وينقطع الطمع من التوبة والانابة ، ولا تحمله قدرته الجبروتية^(١٠٥) ومملكته الامدية على لؤم الانتقام وسرعة الانتصار ، وترك الاستثناء بالمعاقبة ، وليذكر قدرة الله عليه وكثرة أيديه لديه ، وإحسانه إليه . ثم كثرة عصيانه له ، وحلمه عنه ، فلا يعامل من تحت يده إلا بما يحبه من فعل الله — جل وعز — على ما يعلم من مدح الناس الحلیم ، وتعظيمهم له ، وذمهم على خلافة واستخفافهم بصاحبه . ولذلك إذا وجد الله — جل ذكره — وصف نفسه بالعفو عن المذنب ، والصفح عن المجرم ، وغفران الذنوب ، فقال : (والله غفور رحيم)^(١٠٦) ، وقال : (وكان

(١٠١) في الاصل : وجحدده .

(١٠٢) ٢ البقرة : مدنية ٢٣٥ ، ٣ آل عمران : مدنية ١٥٥ .

(١٠٣) ٣٣ الاحزاب : مدنية ٥١ .

(١٠٤) ٩ التوبة : مدنية ١١٤ وأواه : كثير الدعاء والتضرع .

(١٠٥) هكذا بالاصل ولعلها الجبروتية .

(١٠٦) ٢ البقرة : مدنية ٢٢٥، ٢١٨ و ٣ آل عمران : ٢٩، النساء ٢٥

الله غفورا رحيمًا) (١٠٧) مع ما ذكرناه من كثرة معاصي العباد ، وأنواع
عنودهم وأصناف كنودهم ومخالفتهم لأوامره ، وارتكابهم لزواجره ، ويجب
أن يقتدى به في هذا الفعل فيعود نفسه العفو عن كثير من المذنبين ، والنظر
في معاذير المجرمين ، ويطلب لهم مخارجهم ، ويقبل توبتهم ، ويقلل عثرتهم
ما لم يرتكبوا حدا يجب إقامته أو عزيمة تعود نقضا بالشرعية ، ونقص
سنن الملة ، ويقدر في انتظام أمور العامة ، وعمارة أسباب المملكة ، فإن
ذلك أبلغ في المكرمة ، وأولى بسدى الرفعة والمقدرة ، وأقرب من إستيفاء
الصنعة ، واستعطاف ذوى الحرمة . ثم لم تنزل الملوك والحكماء والعظماء
والفضلاء يمدحون ويمتدحون به ، فروى عن أمير المؤمنين عمر (٣٧ / ٢)
— رحمه الله — أنه كان يقول : متى أشفى غيظي حين أقدر فيقال لى : لو
عفوت أو حين أعجز فيقال لى : لو صبرت ؟ .
وقال معاوية : إني لأستحي من عقلى أن يكون ذنب أعظم من عفوى ،
أو يكون جهل أكثر من حلمى أو يكون عورة لا أوارئها بسترى (١٠٨) .
قالوا : وكتب المهلب (١٠٩) إلى الحجاج في أمر العصاة الذين تركوا
عسكره ورجعوا إلى الكوفة : أما بعد ، فإنه لن يفارقنى من رجع إلى ، وأنه
لا ملك أبقى من ملك فيه العفو ، وإن الناس إذا أمنوا العقوبة صفروا الذنب

(١٠٧) ٤ النساء : مدنية ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٥٣ و ٣٣ الأحزاب : مدنية ٥ ،

٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ .

(١٠٨) النص لدى القضاعى : دستور معالم الحكم وينسبه الى على رضى

الله عنه ص ١٣٨ .

(١٠٩) المهلب بن أبى صفرة ، أمير بطاش جواد ، كان واليا على خراسان

لعبد الملك بن مروان ، توفي سنة ٨٣ هـ . وفيات الاعيان ٤٣٣ : ٤ ، الاعلام ٥٦ : ٨

وراجعوا التوبة ، وقال في فصل آخر : ما شئ أنهي من العفو ، فإن الرعية إذا وثقت بالعفو لم يوحشها الذنوب ، وإن عظمت ، وإن خافت شدة العقوبة أوحشها الذنب ، وإن صغر قدره حتى يضطرها إلى المعصية .

قالوا : ومن كرم العفو أن الله قدم العفو لنبيه قبل العقاب فقال : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) (١١٠) .

قالوا : وكان الحجاج يقول : العفو عن المقر لا عن المصّر (١١١) .

قالوا : وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما قبيحا ، فقال له : أردت أن يستعزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك مثل ما تنال منى غدا ؟ والله لأعفون عنك فاذهب راشدا (١١٢) .

وإذا وجد الله — تبارك اسمه — مطلقا على سرائر عباده ، على ما أظهروا وأضمروا ، وأعلنوا وأسرروا من معاصيهم وفسوقهم وذنوبهم ومووقهم وفجورهم وكفرهم (١١٣) ، فلم يفضح كثيرا منهم ولم يهتك أستارهم ، ولم يظهر أسرارهم ، وقد وصف بذلك نفسه حيث قال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول) (١١٤) . وقال حكاية عن نبيه يعقوب — عليه السلام — أنه قال ليوسف (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين) (١١٥) .

(١١٠) ٩ التوبة : مدنية ٤٣ .

(١١١) الإيجاز والاعجاز للثعالبي ١٧ .

(١١٢) نشر الدرر للابى ١١٩:٢ .

(١١٣) فى الأصل : كفروهم .

(١١٤) ٧٢ الجن : مكة ٢٦، ٢٧ .

(١١٥) ١٢ يوسف : مكة ٥ .

على أنه قد روى عن النبي ﷺ « استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (١١٦) . وأنه كان إذا أراد سفرا أوري (١١٧) بغيره ، وجب عليه في جلالة مرتبته ورفعة منزلته أن يعود نفسه كتمان السر فلا يطلع عليه أحدا .

وقد حكى أردشير ذلك عن نفسه في عهده حيث قال : « اتقوا بابا واحدا طالما أمنتكم فصرني ، وحذرتكم فنفعني ، احذروا افشاء السر عند الصغار من أهليكم (٣٧/ب) وخدمكم فانه لا يصغر أحد عن حمل السر كاملا لا يضيع منه شيئا حتى يصفه إما سقطا وإما غشا ، والسقط أكثر » . وفي رسالة أرسطاطاليس إلى الاسكندر : « أي ملك جاوز سره وزيره فهو في حد ضعيفي السوقة » . على أن الناس كافة لم يزالوا يمدحون ويمتدحون بكتمان السر وطيه ، ويذمون ويتذامون على اذاعته ونشره ، فقال فيه بعض الشعراء : (١١٨)

ما يكتم السر (١١٩) إلا كل ذي خطر
والسر عند خيار الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق

(١١٦) حديث صحيح ، رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل والطبراني في الجامع الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن معاذ بن جبل .
السيوطي : الجامع الصغير ص ٣٦ ، كما أخرجه ابن أبي الدنيا والعسكري والقضاعي بسند فيه سعيد بن سلام ، كذبه أحمد . العجلوني : كشف الخفاء ١٣٥:١ . ورواه الماوردي في مخطوطة : الامثال والحكم ق ٢٨ برواية ابن جريح عن عطاء عن عمر بن الخطاب كما ذكره في أدب الدنيا والدين ص ١٣٧ .
(١١٧) أوري : أخفى .

(١١٨) ورد في روضة العقلاء لابن حبان : أنشده له ابراهيم بن علي الظفري عن الحسين بن عبيد الله ص ١٩١ .
(١١٩) في « روضة العقلاء » : لا يكتم السر الا من له شرف ص ١٩١ .
(١٢٠) في « روضة العقلاء » : كرام ص ١٩١ .

قد ضاع (١٢١) مفتاحه (١٢٢) والباب مختوم

وقال آخر :

إذا جاوز الاثنى عشر فأننى

ببث وتكثير الحديث ضمين

وعندى له يوما إذا ما ائتمنته

مكان سويدان الفؤاد دفين (١٢٣)

فان لم يكن من افشاء السر في بعض الأحوال بد ، ولم يجد العاقل

منه حيلة فيختار لسهه أهل الخبرة ، والعقل ، والدين ، والفضل ، والامانة

والنصيحة ، ومن يهمل من إذاعة سره ، ويعينه من كتمان ما يعنيه •

وكذلك إذا وجد الله — جل ذكره — قد وصف نفسه بالصدق ، وأمر

به • فقال : (ومن أصدق من الله قيلا (١٢٤) • وقال (يا أيها الذين آمنوا

أتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (١٢٥) وقال : (وصدق المرسلون) (١٢٦) •

وقال : (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) (١٢٧) ونهى عن الكذب

(١٢١) في « روضة العقلاء » : ضلت ص ١٩١ •

(١٢٢) في « روضة العقلاء » : مفاتيحه ص ١٩١ •

(١٢٣) قاله : قيس بن الخطيم الانصارى الديوان : ١٠٥ ، ١٠٦ ،
والأمالى ٢ : ٢٢٥ وهى كالتالى :

أجود بمكنون التلافى واننى بترك عن سألنى لضنين
إذا جاوز الاثنى عشر فأننى بنشر وتكثير الحديث قمين
وعندى له يوما ما ائتمنتنى مكان بسوداء الفؤاد مكين

وورد في لباب الاداب لـ (أسامة بن منقذ) بتحقيق أحمد شاكر : ٢٧ •

ونهاية الارب ٦ : ٨٥ ، وعين الادب والسياسة ٢٧٠ ، ٢٧١ •

(١٢٤) ٤ النساء : مدنية ١٢٢ •

(١٢٥) ٩ التوبة : مدنية ١١٩ •

(١٢٦) ٣٦ يس : مكية ٥٢ •

(١٢٧) ٥ المائدة : مدنية ١١٩ •

وذم عليه . وقال الرسول ﷺ : « أن الصدق يهدي الى البر ، وإن الكذب يهدي الى الفجور ، وإن الكذب يهدي الى الجنة ، وإن الكذب يهدي الى النار » (١٢٨) في أشباه كثيرة لهذه الآيات والآثار ، وجب عليه أن يقتدى بالله وبرسوله ، فيهرب كلامه وحديثه عن الكذب . ويجتنبه ، ولا يتدنس به ، وكذلك إذا وجد الله — جل ذكره — قد هذب كلامه عن الخنا (١٢٩) والفحشاء الذي تشتمل منه النفوس ، وتتشعر منه الجلود . استقذارا له ، حتى عبر عن بعض الألفاظ بالغائط ، والغائط هو الأرض المطمئنة من السهولة ، وعن معنى آخر بالمجامعة . والنبي عليه السلام كنى عن ذلك بالبعال والمضاجعة والمباضعة والافضاء . وجب على الملك أن يتأدب بأدب الله — جل وعز — في تهذيب ألفاظه عن ارتفاع الخنا والقذغ والبذاء والشتيم والهجر (١٣٠) والفحش الذي يوجب الحد ، ويسقط (٣٨ / أ) العدالة ، ويدل على سوء العادة ، ولؤم المخرج والمنشأ ، ويوجب عذاب النار في الآخرة ، ويبقى قبح الأحداث والقالا .

وكذلك إذا رأى الله قد وصف نفسه بانجاز الوعد والوفاء بالعهد فقال : (إن الله لا يخلف الميعاد) (١٣١) . وقال : (وعد الله الذين آمنوا منكم) (١٣٢) . وقال : (وعد الله لا يخلف الله وعده) (١٣٣) . وأمر عباده

(١٢٨) حديث صحيح ، أخرجه البخاري ومسلم ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان الحديث ١٦٧٥ ، هداية الباري الى ترتيب البخاري ١٦٨ : ١٦٩ ، وصحيح مسلم ٢٠١٢ : ٤ حديث رقم ٢٦٠٧ كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .

(١٢٩) الخنا : الفحش في الكلام .

(١٣٠) الهجر : الفحش والبذاءة والقول القبيح .

(١٣١) آل عمران : ٩ و ١٣ الرعد : ٣١ .

(١٣٢) ٢٤ النور : مدنية ٥٥ .

(١٣٣) ٣٠ الروم : مكية ٦ .

أن يثنوا عليه ويدعوا به ، أنه (لا يخلف الميعاد) وقال فيما يأمر به عباده :
وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم (١٣٤) • وقال (بعهد الله أوفوا) (١٣٥) •
(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) (١٣٦) •

وقال ﷺ : (لا دين لمن لا عهد له) (١٣٧) • وقال : (إن حسن العهد
لن الايمان) (١٣٨) وروى عن نبي الله داود ﷺ أنه قال : (لا يعدن أحدكم
أخاه عدة ثم لا ينجزها له ، فان ذلك يورث بينهما العداوة) • هذا بعد أن
أخبر الله أن خلف الوعد من كبائر الذنوب حيث قال : (يا أيها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (١٣٩) •
مع أن الناس لا يزالون يمدحون ويمتدحون بالوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد
ويذمون ويتذامون بخلافهما ، مروي عن جليل من حكماء العرب أنه قال :
لأن أموت عطشا أحب إلى من أن أكون مخالف الوعد •
وقد روى أن النبي ﷺ أوصى بإنجاز مواعيده •

(١٣٤) ١٦ النحل : مكية ٩١ •

(١٣٥) ٦ الانعام : مكية ١٥٢ •

(١٣٦) ١٧ الاسراء : مكية ٣٤ •

(١٣٧) أخرجه ابن النجار • المناوى : كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق

ص ١٤٤ •

(١٣٨) رواه الحاكم والديلمى عن عائشة بلفظ جاءت عجوز الى النبي ﷺ

وهو عندى ، فقال لها من أنت ؟ فقالت أنا جثامة المزنية ، قال أنت حسنة •

كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ فقالت بخير بأبى أنت وأمى يا رسول

الله ، فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل هذه العجوز هذا الاقبال ! قال : « انها

كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الايمان » وقال الحاكم صحيح

على شرط الشيخين ، وليس له علة • كشف الخفاء ١ : ٤٣١ •

(١٣٩) ٦١ الصف : مدنية ٣٦٢ •

وقال بعض الشعراء :

إذا قلت في شيء نعم فأنعمه
فإن نعم دين على الحر واجب (١٤٠) .

في شكر الله على نعمه :

ومن ذلك شكر النعمة ومعرفة حق الصنيعة والمكافأة عن الحسنة ، فإن الله عز وجل قد وصف نفسه وأمر به عباده حيث يقول : (وكان الله شاكراً عليماً) (١٤١) ، ويقول : (والله شكور حلیم) (١٤٢) ، ويقول لعباده : (اشكروا لی ولا تكفرون) (١٤٣) ، ويقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) (١٤٤) . فيجب على الملك أن يتمثل هذا المثال الذي وصف الله به نفسه ، وحث عليه خلقه .

قالوا : ومعنى الشكر هو لله ولمن فوقك بالطاعة ، وللنظير بالمكافأة ، ولمن دونك بالافضال عليه والاحسان اليه ، ومعرفة ما يتقرب به إليك ، وكذلك إذا وجد الله جل وعز متنزهاً عن الفواحش ، متعالياً عن المحارم متقدساً عن المظالم اجتهد في إدراك هذه الصفة بمبلغ طاقتك وكنه مقدرته ، فيعف عن المطامع الدنية والشهوات المحرمة المخلقة للعرض (٣٨/ب) والبروءة ، المنهى عنها في الملة والشريعة فانها عار وشنار ، وطريق الى عذاب النار ، والله جل ذكره نفاهاً عن نفسه ونهى عنها عباده بقوله : (إن الله يأمر بالعدل

(١٤٠) في بهجة المجالس ٤٩٦:١ ، محاضرات الادباء ٢٩٦:١ دون نسبة ، وفي العقد الفريد ١٦٧:١ لابن أبي حاتم ، وحماسه البحتری ١٤٥ لهرم بن غنام السلولى ، والمختار من شعر بشار ١٣٧ لابی الاسود الدؤلى .

(١٤١) ٤ النساء : مدنية ١٤٧ .

(١٤٢) ٦٤ التغابن : مدنية ١٧ .

(١٤٣) ٢ البقرة : مدنية ١٥٢ .

(١٤٤) ١٤ ابراهيم : مكة ٧ .

والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (١٤٥) ،
وقال : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى
بغير الحق) (١٤٦) .

وقد بينا أن الواجب فى جلاله أقدار الملوك وأرتقاع شأوهم وعلو
مراتبهم الترفع عنها ، وصيانة الأعراض عن (١٤٧) التدنيس بها .
وفيما كتب به أرسطاطاليس إلى الإسكندر : إياك والطمع فإن فيه
فساد الملك (١٤٨) ، وقديما ما قالوا : الطمع ذل (١٤٩) ، وقالوا : الطمع
الكاذب فقر حاضر (١٥٠) .

وحكى عن أفلاطون : أنكروا الفجور فإن فشوه يهلك الأمة وهى من
خواص الدواب الدنية . قال : واعلم أنك فائز إن لم يصرعك المال والشهوات .
ومما أمر الله به مخالفة الهوى ، ومتابعة الحق ، فإن الله عز وجل
يقول : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى
المأوى) (١٥١) ، وقال : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض
ومن فىهن) (١٥٢) ، وقال النبى ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول
مداينته » .

-
- (١٤٥) ١٦ النحل : مكية ٩ .
(١٤٦) ٧ الاعراف : مكية ٣٣ وفى الاصل (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق) .
(١٤٧) غير موجودة فى الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها .
(١٤٨) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٣٣ بلفظ (. . وأجمع الكل منهم
على أن السخاء على نفسه مع اللؤم على رعيته عيب وفساد للملك) ، طبقات
الاطباء ٩٩:١ « الطمع يورث الذلة التى لا تستقال » .
(١٤٩) التمثيل والمحاضرة ص ٤٤٦ أقل ما فى الطمع الذل .
(١٥٠) التمثيل والمحاضرة ص ٤٤٦ الحرص ذل عاجل ، والطمع فقر حاضر .
(١٥١) ٧٩ النازعات : مكية ٤٠ .
(١٥٢) ٢٣ المؤمنون : مكية ٧١ .

الامل (١٥٣) • فان الهوى يصد عن الحق ، وان طول الامل ينسى الاخرة •
وقال أمير المؤمنين على : أخشى عليكم اثنين : طول الأمل
والهوى (١٥٤) ، ولقد قرأنا لسابترم ملك الهند في عهد له الى ابنه : « واعلم
أنك قد بليت من طبائعك ومكايدة أهوائك بحرب لا حرب أنفع لك فيها
الصلح معها (١٥٥) وأضر شيء عليك الهزيمة فيها ، ولا حرب إلا سيحتاج
صاحبها إلى المادة ، فاستمد لحلمك من أحلام العلماء ، ولعلمك من علمهم ،
ولعقلك من عقلهم فإن العقل الفرد لا يقوى على أمر العامة ، ولا يكتفى به
في أمر الخاصة » •

في وجوب التواضع :

ومما أمر الله به التواضع وترك التكبر ، فإن الله جل ذكره قد نهى
عنه وأخبر أنه لا يحبه من عباده ، فقال : (إن الله لا يحب من كان مختالا
فخورا) (١٥٦) ، وقال حكاية عن لقمان الحكيم : (ولا تمش في الارض
مرحاً) (١٥٧) ، وقال : (ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض
ولن تبلغ الجبال طولا) (١٥٨) •

(١٥٣) حديث ضعيف جدا ، أخرجه ابن عدى في الكامل عن جابر. ضعيف
الجامع الصغير ج ١ ص ١١٤ وهو من أقوال على بن أبى طالب رضى الله عنه كما
في الحلية ٧٦:١ •

(١٥٤) مروج الذهب ١١٧:١ •

(١٥٥) في الاصل (فيها) •

(١٥٦) ٤ النساء : مدنية ٣٦ •

(١٥٧) ٣١ لقمان : مكية ١٨ •

(١٥٨) ١٧ الاسراء : مكية ٣٧ •

وروى عن النبي ﷺ أن الله يقول : « إنما الكبر والعظمة (٣٩ / ١)
ردائي فمن نازعني في ثوبي سخطت عليه » (١٥٩) .

وقال النبي ﷺ : « من تواضع لله رفعه الله » (١٦٠) ، على ما في هذه
الخصلة من استعطاف الخاصة والعامة واستمالة قلوب الكافة ، وازدراع
المحبة في الرعية ، واتباع سنن الرسول ﷺ في السيرة ، وما زال العقلاء
يقولون : « التواضع من فعل الكرام » (١٦١) .

وقال أرسطاطاليس : البذخ رأس الفشل (١٦٢) .

وقد أشبعنا هذا الباب في باب المواعظ بما فيه الكفاية عن غيره ومندوحة
مما سواه .

ومن ذلك استقامة الطريقة حتى لا يبطر بالنعمة المستفادة فرحا ولا
يأسو على ما يفوته منها جزعا فإن ذلك مما حث الله عليه ومدح به في قوله :
« لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » (١٦٣) ، على أنه من

(١٥٩) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبى
هريرة وجده بلفظ قال الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة ازارى فمتى
نازعنى واحدا منهما قذفته في النار) . الترغيب والترهيب ١٦ : ٤ ، وسنن ابن
ماجه ، ٢ : ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، وأخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة
رضى الله عنهما بلفظ : قال رسول الله ﷺ « العز ازاره ، والكبرياء رداؤه ،
فمن ينازعنى عذبتة » صحيح مسلم ٤ : ٢٠٢٣ حديث رقم ٢٦٢٠ .

(١٦٠) حديث صحيح ، أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبى هريرة . الحلية :
١٢٩ : ٧ ، صحيح الجامع الصغير ٣ : ٣٠٥ ، رواه الطبرانى عن عمر بن —
الخطاب ، ولفظه : (قال عمر بن الخطاب على المنبر : أيها الناس تواضعوا
فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تواضع لله رفعه الله) الترغيب ٤ : ١٥
(١٦١) من حكم على بن أبى طالب . شعره وحكمه لـ (أحمد تيمور) ص :
٦٣ بلفظ (تواضع المرء يكرمه) .

(١٦٢) سرار الاسرار : ٧٤ بلفظ (أى ملك تجاوز في السعة ما ليس فيه
وكلف مملكته مما لا تحتمله فقد هلك وأهلك) .
(١٦٣) ٥٧ الحديد : مدنية ٢٣ .

الاخلاق التي مدح بها الحكماء الرجال فأطنبوا ، ووصفوه في المفاخر فأكثروا ، فروى عن ابن عباس — رحمه الله — أنه قال : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتقاعى بكلام كتب به إلى على بن أبي طالب — رضى الله عنه — وهو : « أما بعد ، فإن المرء ليسر درك ما لم يكن ليفوته ، ويسؤوه فوت ما لم يكن يدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا ، وما فاتك منها فلا تيأس عليه جزعا ، وليكن همك فيما بعد الموت » (١٦٤) .

وروى عن عثمان بن عفان هذان البيتان :

وإذا غنيت فلا تكن بطرا وإذا افتقرت فته على الدهر
واصبر فلست بواجد خلقا أدنى إلى فرج من الصبر (١٦٥)

وكتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر : لا تفرط من الجزع على ما فاتك

فإن ذلك من خواص النساء والضعفاء (١٦٦) .

وقد قال في الجاهلية لبيد :

ولا أنا تأتني طريف بفرحة ولا أنا مما أحدث الدهر جازع (١٦٧)

وقال النابغة في مدح بنى غسان :

(١٦٤) القضاعى (ت ٤٥٤ هـ) : دستور معالم الحكم من كلام أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه : ٩٦ و ٩٧ ، ونثر الدر للابى ١ : ٢٨١ ، ٢٨٢ مع اختلاف يسير .

(١٦٥) يوصى الشاعر بعدم الكفر بالنعمة عند الفنى ، وبالغزة عند الفقر وبالصبر لأنه أقرب الاخلاق الى الفرج .

(١٦٦) أرسطو : سر الاسرار : ٨٤ ، وابن الازرق : بدائع السلك ١ : ٥٢٩

(١٦٧) ديوان لبيد القصيدة ٣٠ في رثاء أخيه أريد . البيت الرابع ص ٨٨ ،

وفي الاصل : (لا) بدلا من (فلا) .

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب (١٦٨)

في الصبر :

وهذا باب جليل لا يفى به إلا الشهم الحول (١٦٩) من الرجال ، وأحد قسمي هذه الفضيلة الصبر على الشدائد والمكاره ، وقد أثنى الله — جل وعز — على (٣٩ / ب) الصابرين وأمر به حيث يقول : (واصبر على ما أصابك) (١٧٠) ، ويقول : (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) (١٧١) . ثم أثنى عليهم فقال : (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (١٧٢) . وقال : (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) (١٧٣) وروى عن النبي — ﷺ — أنه قال : (لا أحد أصبر على الأذى يسمعه من الله) (١٧٤) ، وأطبق الناس أصناف على اختلاف مذاهبهم وتفاوت طبقاتهم وطبائعهم وتباين أحوالهم على تفضيل هذه الخلقة وعدّها في الفضائل الجليلة والمناقب الشريفة .

وقد قال بعض الشعراء المجيدين :

(١٦٨) ديوان النابغة بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٤٨ ، وشرح البيت : وصفهم بالاعتدال فإن أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطلوا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم والبيان والتبيين ١ : ١٩٩ ، ٢ : ٣٤٧ الحيوان ٧ : ٢٥٩ ، وفي المختار من شعر بشار ٢١٤ أن البيت لـ (عثمان) رضى الله عنه .

(١٦٩) الحول : هو الرجل ذو الحيلة والتصرف الحسن في الأمور .

(١٧٠) ٣١ لقمان : مكية ١٧ .

(١٧١) ٢ البقرة : مدنية ١٧٧ .

(١٧٢) ٢ البقرة : مدنية ١٧٧ .

(١٧٣) ٢ البقرة : مدنية ١٥٦ ، ١٥٧ .

(١٧٤) أخرجه مسلم . صحيح مسلم ٤ : ٢١٦٠ حديث رقم ٢٨٠٤ في =

الحرص عون للزمان على الفتى
والصبر نعم القرن في الأزمان

لا تخضعن فان دهرك أن رأى
منك الخضوع أمده بهوان

وإذا رآك وقد قصدت لصرفه
بالصبر لا قسى الصبر بالاذعان (١٧٥)

وقال آخر :

أخلق بذى الصبر أن يظفر (١٧٦) بحاجته
ومدمن القرع للابواب أن يلجأ

لا تئأس وإن طالبت مطالبه
إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا (١٧٧)

وقال آخر : (١٧٨)

= صفات المنافقين ، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ، (ويسمعه)
ساقطة من الأصل . (١٧٥) الشاعر هو محمود الوراق .

البيتان الأول والثاني في بهجة المجالس ١ : ١٥٧ .
(١٧٦) هكذا في الأصل والصواب يحظى لان تظفر تكسر البيت عروضيا ،
وهكذا وردت في العقد الفريد ١ : ١٦٤ ، وعيون الاخبار ٣ : ١٢٠ .
(١٧٧) ورد البيتان في الحماسة : ١٣٩ ، والتذكرة السعيدية ٣٣٩ ، وأدب
الدنيا والدين منسوبين الى محمد بن بشر (المتوفى ٦٣ هجرية) أوردها الجاحظ
في البيان والتبيين ٢ : ٣٦٠ وابن عبد البر في بهجة المجالس ١ : ١٨٢ ، وابن
مقبة في الشعر والشعراء ٨٨٣ الى محمد بن يسير (المتوفى ٢١٠ هـ) الاعلام
٨ : ١٥٠ .

(١٧٨) هو عبيد بن الأبرص . توفي نحو ٢٥ قبل الهجرة ، وهو شاعر
من دهاة الجاهلية وحكمائها وأحد أصحاب المجهرات ، وعاصر أمرا القيس وله
معه مناظرات ومناقضات ، قتله ابن المنذر حين وفد عليه في يوم يؤسبه ، وعقب
الشيخ أحمد شاكر وقال : أن الذي قتله هو المنذر بن مناة السماء . الشعر
والشعراء ١ : ٢٧٣ ، والاعلام ٤ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

اصبر النفس عند كل ملم
إن في الصبر حيلة المحتال
لا تضيقن في الأمور فقد
يكشف عماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الأمر
له فرجة كحل العقال (١٧٩)

وقال آخر :

الصبر أوله مر مذاقته
لكن آخره أحلى من العسل
ومن ذلك الأخذ بالحزم ، وتقوية العزم ، وحذر الاقدام على الأمور
من غير تبين الفرصة ، وقلة الاغترار بمن يدعو إلى التوكل ، وهو واجد إلى
الاحتياط سبيلا وعلى وجه الرأى دليلا ، فإن ذلك مما يؤدي إلى الهلاك ،
والله — عز وجل — يقول : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (١٨٠) ، وقد أمر
الله — جل وعز — بتغيير شكل الصلاة وهى عماد الدين عند ملاقات العدو ،
ومخافة القتل والدنو (٤٠ / أ) فقال : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة
فاتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من
ورائكم) (١٨١) إلى آخر الآية •

(١٧٩) ورد البيتان في بهجة المجالس ١ : ١٨٤ دون نسبة ، لباب الاداب
: ٢٩٤ منسوبان الى عبيد بن ابرص ، وأنشدهما ابن المراكى للبستى . روضة
العقلاء : ١٥٩ .

(١٨٠) ٢ البقرة : مدنية ١٩٥ .

(١٨١) ٤ النساء : مدنية ١٠٢ .

وروى عن النبي ﷺ : (اعقلها وتوكل) (١٨٢) وكان اذا مر بهدف مائل أسرع المشى ، على ما فيه من عادة التفكير والتدبر ومجانبة التغافل والتهور ، واستخراج تأويل أواخرها ومعرفة عواقبها بمبادئها ، وأفولها بطلوعها ، وما فيها من سرور ذوى الرأى والاصابة ومخايل (١٨٣) السلامة وإبلاء (١٨٤) المعذرة عند النفس •

على أن الناس لم يزالوا يذمون المتهور المقدام على غير بصيرة وروية

في الحزم :

وأحد قسمي الحزم : سوء الظن ، وتوهم الامور على أشد ما تسبق إليه النفوس ، ويجوز كونه في العقول ، ولذلك ما جعل في أخلاق الملوك أن لا يعرف لهم مبيت ولا مقيل •

وحكى في سير ملوك آل ساسان من أردشير وسابور ، وبهرام جور ، ويزدجرد وأبرويز وأنوشروان : أنه كان يفرش للملك منهم أربعون فراشا ليس منها واحد إلا وأن تأمله متأمل ، ونظر إليه من البعد ناظر ظنه فراش الملك خاصة ولعله أن لا يكون على واحد منها ، بل ربما توسد ذراعه ونام (١٨٥) في ناحية لا يوقف عليه ولا يسبق الوهم اليه •

وقد أمر الله نبيه عليه السلام بهذا الباب حيث غاب عن فراشه عند نزول الوحي بما هم به المشركون ودبروه عليه وأرادوا به •

(١٨٢) حسن ، أخرجه الترمذى عن أنس ٤ : ٦٦٨ في القيامة حديث رقم ٢٥١٧ ، صحيح الجامع الصغير للالبانى ١ : ٣٥٢ .
(١٨٣) دلائل وعلامات .
(١٨٤) إبلاء المعذرة : الاجتهاد في المعذرة . المعجم الوسيط ١ : ٧٠ .
(١٨٥) النص لدى الجاحظ في أخلاق الملوك ص ١٢٦ ، ١٢٧ •

والثانية : مشاورة أهل الرأي والفضل ، والعلم ، والعقل والدين والأمانة والعفة ، والتجربة ومن يخصه من الامر المستشار فيه ما يخص المستشار ، دينا كان أو دنيا .

وقد أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بعد ما قدم اليه من التوفيق والتأييد والتقوية والتسديد ، وضمن له من الاظهار والنصرة وإعلاء الكلمة والعصمة بقوله : (والله يعصمك من الناس) (١٨٦) ، بالمشاورة فقال : (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) (١٨٧) ، ومدح أقواما بذلك فقال : (وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) (١٨٨) . وكانت هذه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في عامة أيامه (١٨٩) ولذلك ما قال فيما روى عنه : (لى وزيران فى السماء ووزيران فى الارض) (١٩٠) . (٤٠ / ب) وقال « لو استخلفت أحدا من غير مشاورة لاستخلفت بن أم عبد » (١٩١) . ثم لم يزل أهل العقول يفرعون الى الشورى فى كل ما يقع بينهم ، ويمدحون فاعله ، ويذمون المستبد برأيه ، والمرتكب لأهوائه ، وقد قال فيه أحد الشعراء :

-
- (١٨٦) ه المائدة : مدنية ٦٧ .
 (١٨٧) آل عمران : مدنية ١٥٩ .
 (١٨٨) ٤٢ الشورى : مكية ٣٨ .
 (١٨٩) يروى عن أبى هريرة قال : (ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ) سنن الترمذى ٢١٤ : ٤ رقم ١٧١٥ باب ما جاء فى المشورة .
 (١٩٠) أخرجه الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى بلفظ (ان لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض ، فاما وزيراى من أهل السماء فجبرائيل وميكائيل واما وزيراى من أهل الارض فأبواب بكر وعمر) . المستدرک على الصحيحين ٢ : ٢٦٤ .
 (١٩١) أخرجه ابن ماجه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . سنن ابن ماجه ١ : ٤٩ رقم ١٣٧ فى فضل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

خليلي ليس الرأي في صدر واحد أشيرا على اليوم ما تريان (١٩٢)
وكان عبد الله بن المعتز يقول : المشورة راحة لك ، وتعب على
غيرك (١٩٣) • وفي بعض كتب الهند : من وصل عقول العقلاء بعقله استبان
بها من الامور مثل الذي يستبين في الظلمة نور المصابيح •
ولا يجوز للملك أن يغفل هذه الخلّة ، ويضرب عنها صفحا مع جلالة
موقعه ، وعلو مرتبته ، وعظم الخطر في كثير من أموره ، على ما فيه من
الائتمار بأمر الله والاعتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم •

في التوسط :

ومن هذا الباب العدل في السيرة ، وسلوك الواسطة وتجنب أطراف
الفضائل ، ومجاورة الحدود ، والميل الى ترك الإفراط والتفريط ، فإن
الطريقة المحمودة بينهما ، والشجاعة بين التهور والتحرز ، والعبادة بين
التهتك والتبتل ، والجزم بين الاستقصاء والإهمال ، والجود بين التقدير
والتبذير ، والحلم بين الطيش والتذلل ، والتواضع بين التملق والتكبر ،
والغنى بين الاكثار والاقتار •

وقد بين الله ذلك في كتابه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) (١٩٤) •

(١٩٢) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ١٣٥ والشطر الثاني من
البيت : وأشير على بالذي تريان ، وبهجة المجالس ج ١ : ٤٥٣ ونسبه الى
عطارد بن قرن توفي . . . هـ تقريبا ، وورد في الاعلام ج ٥ / ٣١٠ . . .
(١٩٣) التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ١٨ . . .
(١٩٤) ١٧ الاسراء : مكية ٢٩ . . .

وقال : (والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (١٩٥) .

وقال فيما نقل عن لقمان في مواعظه لابنه : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا) (١٩٦) ولقن الله عباده الدعاء بالجمع بين حسنى الآخرة والأولى فقال : (ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة) (١٩٧) وقال الله : (فاتقوا الله ما أستطعتم) (١٩٨) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص حين بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل : (انك اذا فعلت ذلك هجمت عينك ، ونهكت نفسك ، ولكن قم ونم وصم وأفطر) (١٩٩) .

وقال : (خير الناس النمط الأوسط الذى يرجع إليه الغالى ويلحق به التالى) (٢٠٠) .

وقال : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) (٢٠١) .

(١٩٥) ٢٥ الفرقان : مكية ٦٧ .

(١٩٦) ٣١ لقمان مكية ١٨ .

(١٩٧) ٢ البقرة : مدنية ٢٠١ .

(١٩٨) ٦٤ التغابن : مدنية ١٦ .

(١٩٩) يروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يسرد الصوم ولا ينام الليل ، فشكاه أبوه الى رسول الله فقال له : ان لعينيك عليك حقا ، وان لاهلك عليك حقا ، قم ، ونم ، وصم ، وأفطر ، ثم صم ثلاثة أيام فى كل شهر فذلك صيام الدهر . الاستيعاب ٣ : ٩٥٧ ، أخرجه الخمسة الا الترمذى . تيسير الوصول ٢٨ : ١ .

(٢٠٠) من أقول على بن أبى طالب . نثر الدرر للابى ١ : ٢٧٧ .

(٢٠١) أخرجه البخارى والنسائى بلفظ : (ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احدا الا غلبه) تيسير الوصول ٢٩ : ١ .

(٤١ / أ) وفي كتاب أمير نامه : لا تعظم صغيرا ، ولا تصغرنا عظيما ،
ولا تنس القصد والقدر في أمورك كلها ، فإن من جاوز القدر مذموم ، وإن
كان أوله محمودا .

وكانت العرب تقول : (أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك
يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما) (٢٠٢) .

والآثار في هذا الباب كثيرة ، وتفسير الضرر العارض في كل باب منه
في المملكة والعمارة والسياسة والديانة عسير ، والآخذ نفسه بالمذهب
المرضى فيه عزيز ، والملك الفاضل أولى الناس وأحراهم باقتناء هذه الفضيلة
واجتناب هذه الرذيلة .

في الحسد :

ومن هذا الجنس الحسد ، فإن الله — جل وعز — ذم الحسد في غير
موضع من كتابه ، وأمر بالاستعاذة من شر الحسود ، وقال : (أم يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة
وآتيناهم ملكا عظيما) (٢٠٣) إخبارا منه — جل وعز — أن حسد الحسود
لا ينفع الحاسد ولا يضر المحسود .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إياكم والحسد فإنما

(٢٠٢) حديث حسن ، أخرجه الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة — صحيح
الجامع الصغير ١ : ١١١ رقم ١٧٦ ورواه الطبرانى فى الاوسط والكبير عن ابن
عمر ، وفيه جميل بن زيد ، وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٨ : ٨٨ .
(٢٠٣) ٤ النساء : مدنية ٥٤ وفى الاصل فى الآية : الحكم والنبوة .

هي الحالقة لا أقول أنها تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين (٢٠٤) .

وقال أردشير : « ليس للملك أن يحسد إلا ملوك الأمم على حسن التدبير » (٢٠٥) .

في النهي عن هذه الرذيلة آثار كثيرة ، ولم يزل الحاسد مذموماً عند العلماء موصوفاً بالجهل عند العقلاء ، وذلك لضره بنفسه بما لا يضر به غيره وتكديره لمعيشته ، ودفعه عن نفسه لذة حياته .

في التأنى والتدبر :

ومنها التثبت في الأمور المشككة ، واستبانة العوارض المبهمة ، واستعمال التأنى والتؤدة ، فان الله قد أمر بذلك في كتابه فقال : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٢٠٦) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) (٢٠٧) . وعلى أنه قد روى صلى الله عليه وسلم : (العجلة من الشيطان والتأنى من الله) (٢٠٨) .

(٢٠٤) رواه أبو داود والبيهقي بلفظ « اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . الترغيب والترهيب ١٢:٤ ورواه ابن ماجه عن أنس بلفظ « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٠٨ رقم ٤٢١٠ في كتاب الزهد ، باب الحسد .

(٢٠٥) عهد أردشير تحقيق احسان عباس ص ٦٩ .

(٢٠٦) ٤٩ الحجرات : مدنية ٦ .

(٢٠٧) ٢٠ طه : مكية ١١٤ .

(٢٠٨) حديث حسن ، أخرجه البيهقي عن أنس بلفظ « التأنى من الله والعجلة من الشيطان » صحيح الجامع الصغير ج ٣ ص ٥٧ كما رواه ابن أبي =

ثم لا يجب أن يكون تأنيه في الأمور بلاذة وكسلا ، ولكن تفكرا
وحذرا من زلل المستعجل وخبيثة^(٢٠٩) الغافل ، ورغبة في إصابة العاقل .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤١ / ب) أنه قال : (إذا أردت أمرا
فتدبر عاقبته ، ، فان كان رشدا فأَمْضِهِ وإن كان غيا فأنهه)^(٢١٠) .

وحكى عن قثم بن جعفر بن سليمان قال : حدثني حسن الخادم قال:
أشهد بالله ، لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبه
ثوبه ويدي يده وهو يقول في مناجاته ربه : اللهم إني أستخيرك في قتل
جعفر بن يحيى » ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست^(٢١١) .

فالواجب على الملك الفاضل أن لا يخرج له فعل إلا بعد التدبير
والتفكر في رشده وغيه وخيره وشره فيجتنب خيره ويدع شره ، فان عزم
على فعل الشر لا محالة أخره ، وإن عزم على فعل الخير عجله ، لأن الشر
إذا فاته لا يضره وربما نفعه ، والخير إذا فاته ضره ولم ينفعه ، بل ربما
عظمت عليه ندامته وكثرت حسرته ، ثم إن واقع خيرا وعمل حسنة حمد الله
على حسن توفيقه له ، ومعاونته عليه ، وهدايته اليه ، وإن واقع سيئة وفعل
شرا ندم عليه ، واستغفر الله تبارك وتعالى ، وتاب اليه منه فان الله لم يعد

= شيبه وأبو يعلى وابن منيع والحارث بن أسامة في مسانيدهم، وله شواهد عند
الترمذي ، وقال حسن غريب بلفظ « الاناة من الله والعجلة من الشيطان » كشف
الخفاء ١ : ٣٥ .

(٢٠٩) غير واضحة في الاصل .

(٢١٠) حديث موضوع أخرجه ابن المبارك في الزهد عن أبي جعفر بن سور
الهاشمي مرسلا . ضعيف — الجامع الصغير ج ١ ص ١٤١ وإن المبارك : الزهد
ص ١٤

كشف الخفاء ٢ : ٥٠٨ ، المقاصد الحسنة ٤٩٧ .

(٢١١) الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك تحقيق فوزي العطوي ص ٧٣، ٧٤

لأحد من عباده المغفرة إلا بالاستغفار ، وترك الإصرار ، ولا توبة بالرحمة عليه إلا بعد توبته من المعصية له وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) (٢١٢) ثم اذا سنحت (٢١٣) الآراء المختلفة ، وتراحمت عليه الامور المتمايلة ، فالواجب أن يبدأ بالدين يتقدم له أجره ، ويبقى له ذخره ، ثم يثنى (٢١٤) بالمكارم التي يبقى له ذكرها ، ويطيب له نشرها ، ولا ينبغي أن يرغب عما يبقى له الذكر الحسن والثناء الجميل ، فان الله — جل وعز — مع علوه عن أن تلحقه المنافع والمضار والآلام والملاذ رغب في الشكر من خلقه واستدعاه منهم ، وأوجبه عليهم فقال : (اشكروا لى ولا تكفرون) (٢١٥) • وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وأما بنعمة ربك فحدث) (٢١٦) •

في بقاء الذكر :

وأعظم الله المنة على نبيه — عليه السلام — حين رفع ذكره فقال : (ورفعنا لك ذكرك) (٢١٧) • ولم تنزل العقلاء من ملوك العالمين والفضلاء من المؤمنين يسعون لهذه الخلعة ، ويجتهدون في نيلها ، ويشيخون بها بالابدان والاموال والارواح والاملاك ، ورأوا أن بقاء الذكر بقاء للمذكور حتى

(٢١٢) رواه أبو الشيخ والديلمي عن ابن عباس . رفعه ، وكذا العسكري عنه في الامثال بسند ضعيف ، وأخرجه الطبراني عن أبي هريرة ، وزاد في آخره « فطوبى لمن وجد في كتابه استغفارا كثيرا » لكن في اسناده بشر بن عبيد الفارسي متروك ، كشف الخفاء ٥٠٨:٢ ، المقاصد الحسنة ٤٩٧ .

(٢١٣) سنح الراى أو الامر عرض — المنجد ص ٣٦٧ .

(٢١٤) فى الاصل غير واضحة .

(٢١٥) ٢ البقرة : مدنية ١٥٢ .

(٢١٦) ٩٣ الضحى : مكية ١١ .

(٢١٧) ٩٤ الشرح : مكية ٤ .

احتال لذلك كثير من الملوك (٤٢ / أ) والحكماء بأنواع الحيل ، فمنهم من طلبه بابتغاء الابنية العجيبة الوثيقة ، والتصاوير الانيقة المنقورة في الجبال والصخور ، والمنقوشة في الابنية والدور الباقية على مر الدهور ، ومنهم من طلبه في تأليف الكتب وتصنيف العلوم التي يبقى له نفعه ويحيا به ذكره على وجه الزمان ومر السنين والاعوام ، ومنهم من طلبه باظهار السياسات العادلة وبناء المحامد الفاضلة ، ومنهم من طلبه بالعبادة والتدبر والدعوة اليه فنال الدنيا والآخرة . وهذه الخصلة من أجل الخصال الدالة على بعد الهمة في طلب البقاء لأن صاحبها يسمو بزمته إلى بقاء الابد والنعيم السرمد ، فاذا لم يجد الى ذلك في هذه الدار الفانية والحياة المنقضية الماضية احتال القوى العزم لنيله ذلك في دار القرار ، والذكر في هذه الدار ، وذكر الناس جميعا إبراهيم — عليه السلام — فقال : (واجعل لى لسان صدق في الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم) (٢١٨) .

ولقد ذكر ذلك أردشير في عهده ، وجعله من خاص فضائل الملوك حيث قال : « واعلموا أن لباس الملك ومطعمه مقارب للباس السوقة ومطعمهم وبالحرى أن يكون فرحهما بما نالا من ذلك واحدا ، وإنما فضل الملك (٢١٩) على السوقة إنما هو لقدرته على اقتناء المحامد وقوته على استفادة المكارم وأن الملك اذا شاء أحسن ، وليس للسوقة ذلك » (٢٢٠) . وقال أرسطاطاليس لاسكندر : واعمل على أنهم في عقبك ، وأن

(٢١٨) ٢٦ الشعراء : مكية ٨٤ ، ٨٥ .

(٢١٩) في الاصل (الملوكة) .

(٢٢٠) عهد أردشير : ٧٠ بتحقيق د — احسان عباس .

مديحهم أطول عمرا منك (٢٢١) ، فلا ينبغي للملك الفاضل أن يرغب عن هذه الخصلة الشريفة والمنقبة الجليلة ، ولكن يجب أن يرغب منها في أفضلها ، وأعلاها ، وأجلها ، وأبقاها ، ويجتهد في أن يكون الذكر الحسن يجرى على السنة الصادقين الذين لا يظن بهم الكذب ، والفضلاء الذين يسمون بأنفسهم ، ولا يعرفون باللعب ، ولا يجعلون المدح والثناء أسواقا يطلبون منها الأرباح ، ويبغون بها قضاء الحاجات كالمخانيث والمساخر والمهين ، فإن مدائح أمثالهم على الحقيقة مدام ، ومادحهم ملاوم لأنهم يمدحون المذموم إذا أعطاهم ، ويذمون الممدوح إذا حرمهم ، ثم لا يقبلون (٤٢/ب) معذرة ، ولا يقللون عثرة ، ولا يغفرون زلة ، ثم ليس لهم في كتاب الله قسط ولا في مال الله سهم ، فاذا أعطاهم الملك ما أرضاهم به أسخط الله — جل ذكره — واستندم الفضلاء وأهل الدين .

وقد قال النبي ﷺ : (إذا رأيت المداحين فاحثوا في وجوههم المقرب) (٢٢٢) .

(٢٢١) رسالة أرسطاطاليس لالاسكندر في السياسة : ٤٩ بلفظ (واعلم أن الايام تأتي على كل شيء فتخلق الافعال وتمحو الاثار فتميت الذكر الا مارسخ في قلوب الناس محبة تتوارثها الاعقاب فاجتهد بالظفر بالذكر الجميل الذي لا يموت وفي سر الاسرار : ص ٧٥ يقول : (الرياسة ليست تراد لنفسها وانما للذكر الجميل ، وفي : ص ٧٨ ثم يتصفح رقاعهم ويقضى حوائجهم ويكثر منحهم ويعفو عن مذنبهم فيجمل موقع هذا من نفوسهم ويعظم سرورهم وتتشرب ذلك قلوبهم ويتحدثون بذلك عند اهليهم وبنيتهم ، فينشأ الطفل منهم على طاعة ومحبة وتسر نساؤهم بما يسر رجالهم .

(٢٢٢) أخرجه ابن ماجه والترمذي عن المقداد بن عمر ، بلفظ : (قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين التراب) سنن ابن ماجه ١٢٣٢:٢ رقم ٣٧٤٢ في كتاب الادب ، باب المدح ، والترمذي ٥٩٩:٤ رقم ٢٣٩٣ في الزهد باب ما جاء في كراهية المدحة والمداحين .

ولقد أحسن عمرو بن بحر (٢٢٣) — رحمه الله — في فصل من كتابه حيث قال : واعلم أن نشر المحاسن لا يليق فيك إلا إذا كان القول على السنة أهل الروايات وذوى الصدق والوفاء ، ومن ينجع قوله في القلوب ، ومن يشتاق إلى قوله ويصدق خبره ، وممن إذا قال صدق أو مدح اقتصد ويثني بقدر البلاء .

في الثناء والمدح :

فإن إسراف الثناء على قدر النعمة يولد في القلوب التكذيب ، ويدل على طلب الزائد ، فأما ثناء المادحين لك في وجهك ، فانما تلك أسواق أقاموها فإن ساهلوك في المبايعة ولم يكن عليهم في الثناء كلفة لكساد أقاويلهم عند الناس ، فأولئك الصادقون عن طرق المكارم والمثبطون عن ابتغاء المعالي ، فارتد لنفسك مغرساً تنمو فيه فروعها ، وتركو ثمرتها .

اشتغال الملوك بعظام الامور :

لا تذهب نفقتك ضياعاً إلا لاجل تقدمه ، أو لعاجل من ثناء ينتفع به ، ثم إذا قابلت الامور ، وازدحمت واستوت في هذه الأبواب ، فالواجب أن تشتغل بأعظمها خطراً ، وأجلها قدراً ، وأكثرها إن فأت ضرراً ، فإن الاشتغال بصغار الأمور على كبارها إضراراً بالكبار والصغار جميعاً ، وإضاعة وإهمال فإن استوت في هذا الباب فبأقربها مثناً وأرجأها دركاً ،

(٢٢٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء الليثي ، يكنى أبا عثمان ، والملقب بالجاحظ كبير أئمة الادب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مولده بالبصرة ، وتوفي بها عام ٢٥٥ هـ . نزهة الالباء : ١٤٨ ، وفيات الاعيان ١٤٠ : ٣ ، ومعجم الادباء ٥٦٠ : ٦ / ٨٠ .

فان مزاوله تبعيد القريب وتقريب البعيد صعب شديد ، وخرق عتيده ،
وتضييع وإهمال .

وهذه جملة كافية في باب المساعي والأفعال وموازنة الأعمال ،
وملابسة الاشغال ، وفيها تمام أبواب الفضائل النفسانية ، وأصولها ،
وعوام مالا بد منه من فروعها ، ذكرناها ، ودللنا عليها ، وحررنا ما يعرض
للملوك وغيرهم في هذا الوقت اذ لا نهاية لها ولا يمكن حصرها .

الالتزام بالكتاب والسنة والاجماع :

وليس شيء مما يحتاج اليه الملوك والرعايا والرؤساء والمرؤوسون
في دين أو دنيا إلا وجدت له في كتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ وسيره
وأخباره أصلاً محكماً ، وأثراً بيناً ، أما نصاً (٤٣ / أ) لا مخالف له ،
ولا شبهة فيه ، وإما دلالة يسهل استخراجها أو مجملها يمكن شرحه وتفسيره
وكيف لا يكون كذلك والله — تبارك وتعالى — يقول : (ما فرطنا في الكتاب
من شيء) (٢٢٤) ويقول : (ونزلنا عليك الكتاب بياناً لكل شيء) (٢٣٥) .
فكل من ادعى حكمة أو علماً يخالف ما في كتاب الله أو يضاده ديناً فيه
ويدافعه فهو جهل محض وعيب بحث لا حكمة معه .

وقد أمر الله خلقه بكل خير وفضيلة ونهى عن كل شر واثم ورذيلة
— فقال جل وعز — (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) (٢٢٦) . وقال : (إن
الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى) (٢٢٧) . وقال : (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما

(٢٢٤) ٦ الانعام : مكية ٣٨ .

(٢٢٥) ١٦ النحل : مكية ٨٩ .

(٢٢٦) ٢٢ الحج : مدنية ٧٧ .

(٢٢٧) ١٦ النحل : مكية ٩٠ .

بطن) (٢٢٨) • وقال . (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) (٢٢٩) • وقال : (من يعمل سواء يجز به) (٢٣٠) • فحث جل ذكره على كل خير ودل مجملا على كل فضل ، ثم نشر كثيرا منها على لسان رسوله ﷺ ، وكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخباره ، وثبت على السنة الرواة من آثاره فانما هو مما نص الله عليه على هذا الترتيب ، لأنه قال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٢٣١) • وقال : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٢٣٢) • فاذا تتبعنا بأمر الله آثار نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسيره ، ومغازيه ، وجدنا فيها كل حكمة بالغة ، ومنقبة جائلة ، وشرف ، وفضيلة ، وأدب حسن ، وقول متقن ، وأصل من أصول الدين قوى وعلم بين •

ثم دل النبي ﷺ على طلب الحق في إجماع أمته ، وعند علماء صحابته فقال : (لا تجمع أمتي على ضلالة) (٢٣٣) وقال : (اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر) (٢٣٤) وقال : (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) (٢٣٥)

-
- (٢٢٨) ٦ الانعام : مدنية ١٥١ •
 (٢٢٩) ٢١ الانبياء : مكة ٩٤ وفي الاصل « ومن » •
 (٢٣٠) ٤ النساء : مدنية ١٢٣ •
 (٢٣١) ٥٩ الحشر : مدنية ٧ •
 (٢٣٢) ٤ النساء : مدنية ٥٩ •
 (٢٣٣) رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي نضرة الغفاري رفعه في حديث (سألت ربي أن لا تجمع أمتي على ضلالة ، فأعطانيها) كشف الخفاء ٢ : ٤٨٨ ، المقاصد الحسنة ٤٦٠ رقم ١٢٨٨ •
 (٢٣٤) صحيح ، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة ، وزاد العقيلي « وأهتدوا بهدي عمار ، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه » . كشف الخفاء ١ : ١٨١ •
 كما رواه ابن عدي في الكامل ، صحيح انجم الصغير ج ١ ص ٣٧٢ •
 (٢٣٥) ضعيف ، رواه البيهقي ، وأسند الديلمي الى ابن عباس بلفظ « أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم » . كشف الخفاء ١ : ١٤٧ وكنز العمال ١ : ١٩٩ •

وفضل كلا من أصحابه بما خصه الله به من الفضيلة ، وآتاه من المآثر
الجليلة ، فدلنا النبي ﷺ على أخذ العلم من بعده منهم ، والاقتداء فيما
أصابوا بهم ، وإذا تتبعنا أخبارهم واقتفينا آثارهم وجدنا فيها كل حكمة
وزهد وعبادة وسيرة فاضلة ومنقبة شريفة • ثم لم يزل في ملة الإسلام
— والله الحمد — علماء يعلمون كتابها ، ويفسرون مشكلها ، ويفرعون أصولها ،
ويستخرجون حوادثها ، ويحامون عنها بالحجج الظاهرة والدلائل القاهرة ،
والمملوك وان كان فيهم من مال (٤٣ / ب) الى الدنيا وأغتر بزبرجها
وزخرفها ، لم يدعوا الذب عن اثلتها (٢٣٦) والدفاع عن بيضتها ، والحمل
على ظواهر شريعتها ، ولهم سير عجيبة وآثار غريبة ، فاذا تتبعها الملك
المعنى بصلاح مملكته ، وعرفها الداعي المهتم بأمور رعيته ، وجد في كل باب
من هذه الأبواب كل ما يحتاج إليه في أحكام سياسته ، ورياضة نفسه
وإصلاح مملكته ، ويجمع له مع ذلك تقوى ربه والفوز في عاقبته وحسن
الأحدوثة في حياته وبعد وفاته بعون الله ومشيبته وحوله وقوته •

(٢٣٦) اثلتها : أثلة كل شيء أصله • وتأثيل المجد أي بناؤه • اللسان : مادة
أثـل •

الباب السادس

في سياسة الخاصة

واذ قد ذكرنا ما يجب على الملك الفاضل في سياسة نفسه ورياضتها على تقوى الله — جل ذكره — والاقتداء به في أفعاله ، والائتمار بأوامره ، والانتفاء عن زواجه ، والتأدب بآدابه التي يستجمع بها الخصال الفاضلة الشريفة ، والخلال المستحسنة الحميدة ، فان أولى الاشياء بنا أن نصف^(١) له سياسة خاصته وخدمه وحاشيته فنقول :

الملك وأخلاق خاصته :

ان مما يجب على الملك الفاضل أن تكون عنايته بأمر خاصته أقدم وأكثر وأعم وأوفر حتى يروضهم رياضة لا يكون في أهل مملكته وضمن ولايته من هو أسرع الى طاعته وأبعد من معصيته ، وأقوى عزما في نصرته ، وأحسن أدبا في خدمته منهم ، اقتداء بالله — جل وعز ، واحتذاء على مثاله في خلقه . ذلك أن الله — عز وجل — لما خلق خلقه ، وأوجب في حكمته أمرهم وزجرهم وتعبدتهم بما هو أصلح لهم ، وأنظم لأمرهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم وأولاهم ، أصطفى منهم ملائكة جعلهم جنودا على خليقته موكلين بأمور بريته ، وأعوانا لاهل دعوته ، وجعلهم أقرب الخلق إليه منزلة ، وأدناهم من كرامته مرتبة ، واجتباهم ممن علم أنهم لا يعصونه ما أمرهم بل يسبحون له الليل والنهار وهم لا يسأمون ولا يفترون ، وجعلهم مع ذلك أطولهم بقاء ، وأقواهم على طاعته قوة ، وأوسعهم على تنفيذ أوامره ، وتبليغ رسالاته في أرضه وسماواته قدرة .

(١) في الاصل : (يصف) .

ثم اصطفى من الناس رسلا ، فصيرهم أمناء على خلقه ، فجعلهم
ممن علم أنهم أقوى الخلق عزيمة ، وأبعدهم بصيرة ، وأكثرهم له طاعة ،
وأقلهم له بعد الملائكة (٤٤ / أ) معصية ، وأنهم لا تكون منهم كبيرة
يخرجون به من ولايته ، ويزنون بعداوتهم ، أو يتهمون بها في أداء رسالته ،
وتأسيس ملته وديانته وشريعته وصنعتهم ، بل جعلهم أمناء ، نجباء ، حكماء ،
علماء فضلاء ، أبرار ، أتقياء ، كراما ، أقوىاء على ما بين من ذلك في كتابه ،
وأوضحه في خطابه حيث قال : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٢) .

ويقول : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (٣) . ويقول :
(لن يستتلف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) (٤) . ويقول :
(كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) (٥) . وقال : يسبحون الليل والنهار
لا يفترون) (٦) . وقال : (بأيدي سفرة كرام بررة) (٧) . وقال :
(انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) (٨) .
وقال في صفة أنبيائه من البشر : (وابراهيم الذي وفى) . وقال : (واتخذ
الله ابراهيم خليلا) (٩) . وقال في صفة موسى : (وأنا اخترتك فاستمع لما
يوحي) (١٠) . وقال : ان خير من استأجرت القوم الامين) (١١) ، وفى

(٢) ٦ الانعام : مكية / ١٢٤ فى الاصل : (الله يعلم حيث يجعل رسالته)

(٣) ٢٢ الحج : مدنية / ٧٥ .

(٤) ٤ / النساء : مدنية / ١٧٢ .

(٥) ٨٢ / الانفطار : مكية / ١٢ ، ١٣ .

(٦) ٢١ / الانبياء : مكية / ٢٠ .

(٧) ٨٠ / عبس : مكية / ١٥ ، ١٦ .

(٨) ٨١ / التكوير : مكية / ١٩ — ٢١ .

(٩) ٤ / النساء : مدنية / ١٢٥ .

(١٠) ٢٠ طه : مكية / ١٣ .

(١١) ٢٨ / القصص : مكية / ٢٦ .

يوسف : (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) (١٢) وقال فى صفة عيسى : (وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا) (١٣) . وقال لحمد صلى الله عليه وسلم : (وإنك لعلی خلق عظیم) (١٤) . وقال : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (١٥) . ثم أمدهم جميعا بتوفيقيهم ، وعصمهم بتسديده ، وقواهم بأسره ، وأعزهم بنصره ، وأيد بصائرهم بفضله وطوله .

فكذلك يجب على الملك أن يروض عليه ، ويسوس به خاصته على مقدار طاقته ، ومنتهى قوته .

ثم أن يحل خاصته على مقدار طاقته ومنتهى قوته منه محل الآله من الصانع التى لا يجوز له تنفيذ شيء من صناعاته وأرادته إلا بها ، لأن الآله اذا فسدت فسد العقل وتعذر انقاذه ، وإبرامه ، واتقانه ، وأحكامه . ثم لأن جل أموره مفوضة اليهم ومعصوبة بهم ، وهم منسوبون اليه ، ومشبهون به ، يستدل بأدابهم على أدبه ، وبأخلاقهم على خلقه ، وبدينهم على دينه ، ويحكم له وعليه بما يشاهد منهم ، وليس ذلك كذلك فى أمر العامة لأن لكل واحد منهم رابا والد ، ومؤدب ، ومعلم ، ومثقف ، يكفى أمره ، ويخرجه على ما يحتمله حاله ، وتبلغه طاقته ، واختياره وهمته (٤٤/ب) وإيثاره وتدبيره فى الرياضة والسياسة .

(١٢) ١٢ / يوسف : مكة / ٥٥ .

(١٣) ١٩ / مريم : مكة / ٣٠-٣٢ .

(١٤) ٦٨ / القلم : مكة / ٤ .

(١٥) ٤ / النساء : مدنية / ٤١ .

في تأديب الخاصة :

وقد أمر الله — جل ذكره — بتأديب الخاصة نصا في كتابه فقال — جل وعز — (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) (١٦) • وقال : (وأمر قومك ياخذوا بأحسنها) (١٧) • وقال : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) (١٨) • وقال لنبيه في أول ما أمره بالانذار : (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١٩) • فجمع النبي صلى الله عليه وسلم عمومته وبنى عمومته من عبد مناف فقال : (يا بنى عبد مناف ، انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أغنى عنكم من الله شيئا) (٢٠) وأثنى الله على نبيه اسماعيل — عليه السلام — بذلك فقال : (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) (٢١) • وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا ترفع عصاك عن أهلك » (٢٢) • وقال :

(١٦) ٢٠ / طه : مكية / ١٣٢ •

(١٧) ٧ / الاعراف : مكية / ١٤٥ •

(١٨) ٦٦ / التحريم : مدنية / ٦ •

(١٩) ٢٦ / الشعراء : مكية / ٢١٤ •

(٢٠) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : « قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال : « يا معشر قريش » أو كلمة نحوها « اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب ! لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا . ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئا » . صحيح البخارى ٨ : ٣٨٦ ، ومسلم ١ : ١٩٢ ، واللؤلؤ والمرجان ٥٢ (٢١) ١٩ مريم : مكية ٥٥ •

(٢٢) رواه الطبرانى في الصغير عن ابن عمر : المعجم الصغير ١ : ٤٤ ، والاصبهانى في الحلية ٧ : ٣٢٢ بلفظ « لا ترفع العصا عن أهلك ، وأخفهم في الله » ولدى المناوى « السوط » بدلا من « العصا » كنوز الحقائق ١٣٩ •
ورواه الطبرنى عن ابن عباس بلفظ « القوا السوط حيث يراه أهلك ، =

« علموا أولادكم الصلاة اذا بلغوا سبعا وأضربوهم عليها اذا بلغوا
عشرا » (٢٣) • وسن النبي صلى الله عليه وسلم تأديب الصبي وتقويمه
بالختان وتعليم القرآن ، ورخص العلماء في ضرب الصبي على البطالة
والغرامة قبل وجوب الاحكام عليه ، ولزوم وظائف الدين له ، وروى أن آخر
ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أن قال (الصلاة وما ملكت
أيمانكم) (٢٤) • وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باخراج زكاة الفطر عن
الصبي ورخص العلماء في اخراجه من مال اليتيم تأديبا له وتقويما للخير
والدين •

واختار الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أقواما ، وجعلهم له
أنصارا وأعوانا ، فأمره بتأديبهم ، وتقويمهم وتثقيفهم ، وتعليمهم ،
وترغيبهم ، وتخويلهم بالموعظة ، وتعهدهم بالتذكيرة حتى كانوا أفضل أمته
فضيلة ، وأبعدهم في الفضل غاية ، وأرفعهم درجة ، فصاروا أمناء أتقياء
علماء حكماء أبرارا عبادا أحبارا ، منادين بالمعروف زجارين عن المنكر ،
مجاهدين في الله ، مقتدين بأنبياء الله رحمة الله عليهم ، كما قال الله : (محمد
رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا
يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (٢٥) •

= أدب لهم « مجمع الزوائد ١٠٦:٨ ، وقال الالبانى : الحديث حسن . صحيح
الجامع الصغير ٣٧٠:٤ برقم ٣٩١٠ .

(٢٣) صحيح ، أخرجه البزار عن أبي هريرة ، صحيح الجامع الصغير
٣٨٠:٤ رقم ٣٩١٤ .

(٢٤) صحيح ، أخرجه ابن حنبل والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن انس ،
والطبرانى عن ابن عمر ، وابن حنبل وابن ماجه عن أم سلمة . صحيح الجامع
الصغير ٣٦٦:٣ رقم ٣٧٦٧ .

(٢٥) ٤٨ الفتح : مدنية الآية ٢٩ ،

وقال : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبائعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) (٢٦) .

وقد دل على جهة الصلاح فى ذلك أردشير الملك فى عهده حيث قال :
(ان لكل ملك بطانة ، ولكل رجل من بطانته بطانة ، حتى يجتمع فى ذلك (٤٥/١) جميع أهل المملكة ، فاذا قام بطانته على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثال ذلك حتى تجتمع على ذلك عامة الرعية) (٢٧) .
وقال أرسطاطاليس للاسكندر : « ألزم خدمك الذى ترضاه لنفسك » (٢٨) . وقال : « زين أمرك فى العامة ، وتفقد جندك ، واعمل على أنهم أعضاءك ، والباب الذى تنال منه مذلة عدوك وتحترس من مضرته اصلحهم لأنفسهم فان فى صلاحهم صلاحا للرعية ودركا للغبية ، قو ضعيفهم يقو أمرك ، واجبر فقيرهم يشد ساعدك » .

فالواجب على الملك الفاضل الائتمار بأمر الله فى سياسة خاصته ، وأهله ، وحاشيته ، وجنوده ، وأعيانه والاقتداء بنبيه صلى الله عليه .

طبقات خاصة الملك :

وخاصة الملك الذين غنينا بهم فى هذا الموضع على طبقات بنيت ، بعضهم أخص من بعض ، فأخصهم به ولده ، وخدمه من قرابته ، وخاصته ، ثم عبيده ومماليكه ، وخاص فتيانه وغلماؤه ، ثم وزرائه وكتابه ، وكفاة أشغال حضرته . ثم جنده ، وقواده ، وأساورته ومقاتليه .

ثم عماله الذين يستعين بهم فى اصلاح مملكته النائية عن بابه وداره

(٢٦) ٤٨ الفتح : من الآية ١٨ .

(٢٧) عهد أردشير تحقيق الدكتور احسان عباس ص ٧١ .

(٢٨) رسالة أرسطاطاليس الى الاسكندر فى السياسة ص ٤٣ .

والخارجة عن مركزه وقراره .

حق الولد على أبيه :

فمن من أول حق الولد ان ينتقى أمه ، ويتحير قبل الاستيلاء منهم الجميلة الشريفة ، الدينية العفيفة ، العاقلة لأموها ، المرضية في أخلاقها ، المجربة بحسن العقل ، وكمال المواثيق لزوجها في أحواله ، قال الله تبارك وتعالى في جملة هذه القضايا (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، مسلمات ، مؤمنات ، قانتات ، عابدات ، سائحات ، ثيبات وأبكارا) (٢٩) ثم وصف — عز وجل — ما رغب فيه عباده المؤمنين في الحور العين بالحسن التام مجملا ومفصلا وبالبكارة والستر والعفة فقال (: أنا أنشأنهن أنشاء ، فجعلنهن أبكارا عربيا أترابا) (٣٠) . وقال (وهور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) (٣١) . وقال : (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) (٣٢) . وقال : (حور مقصورات في الخيام) (٣٣) .

فبين أن الرغبة من النساء في أهل هذه الصفات ، ثم قال فيما يخالف هذا : (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) (٣٤) . (٤٥ / ب) وقال فيما أدب به النساء : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدین زینتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن) (٣٥) وقال : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) (٣٦) .

وجعل النبي صلى الله عليه كل ما يكون من المرأة من رمز بعين أو إشارة بيد أو سير أو اظهار زينة أو تبرج من أبواب الزنى . ثم قال :

-
- (٢٩) ٦٦ / التحريم : مدنية ٥ .
 - (٣٠) ٥٦ / الواقعة : مكية / ٣٥ — ٣٧ .
 - (٣١) ٥٦ / الواقعة : مكية / ٢٢ .
 - (٣٢) ٥٥ / الرحمن : مكية / ٥٦ .
 - (٣٣) ٥٥ / الرحمن : مدنية / ٧٢ .
 - (٣٤) ٢٤ / النور ، مدنية / ٣ .
 - (٣٥) ٢٤ / النور : مدنية / ٣١ .
 - (٣٦) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ٣٣ .

(تخيروا لنطفكم) (٣٧) • وقال : (تنكح المرأة : لمالها وميسمها عليك بذات الدين تربت يداك » (٣٨) • وقال « أياكم وخضراء الدمن » قيل : يا رسول الله ما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في منبت السوء » (٣٩) •

وقد جرت العادة في أهل كل دين وملة ، وجيل وأهل نحلة ، بطلب الكفاة في باب النكاح والانكاح ، وجعل الدين هذا شريعة من الشرائع ، كل ذلك طلبا لنجاة النسل وتخيرا للطروقة والفحل ، وضنا بالنجاة التي في النجار (٤٠) أن ينتقل الى غيره ، وهربا من تدنيس النسب •

والملك على جلالته شأنه ، وعلو مكانه أحق الناس بابتغاء هذه الفضيلة ، واطلاب هذه المنقبة لولده ، لعله يوصل ، ويرجو أن يسد مسده ، ويأخذ مكانه ويملك جماعة من أهل جنسه ، وحرمة ، وخدمه لا يحصيهم الا الله ،

(٣٧) حديث صحيح ، أخرجه الحاكم في مستدركه ، وابن ماجه في سننه والبيهقي في شعب الايمان عن عائشة . صحيح الجامع الصغير : ٣٧ .

(٣٨) هكذا بالاصل ولكن المشهور « تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » . حديث صحيح ، أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأبى داود عن أبى هريرة . صحيح الجامع الصغير ج ٣ ص ٥٦ واللؤلؤ والمرجان الحديث ٩٢٨ ، وسنن ابن ماجه الحديث ١٨٥٨ .

(٣٩) رواه الدارقطني في الافراد ، والرامهزي والعسكري في الامثال ، وابن عدى في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب ، والخطيب في ايضاح الملبس ، والديلمي من حديث الواقدي عن أبى سعيد مرفوعا ، وذكره أبو عبيد في الغريب .

ومعنى الحديث : أنه كره نكاح ذات الفساد ، وأن اعراق السوء تنزع أولادها ، وأصله أن النبات ينبت على البقر في الموضوع الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا ، اذ الدمن جمع دمنة وهي البقرة ، مسند الشهاب ٢ : ٩٦ رقم ٦٢٢ ، كشف الخفاء ١ : ٣٢٠ .

(٤٠) النجار : (بكسر النون أو ضمها مع تشديدها) الاصل والحسب .

لسان العرب المحيط ٣ : ٥٨٥ .

ويرثحه لعمارة بلاد الله ، وسياسة عباده ، وحماية دينه ، فاذا فعل ذلك فالواجب عليه أن يطلب الولد على ما جاءت به السنة ، ووصفه أهل الحكمة ، ويتجنب المضاجعة في حال السكر والغفلة ، والتناوم والاسترخاء ، وأن ينوى في ذلك كله نية الولد ، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وينوى في الولد أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ويجري على يديه صلاح الخلق واقامة للحق وتأيد للصدق ، ومنفعة للعباد ، وعمارة للبلاد .

وروى عن عمرو بن عبيد أنه قال لامرأته — وهى ترضع ابنا لها — : لا يكونن رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم ، ولكن ارضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله ، وأن يحيا برضاعك خلق عسى أن يوحد الله ويعبده .

فاذا ولد المولود فان من أول كراماته وبره به أن يحليه باسم حسن وكنية لطيفة شريفة (٤٦/أ) فان الاسم الحسن موقعا من النفوس مع أول سماعه ، وكذلك أمر الله عباده وأوجب عليهم أن يدعوه بالاسماء الحسنى ، ويصفوه بالصفات العلى فقال : (قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) (٤١) . وقال : (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) (٤٢) .

واختار النبى صلى الله عليه وسلم أسماء أولاده اختيارا ، وأثرها أثارا ، ويحمل محمد بن الحنفية (٤٣) اسمه وكنيته بعد ذلك ، تشريفا له ، واجلالا ، واکراما وأفضالا . ونهى عليه السلام أن يجمع أحد من

(٤١) ١٧ / الاسراء : مكية ١١٠ .

(٤٢) ٧ / ١ الاعراف : مكية ١٨٠ .

(٤٣) هو محمد بن على بن أبى طالب ، الهاشمى ، القرشى ، ويكنى أبا القاسم ويعرف بابن الحنفية نسبة الى أمه خولة سبى بنى حنيفة ، وهو من كبار التابعين ، كان واسع العلم ، ورعا ، أسود اللون ، وكان المختار الثقفى يدعوا الناس الى أمامته ، ويزعم أنه المهدي ، وكانت الكيسانية (وهم شعبة من الزيدية — كما يرى ابن حزم فى الملل والنحل ٣٥٠:٥ ، ٣٦) تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى ، ويرجح أنه مات فى المدينة سنة ثلاث أو اثنين وسبعين . تهذيب الاسماء القسم الاول من الجزء الاول ص ٨٨ ، حلية الاولياء ٣: ١٧٤ ، الاعلام ١٥٢:٧ ، ١٥٣ .

المسلمين بين اسمه وكنيته وقال : « أحب الاسماء عبد الله وعبد الرحمن » (٤٤) .

وانما جهة الاختيار لذلك في ثلاثة أشياء :

منها ، أن يكون الاسم مأخوذاً من أسماء أهل الدين : من الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، ينوى بذلك التقرب الى الله جل اسمه بمحبتهم ، واحياء أسمائهم ، والاقتداء بالله جل اسمه في اختيار تلك الاسماء لاوليائه ، وما جاء به الدين كما قد روينا عنه في أحب الاسماء الى الله « عبد الله وأمثاله » (٤٥) .

ومنها ، أن يكون الاسم قليل الحروف خفيفاً على اللسان ، سهلاً في اللفظ سريع التمكن من السمع .

قال أبو نواس في هذا الاسم :

فقلنا له ما الاسم قال سمو آل

على أننى أكنى بعمرو ولا عمروا

وما شرفتنى كنية عربية

ولا كسبتنى لا سفاء ولا قخرًا

(٤٤) أخرجه مسلم ، وأبى داود ، والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر صحيح الجامع الصغير للالبانى ج ١٠٧:١ رقم ١٥٩ مختصر صحيح مسلم رقم ١٣٩٨ وسنن ابن ماجه ص ١٢٢٩ رقم ٣٧٢٨ كتاب الادب باب ما يستحب من الاسماء .

(٤٥) صحيح ، أخرجه مسلم وأبى داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر بلفظ « أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن » . مسلم ١٦٨٢:٣ رقم ٢١٣٢ ، سنن ابن ماجه ١٢٢٩ رقم ٣٧٢٨ ، وصحيح الجامع الصغير ١٠٧:١ رقم ١٦٠ .

ولكنها خفت وقلت حروفها

وليست كأخرى إنما جعلت وقرأ (٤٦)

فأخبر — كما ترى — أنه أختارها على بغضه لأهلها عنها لقلّة حروفها وخفتها على اللسان وفي السمع .

ومنها — أن يكون حسنا في المعنى ملائما لحال المسمى ، جاريا في أسماء أهل طبقتة وملته ، وأهل مرتبته .

ثم الوجه في رضاعه أن ترضعه أمه ، لأن ذلك أبلغ في الرضاع ، وأوقر ، وأبعد من ممازجة الاخلاط ، وأوقر لقول الله تبارك وتعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) (٤٧) . فانه أول ما ذكر الله ، وهو مع ذلك الامر الطبيعي للانسان وسائر الحيوان فان منع من ذلك مانع فالواجب أن يباليغ في اختيار الظئر (٤٨) مبالغته في اختيار الوالدة ، ويحتال أن تكون صحيحة من زمانه مؤثدة (٤٩) وعلة عادية عارضة أو لازمة ، نظيفة الجلد صحيحة الجسم من داء كامن وعرق اللحم، وينشئ العظم ويفيد المزاج الذي يوجب اختلاف الغرائز والاخلاق . وقال النبي ﷺ : (لا ترضع لكم الحمقاء فان اللبن يفسد النسب) (٥٠) .

(٤٦) الابيات في ديوانه : ٢٤٤ طبعة بيروت عام ١٩٨٢ ، (وخلقت) بدلا من (جعلت) .

(٤٧) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٣٣ .

(٤٨) الظئر : المرضعة .

(٤٩) زمانة مؤثدة : هي الآفة والعاهة المضعفة . لسان العرب المحيط

٢ : ٤٩ .

(٥٠) لم أقف عليه بلفظه ، وقد أورد الطبراني في المعجم الصغير من حديث عائشة « لا تسترضعوا المورهاء » وفي الاوسط من حديث عمر « لا تسترضعوا الحمقاء » وقال الهيثمي فيه عباد بن عبد الصمد ، وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٤ : ٢٦٢ وفي مسند الشهاب (١ : ٥٦) « الرضاع يغير الطباع » .

والوجه أن يبلغ بالرضاع تمامه ، ولا يجاوز به أيامه ، فان الله — جل وعز — قد حد ذلك حدا ووقف عليه وقفا ، فقال : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (٥١) . فكل ما بعد التمام فساد ودخول في غير ما يحتاج اليه .

ثم يؤخذ بعد ذلك في التربية والتأديب ، ويلبس من الثياب ما يشبه ثياب الملوك قبله وفي ناحيته ، ويختار له أصلح الثياب وأرفعها للوقوف ما دام حازما أو متأدبا ، وللوثوب والركوب الذي لا بد له من الارتياض بها .

فاذا بلغ مبلغ التأديب والتعليم فالوجه أن يبدأ — في هذه الملة خاصة — بتعليم القرآن مع اللغة العربية ، لانها اللغة التي أنزل الله بها كتابه وخاطب بها في شرائع دينه وفرائض ملته ، وبها بلغ رسول الله ﷺ سنته ، وبها ألقت الكتب الدينية والحكمية والجديّة والهزلية ، وبها تكتب رسائلهم والصكوك التي جعلها الله وثائق بينهم ، فلا بد للناس في هذه الملة من تعلمها وان كان جاهلا بالدين منقوصا في الملل ، مع أن لهذه اللغة من الفضيلة ما ليس للغة من اللغات ، من الفصاحة والبيان والطلاوة على اللسان ، والحصانة في الاسماع والآذان ، وكثرة التصارييف واحتمال المقاييس النحوية ، وسعة الالفاظ وتوسط الحروف بين القلة والكثرة واشباه هذه اللخصال ما لو تعلمت تجملا واستفيدت تعجبا لكانت لذلك موضعا .

ولهذا كان ملوك العجم يتعلمونها ، فان كثيرا منهم يستعملها في
أوقات حفله ومجالس زينتته .

والوجه في تعليم اللغة أن يقصد الى الاخف فالأخف من كتبها ،
والاسهل (فالاسهل^(٥٢)) من مؤلفاتها ومصنفاتها ، وأن لا يشغل أولاد
الملوك بالغريب الوحشى والنادر الاجنبى ، ولا بدقائق النحو ودواوين
العروض ، فان ذلك مما يشغله (٤٧ / أ) عن المعانى ، وانما يتعلم
الالفاظ قصدا الى معرفتها ، فاذا أفنى الانسان عمره في تعلم الالفاظ
لهائته المعانى الا أن يكون ذلك لمن يجعله صناعة ، مثل الادباء والمؤدبين
والمعلمين من النحويين .

ويحتاج في الاستعانة على تعلم اللغة الى رواية أشعار العرب ،
وأيامها وأخبارها ، والصواب في تدبير ذلك أن تروى له ، ويعلم ، ويحفظ
الأشعار الحكمية التى ضمت الحكمة ، والتوحيد ، والدين ، والبعث على
العلم والزهد ، والشجاعة والجود ، ومكارم الاخلاق دون التى يذكر فيها
الزنى والتجميش^(٥٣) . والعشيق والفحش والاهاجى التى فيها قذف
المحصات ، وذكر العورات ، لينشأ على معرفة الفضائل ، ومحبة نيل الممادح
نشوءا ، ويعتادها عادة ، فيجتمع له في ذلك فائدة الفصاحة والبيان ومعرفة
المبتذل من الكلام وكثير من الغريب ، والوقوف على المعانى الفاضلة .
ويجب أن يحفظ من الاخبار : أخبار المغازى والسير ، وآثار الخلفاء

(٥٢) هكذا فى الاصل ونرى أن الصواب (فالسهل) ، وأيضا (الاخف

فالأخفيف) قبلها .

(٥٣) التجميش : المفاصلة بقرص ولعب . لسان العرب المحيط ١ : ٤٩٨ .

دون آثار العشاق ، وكتب الافسانقات من كتاب سيدباد ، وهرار أفسان
وأشباههما فإنه بهذه الكتب يستأنس ، ويتخرج بهذا أكثر مما يخرج بها (٥٤)
ثم يبلغ بهذه مرتبة العلماء ويحل في دينه محل الفقهاء ويتقدم في أهل
مملكته وملته ويبرز في سياسته ، وليس ينال في تلك الكتب من هذه الابواب
الا قليلا ، ولعله أن يتصور ما في تلك الكتب من الافسانقات صدقا ، ويظنه
حقا ، فيكون ذلك منه غباوة وجهلا ، وسعى بأصول دينه جاهلا ، وعن
فضائل ملته ومحاسنها غافلا ، ثم لا تتفعه تلك الكتب والاسمار في سياسته
وحكومته ، ولا يجد منها معونة على مناظراته في دينه ومباهاته في محافلة
ونظرة في مظالم رعيته ، وقد قال بعض أهل التفسير في معنى قول الله :
(ومن الناس من يشتري للهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) (٥٥)
أن شأن هذه الآية أن (الحارث) (٥٦) بن كلدة (٥٧) اشترى كتاب كليلة
ودمنه فكان يجمع الناس ويقرؤه عليهم ، ويزعم أن هذا ألد وأحسن مما
جاء به محمد ﷺ من أساطير الاولين ، فانزل الله — جل وعز — بالرد عليه

(٥٤) هكذا في الاصل .

(٥٥) ٣١ / لقمان : مكية / ٦ .

(٥٦) هكذا بالاصل ، وفي كتب التفسير (النضر بن الحارث) تفسير الماوردي

٢٧٦:٣ ، أسباب النزول : ١٩٧ معاني القرآن للفراء ٣٢٦:٢ ، وزاد المسير

في علم التفسير لابن الجوزي ٣١٥:٦ ، تفسير القرطبي ٥٢:١٤ .

(٥٧) الحارث بن كلدة الثقفي ، طبيب العرب في عصره ، وأحد الحكماء

المشهورين من أهل الطائف ورحل الى بلاد فارس رحلتين فأخذ الطب عن

أهلها وتوفى نحو ١٣ هـ . طبقات الاطباء لابن جلجل ٥٤ والاستيعاب ٢٨٣:١

بهذه الآية^(٥٨) ، وقال النبي صلى الله عليه في رواية الشعر « ان من الشعر لحكمة »^(٥٩) (٤٧/ب) وان من البيان لسحرا »^(٦٠) ، وقال : «الشعر ديوان العرب»^(٦١) ، وقال : (ان من الشعر للحكما) .

قالوا : وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أرو لهم الشعر يسخروا ويمجدوا^(٦٢) ، وحكى أنه قال : عجبت لمن روى لعنقرة أربعين بيتا كيف لا يكون من أشجع الناس ، وعجبت لمن روى لحاتم الطائي أربعين بيتا كيف لا يكون أسخى الناس ، وعجبت لمن روى للبيد أربعين بيتا كيف لا يكون من أحكم الناس . وروى عن النبي صلى الله عليه أنه قال : (من

(٥٨) أسباب النزول للواحدى ص ١٩٧ ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى ٣١٥:٦ عن ابن السائب ومقاتل : انها نزلت في النضر بن الحارث وذلك أنه كان تاجرا الى فارس ، فكان يشتري أخبار الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول لهم ، ان محمدا يحدثكم عاد وشمود ، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة ، فيستميلون حديثه ويتركون استماع القرآن فنزلت هذه الآية .

(٥٩) صحيح ، أخرجه البخارى عن أبى بن كعب ٤٢:٨ في الادب ، باب ما يجوز من الشعر والمرجز ، الترمذى رقما ٢٨٤٧، ٢٨٤٨ ، في الادب باب ٦٩، الدارمى ٢٩٧:٢ ، أبو داود رقم ٥٠١٠ كتاب الادب ، باب ما جاء في الشعر الموطأ ٢ : ٩٨٦ .

(٦٠) صحيح ، أخرجه البخارى عن ابن عمر ، صحيح البخارى ١٧٩:٧ في الطب ، باب ان من البيان لسحرا ، الموطأ ٢: ٩٨٦ في الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله ، وأبو داود رقم ٥٠٠٧ في الادب ، باب ما جاء في المتشدد في الكلام ، الترمذى رقم ٢٠٢٩ في البر ، باب ما جاء في أن من البيان سحرا .

(٦١) لم أقف عليه كحديث ، وقد وصف بن قتيبة الشعر فقال : الشعر معدن العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها . عيون الاخبار ٢ : ١٨٥ .

(٦٢) أورده ابن قتيبة في عيون الاخبار ٢ : ١٦٧ بلفظ « علمهم الشعر يمجسّدوا وينجندوا » .

روى عنى أربعين حديثا بعث فقيها عالما (٦٣) .

ولابد لأولاد الملوك من الرياضة بالثقافة والرماية والرماحة والفروسية والسباق والمراكضة ، حتى اذا بلغ العلم والتفقه فى الدين ابتداء فيها على الترتيب الذى ذكرنا .

ثم يجب أن يجتهد فى اختيار المعلم والمؤدب له اجتهاده فى اختيار الوالدة والظئر بل أشد منه ، فان الولاد يأخذ من مؤدبه من الاخلاق والشمائل والآداب والعادات أكثر مما يأخذ من والده ، لان مجالسته له أكثر وهدارسته معه أطول ، والوالد قد أمر حيث سلم اليه بالاقتداء جملة ، والائتمار له دفعة ، واذا كان هكذا فيجب أن لا يقتصر من المعلم والمؤدب على أن يكون قارئاً للقرآن ، وحافظاً للغة أو راوياً للشعر ، حتى يكون تقياً ورعاً عفيفاً ديناً فاضلاً الاخلاق أديب النفس ، نقى الجيب ، عالماً بأخلاق الملوك وآدابهم ، عارفاً بجوامع أصول الدين والفقه ، وافيها بما ذكر أنه يحتاج الى من يعلمه على الترتيب ، فان فاتته شىء مما ذكرنا فلا يفوته التقى والدين والفقه ، وان كل أدب تحت هذه الخصال على ما بيناه فى الباب المتقدم لهذا الباب ولو أن الغلام ينشأ عطلاً عن آداب الملوك مؤدباً بهذه الخصال كان استفادته لآدابهم ، وتعلمه لآخلاقهم ، وتعوده لعاداتهم أسهل عليه من انتزاعه من عاداته السيئة بخلاف هذه الخصال .

ويجب أن ينهى غابة النهى ويمنع أشد المنع من مواقعة الريب ، ومجالسة أهلها من المضحكين والمساخرين ومن لا أدب (٤٨/أ) له من

(٦٣) ضعيف ، أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس وابن مسعود . كشف الخفاء ٢ : ٣٤٠ .

الصبيان ، وأن لا يشتم بين يديه وفي مجلسه وبحضرته أحد ، ولا يتكلم بالخنا والكذب والفحش والقدح ، ومن فعل شيئا من ذلك أدب بحضرته ، وعوقب عليه ليعتبر وينزجر عنه . ثم لا يفتن كل التفتين ولا ينعم كل التنعيم حتى تسترخى مفاصله ، وتتضعف منته (٦٤) ، بل يصلب ويخشن أطرافه ، ويؤمر بتعرية اليدين والوجه ، وإن أمر بالسباق والعدو يخلى بينه وبين ذلك في الوقت بعد الوقت ، ويضرب الصولجان راجلا وراكبا إن لم يكن به بأس (٦٥) ، فإن ذلك مما يخفف بدنه ويصححه (٦٦) ويهيئ في جسمه الحرارة الغريزية التي تذيب الرطوبة وتنفى كثيرا من العلل الزمانية ويدفع عنه عادة العجز والدعة .

ويؤدب مع ذلك في جلسته وركبته ولبسته ورزائقه ، ويراض بالرياضات التي ذكرناها في باب سياسة النفس ، ويحسن عنده ، ويؤمر به . وفيما يعرفه الملوك من ذلك ويتكلفه من هذه آداب حسنة وأبيات محموده وكان يقال : من أدب ولده أدبا حسنا أرغم أنف عدوه (٦٧) .

وقال بعض الحكماء لولده : يا بني تأدبوا فانكم ان كنتم ملوكا برزتم ، وإن كنتم أوساطا قدمتم الناس ، وإن كنتم فقراء عشتم بفضل أدبكم ، ثم أنشأ يقول :

(٦٤) منته : بضم الميم — قوته . لسان العرب المحيط ٣ : ٥٣٥ .

(٦٥) (إن) ، (به) ساقتان من الاصل .

(٦٦) في الاصل ، (وتصححه) .

(٦٧) نشر الدر للابى ٢٢٥:٤ ، لباب الآداب ٢٢٨ ، بهجة المجالس

١ : ١٠٩ .

ما يأكل الناس شيئاً من ماكلهم

أحلى وأطيب عقباناً من الغضب

وما تلحف انسان بملحفة

أبهى وأزين من دين ومن أدب

وما أحسن ما صدر به صاحب كلية ودمنه كتابه حيث قال : « أن

أفضل ذخائر الأحداث الأدب الصالح ، واقتناؤه في الحداثة والحفظ واع

والقلب فارغ غنم ، والمستفاد في الصغر باق كالنقش في الحجر » (٦٨) .

وروى عن عتبة ابن أبي سفيان (٦٩) ، كلاماً تقدم فيه الى مؤدب

ولده ، لو لم يكن في هذا الباب غيره لكان فيه كفاية عن غيره ، ومندوحة

عما سواه ، اذ قال له : « يا عبدالصمد (٧٠) ليكن أول ما تبدأ به من اصلاح

بنى اصلاح نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما

استحسننت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، علمهم كتاب الله ولا

تستكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروهم من الشعر

أعفة ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم الى علم (٤٨/أ) حتى

يحكموه ، فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهددهم بي ،

وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يضع الدواء الا بعد

معرفة الداء ، وروهم سير الملوك ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا يتكلن

(٦٨) كلية ودمنة ٣٧ مع تغيير يسير .

(٦٩) عتبة بن أبي سفيان ، من خطباء بني أمية ، أمير مصر ، وليها من

قبل أخيه معاوية سنة ٤٣ هـ مات سنة ٤٤ هـ . النجوم الزاهرة ١٢٢: ١ — ١٢٤ .

(٧٠) هو عبد الصمد عبد الأعلى الشيباني ويكنى أبا وهب ، كان يتهم

بالزندقة ، وكان يؤدب أيضاً الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال : انه هو

الذي أفسده ، ذكر ذلك الطبري في تاريخه ٧ : ٢١١ ، لسان الميزان —

٥ : ١٨١ ، ١٨٢ .

على عذر منى ، فانى اتكلت على كفاية منك ، وأستردنى بزيادتك اياهم
أزدك ان شاء الله (٧١) .

ووجدنا فى بعض كتب العجم : يكتسب من الأدب الصالح العقل
النافذ ، ومن العقل النافذ حسن العادة ، ومن العادة الحسنة الطباع
المحمودة ، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح ، ومن العمل الصالح رضا
الرب ، ومن رضا الرب الملك الدائم . قالوا : ويكتسب من الادب السوء
فساد العقل ، ومن فساد العقل سوء العادة ، ومن العادة السيئة رداءة
الطبع ، ومن الطباع الرديئة سوء العمل ، ومن العمل السئ سوء القاللة
وغضب الله ، ومن غضب الله وسخطه الذل الدائم . وقالوا : الادب زينة
الاشراف ، ودليل فى (اعتيادهم) (٧٢) على شرفهم ، وعدة لمن سواهم ، وآله
للاعمال ، وعون للملوك الذين لا غنى لهم عنه . وقال عبد الله بن المعتز:
الادب زينة عقلك ، فزين عقلك كيف شئت (٧٣) وكذلك القول فى كل من :
يعنى الملك برياضتهم هذه العناية ، ويريد لهم هذه الرياضة ويرشحهم
للملك من أقاربه وخاصته .

ذوو الارحام والاقارب :

وأما جملة الاقارب وذوى الارحام فان الله — جل وعز — أمر
بصلتهم وتقريبهم والرافة بهم ، وبرهم ، فى غير موضع من كتاب الله

(٧١) النص فى البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٣ .

(٧٢) غير واضحة فى الاصل .

(٧٣) التمثيل والمحاضرة ١٥٩ بلفظ «الادب صورة العقل» ، فحسن عقلك

كيف شئت .

كتابه ، ، فقال . (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) (٧٤) ، وقال : (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) (٧٥) . وروى عن النبي ﷺ انه قال : «صلة الرحم زيادة في العمر» (٧٦) ، وقال : «بلوا أرحامكم ولو بالسلاط» (٧٧) روى عن أبي ذر رحمه الله قال : «أوصاني رسول الله ﷺ أن أصل رحمي وإن أدبرن» (٧٨) وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «صلة الرحم ، وبر الوالدين ، وحسن الخلق يعمر الديار ، ويكثر الأموال ، ويزيد في الأجل» (٧٩) . وإن كان القوم فجارا فالواجب على كل مسلم أن يصل رحمه وقراباته بالبشر والتقريب والبر والترحيب والمواساة والمعاونة ، فأما الملوك خصوصا فانهم أحق الناس باقتناء (٤٩ / أ) هذه الفضيلة واجتناء هذه المكرمة ، ولم يزل الفضلاء منهم والعقلاء يأمرون به ويفعلونه ، ويوصون به ، ويمدحونه ويعدونه كرما وعزا ومفخرة وذكر ، ومباهاة للمناوئين ، واعتضادا على

(٧٤) ٣٣ الأحزاب : مدنية ٦ .

(٧٥) ١٣ الرعد : مدنية ٢١ .

(٧٦) صحيح ، أخرجه القضاعي عن ابن مسعود بلفظ «صلة الرحم تزيد في العمر» مسند الشهاب ٩٣٠ : ١ رقم ١٠٠ ، وصحيح الجامع الصغير ٢٤٢ : ٣ رقم ٣٦٦٠ ، كما رواه الطبراني في الكبير والوسط والعسكري وفي سنده « صدقة بن عبد الله » وثقة دحيم ، وضعفه الجمهور . كشف الخفاء ٢ : ٢٩ ، ٤١ .

(٧٧) حسن ، أخرجه البزار عن ابن عباس ، والطبراني عن أبي الطفيل والبيهقي عن أنس . صحيح الجامع الصغير ٩٠ : ٣ رقم ٢٨٣٥ .
(٧٨) صحيح ، رواه الطبراني في الصغير والكبير . مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٥٤ .

(٧٩) صحيح ، أخرجه أحمد والبيهقي عن عائشة . صحيح الجامع الصغير ٢٤٢ : ٣ رقم ٣٦٦١ ، مجمع الزوائد ٨ : ١٣٦ ، ١٣٧ .

المخالفين ، ويرتفعون عن ظلمهم وضييمهم ويعدونهم لؤما ودناءة وسوء
تدبير ، وقال في ذلك حاتم الجود :

وما من شيمتى شاتم ابن عمى
وما أنا مخلف من يرتجبنى (٨٠)

وقال آخر (٨١) :

أخاك أخاك إن من لا أخاله
كساع الى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه
وهل ينهض البازى بغير جناح (٨٢)

وقال بعض قرابات المهلب يستبطئنه ويستزيده (٨٣)
جفانى الامير والمغيرة مثله
وأهسى يزيد لى قد أزور جانبه
وكلهم قد نال شعبا لبطنه
وشبع الفنى عار اذا جاع صاحبه

(٨٠) البيت لحاتم الطائى ورد فى لباب الاداب ص ٣٢٤ .
(٨١) البيتان لمسكين الدارمى ، واسمه ربيعة بن عامر ، مات سنة ٨٩
خزانة الادب تحقيق عبد السلام هارون ٦٩:٣ ، والامثال لابی عبيد ١٨١ ،
كتاب سيبويه ٢٥٦:١ ، وفصل المقال ٢٦٩ .
(٨٢) عيون الاخبار ٢:٣ ونسبه الى ابراهيم بن هرمة ، وفى حماسة
البحترى ٢٤٥ نسبة الى قيس بن عاصم .
(٨٣) عيون الاخبار ٣ : ٩٠ . من قول بشر بن المغيرة بن أبى صفرة السى
عميه .

فيا عم مهلا واتخذنى لنبووة

من الدهر ان الدهر جم نوائبه

أنا السيف الا أن للسيف نبوة

ومثلى لا تتبوا عليك مضاربة (٨٤)

قال الشافعى (٨٥) لبعض قراباته مستريدا لله :

اذا كان ذو القربى اليك مبعدا

ونال الذى يهوى لديدك بعيد

تباعد عنك الاقربون لشأنهم

واشفقت أن تبقى وأنت وحيد (٨٦)

وقال بعض قرابات يحيى بن خالد (٨٧) وكان قد ناله منه اعراض

وجفوة :

تصول على الادنى وتجتنب العدى

وما هكذا تبني المكارم يا يحيى

وكنت كفحل السوء يبدأ بأمه

ويترك باقى الخيل سائمة ترعى

حاجة الخدم والحشم :

(٨٤) عيون الاخبار ٣: ٩٠ ، التبريزى ١: ١٤١ ، والتذكرة السعيدية ١٠٧

(٨٥) هو محمد بن ادريس الشافعى ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ، له : الرسالة فى أصول الفقه والام ، «وجماع العلم» فى الفقه وغيرهما ، مات بمصر ٢٠٤ هـ ، سير اعلام النبلاء ١٠: ٥٩٩-٩٠٠ ، والانتقاء ٦٦، ٦٧ ، والمذاهب الاربعة لتييمور ٤١ .

(٨٦) حسين بن عبد الله : الجوهر اللامع ص ٦٣ وفيه «تفرق» بدلا من «تباعد» فى البيت الثانى .

(٨٧) يحيى بن خالد بن برمك يكنى ابا الفضل ، مؤدب الرشيد ، وكان اليه خاتمه بعد أن ولى ، ثم كانت نكبة البرامكة ، فقبض عليه وسجن فى الرقة =

فأما حاجة الخدم والحشم : فلا بد لهم من أن يكون في دار الملوك من المؤدبين والمعلمين من يعلم الغلمان والخدم والفتيان والحشم مسا يحتمله حال واحد منهم من القرآن والدين ، ويذكرهم في الوقت بعد الوقت بالله ، ويعرفهم أصول الدين والشرائع ، وإقامة الصلوات بتمام ظهورها وزكوعها ، وسجودها ، ويفسر لهم نوافلها ، وفروضها ، ويعرفهم محاسن الاخلاق ، ومحامد الافعال ، ويعظهم ويذكرهم ، ويخوفهم بالنار ، ويدعوهم الى الجنة ودار القرار (٤٩/ب) ويحثهم على الجهاد . ثم يمنعهم من الفساد وسوء الاداب وارتياب ما حرم الله من الكبائر كالزنى والقذف ، فمن ارتكب منهم ذنبا على السهو والغفلة فالوجه فيه الاعراض والتغافل ، ومن ارتكب صغيرة دون ما يجب فيه لله حد أو يعود على المملكة والدين بفساد ، فالوعظ والنكير والترغيب والتنفير ، فان تاب عنه وتركه وأتاب فالصفح والعفو عنه ، فان عاد فالعقوبة والتنكيل على اللجاج والاصرار ، على مقدار الجناية والذنب .

وان كان الملك من يحتسب في أمر الدين خاصة ، فان الواجب في السياسة أن يكون معه وبحضرته وفي داره من أهل التوحيد والفقه في الدين من يعلمهم أصوله ويقف بهم على جوامعها ، ويزيد من رأى في طبعه قبولا للزيادة ، ويرجو منه صلاحا للاستفادة .

تقويم الخاصة :

ويجب أن يستعان على تقويم كافة الخاصة بخصال عشرة :

= الى ان مات سنة ١٩٠ هـ مروج المذهب ٢: ٢٩٣ ، معجم الادباء تحقيق مرجليوث ٢٧٢: ٧ — ٢٧٥ ، وفيات الاعيان تحقيق محمد محيي الدين ٦ : ٢٦٥ — ٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٨٩ — ٩١ .

أولهن ، أن يظهر لهم خاصهم وعامهم وأقصاهم وأدناهم أن لا يرضى
منهم الا ما يرضاه من نفسه من الاخذ بهذه الخصال المحدودة المذكورة ،
أو ما تبلغه منها طاقة كل واحد منهم •

والثانية ، أن يدر عليهم أرزاقهم وجراياتهم ووظائفهم وعطياتهم
حتى لا تتأخر عن أوقاتها ، ويوسعها عليهم توسعة تغنيهم عن حيف (٨٨)
الرعية والطمع في أموالها ، ويكفيهم مهمهم من أمر دوابهم وخيلهم وخدمهم
وسلاحهم وكراعهم (٨٩) ، ويكون تقديرهم في ذلك تقديرا حسنا متوسطا
بين الاسراف والتقتير ، فان في ذلك أبوابا من الصلاح والخير تعود
بانتظام أحوال المملكة وراحة الراعى والرعية •

والثالثة ، أن لا يقدم أحد منهم قفزا ، ولا يرفع منه وضيعا ، ولا
يؤخر أحدا ولا يضع له قدرا الا على الاستحقاق في قديمه أو بلاء في
نفسه أو كفاية أو غنى ، لا ميلا الى هوى ولا حيفا على أحد ، فانهم اذا
عرفوا ذلك تنافسوا في أبواب القربة ، وتشاحوا على حسن الطاعة ،
وتسارعوا في البلاء والكفاية ولا يستزيد المبلى منهم — على قدر بلاءه —
زيادة ولا يطمع فيما ليس له مقصرا فاذا كانا عاقلين ، صار لكل (واحد) (٩٠)
من الملك راضين وبمراتبهم قانعين •

والرابعة ، أن لا يسوغ لاحد منهم شيئا من ظلم الرعية (٥٠/أ) قل

(٨٨) حيف : ظلم ، وجور . لسان العرب المحيط ١ : ٧٧٠

(٨٩) الكراع : هو كل ما يلبسه الانسان من دون الركبة الى الكعب ،
وفي الدواب ما دون الكعب . لسان العرب المحيط ١ : ٢٤٥ ، وقد وردت
بمعنى (الخيل) . العقد الفريد ١ : ٩٣ .
(٩٠) يستقيم المعنى بدونها •

أو أكثر ، ويعلمهم الملك ذلك من رأيه كتابا وشفاهها واستعمالا ، ويعرفهم أنه لا فرق بينهم وبين سائر الرعية في أحكام الله وقضائاه ، وأن ذلك فرض من الله لا يحتمل تغييرا ولا تبديلا ، ولا بد في الدين من بيل النصفة والمعدلة والتسوية بين الشريف والوضيع ، والاقصى والادنى ، فان ذلك مما يردعهم من ظلم الرعية وأضطهادها ، وان في ظلم الرعية العقوبة في الدنيا والآخرة ، وقبح الاحدوثة وازدراع العداوة والبغضاء في ضمائرهم ، وتخريب المملكة وأخلاءها من أهلها وأطماع العدو فيها واستبداد كثير من الخاصة بالمملكة والولاية ، وفي ذلك سقوط المهابة ، وتفرق الكلمة . مع أنه اذا جرت هذه العادة في خدم الملوك صعب انتزاعها منهم الا بتدريج وترتيب ، وعناية شديدة ، ورفق كثير ، واستبدال بهم جملة وفيه خطر عظيم .

والخامسة ، أن يستعمل فيهم العفو عن صغائر ذنوبهم ، وما يقع سهوا وغفلة وخطأ من جرائمهم ، ولا يعمل على أن يأخذ بكل زلة أو يعاقب بكل علة ، ويشفى كل غيظ ، فان ذلك أبلغ في المكرمة ، وأولى بذوى الرفعة والمقدرة ، وأبقى للاحسان والصنيعة ، وأقرب من ازدراع المحبة ، ونفى الوحشة والبغضة واستعطاف ذى الجرمة ، وأحق من استعمل فيهم الملك هذه الخلّة الذين يصلون بهم على أعدائه ، ويرتبطه (٩١) لمصالح الرعية وعمارة مملكته ، ويأتمنهم على مهجته وتنام هذا الكتاب في خلال

مست :

أولها : أن يبحث عن مذهب الخاصة وما يرتكبونه من الذنوب

(٩١) هكذا في الاصل والاصوب (يرتبط بهم) .

والمعاصي ، ويطلع عليهم حتى يعلم •

والثانية : أن يتغافل عما يجوز التغافل عنه كأنه لا يعلم •

والثالثة : أن يقتصر بالعقوبة على أدنى ما يكتفى به منها ، ويرجى

معه الردع والتقويم •

والرابعة : أن يحتال العفو ولا يحتال التعاقب ، ما لم يبلغ ذلك كبيرة

في الدين أو فسادا في الملك •

والخامسة : أن يستأنى بالعقوبة ويؤخرها ، ما لم يجرمن ذلك

اهمالا واضاعة وتجرئة والهدارا ليتوب مذنبا أو يثوب مجرم ، أو يدلى

متهم بحجة ، أو يأتي برىء بمعذرة •

والسادسة : أن لا يحابى (٥٠/ب) في حد من حدود الله ان ارتكبه

مرتكب ، واستوجبه مستوجب حتى يعاقبه به ، ويقيمه عليه •

فان ذلك كله من أدب الله الذى أدب به في خلقه ، وأوصافه التى

وصف بها نفسه يقول الله — جل وعز — في أول هذه الفضائل : (عن اليمين

وعن الشمال تعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٩٢) • ويقول :

(ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) (٩٣) • ويقول :

لنبيه صلى الله عليه (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) (٩٤) ويقول :

(وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (٩٥)

ويقول في العفو عن صغائر الذنوب وما يقع منها على غير عمد : (إن

(٩٢) ٥٠ / ق : مكية / ١٧ ، ١٨ •

(٩٣) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٩ •

(٩٤) ٧ / الاعراف : مكية / ١٩٩ •

(٩٥) ٢٤ / النور : مدنية / ٢٢ •

تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ (٩٦) ، ويقول : (لا
يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) (٩٧)
ويقول في تأخير العقوبة : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) (٩٨) .

وقال النبي ﷺ : (أدروا الحدود بالشبهات) (٩٩) ، ويقول الله (يعلم
خائنة الأعين وما تخفى الصدور) (١٠٠) ، ويقول : (فانه يعلم السر
وأخفى) (١٠١) .

ويقول : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو
سادسهم) (١٠٢) ، ويقول في المعاقبة عند تحقق الكلمة وظهور المفسدة :
(فلما آسفونا انتقمنا منهم) (١٠٣) ، ويقول : (ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميرا) (١٠٤) .

فالواجب على الملك الفاضل الاقتداء بالله — جل ذكره — في هذه

(٩٦) ٤ / النساء : مدنية / ٣١ .

(٩٧) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٢٥ .

(٩٨) ٣٥ / فاطر : مكية / ٤٥ .

(٩٩) ضعيف ، رواه الحارثي في مسند أبي حنيفة عن ابن عباس مرفوعا
وأخرجه ابن السمعاني عن عمر بن عبد العزيز ، وقال الحافظ ابن حجر : في مسنده
من لا يعرف . . المقاصد الحسنة ص ٣٠ وكشف الخفاء ٢ : ٧٣ ، وأخرجه ابن عدي في
جزء له من حديث أهل مصر والجزيرة عن ابن عباس وأخرجه مسند في مسنده
عن ابن مسعود موقوفا ضعيف الجامع الصغير ١ : ١٧ رقم ٢٥٨ .

(١٠٠) ٤٠ / غافر : مكية / ١٩ .

(١٠١) ٢٠ / طه : مكية / ٧ ، في الاصل : انه .

(١٠٢) ٥٨ / المجادلة : مدنية / ٧ .

(١٠٣) ٤٣ / الزخرف : مكية / ٥٥ .

(١٠٤) ١٧ / الاسراء : مكية / ١٦ .

الخلال كلها ، والائتمار بأمره في هذه الخصال ، ما لم يرتكبوا الحدود
وتابوا عما (١٠٥) يعود العفو عنه بفساد الدين والملك ، فاذا فعلوا ذلك
فالواجب عليه اقامة الحدود ، وامضاء القصاص والقود والاحالة على
الله — جل ذكره — وعلى الديانة •

فان في ذلك ابلاء المعذرة ، وقطع أطماع الخاصة والعامة والنحاشية
والدواهي المعارضة ، ولا يمنعن الملك من ذلك ابقاء على خدمه وقرابته أو
محاباة لخاصته (وحامته) (١٠٦) فان الابقاء عليهم في ذلك ترك للانتقاء ،
واصلاحهم بترك الحدود الواجبة افساد ، يقول الله جل وعز : (ولكم
في القصاص حياة يا أولى الاباب) (١٠٧) • وقد ضرب عمر بن الخطاب ابنه
الحد (٥١ / أ) على شرب الخمر فمات فيه ، ثم دخل عليه في مرضه عائدا
فقال : يا ابت قتلتنى • فقال : اذا لقيت ربك فأخبره بأن عمر يقيم
الحدود (١٠٨) ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء فأجاء :

وان يدا بالداء قد طال سقمها

وقد خيف منها الداء أن يتقـدما

(١٠٥) في الاصل (ما) وما أثبتناه هو الاصح .

(١٠٦) هكذا في الاصل والاصوب (حاشيته) .

(١٠٧) ٢ / البقرة : مدنية / ١٧٩ .

(١٠٨) الغزالي : نصيحة الملوك ص ٥٦ ، وقارن ابن جوزي : سيرة
عمر بن الخطاب ص ١٦٧ قال : لا ينبغي أن يظن بعبد الرحمن أنه شرب
الخمر وإنما شرب النبيذ متأولا ، يظن أنه الشرب منه لا يسكر . . فلما خرج
الامر الى السكر طلب التطهير بالحد . . وأما كون عمر أقام الحد على ولده
فليس ذلك حدا ، وإنما ضربه غضبا وتأديبا فالحد لا يكرر . . وقد لبث عبد
الرحمن شهرا صحيحا ، ثم أصابه قدرة فحسب عامة الناس بأنه مات من جلد
عمر ولم يميت من جلده . .

لحقوقة بالقطع كى لا تغمسه

ويفلت من آفاتهما فتسلما

وقد قال فى ذلك بعض الملوك الحزمة : واعلموا أن الوالى قد يفسد
بعض الرعية من حرصه على صلاحها ، وقد يغلط عليها من شدة رفقها بها ،
ويقتل فيها من حرصه على حياتها •

وفىما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : اجر الحلم على الخاصة
العامة بالسواء ، واعلم أن فى صلاح الخاصة صلاح العامة •
وقال : كن رؤوفا رحىما ، ولا تكن رأفتك ورحمتك فسادا لمن يستحق
العقوبة ويصلحه الادب (١٠٩) •

وقال : أى ملك سوى فى الحكم بين أصحابه حمد وسلم •
وحكى عن بعض قدماء الملوك قال : انى لا أجهل فضل العفو ولكن
ليس على الحدود •

وفى كتاب كيلة ودمنة من هذا الباب كلمات كافية ، قال : فى بعض
قصصها :

« ان الملك قد يموت من قبل هذا المجرم ، ووجل أن تكون قد شبه
عليه ورأى الفحص عنه ، فمن كان عنده من ذلك علم فليذكره ولا يكتمه ،
لخصال ثلاث :

منها : الشهادة لله بما علمتم ، فان الكاتم لعلمه فى مثله مشترك فى
حوبه (١١٠) •

(١٠٩) نزهة الارواح ١ : ٢٠٠ •

(١١٠) الحوب : الاثم • لسان العرب المحيط ١ : ٧٤٦ •

ومنها : أن عقوبة المجرم بجرمه مقمعة لاهل الريبة ومصلحة للملك والرعية .

ومنها : أن نفى الاشرار من الارض زيادة في عز الدين وبهاء الملك ، وصلاح للرعية ومحق للاحقاد (١١١) .

وأن يكون القضاء في ذلك على الحق واليقين ، لا على الهوى والظنون .
والسادسة : أن لا يدعهم أياما طويلة وأوقاتا متتابعة فراغا لا شغل لهم غير الراحة والاكل والشرب والدعة ، حتى يصرفهم في شغل تحمد عاقبته ، وتجدي عائدته على المملكة والديانة بجهة من الجهات من غزو أو جهاد أو مثاقفة أو سباق أو رماية ، أو رشاق ، أو خدمة أو تعلم شيء من الادب والخير ، فان الراحة الطويلة والخفض والدعة والاكباب على النعمة يرخي مفاصلهم ، وينعم (٥١/ب) ابدانهم ، ويثقل أجسامهم ، ويعودهم العجز والفشل والضعف والكسل .
ثم عند الفراغ الطويل يذكرون فنونا من الفساد ، من الشرب الكثير ومن العريضة والقتل والجرح والشتم .
وقديما قال الشاعر (١١٢) :

ان الشبابة والفراغ والجده
مفسدة للمرء أي مفسدة (١١٣)

-
- (١١١) كليله ودمنه ١٠٣ ، ١٠٤ .
(١١٢) هو أبو العتاهية واسمه اسماعيل بن القاسم ، مات سنة ٢١١ هـ ويرمى بالزندقة مع كثرة اشعاره في الزهد والمواعظ وذكر الموت والحشر والنار والجنة ، وكان يلعب بالشعر لعبا .
(١١٣) ورد البيت منسوباً الى أبي العتاهية في نهاية الارب ٨٠:٣ واستبدل كلمة (للمرء) — (للدين) .
انظر في ترجمته الشعر والشعراء ٧٩٥ — ٧٩٩ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٢٧ — ٢٣٤ .

وقد قيل : لا ينبغي للعاقل أن يفنى عمره الا في احدى ثلاث : بمرمه
لمعاشه ، أو خطوة لمعاده ، أو لذة في غير محرم (١١٤) .

على أن الحكماء الحزمة من كل فرقة قد استخفوا بالضرب الثالث
وذموا من جعل اللذة أكبر همه وأكثر شغلة ، حتى قال الشاعر (١١٥) في
ذلك :

انى وجدت من المكارم حسبكم
أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
فاذا تذوكرت المكارم مرة
في مجلس أنتم به فتقنعوا
وقال آخر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فأنت لعمرى الطاعم الكاسى (١١٦)
وقالوا : انما يحتاج الى المطاعم والمناكح ما يقيم القوة ، ويبقى

(١١٤) مرمة المعاشة : السعى فيه بما يصلحه ويقيم . والنص في الحكمة
الخالدة لمسكوية ٧٢ وينسبه الى حكم الفرس ، وحلية الاولياء ١٦٧ : ١ .
(١١٥) ورد في كتاب الامثال لابى عبيد القاسم بن سلام ص ١٦٨ دون
نسبة وفي شرحه للبكرى (فصل المقال) ٢٥٠ ، ٢٥١ نسبة الى عبد الرحمن
ابن حسان .

(١١٦) من قول الحطيئة في هجاء للزبرقان ، ديوانه ٢٨٤ ، والافانسي
١٨٥ : ١ ، والامثال لابى عبيد القاسم ١٦٨ ، ٣١٣ . وعيون الاخبار ٢٣٦ : ١ ،
٢ : ١٩٥ والايجاز والاعجاز ٤٠ ، والشعر والشعراء ٣٣٤ ، ونهاية الارب
٢٩٨ : ٣ ، وطبقات الشعراء للجمحي ٤٠ ، وشرح المصنوع به على غير اهل
بيت ١١٢١ ص ٤٨٢ ، والمتع ٣٥٣ ، وحماسة الظرفاء ١٧٩ : ٢ ، التمثيل
والمحاضرة ٦٣ ، وبدلا من جملة (فأنت لعمرى) جملة (فانك أنت) .

النفس ، ويجب أن يكون الفضل مصروفا الى القسمين الباقيين ، واستخف الزهاد المتبتلون بمرمى المعاش الا اذا كان فيها خطوة للميعاد ، والا أوجبوا أن يكون السعى كله لدار البقاء والقرار دون دار النقلة والزوال .

(قال) : (١١٧) وقد قيل لبعض الحكماء ما الفرق بينك وبين العامة ؟ قال : أنهم يعيشون ليأكلوا وأنا آكل لأعيش ، ولذلك ما صدر به صاحب كتاب كليلة ودمنة كتابه بأن قال : تقسمت الناس أربع : الرغبة في المال ، والشهوة للذات ، والطلب للذكر ، والعمل للمعاد (١١٨) . والثلاث وشيكة الفناء باقية التبعة ، والرابعة تنتظم الثلاث بلا تبعة ، ولا غنى كالرضا ، ولا لذة كاللثوى ، وما يعجل من فرح البشرى ، ولا ذكر أشرف من طاعة الله التي أخافت من صاحبها كل شيء ، وخاف من عدمها كل شيء .

والسابعة : أن يختص من بعضهم خواص لمشاورته ، ويشركهم في (مستشاريه) (١١٩) ويكونون واسطة بينه وبينهم ، وأعوانا له على باقيهم وعيونا عليهم أن أحدث محدث أو كاد كائد ، ثم لا (٥٢ / أ) يفعل ذلك بمن فعل به منهم الا بعد امتحان وتجربة وابتلاء وظهور نصيحة وشفقة وعفة وأمانة ومساهمة ومشاركة وكتمان للسر ، ووفاء له ولمن تقدمت صحبتهم له ، فعلى هذا جرت السنة ، واستمرت العادة في كل نبوة وديانة ومملكة وعمارة احتيج في اقامتها الى جنود وجيوش ، ولا يستقيم شيء منها الا بعد تدريب وترتيب ، وتحويل من درجة الى أقرب الدرج منها ، فان ذلك أشبه بأدب الله وادل في الأخذ عنه في موافقته العصم والتوفيق

(١١٧) يستقيم المعنى بدونها .

(١١٨) كيلة ودمنه ترجمة عبد الله بن المقفع ٤٨،٤٧ .

(١١٩) غير واضحة في الاصل .

والثوبة والتأييد * والمعرفة بما لا يصلح المرشوع والمريد
ويصلح به ، فقد قال الله في أول هذه القضية (الله يصطفى من
الملائكة رسلا ومن الناس) (١٢٠) ، وقال : (ولقد أخذ الله
ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) (١٢١) * وقال : (واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) (١٢٢) * وقال : (يا موسى انى اصطفيتك
على الناس برسالاتى وبكلامى) (١٢٣) * واختار النبي ﷺ من صحابته
لوزارته ومشاورته جماعة ، واختار لبيعة الرضوان نفرا من أصحابه ،
ولخدمته جماعة ، ولقيادة الجيش جماعة ، ولرسائله وكتابه عدة
ولاستخلافه على الاعمال جماعة ، واختار للإمامة بعده نفرا قد سماهم
فقال : (ان استخلفتم أبا بكر وجدتموه قويا في دينه ، ضعيفا في بدنه ،
وان استخلفتم عمر وجدتموه قويا في دينه قويا في بدنه ، وان استخلفتم
عليا وجدتموه هاديا مهديا) (١٢٤) * .

وقد فضل الله مع ذلك بعض ملائكته على بعض ، فبالله وملائكته ورسله
قدوة وأسوة * .

الثامنة : أن يتعهد فشو الفسوق وشرب الخمر والميسر في عسكره

-
- (١٢٠) / ٢٢ / الحج : مدنية / ٧٥ .
(١٢١) / ٥ / المائة : مدنية / ١٢ وفي الأصل : (اخذنا) .
(١٢٢) / ٧ / الاعراف : مكية / ١٥٥ .
(١٢٣) / ٧ / الاعراف : مكية / ١٤٤ .
(١٢٤) رواه البزار ، وفيه أبو اليقظان عثمان بن عمير ، وهو ضعيف ،
مجمع الزوائد ١٧٦:٥ ، وقد رواه البزار عن علي بن أبي طالب برجال ثقات
بلفظ عن علي قال يا رسول الله من تؤمر بعدك ؟ قال « ان تؤمروا أبا بكر »
تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة ، وان تؤمروا عمر تجدوه قويا
أمينا لا تأخذه في الله لومة لائم وان تؤمروا علي ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا
مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم » كما أخرجه أيضا أحمد والطبراني في الاوسط
مجمع الزوائد ١٧٦:٥ .

فيغير من ذلك ما كان مكروها في الدين ، شقد أمر الله به غير موضع من كتابه ، وقد تلونا منها آيات فيما تقدم من كتابنا ، وروينا عن النبي ﷺ أنه قال : (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي وقدروا أن يغيروا فلم يغيروا الا عمهم الله بعذاب) (١٢٥) . وقال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو أختياركم فلا يستجاب لهم) (١٢٦) . هذا بعد قول الله تبارك اسمه : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم (٥٢/ب) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (١٢٧) .

وفيما كتبه أرسطاطاليس الى الاسكندر : انكر الفجور فان فشوه يهلك الامة ، وهو من خواص الدواب الدنية (١٢٨) .

وقال : تفقد ظهور الفجور والسكر في عسكري فان هذين مفتاح الضعف ، وفيهما هتك القوة .

وأقول : قد جرب هذا المعنى في غير واحد من عساكر الملوك فوجد

(١٢٥) حديث صحيح ، أخرجه الامام أحمد بن حنبل وأبو داود وابن حبان وابن ماجه عن جرير صحيح الجامع الصغير ١٧٦٠:٥ رقم ٥٦٢٥ ، مشكاة المصابيح رقم ٥١٤٢ .

(١٢٦) حديث حسن ، رواه البزار والطبراني في الاوسط عن أبي هريرة ضعيف الجامع الصغير ٥ : ٨ رقم ٤٦٥٣ .

(١٢٧) ٥ المائة : مدنية ٧٨ ، ٧٩ و (فعلوه) ساقطه من الآية في الاصل .

(١٢٨) السياسة في تدبير الرياسة ص ٧٦ بلفظ «يا اسكندر ، تجنب مساعدة الشهوات فانها تهلك ، لان الشهوة تنتج الميل الى تبليغ النفس البهيمية نفسها من غير روية » .

الامر على ما قال ، أعنى أن ظهور الفجور كان أمانة لو شك البوار وقرب الهلاك .

والقاسعة : هى أن يلين جانبه ، ويخفض جناحه فى بعض الاوقات لهم ، ويبسط كنفه لاقصاهم وأدناهم وخاصهم وعامهم ، ويسهل لهم الاذن فى الدخول عليه ، ورفع الحوائج فى الوقت بعد الوقت اليه ، ولا يحتجب عنهم احتجابا يورث الوحشة ، ولا يتطاول عليهم تطاولا يوجب البغضة ويدل على الخيلاء والنخوة .

والعاشرة : أن يتعهد مرضاهم وزمناهم (١٢٩) وأيتام موتاهم وورثتهم الضيع ، وابدال ما ينفق فى وقائعه من دوابهم ، ويتلف فيها من كراعهم وسلاحهم ، وأموالهم ، فانهم اذا عرفوا ذلك ، ووشقوا به جادوا بأنفسهم وما معهم من ذلك ، واذا وثقوا بخلاف ذلك ضنوا بما حصل فى أيديهم ، وتأخروا عن مهالكهم شفقة على أهليهم وأولادهم . وهذا أدب من أدب الله — عز وجل — وفيه قدوة به ، لان الله تعالى يقول فى ذلك : (بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطاءون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (١٣٠) . فليس لاحد عندنا ينفق نفقة أو يسعى فى سبيل الله سعيا صغيرا أو كبيرا الا عجل الله له ثوابا من الخاف والمدح والتوفيق واللفظ ، وأجزل له ثوابا من المغفرة

(١٢٩) زمناهم : هم كبار السن والمصابون بأمراض وعاهات مزمنة .

لسان العرب المحيط ٢ : ٤٩ .

(١٣٠) ٩ / التوبة : مدنية / ١٢٠ ، ١٢١ .

والرحمة ، ويعتاض الجنة ما لم يحبط أجره بجريرة من كفر أو كبيرة .
وكان النبي ﷺ يقول في خطبته : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من
ترك مالا فلاهله ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعلى والى) (١٣١) .
ولقد قال خطيب وفد لسليمان بن عبد الملك : لقد حببت إلينا الحياة
وهونت (٥٣/أ) علينا الموت ، فانا نرجوكم لمن تخلف من أعقابنا (١٣٢) وكذلك
ما قال بعض الشعراء :

لولا أميمة لم أجزع من الهرم
ولم أقاس الدجى فى حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها
فیهتك الستر عن لحم على وضم (١٣٣)
وقد قال ذلك أرسطاطاليس : وابذل الاموال عند حاجة من يحتاج
الى معونته (١٣٤) .

فى شروط معاونو الملك :

ثم لابد للملك مع ذلك من الاستعانة بالالاخص والاخص من خدمه

(١٣١) صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى وابن ماجه
عن أبى هريرة صحيح الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤ رقم ١٤٦٧ .
(١٣٢) عيون الاخبار ١ : ١٠٦ .
(١٣٣) عيون الاخبار ٣ : ٩٤ ولم ينسبه .
(١٣٤) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٧٨ مع اختلاف لفظى «ثم يتصفح
رقاعهم ويقضى حوائجهم» .

في مهمات أعماله ، من جباية أموال المملكة ، وتفريقها على الجيوش ، وفي
سبيل الحقوق •

ولابد في اقامة المملكة والولايات العظيمة من وزراء وخلفاء وكتاب
وأصحاب جيوش ، وعارضين ، وأصحاب شرط ، ونقباء ، وأصحاب جرس
وأصحاب أخبار ، ووكلاء ، وقضاة ، فليجتهد الملك في اختيار هذه الطبقات
من أهل الكفاة والاستقلال والشهامة والامانة والعفة والديانة والعقل
والاصالة •

فمن هذه الخصال ما يحتاج اليه في بعض دون بعض ، فمن
الخصال التي يحتاج الى أن تعم الجميع : الدين والعقل ، والامانة ،
والكفاية ، والاستقلال بما يعصب به ويفوض اليه ، لان منهم من يأتّمنه
الملك على دمه وروحه ، ومنهم من يأتّمنه على خدمه وحرمة ، ومنهم من
يأتّمنه على سره ومشورته العظيم خطرهما الجليل قدرهما ، ومنهم من يأتّمنه
على دينه وآخرته ، ومنهم من يأتّمنه على أمواله وخزائنه ، فمن لم يكن
له دين يحجزه عن ارتكاب الخيانة كانت الامانة منه معلقة برغبة حاضرة
أو رهبة معجلة ، ولا يبعد أن تزول معهما اذا زالتا ، ويميل معهما اذا
مالتا ، وربما حملته سوء العادة على مخالفة شرائط الرغبة والرهبة ،
وتعدى حدودها ، والاستخفاف بها ، واذا لم يكن له امانة خان ، واذا
خان في مثل هذه الامور ، ربما عاد بضرر شامل أو فساد مستأصل •

واذا لم يكن عاقلا فربما أراد أن ينفع فيضر ، ويحفظ فيضيع ،
ويزين فيثين ، ويحسن فيقبح •

واذا لم يكن فيه كفاية بما فوض اليه وعصب به ، ضاع الامر

وانتشر • ثم هؤلاء من يجب أن يكون الغالب عليه في أبواب فضائله الاصاله وحسن التدبير والتقدير (٥٣/ب) وجودة القريحة والبديهة وحسن الاستدلال بالشاهد على الغائب ، وبالماضى على الاتى ، ثم لكل باب من الرسوم السلطانية •

ومنهم من يحتاج الى : فضل معرفة بالادب واللغة وحسن الخط والبيان فى اللفظ ، وسهولة اللقاء وجودة القريحة ، وهو الكاتب •
ومنهم من يحتاج منه الى : : فضل معرفة بالحساب ، وعمل الدخل والخرج ، وهم الوكلاء وجباة الاموال من الكتاب •

ومنهم من يحتاج منه الى : شجاعة وجلادقو شهامة وبسالة ودربة بالوقائع وممارسة لها ، وهم الاساورة واصحاب الجيوش •
ومنهم من يجب أن يكون الغالب عليه : العلم والفقه والديانة والعفة والامانة (والرماية) (١٣٥) والدراية والعدالة والصيانة والمعرفة بالاحكام والحدود والفرائض والشروط ، وهو القاضى •

فعلى حسب ذلك يجب أن يختار الملك ولاية أعماله ، وجباة أمواله •
وليعلم أنه ليس يجد من يكمل بكل فضيلة ، ويبرز فى كل منقبة ،

ولكنه يختار لكل عمل من هو أصح له ، وأسد لمسده (١٣٦) ، وإن كان فيه تخلف أو تقصير من جهات آخر ، فإنه لا يجد مهذبا لا عيب فيه ، وكاملا لا نقص معه ، وإذا لم يستعمل ذوى المعاييب ضاعت الأمور وتعطلت .

في تقويم معاونى الملك :

ثم ينبغى للملك أن يستعين على تقويم هؤلاء بعد حسن الاختبار والاصالة في الاستعمال بخصائص خمس :

أولها : أن يتقدم اليهم جميعا بالعدل والانتصاف ، ولسزوم فرائض الشريعة ، وحدود الملة ، وتقديم الوعيد — النار — على من تعدى فيه أو ظلم أو ضام أو غشم ، كما يقدم اليه باستيفاء ما يجب له على الرعية ، والاستقصاء عليها ، ولا يطلق لاحد كسرهما ، ولا يسوغ لاحد منهم أخذ درهم واحد من غير حقه ، فإنه إذا أطلق ذلك له أطلق هو لمن تحت يده فإن لكل عامل عاملا ، ولكل صاحب صاحباً ، يطمع منه في مثل ما طمع هو ممن فوقه ، فإذا كان كذلك صار القليل من ذلك كثيرا ، فأضر ذلك بالرعية ولم ينفع الراعى بل ربما ازداد ذلك كثيرا حتى يكثُر فيحيف بها فتهلك ، ويكون في هلاكها هلاك ملكها وواليتها ، لأن بيوت الرعايا وأبدانهم معادن ومزارع لبيوت أموال الرعاية وأصول لها ، فإذا حُزب الأصل حُزب الفرع وإذا انقطعت المادة (٥٤/أ) من المعدن والأصل ذهب ما في بيوت الأموال وفنى ، ومثلوا ذلك مثال جداول تقضى الى بركة ، فإذا انقطع ماؤها لم يلبث ما في البركة أن يقل ويفنى لاسيما إذا كان الخروج منها دائما والمستقون كثيرين ، ولاشئ أقطع لسبل الأموال من الخزائن وبيوت الأموال من الجور والظلم وتعدى الحق والرسم ، وقد وقع بذلك عبد الله

(١٣٦) أسد لمسده : أجدر على القيام بمهام عمله أكثر من غيره .

ابن طاهر (١٣٧) فقال : الخراج عماد الملك ، فما أستدر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور (١٣٨) .

وفيما أوجب الله — جل وعز — على عباده من الزكوات والصدقات أعظم شاهد ، وأبين دليل وأحسن مثال ، لان الله — جل وعز — لم يوجب عليهم مما ملكهم من الاموال الا جزءا من أجزائها ، والعشر من ثمرة الارضين لا يكلفهم سقياهم ، ونصف العشر مما يلزمهم كلفة فيها أو الخراج الخفيف في رقاب الارضين ، وربع العشر من صوامتهم (١٣٩) وقرمانهم (١٤٠) من سوائهم القليلة العدد ، فاذا كثرت فعشر العشر أو ما يقرب منه من الاغنام وغيرها . ثم لم يوجب ذلك الا في مال مثمر أو ممكن للثمن ولذلك أوجب الله الجزية على أعدائه من كفار أهل الذمة لانه لم يوجبها الا على معتملى قوى أو موسر غنى ثم أمهلهم فى ذلك مدة يمكنهم فيها الزيادة والقتير ، والنماء والتكثير كل ذلك ابقاء لمواد الاموال فى أيديهم ، ولاصولها فى أملاكهم ، ونظرا لهم ورأفة بهم ، وتخفيفا عنهم .

وقد بين سابور بن اردشير فى عهده حيث قال : « انما تكون استقامة الخراج ورجاؤه لعمارة البلاد والاستكثار من الغلات ، ولن يسهل السبيل الى المبالغة فى ذلك وبلوغ الغاية فيه الا باستصلاح أهله والعدل عليهم

(١٣٧) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعى ، يكنى أبا العباس ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى توفى ٢٣٠ هـ الولاة والقضاء لكندى المصرى ١٨٠ ، وفيات الاعيان ٢٧١:٢ ، تاريخ بغداد ٤٨٣:٩ ، سير اعلام النبلاء ٦٨٥،٦٨٤:١٠ .

(١٣٨) ينسب هذا القول لجعفر بن يحيى . عيون الاخبار ١٣:١ ، نهاية الارب ٣٥:٦ والمستطرف ١٣١:١ ، تسهيل النظر ١٨٦ ، والايجاز والاعجاز ٢٥ (١٣٩) الصوامت : جمع صامت أى الذهب والفضة . لسان العرب (١٤٠) قرمانهم : ابلهم . لسان العرب المحيط ٣ : ٧٠ . المحيط ٤٧٢:٢ .

والانصاف لهم والرفق بهم ، والعون لهم على ما هم بسبيله ، والترغيب لهم فيه بالتوسعة عليهم في المعاش ، والتخفيف عنهم في المؤونات ، فان بعض الامور لبعض أسباب ، وعوام الناس بخواصهم عدة ، ولكل صنف منهم الى الآخر أبين الحاجة » (١٤١) .

وقال أنوشروان : الملك بالجنود ، والجنود بالاموال ، والاموال تستخرج من الارضين ، والارضون تزكوا بالعمارة ، والعمارة لا تنتم (٥٤/ب) الا بالعدل (١٤٢) .

ولمثل هذه الاسباب ما يجعل فضلاء الملوك دوران المال في أيدي الملوك والجنود والرعية في السنة الواحدة على ثلاثة أقسام : فقسم يكون في بيت المال ، وقسم في أيدي الجند والقواد ، وقسم يكون في أيدي الرعية .

وليعلم الملك المهتم بعمارة مملكته والمعنى بأمر ولايته أنه لا عدو أعدى له وأقوى عليه وأشد تمكنا من مقاتله ، من عامله ان كان جائرا غاشما ، وخليفته ان كان متعديا ظالما ، لانه الذي لا يقدر عليه أحد من أعدائه الا عامله وخادمه ، ثم يورثه لوم الاحدوثة الذي يشين به عرضه ويقبح اسمه على مر الايام ، ويفسد عليه رعيته ، وهذا هو الذي ربما يحتال له العدو بكل حيلة فلا يقدر عليه ، ثم يقطع عنه سبل دخله ،

(١٤١) النص في كتاب الوزراء والكتاب للجيشهاري ص ٦ مع اختلاف

يسير .

(١٤٢) النص في مروج الذهب ٢٠٤:١ ، وورد منسوباً الى عمرو بن العاص بنص (لا سلطان الا برجال ، ولا رجال الا بمال ، ولا مال الا بعمارة ، ولا عمارة الا بعدل) العقد الفريد ٢٤٠:١ ، وفي نصيحة الملوك للغزالي ٤٧ دون نسبة .

ويخرب عليه معادن وفره وينابيع ماله ، ثم يطمع فيه أعداءه الابعديين ومنابذيه الاجنبيين ، فلا يبالي بهذا كله لرئيسه وسلطانة بعد أن يتعجل طفيفا من المال ، ونزرا من الحرام . فلا ينبغي للملك الحازم أن يقرر أحدا منهم على ذلك ، ولا يبقى عليهم فيه .

الثانية : أن من عشر منه على شيء من هذا الباب عزله ، واستبدله بعد تبين الحق (من) (١٤٣) أمره من غير عجلة أو غلظة ، وعاقبه عقوبة تحتملها صورة حاله ، ومبلغ جنايته ، واسترد منه ما أخذ من ظلم ، وردّه على صاحبه ، فان مضض العدل على الظالم أبلغ وأشد من مضض الجور على المظلوم ، وإذا كان المظلوم ينتظر به أجرا ورحمة ، ولا يخاف لذلك وزرا ووبالا والظالم يخاف عقوبة ، ويلتزم شيئا ، ويستحق عذابا ونكالا . هذا على أن الله — جل وعز — قد أخبره عن نفسه في كتابه أنه : (لا ينال عهدي الظالمين) (١٤٤) ، وأنه لا يتخذ المضلين عضدا (١٤٥) .

فيجب على الملك الذي يتعرف من الله جليل النعمة في نفسه وملكه أن لا يخالف أمر الله في ملكه ، ولا ينازعه في سلطانه ، فينال عهده من أخبر الله أنه لا ينال عهده ، ويتخذ في عباده عضدا من أخبر الله أنه لا يتخذه عبدا .

والثالثة : أن يجعل على كل منهم عيونا ومشرفيين ، وأزمة ، سرا وعلانية ، من أمناء الناس ومشايخ الكور (١٤٦) ، وعلمائها وصلحاءها ،

(١٤٣) (من) ساقطة من الاصل .

(١٤٤) ٢ / البقرة : مدنية / ١٢٤ .

(١٤٥) قال الله تعالى : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) . ١٨ / الكهف :

مكية / ٥١ .

(١٤٦) الكور : جمع كورة ، وهي القرية . ويقول ابن دريد : لا أحسبها

وأهل العفة والعفاف منها ، يتبعون آثاره (٥٥/أ) وينهون اليه أخباره ، ويكون سبيل الامناء والعيون سبيلهم ، ومجالهم مجالهم اذ أخلوا بما هم بسبيله أو ضيعوا منه شيئا ، أو طابقوا أحدا من العمال على ظلم أو جناية أو فاحشة أو ريبة ، على أن لا يعجل في ذلك حتى يستبرى عويملى ويصح عنده ثمار الاخبار أسبابا • والناس عامتهم مطبوعون على الحسد والبغضاء ، موكلون بسوء الظن والفعل ، الا من عصم الله من الفساد ووفقه للرشاد •

والله لم يأمر بالقضاء الا بعد تبين الحق وظهور الصدق ، فليثق الله أمرؤ في الحكم ولينظر فيما يفعل ويقول •

والرابعة : أن يجعل الولايات التي يوليها قضاء بحق الخدمة ، ولا يطمع في أحد من عماله لاجل تقليده اياه ، بل يدر عليه رزقه المرسوم بالمعروف اذا وجهه اليه ، وليقدر عنده أنه انما ينفعه ليعمل ، ولا يستعمله لينتفع ، فان في كلتا الحالتين فسادا كثيرا ، لان العامل اذا علم أن ولايته قضاء بحق خدمته ، ومكافأة له عليها ، أطمع نفسه في الرعية ومطمعه كان في الراعى (١٤٧) ، وظن كل ما تحت يده ثمرة خدمته وجدوى عمله •

واذا طمع الملك في عامله طمع هو فيمن تحت يده ، ولم يرض الابأن يأخذ من رعيته التي ذكرنا بها عمارة ملكه ومعدن خزائنه أضعاف ما يبذله له ، ولا يسعه غير ذلك في مذهبه ، لان لكل واحد من هؤلاء مؤنا غير ذلك

عربية . : لسان العرب المحيط ٣ : ٣١٢ •

(١٤٧) الراعى : يقصد بها الملك •

وأغراضا في تحصيل المال واستيفائه هو يفترضها (١٤٨) ، وآمالا هو ينحوها ، ومطامع في (الاستنفصال) (١٤٩) والعطلة (١٥٠) ان وقعت ، والادخار لمدة ان طاللت ، فاذا اجتمعت هذه الاسباب صار ما يؤخذ من الرعية أضعاف ما يحصل لبيت المال ، وقد بينا ما في ذلك من الفساد .
والخامسة : أن لا يستكثر من العمال ولا يستخلف على الرعية منهم الا العدد الذي لا يجد منهم بدا ، فان في الاستكثر منهم فوق الحاجة ضروبا من الفساد :

أولهما ، أنهم اذا كثروا كثرت أرزاقهم ومؤنهم على بيت المال ، فشغلت المال عن الاوجب الاولى والاحق الاخرى ، وأضرب بيت المال .
والثانية ، أنهم اذا كثروا كثرت مكاتبهم وكتبهم وكتب الامناء عليهم والشكايات منهم والرجائع عليهم ، فشغل ذلك الملك عن كثير مما هو أولى وأحق وأجدر (هـ/ب) وأخلق .

والثالثة ، انهم اذا كثروا كانوا من اتفاق كلهم على الرشد والفلاح والامانة والصالح والعفة والعفاف أبعد ، لان الامناء المختارين والكفاة المقدمين في كل عصر وزمان ووقت وأوان أعزة قليلون فلا بد اذا كثروا من اختلاف أحوالهم في هذه المعاني والخصال التي يحتاج اليها فيهم ومنهم .
فالواجب أن يستقل منهم ما أمكن وتيسر ، وراج بهم العمل ويقدر ، وفي هذا موضع اقتداء بالله من جهة التأسي به ، وذلك أن الله لم يبعث

(١٤٨) يفترضها : أى يجعلها غرضا وهدفا له .

(١٤٩) هكذا بالاصل : و المعنى الانفصال بحكم الولاية عن الملكة .

(١٥٠) العطلة : يقصد العزل والابعاد عن الحكم .

رساله الا واحدا بعد واحد في الايام المتطاولة والمدد المتراخية ، وعند امتساس الحاجة الضرورية من الخلق جميعا اليه ، ودثور (١٥١) الشريعة ووقوع الفترة • ولم ينصب الرسول ﷺ لهم في كل عهد الا اماما واحدا وقال لهم : « اذا بويع الاميرين فاقتلوا آخرهما » (١٥٢) فهذه خلال من راض بها خاصته ، وساس بها حاشيته ، واستعملها في عماله رجوت أن يكون قد أدى حقهم في التأديب والتقويم ، وحق الله فيهم ، وأصلحهم واصلح بهم ان شاء الله ، وبه القوة والحول والمنة والطول •

(١٥١) دثور الشريعة : غيابها واندثارها .

(١٥٢) حديث صحيح ، أخرجه مسلم عن أبي سعيد رضى الله عنه بلفظ (اذا بويع لخيفتين فاقتلوا الاخر منهما) . مختصر صحيح مسلم للمنذرى الحديث رقم ١٢٠٠ كما رواه القضاعى عن أبى هريرة مسند الشهاب ٤٤٧:١ رقم ٧٦٧ . وتيسير الوصول ٢ : ٣٣ . كما رواه البزار وفيه أبو هلال ، وهو ثقة ، والطبرانى فى الاوسط ، وكلاهما عن أبى هريرة . مجمع الزوائد ١٩٨:٥ .

1. The first part of the document is a letter from the President of the United States to the Congress, dated January 3, 1862. It is a very important document, as it contains the President's annual message to Congress, which is a key part of the executive branch's communication with the legislative branch.

2. The second part of the document is a report from the Secretary of the Interior, dated January 10, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

3. The third part of the document is a report from the Secretary of the Treasury, dated January 15, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

4. The fourth part of the document is a report from the Secretary of the War, dated January 20, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

5. The fifth part of the document is a report from the Secretary of the Navy, dated January 25, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

6. The sixth part of the document is a report from the Secretary of the State, dated January 30, 1862. It is a very important document, as it contains the Secretary's annual report to the President, which is a key part of the executive branch's communication with the President.

الباب السابع

في سياسة العامة

(بالرحمة والعدل)

قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا ما يجب على الملك الفاضل ، والسائس الكامل من الاقتداء بالله فيما للعبد ادراكه ، على مقدار الجهد ومبلغ الوسع ، والائتمار بأمره والرغبة فيما رغب فيه ومدح عليه .

وقد وصف الله نفسه بالرحمة بخلقه والعدل عليهم ، فقال : (وكان بالمؤمنين رحيما) ^(١) وقال : (فاعلموا أن الله غفور رحيم) ^(٢) . وقال : (الرحمن الرحيم) ^(٣) . ثم مدح النبي ﷺ بهذه المديحة ، وفضله بهذه الفضيلة ، فقال : (حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ^(٤) ، وقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ^(٥) . وقال : (فبما رحمة من الله لنت لهم) ^(٦) . وقال : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) ^(٧) . وقال : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ^(٨) (٥٦/أ) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على

(١) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ٤٣ .

(٢) ٥ / المائدة : مدنية / ٣٤ وفي الاصل : واعلموا .

(٣) ١ / الفاتحة : مكية / ٣ .

(٤) ٩ / التوبة : مكية / ١٢٨ وعليكم ساقطة في النص .

(٥) ٤٨ / الفتح : مدنية / ٢٩ .

(٦) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٥٩ .

(٧) ١٦ / النحل : مكية / ٩٠ .

(٨) ٥ / المائدة : مدنية / ٨ وفي الاصل : على أن لا تعدلوا .

أنفسكم أو الوالدين والاقربين) ^(٩) . وقال — جل وعز — فيما وصف به نفسه من العدل ، ونفى عنه من الظلم والجور : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) ^(١٠) . وقال : (وما ربك بظلام للعبيد) ^(١١) وقال : (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ^(١٢) .

وقال : (وما الله يريد ظلما للعالمين) ^(١٣) .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «ما من وال يلي جماعة الا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان أنجاه عدله وأهلكه جور» ^(١٤) .

وروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه كان اذا بعث عماله خرج معهم ماشيا وهم ركاب ، فاذا أراد أن يفارقهم ، قال : (اتقوا الله فاننا لا نؤمركم على دماء المسلمين ولا على أموالهم ولا على أبشارهم ولا على أعراضهم ولكننا نؤمركم لتصلوا بهم الصلاة لوقتها ، وتجاهدوا بهم على عدوهم ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل . ألا ^(١٥) تضربوا العرب فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقهم فتحرموهم ، ولا تجمزوهم

(٩) ٤ / النساء : مدنية / ١٣٥ .

(١٠) ٢١ / الانبياء : مكية / ٤٧ .

(١١) ٤١ / فصلت : مكية ٤٦ وفي الاصل : وما الله .

(١٢) ١٦ / النحل : مكية / ٣٣ .

(١٣) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٠٨ .

(١٤) مسند أحمد ٤٣١:٢ ، رواه الطبراني في الاوسط ، وفيه ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ، وثقة ابن حبان وغيره ، وكذبه أبو حاتم وأبو زرعة وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٦ .

(١٥) في الاصل : ألا لا .

فتفتنوهم» (١٦) • قال : «وكان نبي الله داود عليه السلام يقول : اذكر الجائع اذا شبع ، وأذكر العريان اذا اكتسيت» • وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ انه قال «ان كنت أميرا أو وزير أمير أو داخلا على أمير أو مشاور أمير فلا تخالف سنتي فانه ايما أمير أو وزير أمير أو داخل على أمير خالف سنتي وسيرتي فانه تأخذه النار يوم القيامة من مكان ثم يصير الى النار» (١٧) •

وقال القاسم بن عبد الرحمن : (١٨) كان عمرا اذا بعث عماله قال : «انى لم أبعثكم جبابرة ، وإنما بعثتكم أئمة ، لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجرموهم فتظلموهم ، ولا تجمزوهم فتفتنوهم ، وادروا لنحق المسلمين» يعنى العطاء (١٩) •

ووجدنا فى بعض عهود الهند : أن العدل ميزان الله فى الارض يؤخذ

(١٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٣٣٦ مع اختلاف يسير ، سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٦٧ ، وتجمزوهم : أى لا تحبسوا الجيش فى أرض العدو وتمنعوهم من العود الى أهلهم . المطالب العالية ٢ : ٢١٢ • (١٧) لم أقف عليه بلفظه وان كان الامام عبد الرازق الصنعاني وأحمد بن حنبل والبخاري قد أخرجوا عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة : «أعاذك الله من أماراة السفهاء» قال : وما أماراة السفهاء ؟ قال : «أمرأى يكونون بعدى لا يهتدون بهدى ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضي» . المصنف ٣٤٥ : ١١ ويقول الهيثمي : ان رجال الحديث رجال الصحيح . مجمع الزوائد ج ٥ : ٢٤٧ •

(١٨) هو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، ويكنى أبا عبد الرحمن الكوفي تابعي ، محدث ثقة ، وكان قاضي الكوفة ، مات سنة ستة عشرة ومائة . تهذيب التهذيب ٨ : ٣٢١ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٩٥ ، ١٩٦ . طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨١ • (١٩) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨١ •

به للضعيف من الشديد ، وللمحق من المبطل فمن أزال ميزان الله عما وضعه
الله من القيام (٥٦ / ب) بالقسط بين عباده فقد أعوز أشد الاعواز ، واغتر
بالله أشد الغرة •

فاستعن على العدل بخصلتين منهما : طلب الهدى ومنها : التثبت في
الامور (٢٠) •

ثم ما أوجب الله للمؤمنين بعضهم على بعض ان قال الله (انما
المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم) (٢١) •

وقال النبي ﷺ : «المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يظلمه» (٢٢) •

وقال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها

عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله» (٢٣) •

وقال : «المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٢٤) •

فيجب على الملك المشارك في الايمان لرعيته أن يكون صفته معهم

هذه الصفة ، ومعاملته اياهم هذه المعاملة •

وقد رويناه فيهما مضي من كتابنا عن النبي ﷺ أنه قال : «كلكم راع

(٢٠) من اقوال أرسطاطاليس . نزهة الارواح ١ : ١٩٩ ، ووصية

أرسطاطاليس للاكسندر ص ٤٠ •

(٢١) ٤٩ / الحجرات : مدنية / ١٠ •

(٢٢) حسن ، رواه أبو داود (مع عون المعبود) ٤٧٩٧ ، البخارى في الادب المفرد
مع شرحه فضل الله الصمد ٢٣٩ ، والطبرانى في مكارم الاخلاق تحقيق فاروق
حماده ٩٢ ، والقضاعي في الشهاب ١٢٦ •

(٢٣) صحيح رواه مسلم عن أبي هريرة ٥٢٠١ رقم ٣٥ ، صحيح الجامع
الصغير ٤٣٥٠٢ رقم ١٣٦٩ •

(٢٤) صحيح ، رواه أحمد ٤٠٤٠٤ — ٤٠٩٤٠٥ ، البخارى ٤٨١ ، ٢٤٤٦
٦٠٢٦ مسلم ٢٥٨٥ ، الترمذى ١٣٩٩٣ ، الطبرانى في مكارم الاخلاق ٨٩
القضاعي في مسند الشهاب ١٣٤ ، ١٣٥ •

وكلكم مسئول عن رعيته» (٢٥) وعلمنا أن الراعى والرعية والسائس والمسوس هما اسمان من أسماء الاضافة لابقاء لاحدهما الا بالآخر ، وأنه ليس حاجة الراعى الى الرعية بأقل من حاجة الرعية الى الراعى ، وكذلك الملك والملك ، ولذلك ما مثل الناس الرعية بالبدن والراعى بالرأس وقالوا : ان الرعية اذا هلكت هلك الراعى ، واذا فسدت فسدت حال الراعى وكلما دخلها نقص فى أموالهم ودمائهم رجع ذلك النقص عليه .

وقال بعض الملوك المتقدمين : وبعد الوالى من القدرة على استصلاح نفسه مع استفساد الرعية كبعد الرأس من البقاء بعد هلاك الاركان ، غير أن الوالى أجدر باصلاح الرعية الفاسدة ، وافساد الرعية الصالحة من الرعية باصلاحهم الوالى وافساده لفضل قوته عليها ، ووهن قوتها عليه . ومما يجب أن يكون معلوما أن زينة الملك بصلاح الرعية ، والرعية كلما كانت أغنى وأسرى (٢٦) وأجل حالا فى دين ودنيا ، ومملكته كلما كانت أعمر وأوسع كان الملك أعظم سلطانا ، وأجل شأننا ، وكلما كانت أوضع حالا وأخس بالا كان الملك أخس مملكة وأنزر دخلا وأقل فخرا ، فلا ينبغى للملك السائس أن يبتغى عمارة منزلته بتخريب منازل (٥٧ / أ) الرعية ، ولا توفير خزائنه وبيوت أمواله باخلاء بيوت العامة واقلالها ، فإنه ليس زينته ومباهته بعمارة المملكة وكثرة دخلها ووفور أغنيائها ومشايخها

(٢٥) صحيح ، رواه أحمد ٤٤٩٥ ، ٥١٦٧ ، ٥٨٦٩ ، ٥٩٠١ ، البخارى ٨٩٣ ، ٢٤٠٩ ، ٥٢٠٠ ، ٧١٣٨ ، مسلم ١٨٢٩ ، أبو داود ٢٩١٢ ، الترمذى ١٧٥٧ ، الطبرنى فى الكبير ١٣٢٨٤ ، ١٣٢٨٦ ، القضاعى فى مسند الشهاب سبق تخريجه (٢٦) من السرو بمعنى المروءة والشرف . لسان العرب : المخطوط ١٣٩٠ : ٢ .

ودهاقنتها^(٢٧) وعلمائها وفقهاؤها وذوى آرائها وسرواتها^(٢٨) وحكامها
وتساكها وحكمائها وأصناف ذوى المراتب والمناقب منها بأقل من زينته
لعمارة قصوره وفضول دوره وكثرة خيوله وجنوده وخدمه وأثائه • وليس
عزته على أعدائه برعيته السامعة المطيعة المحبة له الذابة عنه بأوهى من
قوته بأعوانه وجنوده • ولا خوفه من أعدائه الخارجين من مملكته المخالفين
له فى ملته وأمته بأشد من خوفه من مخالفة قلوب رعيته • بل ما يأتية من
هذه الابواب كلها من جهة رعيته أبلغ وأرفع وأعظم وأقطع •

ثم ان الرعية والراعى يجمعهما قرب المجانسة والمناسبة ومشاكلة
الطبيعة والصورة والحامة^(٢٩) والمناسبة توجب الشفقة والممايلة ، ويجب
لهم مع ذلك حق الملة والذمة ، وقد جعل الله المؤمنين اخوة ، والذمة أمانة
وانما يجب عليهم الطاعة بشريطة المعدلة ، والوفاء بالعهد ، والرأفة والرحمة
فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ان لقريش عليكم حقا ما ان استرحموا
رحموا ، وان حكموا عدلوا ، وان عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة
الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا »^(٣٠) •

(٢٧) الدهاقنة : جمع دهقان (بضم الدال وكسرها وتسكين الهاء) ،
وهو التاجر والكلمة من أصل فارسى . لسان العرب المحيط ١٠٢٥٠ : ١ .
(٢٨) السروات : الاشراف وهى جمع الجمع لكلمة سرى . لسان العرب
المحيط ١٣٩ : ٢ .
(٢٩) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده . لسان العرب المحيط
٧٣٢ : ١ .
(٣٠) صحيح ، أخرجه الطبرانى فى الصغير والاوسط عن أبى سعيد
الخدري ، ورجاله ثقات مجمع الزوائد ١٩٤ : ٥ كما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار
عن أنس مجمع الزوائد ١٩٢ : ٥ ، المطالب العالية ٢٠٥ : ٢ .

وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (٣١) .

وقال : « انما الطاعة في المعروف » (٣٢) .

على أنه لابد لكل صانع وساع في العالم من معرفة بصناعة يحذق بها ، وآلة يستعملها ، ومادة يؤثر ما يغتر منه ، وغرض يغترضه في ثمرة عمله ، فصناعة الملك السياسة ، وعلمه حذقة بها ، ومادته فيها وآلته جنده ، وأعدائه ، وعماله ، وخدمه ، ومادته رعيته ، وثمره عمله : ما يحصل له من ثواب الله العظيم في دار النعيم في الآجل ، وحسن الاحدوثة عنه في الغائب والشاهد والآتي والحاضر ، وزينة عمله وحسنه الدال على حذقه (٥٧/ب) بصناعته وتقدمه فيها عمارة مملكته وصلاح حال رعيته . فعلى حسب هذا يجب أن يعمل الملك ويدأب ويجتهد ، فانه ان خالف هذه الطريقة وتتكبها وفارقها وعدل عنها أفسد رأس ماله الذي هو المادة ، وأبطل ثمرة عمله ، ودل على جهله بصناعته ، وذلك أبين الخسران .

وروى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « عدل ساعة خير من عباده ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ، وجور ساعة في حكم أعظم عند الله من معاصي ستين سنة » (٣٣) .

(٣١) صحيح ، رواه أحمد ٤٢٦:٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، و ٦٦:٥ ، ٦٧ والطبراني في الكبير ٣١٥٩ و ٣١٦٠ : القضاء في مسند الشهاب ٨٧٣ ، كشف الخفاء ٥١٠:٢ .

(٣٢) صحيح ، أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن علي . صحيح الجامع الصغير للالباني ١٩٥:٦ رقم ٧٣٩٥ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني ١١٢:١ رقم ١٨١ .

(٣٣) ضعيف ، رواه الاصبهاني عن أبي هريرة . نقلا عن المنذري : الترغيب والترهيب ١٣٥:٣ .

وكذلك روى عن كثير من ملوك العجم أنهم كانوا يقولون : حقيق
على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة ، وليس بحقيق للرعية أن يدعوا
للملك الصالح لان أقرب الدعاء الى الله دعاء الملك الصالح .

ولقد قرأنا في بعض سير الهند : أنه ليس أحد أصلح لعباد الله ولا
أسعد برضوان الله من الولاة اذا صلحوا ، ولا أفسد لهم ولا أنفسهم اذا
فسدوا ، لان الوالى من الرعية بمكان الروح من الجسد الذى لا حياة له
الا به وبموضع الرأس من الاركان الذى لا بقاء لها الا معه ، وبالوالى مع
فضل منزلته من الحاجة الى اصلاح الرعية مثل ما بالرعية من الحاجة
الى اصلاح الوالى ، لان قوة بعضهم زيادة فى قوة بعض ، ووهن بعضهم
سريع الى ايها بعض (٣٤) .

فمن حق الرعية على الامام اذا أمرهم بالطاعة والنصيحة والمؤازرة
وأداء الاخرجة والمؤنة ، وجزية أهل الذمة ، وزكاة أهل الملة ، أن يعزدينهم
وأن يحميهم على مناهجه ومعالمه ، ويقيم فيهم الصلوات من الاعياد
والجمعات والمواسم ، وأن يحمى حوزتهم ، ويسد خلتهم (٣٥) ، ويقاثل
عدوهم دونهم ، ويعمر بلادهم ، ويؤمن سبلهم ، ويحفظ ذمتهم ، وينصف
مظلومهم من ظالمهم ، وضعيفهم من قويهم ، ويحفظ عليهم أموالهم ،
وأشعارهم ، وأبشارهم ، ويقيم حدود الله فيهم التى حدها لهم وعليهم ،

(٣٤) تزهة الارواح ١٩٧:١ وينسبه الى أرسطاطاليس ، وصية
أرسطاطاليس للاسكندر ضمن (أثران لارسطو الفيلسوف فى العربية) ٣٦ ، ٣٧
طبقات الاطباء : ٩٧:١ .

(٣٥) الخلعة : الحاجة والفقر . لسان العرب المحيط ٨٩٣:١ .

بلا هوادة ولا ميل ولا حيف (٣٦) ، ويوفر حقوقهم من بيت المال على ما جاءت به السنة ، وأوجبته لهم الشريعة • فمن لم يوفر حقهم عليهم وطالبهم بحقه كان أول ظالم وأظلم (١/٥٨) غاشم ، وقد جعل الله عز وجل السلطان حكما بينهم يمنع بعضهم من بعض ، فكيف بمن يظلم ويضيم ؟ وقد قال الحسن البصري : انما جعل السلطان ناصرا لدينه فكيف بمن استحل به الظلم ؟

خصال تحقق الصلاح :

ونحن نجمع ما يجب عليه من ذلك ونفسره وندل عليه ، ونبين عن وجه الصلاح فيه ، في عشر خصال :

منها : ما لا فرق بين الخاصة والعامة ، لان خاصة الملك على مقدار التعارف من غيرهم عامة ، اذ قد يتفق أن لا يكون في البلاد الواحد من البلدان أكثر مما في جملة الملوك من عبيده وخدمه ولا مثل عددهم • ومنها : ما يفرد به العامة دون الخاصة •

فمما يشمل الخاصة والعامة ما ذكرناه من الحمل على ظاهر الشريعة ، والحث عليها ، والترغيب فيها ، واظهار كرامة المتدينين عليه ، وجلالتهم عنده ، والمنع من اظهار الفساد والفجور من الميسر ، وشرب الخمر ، واظهار السكر والفسوق ، والقذف ، والنياحات (٣٧) الفاحشة على الموتى ،

(٣٦) الحيف : الجور والظلم في الحكم . لسان العرب المحيط ٧٧٠ : ١ .
(٣٧) ما يظهر على النساء ويسمع حال اجتماعهن للحزن . لسان العرب المحيط ٧٣٨ : ٣ .

وكل محرم ومكروه في الدين ، وما يدخل في أبواب الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والثانية : ما ذكرنا من حماية بيضتهم ، وصيانة حوزتهم ، ومجاهدة أعدائهم والباغين عليهم ، وكفايتهم ذلك ، حتى تدر معاشهم ، ويأمنوا معرة أعدائهم ، ويشغلوا بمكاسبهم ومسايعهم ، ويتهيا لهم عمارة المملكة ، ويسهل عليهم توفير الاخرجة والوظائف والصدقات والضرائب على بيت المال ، ويكثر أهلها ، ويعظم سوادها من المقيمين والطارئين ، وبالتناسل والنوالد ، وان ذلك من أدب الله — جل وعز — وخاصة الانبياء والائمة والملوك .

وبلغنا عن الخليفة هارون الرشيد أنه كان يسرى في بعض أسفاره وغزواته وقد ألح عليه الثلج ، فأذاه ، فقال له بعض أصحابه : أما ترى يا أمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية وادعه ؟ قال : اسكت للرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعى من حراسة رعيته^(٣٨) فقال أبو محمد القيمى^(٣٩) في ذلك :

غضبت لغضبك القواطع والقتال

لما نهضت لنصرة الاسلام

(٣٨) المصباح المضيء ٢٧٥:١ .

(٣٩) هو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد ، القيمى من تيم الملث بن ثعلبة أحد شعراء الدولة العباسية ، مدح الامين والمأمون وغيرهما ، توفي ٢٠٩ هـ . تاريخ بغداد ٤١١:٩ ، الاعلام ١٩٩:٤ .

ناموا الى كتف لعدلك واسمع

وسهرت تحرس غفلة الثوام (٤٠)

(٥٨/ب) والثالثة ، قمع ذعارهم وأهل العبت والفساد فيهم، وشغلهم عنهم بقتل أو صلب أو نفى أو حبس أو قطع ، على ما جاءت به الشريعة في الكتاب والسنة ، وأن لا تحمله الرقة لهم والميل الى بعضهم على المحاباة فيها ، فان المحاباة لهم ترك المحاباة نفسه ، وفي الابقاء عليهم في هذا الباب اهلاك لهم ، وقد وصف الله جل وعز — نبيه ﷺ وفضلاء أصحابه بالرحمة والرافة ، ثم قال لهم : (ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٤١) ، فكانوا على ما قال وأمر ، ومنتهين عما نهى وزجر .

وقال فيما وصف به نفسه : (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم) (٤٢) . فالأقتداء بالله ورسوله أولى بالعبد وان شق عليه . ثم يجب عليه أن لا يتعدى حدود الله وما أمره به تعظيماً للعقوبة ، وتفخيماً لها ، فانه لا عقوبة أهيب في النفوس ، ولا أهول في العيون ، ولا أولى بالردع ، ولا أخرى بأن لا تورث المعاقب حقدا وعداوة وموجدة من عقوبة يحال بها على الله وعلى دينه الذي يقر به المعاقب وعلى أن من تعدى في الزيادة (عصا) (٤٣) وحمية يوشك أن يحابي وينقص رضا وميلا ،

(٤٠) أوردهما الطبري في تاريخه لشاعر في عمر بن الخطاب رضي الله عنه . الجزء ١١ ص ١٨٩ ، وابن الجوزي في المصباح المضيء ج ١ / ٢٧٥ دون نسبة .

(٤١) ٢٤ / النور : مدنية / ٢ .

(٤٢) ٥ / المائدة : مدنية / ٩٨ .

(٤٣) هكذا بالأصل ، والاولى أن تكون (تعصبا) .

ويعفو عن الجريمة في بعض الاوقات (أصلا) (٤٤) . وفي ذلك تعطيل للحدود واهمال للرعية واحراج لاهل المملكة ، ومع أن الاسلام قد قيد الفتك ومنع من المثلة (٤٥) وحرّمها ، فمن حق الملك أن لا يعاقب تعسفا ولا تغسبا ، وانما يعاقب تأديبا وتدينا ، فالوجه أن لا يخالف حكم دينه فيها .

الحدود والحبس :

ثم ينظر في اقامة هذه الحدود ، وتأديب أهل الجنايات منهم ، ويبحث عنها ، ويستقصى فيها ، ولا يقدم على أحد في شيء من العقوبات الا بعد البيان والبرهان .

فأما من يوجب عليه الحبس منهم فالواجب أن يتقصد أحوالهم ، ويبحث عن أمورهم في ثلاثة مواضع :

أولها : أن لا يحبس أحدا الا بعد وجوب الحبس عليه .

والثانية : أن يتعهدهم في حبوسهم في مآكلهم وملابسهم ، فانهم قوم قد منعوا من التصرف لانفسهم والسعى لها ، وليس لکن منهم مان ينفعه ، وولى يتعهدده فكفايتهم وتعهدهم على الامام الذى (٥٩/أ) هو ولى المسلمين ، والسلطان ولى من لا ولى له .

والثالثة : أن يعرضهم في الوقت بعد الوقت ، فلعله أن يثوب مذنّب أو ينيب مجرم ويعرف محق من الخصوم أو يندم مبطل ، وأن يكون فيهم من يخشى عياله الذين كان معولهم على كدحه ، واعتمادهم على كده ،

(٤٤) هكذا في الاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .

(٤٥) المثلة : التعذيب والتكيل وتقطيع الاطراف وغير ذلك . لسان

العرب المحيط ٣ : ٤٣٨ .

ومعاشهم من كسبه • والمريض الذى لا ممرض له يمرضه ولا طبيب يحضره •
ثم ان الحبس من عظيم العقوبات ، وانما يجب أن تقع العقوبات
على مقادير الذنوب ، ولا يجوز أن يساوى بين ذوى الجرائم صغارها
وكبارها فى التخليد والاخراج والتقييد والاطلاق الا المصر الذى وجب
عليه الحبس من فساد فى الارض ثم لم يقلع ولم يتب •
والرابعة : أن يحكم بينهم فى مظالمهم ودعاويهم ، وسماع بيناتهم
وشهاداتهم بكتاب الله — عز وجل — وسنة نبيه ﷺ ، وما يوجبه الحق
والحكم •

اختيار القضاة :

ويجتهد فى اختيار الحكام حتى لا يولى الا الدين العفيف ، والعالم
الفقيه ، والاريب (٤٦) الامين ، الوقور الرزين على ما ذكرناه فى الباب
المتقدم لهذا الباب • ويتقدم اليه الاستقصاء فى البحث والنظر والاخذ
للضعيف من القوى ، وان لا يعجل قبل تمام البحث والاستقصاء ولا يماطل
به بعد ثبات الحجة وقيام البينة ، فان فى كلتا الحالتين اهمالا وتضييعا
وانه لم يحكم بالميل وحاف عن العدل على المحكوم عليه ، ولكنه حكم على
نفسه ، وجعله خصمه يوم القيامة عند من لا يظن به الميل ، ولا يقع فى
قضاياه الضيم ولم تزل تلك وصية الله لانبياؤه وأوامره الملقاة الى
أوليائه اذ قال : (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس

(٤٦) الاريب : المتبصر بالامور والمدرّب عليها والماهر فيها . لسان العرب

بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (٤٧) .

ثم ملاك أمر اللقاضي والحاكم أن يعينه الوالى بما يدر عليه من الارزاق الواسعة الهنية (٤٨) ليتنزه عن أموال الرعية والطمع فيها ، فان الحرص على الدنيا لا سيما فى زماننا هذا قد صار عادة للعلماء ، وعلى غير هذا ما كان يجب أن يكونوا ، فقد رويانا عن النبى ﷺ أنه قال : « ما ازداد أحد علما فازداد به على الدنيا حرصا الا ازداد من الله بعدا وازداد الله له بغضا » (٤٩) .

ولارسطاطاليس فى هذا (٥٩/ب) الباب فصل جامع اذ قال : الحاكم سيد على من وليه فتعقد من الحاكم أربع خصال وهى : أن يكون حيا ، وأن يكون ورعا ، وأن يكون عالما ، وأن يكون غير عجول . وأعلم أن الحاكم يزين الحكم (بعده) (٥٠) ويوسخه لوسخه ولزومه غير الطريق .

وقال : واحذر أن يكون الحاكم مشتتيا للكلام فان الحكومة لا يصلح لها ، من كان كذلك . وكمال أمره أن يغنيه عن أموال الرعية ، ويوسع عليه أرزاقه ، ويقتصر عليه عندما تظهر منه النصيحة ، ولا يسرع فى شهرته ، وان أنكرت عليه شيئا من أمور الرعية ففتشه كما يفتش الحاكم بالسنة القائمة ، واحمله على خطة الحكومة وان كان مرضيا فى الناس وأنكرت

(٤٧) ٣٨ / ص : مكية / ٢٦ .

(٤٨) هكذا بالاصل ونرى أن الاصوب (الكافية) .

(٤٩) وقد أورد الدارمى عن ابن سيرين . « من ازداد فى العلم رشدا ، ولم يزد فى الدنيا زهدا ، لم يزد من الله الا بعدا » سنن الدارمى ٥٨ ونثر الدر للابى ١٨٩٠ : ١ ، والحكمة الخالدة ١٦٧ ونسبه الى بعض الحكماء .
(٥٠) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

عليه في أمرك خاصة فاستره واشهر غيره بحسن الحال والمعرفة ، فاذا صار عند الناس مشهورا معيننا لهم عن الاول فاصرع الاول بمالك عليه من من الحجة الظاهرة القوية •

ويجب أن لا يغفل القاضى عن استعمال ما تضمنته رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعري فانها أوائل علم القضاء ، كتب اليه :

أما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا ادلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ، (وواس) ^(٥١) بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا يطمع في حيفك شريف ، ولا يخاف جورك ضعيف • البينة على من أدعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما • لا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن تراجع الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل • الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك ، مما ليس في القرآن والسنة ، واعرف الامثال والاشباه ثم قس الامور عند ذلك ، واعمد الى احبها الى الله ، وأشبهها الى الحق فيما ترى ، واجعل للمدعى أمدا ينتهى اليه ، فان أحضر بينة أخذ بحقه ، والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك اجلى للعمى ، وأبلغ في العذر • والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا حدا أو مجربا عليه في شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالشبهات • ثم اياك (٦٠/أ) والضجر والقلق ،

(٥١) هكذا في الاصل ، والاصوب (وساو) •

والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم في مواطن الحق ، التي يوجب الله بها
الاجر ، ويحسن بها الذخر ، فانه من يخلص نيته لله فيما بينه وبينه ،
ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم
الله منه خلافه يشنه الله ، فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزق الله
وخزائن رحمته ، والسلام» (٥٢) .

قالوا : وكتب الى معاوية بن أبى سفيان :

« أما بعد ، فانى كتبت اليك بكتاب لم آلك ونفسي فيه خيرا المزم
خمس خلال ، افهمها يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك ، اذا تقدم
اليك الخصمان فعليك بالبيضة العادلة ، واليمين القاطعة ، وادن الضعيف
حتى يشتد قلبه ، ويبسط لسانه ، وتعاهد الغريب ، فانك ان لم تتعاهده
ترك حقه ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفع به رأسا .
وعليك بالصلح بين الناس مالم يستتب لك فصل القضاء » (٥٣) .

مراعاة مراتب الناس :

والخامسة : أن تعرف طبقات الناس ومراتبهم ، من أبناء الملوك ،

(٥٢) ذكر الرسالة ابن قتيبة : عيون الاخبار ٦٦:١ ، سنن الدارقطني
٣٠٦:٤ ، ٣٠٧ ، الجاحظ في البيان والتبيين وبيننا رواها ٤٨:٢ وقد أوردها
المأوردى في الأحكام السلطانية ص ٧١ والكامل للمبرد ٧:١ وأخبار القضاء
لوكيع ٧٠:١ وقد دحض ابن حزم هذه الرسالة من ناحية الرواة في مؤلفه
ابطال القياس ٦ ويؤيد هذه الوجهة الشيخ محمود عرنوس في مؤلفه تاريخ
القضاء في الاسلام . ونرى أن رسالة عمر رضى الله عنه ويعتبرها معظم علمائنا
دستور القضاء . لم يكن عمر فيه مبتدعا وانما متبعا . أنظر في ذلك كتابنا : حكم
الاسلام في القضاء الشعبي (بحث مقارن) ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٥٣) ورد بنصه في رسالة الحجاب للجاحظ (ضمن رسائل الجاحظ)
تحقيق عبد السلام هارون ٣١:٢ ، وفي العقد الفريد ٦٢:١ مع تعديل طفيف .

والاشراف وذوى الانساب ، والاحساب وأولادهم ، والعلماء والنسك
وذويهم ، والاغنياء^(٥٤) وأرباب الضياع والارضين ، والتجار
والصناع والمهنة وأصحاب الاقدار منهم ويرتبهم مراتبهم ،
وينزلهم على منازلهم ، فيوفر على كل طبقة منهم حقهم على
مقادير أسبابهم ومرتبتهم من البشر والتقريب والارفاق والترتيب ،
فان ذلك مما يحرضهم على التسابق في طلب الخير والتباهي
في نيل الفضل فيما هم فيه ، فيكون ذلك سببا لانتظام أمورهم ،
واتساق أحوالهم ، وطيبة أنفسهم . واذا عوملوا بخلاف ذلك أداهم الى
الحق على السلطان ، واضمار السوء له لان من رأى في نفسه فضلا
من شرف أو علم أو نجدة أو مجدا أو بلاء وكفاية فجعل حقه وحرم منه
ما يستأهله ويستحقه أحفظه ذلك احفاظا ، وأحقده احقادا ، وخيل اليه
أنه قد منع حقا واجبا ودينا لازما ، وظلم ظلما عظيما . ومن قدر في
نفسه ذلك اختار في دفعه عنها ان وجد الى ذلك سبيلا ، وان لم يجد
كانت طاعته مكره مجبور مضطهد مقهور ، (٦٠/ب) لا طاعة لمحب مختار .
وقد أوجب الله في ذلك في كتابه ، وبينه لنبيه عليه السلام ، وجعله
من دينه حيث قال : (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)^(٥٥) . ويقول
(لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا)^(٥٦) .

(٥٤) غير واضحة بالاصل .

(٥٥) ٢٦ / الشعراء : مكية / ٢١٥ .

(٥٦) ٥٧ / الحديد : مدنية / ١٠ .

وقال : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) (٥٧) .

وقال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب) (٥٨) .

وقال : (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) (٥٩) . وقال : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (٦٠) . وقال النبي ﷺ : (أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم) (٦١) .

وبسط رداءه لقيس بن عاصم المنقرى وقال : (إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه) (٦٢) .

وقال يوم الفتح : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن» (٦٣) . وقال له : «كل الصيد فى جوف الفراء» (٦٤) .

(٥٧) ٤ / النساء : مدنية / ٩٥ .

(٥٨) ٣٩ / الزمر : مكة / ٩ .

(٥٩) ٥٩ / الحشر : مدنية / ٢٠ .

(٦٠) ٤٥ / الجاثية : مكة / ٢١ .

(٦١) صحيح ، أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها . المسند ١٨١:٦ ، وسنن أبى داود (تحقيق الدعاس) ٤:٥٤٠ رقم ٤٣٧٥ ، والبخارى فى الادب المفرد ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامه . كشف الخفاء ١٨٣:١ ، وفى صحيح الجامع الصغير ٣٨٢:١ برقم ١١٩٦ فيه استثناء الا الحدود .

(٦٢) حديث حسن ، أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر سنن ابن ماجه ١٢٢٣:٢ رقم ٣٧١٢ وشرح السنة ١٢٨:١٣ والبزار وابن خزيمة والطبرانى وابن عدى والبيهقى عن جرير ، كما أخرجه الحاكم فى مستدركه عن جابر . صحيح الجامع الصغير ج ١ ص ١٣٤ رقم ٢٦٦ والمقاصد الحسنة ٣٣ ، ٣٤ .

(٦٣) ذكره أبو عبيد فى الاموال ١٤١ ، زاد الميعاد ج ٥ : ٦٨ ، الدرر فى اختصار المغازى ٢٣١ .

(٦٤) الفراء : الحمار الوحشى وجمعه فراء . وأصل المثل أن ثلاثة نفر

وأعطى يوم حنين ^(٦٥) كثيرا من المؤلفات قلوبهم أكثر مما أعطى كثيرا من فضلاء المؤمنين ^(٦٦) ، ثم مدح كل قوم بما هم فيه ، ودعا لكل واحد بما يستحقه ، وفضل كلا من أصحابه بما استوجبه ، وأصطفاه لما هو أهل له ، فبالله قدوة ، وفي رسوله أسوة . وهذا باب من السياسة كثيرة منفعته عظيمة مضرته .

وروى عن عمر بن الخطاب أنه كتب الى أبي موسى الأشعري :
« أما بعد ، فإنه لم يزل للناس وجوه يذكرون بحوائج الناس ، فأكرم وجوه الناس قبلك ، فبحسب المرء الضعيف المسلم أن ينصف في العدل والقسم » ^(٦٧) ولم يزل الملوك يتواصون بالمحافظة على هذه الخلقة ، والمثابرة على تعهدها ، فإذا تتبعت كتبهم وعهودهم لم تجد عهدا جامعاً ولا كتاباً كاملاً يخلو منها .

وقد قال أردشير في عهده : « اجعلوا حديثكم لاهل المراتب ، وحباءكم لاهل الجهاد ، وسيركم لاهل الدين » ^(٦٨) .

= خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً ، والآخر ظبياً ، والثالث حماراً ، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا ، وتطاولا عليه ، فقال الثالث : كل الصيد في جوف الفرا أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي ، وتألف النبي ﷺ أبا سفيان بهذا القول حين استأذن على النبي ﷺ فحجب قليلاً وقال الرسول له : أنت كما قيل : كل الصيد في جوف الفرا بتألفه على الإسلام . الامثال للميداني ٢ : ٧٤ ، والامثال لأبي عبيد القاسم ٣٥ .

(٦٥) يعني غزوة حنين في شوال من السنة الثامنة من الهجرة الدرر في اختصار المغازي ٢٤٢ .

(٦٦) انظر في ذلك الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٦٧) تاريخ الامم والملوك ٤ : ٢٠٣ مع اختلاف يسير .

(٦٨) عهد أردشير ٧٢ ، وورد النص في لباب الاداب ١٨ بلفظ (اجعل =

وفيما كتب به أرسطاطاليس الى الاسكندر : « دافع عن أهل المروءات
ومن كان له قديم في الخير ، وان تضعضعت أحوالهم ، فان أسلافهم
فخر^(٦٩) لهم ، كفأك (٦١/أ) شرفا أن يميل اليك أبناء الملوك » .
وقال : « لا يكشف أستار أهل الاقدار والانفة ، فان عيب ذلك راجع
على ملكك » .

قالوا : وقد قال أردشير : عاملوا أحرار الناس بالمودة محضاً ،
فانهم لا يحتملون المهوان ، وعاملوا العامة بالرغبة والرغبة ، وعاملوا
السفلة بالرهبة صراحاً^(٧٠) . فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين فجعلوه
(فقال شعرا :)^(٧١)

إذا كنتم للناس أهل سياسة
فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وسوسوا لنائم الناس بالذل يصلحوا
على الذل أن الذل يصلح للذل^(٧٢)
وكونوا لاوساط الرجال كمازج
زعافا وماذيا كأحلى جنى النمل
ولينسوا لهم طورا ببسط كرامة
وخلوهم طورا قياما على رجل

= مرتبك مع أهل المراتب ، وعطيتك لاهل الجهاد ، وبشرك لاهل الدين) .
(٦٩) هكذا في الاصل والاولى أن تكون (لك) بدلا من (لهم) .
(٧٠) ورد منسوباً الى (أنو شروان) مع اختلاف يسير . نهاية الأرب
٦ : ٤٤ ، ومحاضرات الأدباء ٨٠ : ١ .
(٧١) هكذا بالاصل والاولى أن تكون (شعرا فقال) .
(٧٢) ورد بنصهما في محاضرات الأدباء ٨٠ : ١ من انشاء أبي معاذ على =

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : قدم من كان مشهورا بالورع ،
وأقضى حوائج العامة بهم (٧٣) .

دفع الظلم عن العامة :

والسادسة : أن يمنع العامة ظلمه ، وظلم أصحابه وحاشيته ، ويقطع
طمعه وأطماعهم عن أموال المسلمين وفروجهم وأشعارهم وأبشارهم ،
وينصف لهم من نفسه فقد بينا ما في الظلم من الفساد وفي خلافة من
الصلاح ، وإن هذا أولى الأمور بالملك تكرما واستصلاحا ورأيا وأصالسة
لأنه قادر عليهم ، وظلم الانسان من تحت يده وملكه لؤم ودناءة .

ثم إن الرعية إن ظلم بعضها بعضا ، كان السلطان هو المفزع ،
والمستغاث ، والملتجأ والمستعدى ، وإذا هو ظلم لهم يكن فوقه يد قابضة ،
فيصير ذلك عادة يصعب انتزاعها ، وذرية يتعذر تركها . على ما في هذه
الخلة أعنى العدل من الائتثار بأمر الله والاقتداء به ، والاستئنان بسنن
الصالحين من أنبيائه وأوليائه سلوكا لسبيل الحكماء المبرزين على ما وعد
الله العادلين من جزيل الثواب وكريم المآب ، وأوعد به الجائزين من أليم
العذاب وشديد العقاب . وقد قال النبي ﷺ وقد تقاضاه يهودى فأساء
التقاضى وأغلظ في القول : « دعوه فإن لصاحب الحق يدا ولسانا » (٧٤)

= المتوكل حين استخلف وفي عين الادب والسياسة ١٥٤ ، وأوردهما الماوردي في
تسهيل النظر ص ٢٦٩ والشطر الاول من البيت الاول كالتالى :

إذا كنتم للناس فى أرض سادة . . . ، ونهاية الارب ٤٤:٦ .

(٧٣) رسالة أرسطوطاليس فى التدبير ص ٥١ مع اختلاف يسير .

(٧٤) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا

أتى النبى ﷺ يتقاضاه فأغلظ ، فهم به أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « دعوه ، فإن لصاحب الحق مقالا » . . اللؤلؤ والمرجان ص ٣٩٢

الحديث رقم ١٠٣٢ وهداية البارى ١ : ٣٤٣ .

وتحاكم أمير المؤمنين عمر الى يزيد بن ثابت وعرض على خصمه اليمين حتى اصطالحا ، وتحاكم أمير المؤمنين على (٦١/ب) الى شريح^(٧٥) قاضيه وحكم الحكمين واحتمل ما لزمه بعد التحكيم من الضيم .

وقال النبي ﷺ : « اتقوا المظالم فان الظلم هي الظلمات يوم القيامة »^(٧٦) وقال : « من غضب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين »^(٧٧) .

وقد قرأنا لبعض ملوك الهند في عهده الى ابنه : « واعلم أنك من نلت منه مظلمة أو أفرطت عليه في عقوبة فان الذي أتيت به نفسك أشد مما أتيت به اليه ، فان كلوم^(٧٨) الدنيا تغفو وتبيد آثارها ، وكلوم الآثام لازمة للنفوس حتى يأتى عليها القصاص » .

وكذلك لم تزل الملوك الحزمة يتقوا صون به ، ويأمرون به في عهودهم ،

(٧٥) هو شريح بن الحارث الكندي ، أبو أمية القاضي ، يعد في كبار التابعين ، وكان من أعلم الناس بالقضاء ، وولى القضاء ستين سنة من زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى زمن عبد الملك ، توفى سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة عام ، والاستيعاب ٧٦٢ المعبر ٨٩٠ : ١ ، طبقات الشيرازي ٨٠ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٠٠ — ١٠٦ .

(٧٦) حديث صحيح ، أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمر بلفظ « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » صحيح الجامع الصغير ٨٧٠ : ١ رقم ١٠٠ ، شرح السنة ١٤ : ٣٥٧ عن جابر بن عبد الله .

(٧٧) صحيح ، أخرجه البخاري ومسلم عن سعيد بن زيد ، بلفظ « من أخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين » اللؤلؤ والمرجان ٣٩٣ رقم ١٣٠٨ ، والترغيب والترهيب ٣ : ٥٤٠٣ .

(٧٨) كلوم : جروح . لسان العرب المحيط ٣ : ٢٩١ .

ويحشون به كتبهم ، ويرسلونه آثارا في سيرهم ، فقد كان ملوك آل ساسان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان ، لهم في السنة يومان : في النيروز والمهرجان ، يظهران فيهما للخاصة والعامة ، فلا يحجب عنهم في هذين اليومين أحد من صغير ولا كبير ، ولا شريف ولا وضيع ، وكان يأمر الملك منهم بالنداء في مملكته قبل قعوده بأيام ليتأهب للناس ليوم المحفل ، فيعد المظلومون حججهم ، ويكتبون قصصهم ، ويحضرون خصومهم ، وربما اصطالح كثير من أهل المظالم قبل ذلك اليوم خوفا من الفضيحة والتنكيل والعقاب الشديد ، فردوا ظلاماتهم ، وأصلحوا تبعاتهم . فلما كان ذلك اليوم أمر الموبدان ، وهو قاضى قضائهم ، أن يوكل رجلا من ثقات أصحابه فيقف بباب العامة ، فلا يمنع أحدا من الدخول على الملك ، وينادى مناديه من حبس رجلا عن رفع مظلمة ، فقد عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد آذن بحرب منه ، ومن الملك ، وأمر الملك أن يؤذن للناس ويأخذ رقاعهم ، ويتأمل ، فإن كان فيها متظلم من الملك بدىء به أولا ، وقدمت على كل مظلمة ، ويحضر الملك الموبذ الكبير والبرزان^(٧٩) ورأس سدنه بيوت النيران ، ثم يقوم مناد فينادى : « ليعتزل المتظلمون من الملك فيعتزلون » ، ويقوم الملك مع خصومه حتى يجثو بين يدي الموبذ فيقول : أيها الموبذ ، انه لا ذنب عند الله أعظم من ذنب الملوك ، وانما خولها رعايا لتدفع عنها الظلم (٦٢ / أ) وتذب عن بيضة الملك ظلم الظالمين ، وجور الجائرين ، فاذا كانت هي الظلمة الجائرة فيحق لمن دونها

(٧٩) غير واضحة في الاصل ، والبرزان تعني نافخ البوق — المساعيد

هدم بيوت النيران ، وسلب ما فى النواويس من الاكفان ، ومجلس هذا منك ، وأنا عبد ذليل ، شبيه مجلسك من الله غدا ، فان أثرت الله أثرك ، وان أثرت الملك عذبك • فيثنى عليه الموبذ خيرا • ويقول له جميلا وربما قال : « ان الله اذا أراد سعادة عباده ، اختار لهم خير أهل الارض ، واذا أراد أن يعرفهم قدره ، أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك » • ثم ينظر فى أمره وأمر خصمائه بالحق والعدل ، فان صح على الملك شىء أخذه به ، والا حبس من أدعى عليه باطلا ، ونكل به ونادى عليه : « هذا جزاء من أراد تشين المملكة ، والقبح فيها بالباطل » • فاذا فرغ من مظالم الملك قام فسجد لله طويلا ، وحمد الله كثيرا على ما رفع عنه من المظالم وحط عنه من الاوزار ، ثم وضع التاج على رأسه ، وجلس على سرير الملك ، والتفت الى قرابته وخاصته وحامته ، فقال : « انى لم أبدأ بنفسى فأنصفت منها لئلا يطمع طامع فى حيفى ، فمن كان قبله حق ، فليرد الى خصمه منه ، اما بصالح واما بغيره » ثم كان أقرب الناس الى الملك فى الحق كأبعدهم ، وأقواهم كضعيفهم ^(٨٠) •

قالوا : فلم تنزل الناس على هذا من لدن عهد أردشير الى أن ساسهم يزدجرد الاثيم ^(٨١) •

ثم غير هذه السيرة فى المعدلة وقتل أباه ، وكان من أمره ما كان ^(٨٢) •

(٨٠) النص فى التاج فى اخلاق الملوك للجاحظ ص ١٦١ — ١٦٣ مع اختلاف طفيف ، والشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ٦٨ ، والتبر المسبوك ٨٤ ، ٨٥ •
(٨١) يزدجرد بن سابور ذى الاكتاف ، الملقب بالاثيم ، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما • مروج الذهب ١ : ١٩٧ ويقول صاحب الشاهنامه أن مدة ملكه سبعين سنة • الشاهنامه ٢ : ٧٣ •
(٨٢) أنظر فى ذلك الشاهنامه ٢ : ٧٣ ، ٧٤ ، التبر المسبوك ٨٥ •

ثم عاد بهرام جور^(٨٣) الى بعض السيرة في المعدلة والنصفة وان كان قد غلب عليه في أكثر أحواله اللهو واللعب .

وقد كتب الحكيم الى الاسكندر : خير لك يا أسكندر أن تجلس للعمامة كافة في اختلاف السنة ، وتلزم سنة الهند فانها ممدوحة ، وتفقد ما انتهى اليك وجد في البحث عنه ، وواتر عليهم المواعظ ، وحدد الاوقات في اجتماعهم^(٨٤) . ويقول : انها سيرة حسنة لولا تراخي المدة بين المجالس ، فانه اذا وقع مثل هذا فيما بين السفين والشهور ، ارتكب الناس الجور والمظلم مطمئين ساكنين الى وقت المجلس ، فكم من مظلوم يموت قبل ان امكان طلب حقه ، وظالم يفوت ، وكم من ضعيف يعجز ، وصحيح يمرض ، وغريب (٦٢ / ب) يؤوب الى وطنه فيضيع حقه ، ولكن يجب على الملك أن يفعل ذلك فيما بين الاسابيع والجمعات والشهور ، وفيما بين ذلك يستكفي من يكفيه بعد أن يقوى يده وعزمه ، ويقدم اليه بالوعيد البات أو اعلمه ذلك من رأيه ان اطلع منه على اضاعة أو فتور أو خيف أو ميل على ما بيناه في موضعه من الكتاب .

ومن مآثور آثار العجم في هذا الباب ، أن كسرى لما بنى الايوان بالمدائن ، وقع لعجوز ضعيفة في زاوية من زواياه بيت يمنع من اقامة تربية ، فطلبوه منها بأضعاف^(٨٥) (ثمنها) حتى بلغوا أن يفرش وجه ذلك

(٨٣) هو بهرام بن يزديجرد المعروف ببهرام جور ، وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة ويقول صاحب الشاهنامه أن مدة ملكه ستين سنة مروج الذهب ١ : ١٩٧ والشاهنامه ٢ : ٨٠ .

(٨٤) السياسة في تدبير الرئاسة ص ٧٨ مع اختلاف يسير .

(٨٥) هكذا في الاصل ، والاصوب (ثمنه) .

البيت بالدنانير ، فأبت . . وقالت : ان جوار الملك أحب الى من جملة هذا المال ، فبنوه منكسر التربيع ، فلما استوى البنيان جاءت الى الملك وقالت : انى لم أفعل ما فعلت بخلا على الملك ولا محبة لايحاشه^(٨٦) ولكنى فعلت ذلك محبة منى لان يبقى للملك فى احتماله عنى ، وانصافه لى ، وزفقه بى منقبة تؤثر ، وفضيلة تتشر على غابر الايام ووجه الزمان ، فيكون أحسن به وأبقى لذكره من هذا البنيان على جلالة خطره وبعد سمته ، ووثيق أساسه ، وقوى أركانه ، فشكر لها ذلك وعدها لها صنيعه ، وصنيعه غرا ، وأمر باكرامها ، وحسن جوارها .

وذكر قحطبة بن حميد قال : كنت واقفا على رأس أمير المؤمنين المأمون ، وقد جلس للمظالم ، فلم يزل جالسا حتى كادت الشمس تزول ، فأقبلت امرأة عليها أطمار بالية ، تعثر فى أثوابها فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، قال : فنظر الى يحيى بن أكثم^(٨٧) ثم قال : وعليك السلام تكلمى رحمك الله فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشيد

ويا اماما به قد أشرق البلاد

(٨٦) ايحاشه ، منعه التصرف فيه . لسان العرب المحيط ١ : ٧٥٥ .

(٨٧) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمى الاسدى ، ويكنى أبا محمد ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفى حكيم العرب ، تولى قضاء البصرة ثم قضاء قضاء بغداد فى عهد المأمون وتوفى ٢٤٢ هـ . وفيات الاعيان ١٩٧:٥ — ٢١٤ ، أخبار القضاة لوكيع ١٦١:٢ — ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٩١ — ٢٠٤ ، طبقات الحنابلة ٤١٠:١ ، ٤١٣ ، العبر ٤٣٩:١ ، سير أعلام النبلاء ١٢:٥ — ١٦ ، وشذرات الذهب ٢ : ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

تشكو اليك عقيد الملك أرملة
عدا عليها — فلن تقوى به — أسد
فابتز منى ضياعي بعد منعته
طرا وفارق منى الاهل والولد
قال فأجابها المأمون :
في دون ما قلت عيل الصبر والجلد
وأحرق اليوم منى القلب والكبد
هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي
وأحضري لى في اليوم الذى أعد
(٦٣ / أ)

والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا
أنصفك منه والا المجلس الاحد
قال : فولت فلما كان يوم الاحد جلس المأمون ، ولم يرد الجلوس
الا من أجلها ، فكان أول من دعا به المرأة ، فأقبلت في ذلك الزى فسلمت
فرد عليها المأمون ثم قال : أين الخصم ؟ ، فأومأت الى ابنه العباس ،
فقال : يا أحمد ، يعنى ابن أبى خالد^(٨٨) ، خذ بيده فاجلسه معها حتى
يتناظرا ، فجعلت المرأة ترفع صوتها على صوت ابن أمير المؤمنين ، فقال
يحيى بن أكثم : مهلا لا ترفعى صوتك على صوت ابن أمير المؤمنين فقال :
دعها ، فان الحق أنطقها والباطل أخرسه ، ثم ان المأمون حكم برد ضيعتها ،

(٨٨) هو أحمد بن أبى خالد ، الاحول الكاتب ، أبو العباس ، وزير للمأمون
بعد الفضل بن سهل ، وكان جوادا ، شهيدا ، سائسا ، داهية ، مات سنة
اثنى عشرة ومئتين . النجوم الزاهرة ٢: ٢٠٣ ، تاريخ الطبرى ٨: ٥٧٥ ، ٥٧٩ ،
٥٩٥ ، ٦٠٣ ، سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

وظلم^(٨٩) العباس بظلمه لها ، وقال : يا أحمد أكتب برد ضيعتها
عليها^(٩٠) ، واكتب الى العامل هناك بارفاقها وحسن معونتها ، وادفع اليها
ما تتحمل به الى أهلها •

رصد أخبار العامة :

والسابعة : هي أن يجعل على الرعية عيوناً ممن يداخلون طبقاتهم ،
وجواسيس يتجسسون أخبارهم ، ويتبعون أنباءهم ولا سيما في مواضع
الظنة والتهمة ، كما يفعل ذلك مع المنابذين له من الملوك والنظرء والمجاورين
له (من)^(٩١) الاضداد الاعداء وفي كل وقت وزمان •

ويجتهد أن يحمل ذلك على السر من يأمن ناحيتهم ، ويعلم أمانتهم ،
فإن ذلك من محكم التدبير ، وبليغ التقدير ، وصواب السياسة ، وفيه
التأدب بأدب الله ، والاحتذاء على رسوم أفعال الله ، وقد ذكرنا فيما تقدم
من كتابنا بدءاً ، وكررناه تأكيداً وتأبيداً •

إن الله — جل وعز — على أنه المنفرد بعلم الغيوب الذي لا يشركه
فيه سواه ، ولا يدعى أحد بلوغ مداه ، جعل على عباده ملائكته كراماً
كاتبين ، وحفظة يعلمون ما يفعلون ، ويكتبون ما يمكرون ، فقال حاكياً عن
عباده أنهم يقولون في موقف القيامة وعند معاينة الأعمال المقدمة :
(يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ،

(٨٩) هكذا في الاصل والاصوب (لام) بدلا من (ظلم) •

(٩٠) أورد الماوردي هذه القصة مع اختلاف لفظي يسير في الاحكام
السلطانية ص ٨٤ ، ٨٥ وكذا في آثار الاول في ترتيب الدول للحسن بن عبد الله
ص ١٨ ، ١٩ وتهذيب الرياسة ٣٥٣ •

(٩١) (من) ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها •

ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا) (٩٢) • وقال : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٩٣) • فكيف يجوز لعبد ذليل لا يسمع الا بألة ضعيفة ، ولا يعلم الا بتعليم واستفادة ، وهو قد كلفه الله سياسة عباده أن يفعل هذه الخلطة ، ويأمن الحوادث التي يجوز حدوثها (٦٣/ب) من اهمال هذه الخلطة • على أن النبي ﷺ مع اختلاف الملائكة اليه ، ونزول الوحي عليه ، واطلاع الله اياه على ما شاء من مكنون الغيوب ، وضمائر القلوب ، لم يدع هذا الباب •

فأما عن خلفائه الراشدين فحكى عن عمر رضى الله عنه في هذا الباب أمرا عجيبا ، وسياسة محكمة ، حتى كانوا يقولون انه علمه بما يأتى عنه من أقطار عمله كعلمه بما يأتى منه ، حتى أن العامل من عماله ليتهم أقرب الخلق اليه أن يرفع عليه (٩٤) •

وكان معاوية من الملوك كذلك ، وهذا كان أحد الاسباب المعينة له على ما بلغه ، وانتهى (اليه) (٩٥) واقتفى أثره في ذلك زياد بن أبيه ، فانه ذكر عنه أن رجلا دخل اليه في حاجة له فكلمه فيها ، وظن أنه لا يعرفه ، فتعرف اليه بأبيه ، وقومه ، فتبسم زياد وقال : تتعرف الى ؟ انى لاعرفك ، وأباك ، وأمك ، وجدك ، وجدتك ، وأعرف هذا البرد الذى عليك ، وهو لفلان بن فلان ، فبهت الرجل وأرعب حتى أرتعد (٩٦) •

(٩٢) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٩ •

(٩٣) ٥٠ / ق : مكية / ١٨ •

(٩٤) التاج في أخلاق الملوك ص ١٦٨ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١١١ ،

والمستطرف ١ : ١٠٨ مع اختلاف يسير •

(٩٥) اليه : ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها •

(٩٦) التاج في أخلاق الملوك ص ١٦٩ ، المستطرف ١ : ١٠٨ ، والمحاسن

والمساوىء ١ : ١١١ •

وكذلك كان عبد الملك بن مروان من بنى أمية ، وكان من خلفاء بنى العباس أبو جعفر المنصور ، والرشيد ، والمأمون ، فان لكل واحد من هؤلاء في هذا الباب آثار كثيرة ، وأخبارا يطول بذكرها هذا الباب (٩٧) ، حتى حكى عن كثير منهم أنه كان يخرج متنكرا فيطوف في الاسواق ، ويخرج في جوف الليل ، فيسمع أصوات خدما في قصوره ودوره ، وكان عبد الله بن طاهر بخراسان كثيرا ما كان يخرج الى الطريق ، فيسأل من لقي من المارة عن سيرته وسيرة عماله فيهم .

وكذلك حكى عن أردشير من ملوك العجم ، فانه كان اذا أصبح علم كل شيء بات عليه أحد في قصبة مملكته ، وضمن داره من عامته وخاصته ، واذا أمسى علم كل ما أصبحوا عليه حتى كان ربما يقول لاوضع خدمه وأرفعهم : كان عندك البارحة كذا وكذا ، وكنت تفعل كيت وكيت ، فكان كثير منهم يقول : انه يأتيه ملك من السماء فيخبره بها (٩٨) . قال وسئل أعرابي عن وال لهم : فقال : ومن مثل فلان ؟ كان والله لا يطابق بين جفونه ، يرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم كالشاهد ، فالمحسن آمن والمسيء خائف (٩٩) .

تسهيل الحجاب :

والثامنة : هي أن يسهل حجابيه ، ويلين في الاذن جانبيه ، ويتقدم الى حجابيه وبوابيه أن لا تمنع عنه صاحب خبر ولا متظلم (٦٤ / أ) ،

(٩٧) انظر في ذلك المحاسن والمساويء ١ : ١١١ وما بعدها .
(٩٨) التاج في أخلاق الملوك ١٦٧ ، ١٦٨ ، والمستطرف ١ : ١٠٨ .
(٩٩) عيون الاخبار ١ : ١٣ .

ولا مقتنصح يرد الباب في وقت جلوسه حتى يأذنوا له أو يرفعوا خبره من غير تأخير ، فان من الامور أمورا يكون في تأخيرها فساد كبير وفتق عظيم ، فمنها ما يكون في تأخيرها وفوته من الفوائت ما لا يمكن تلافيه ، ولا يتنهياً تداركه ، ومنها ما يجب في الدين تعهده وفعله واغتنامه في وقته ، فان أعمال الدين كلها أو عالمتها مؤقتة ، فاذا فات منه عمل فات به خير كثير ، وأجر كبير ، وثناء حسن وذكر جميل . مع أن في هذا الباب خلة اهمى من كبار العدل والنظر للرعية ، واصلاح الخاصة والعامة ، وهى أن الخاصة اذا علموا ذلك وشعروا به قلت أطماعهم في الرعية ، واضطهادهم وظلمها واقتنساها ، ثم سلم الملك من مكاييد الوزراء واستبدادهم بالسلطان دونه ، وتحرز من فلتات الحوادث ، وبغتات الاعداء ، ووقف على فنون الاعداء .

قالوا : وكان مكتوبا على بساط زياد بن أبيه^(١٠٠) ان لا حجاب عن صاحب ثغر ، ولا طارق ليل^(١٠١) ولذلك ما كانوا يقولون : أخوف ما تكون

(١٠٠) زياد بن أبيه ، أمير من الدهاة ، من أهل الطائف ، اختلفوا في اسم أبيه فقيل : عبيد الثقفى وقيل : أبو سفيان ، ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلده الثقفى) في الطائف ، ادرك الرسول ﷺ ولم يره ، واسلم في عهد أبى بكر ، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة ، ثم لابی موسى الاشعري أيام امرته على البصرة . ثم ولاه على بن أبى طالب أمرة فارس ، والحقه معاوية بن أبى سفيان وولاه البصرة والكوفة والحجاز ، مات في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين سير اعلام النبلاء ٣: ٩٤٤ - ٩٦٦ ومروج الذهب ٢: ١٩٦٥ ، تاريخ الطبرى ٥: ٢٨٨ ، دول الاسلام ١: ٣٩ .

(١٠١) العقد الفريد ١: ٥٣٠ ورد فيه (طارق الليل لا تحجبه ، فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء به تلك الساعة) ورسول الشجر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة) ، الحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢: ٣٦٠ .

المرعية آمن ما تكون الوزراء (١٠٢) .

وليعلم الملك أن في شدة الحجاب تنفيرا لذوى الفضائل الجليلة
والهمم البعيدة ، وتكديرا للصنعة ، واستفسادا للمرعية ، ودلالة على
الريية . وقد وصف كل ما ذكرناه الفضلاء من الملوك ، والوزراء في كتبهم
والشعراء في شعرهم . حكى الهيثم بن عدي أن خالد بن عبد الله القسري
قال لحاجبه : « لا يحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسى ، فان الوالى لا
يحجب الا عن أحد ثلاثة : عمن يكره أن يطلع منه ، أو ريبة أو بخل
فيكره أن يدخل عليه من يسأله حاجة » (١٠٣) ، فأخذ ذلك محمود الوراق
فقال :

إذا اعتصم الوالى باغلاق بابيه

ورد ذوى الحاجات دون حجابيه

ظننت به احدى ثلاث ، وربما

نزعت بظن واقع بصوابيه

فقلت : به مس من العى ظاهر

ففى اذنه للناس اظهار ما به

فان لم يكن عى اللسان فغالب

من الشح يحمى ماله عن طلابيه

(١٠٢) من اقوال اردشير ، عهد اردشير ص ١٠٤ ، كما ورد في لباب الاداب

٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(١٠٣) النص في عيون الاخبار ٨٤:١ والمحاسن والمساوىء ١٢٣:١ ،

ونهاية الارب ٨٧:٦ ، والمستطرف ١١٣:١ ، ومفيد العلوم ٢٦٥ .

فان لم يكن هذا ولا ذا قريبة

يصر عليها عند اغلاق بابه (١٠٤)

وفي كتاب أمير نامه : لا ينبغي للملك أن يشتد حجاب به ، فانه يدل
على الكبر (٦٤/ب) وسوء الملكة ويورث المقت ، وينقص المعروف ، وينسى
الحسنات ، ويذكر السيئات مع ما ينقطع من السلطان بذلك من منافع من
يرد بابه فمن به اليهم أعظم الحاجة في وجوه العلم والعمل •
قالوا : وحجب بعض ذوى الهمم البعيدة والانفس الابية عن بعض
الملوك فرجع ، وأنشأ يقول :

سأترك هذا الباب مادام اذنه

على ما أرى ، حتى يلين قليلا

فما خاب من لم يأتته متضرعا

ولا فاز من قد نال منه وصولا

إذا لم أجد يوما الى الاذن سلما

وجدت الى ترك المجيء سبيلا (١٠٥)

وقال آخر في قريب من هذا المعنى :

ولقد رأيت بباب دارك جفوة

فيها لحسن صنعة تكدير

(١٠٤) الابيات في عيون الاخبار ٨٤:١ ، المحاسن والمساوى ١٢٦:١ ،
وبهجة المجالس ٢٧٠:١ ، والحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٣٦:٢ رقال
الجاحظ أنشدني محمود الوراق وأورد الابيات لنفسه .

(١٠٥) أورد الابيات ابن عبد ربه في العقد الفريد ١ : ٥٥ ونهاية الارب
٦ : ٨٩ ونسبت الى حبيب الطائي (ابى تمام) ولم أعثر عليها في ديوانه بشرح
ايليا الحاوى والمبيت الاول والثالث بعيون الاخبار ٨٥:١ دون نسبة وكذا في
المحاسن والمساوى ١ : ١٢٦ .

ومفيد العلوم ٢٦٥ ، بهجة المجالس ج ١ : ٢٧١ ونسب الابيات
الى محمود الوراق ، وفي محاضرات الادباء ١ : ١٠٢ الى محمد بن عمران .

ما بال دارك حين تدخل جنة
وبباب دارك منكرو ونكير (١٠٦)

وقال بعض المجفوين بالحجاب :
سأترك ، بابا أنت مالك اذنه
ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
ولو كنت ببواب الجنان بأسرها
لأعرضت عنها مسرعا نحو مالك (١٠٧)

وقال بعض ملوك الهند في عهد له : واعلم أنه لا يكمل عمل وال حتى
يكمل علمه بالرعية ، ولا يكمل علمه بالرعية حتى تأتية الرعية بذات أنفسها
ويخبره أدناها عن أقصاها ، وليس ذلك كائنا الا بفتح الابواب ، وليس
الجانب ، والنظر في المظالم ، فان الملك اذا كان كذلك هابته العمال ،
وتنوهى عن الظلم ، ويناصف الناس بينهم بالحق دون واليهم الاعظم ،
فاذا الوالى مأخوذ فيما تولى من الحق بنفسه ، وفيما تعاطى للناس
منه دونه .

معرفة الحقائق وقضاء الحقوق :

والتاسعة : هى أن لا يجعل بحثه عن الامور واطلاعه عليها ، من
هذه الجهات المذكورة ، وبهذه الاسباب المحدودة ، من خاصته وعامته

(١٠٦) البيتان في المستطرف ١١٤ : ١ دون نسبه .

(١٠٧) الحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢ : ٥٢ وقال : وأنشدت لبعضهم

في هجاء حاجب ، عيون الاخبار ١ : ٨٥ مع تعديل طفيف في البيت الثانى اذ نصه :

فلو كنت ببواب الجنان تركتها وحولت رحلى مسرعا نحو مالك

وايضا في المحاسن والمساوىء ١ : ١٢٦ والمستطرف ١ : ١١٤ ، وبهجة

المجالس ج ١/ ٢٧١ وفي محاضرات الادباء ١ : ١٠٢ نسبها الراغب الاصبهاني

الى هجاء بواب .

وجنده ورعيته ، لعبا ولهوا ، وسلبا وهزلا ، بل لمعرفة الحقائق ، وقضاء الحقوق ، وإثابة المحسن وعقوبة المسيء ، وتقريب الناصح البعيد ، وتبعيد الغاش القريب ، وإقامة الأود ، وسد الخلل ، وانتهاز الفرص ومبادرة ما يخاف فوته ، ومعالجة ما يضر تأخيرته ، ثم رفع الولي ، وقمع العدو ، وتدبير أمر العدو الكامن في (٦٥/أ) غمار (١٠٨) الرعية لا تخلو من عاقل محروم ، ومخاصم مخصوم (١٠٩) ، ومحق مظلوم ، ومبتدع يخالف رأيه رأي العامة والملك ، لا يألوا الملك والملك خبالا ، وكريم محدود وحسب مطرود ، وشريف مجفو ، وحكيم مجهول قدره ، وفاضل ممنوع حظه من الأجلال والتعظيم ، وناسك يرى في دينه إزالة بعض ما يراه ويسمعه من المناكير في الراعي والرعية ، وفاتك يتقى لخبيث سيرته وشرار طبيعته للملك عادية (١١٠) ، ويتربص به دائرة ليتها له بعض ما يريد ويؤمله ويميل إليه بطبعه وسوء سيرته ♦

ثم ذي نعمة ورفعة ، أو سلطان ومنعة ، قد زالت على يدي الملك نعمتهم ، وبدولته دولتهم ، وبكل هؤلاء أعداء الملك والمملكة ، والراعي والرعية ، وهم إذا كانوا في ضمن المملكة ، وقلب البيضة كانوا أشد اهتداء إلى مهالكه ، وتمكنا في مقاتله من أعدائه الخارجيين ومخالفيه النائين عن داره وضمن قراره ♦

فالموجه في إصلاح ذلك : أن ينظر في العلة التي دعت إلى ما

-
- (١٠٨) غمار : زحمتهم وكثرتهم . لسان العرب المحيط ٢ : ١٠١٤ .
(١٠٩) مخصوم : بمعنى أنه ليس صاحب حق فيما ادعى به على غيره .
لسان العرب المحيط ١ : ٨٤٤ .
(١١٠) عادية : بصية وخديعة ومكروه . لسان العرب المحيط ٢ : ٧٠١

يرتكبه من مخالفة ، ويضمره من مكيدة ، ويبيعه من غائلة ، ويافقه (١١١) من خديعة ، ويجرى اليه من عداوة ، فان كان ذلك من ظلم ناله أو عدوان حل به ، فالوجه أن ينفي عنه ، ويكفاه ليعود الى ما كان عليه ، ويؤزل عنه ما خاخره ، وان كان ذلك من حرمان وجفوة ، فالوجه أن يعطوا حقوقهم ويحسن اليهم ، وان كان ذلك استزادة مبرة أو طمعا في رفع مرتبة يجوز في رسوم المملكة ، وأحكام الشريعة ايصالهم اليها . وتبلغ آمالهم منها . فالوجه فيه اسعافهم وترك الضن بها عليهم .

وأن كان ذلك مدفوعا في هذه الجهات ، وكان عارضا من شهوة كاذبة وآمالا غارة ، فالوجه أن يعرف ويتقرر عنده استحالتة من وجوه لطيفة ، وأبواب خفية ، ويوقف على مقدارها ، وهدى الى ما يزيل ذلك عن قلبه . وان كان ذلك لعداوة قديمة ودولة زائلة ، عمل في تداركها بالبر والايناس والتقريب والاحسان ، وتقليد من يصلح لتقليده منهم ، فان القلوب قد جبلت على حب من أحسن اليها وبغض من أساء (اليها) (١١٢) . وان كان ذلك من مخالفة في الدين (٦٥ / ب) فالوجه : أن ينظر الملك في دينه ومذهبه ، ورأيه ومقالته ، فان كان حقا فالصواب موافقته ، وترك المعاندة فيه ، فان ذلك من أجزل حظ يناله نائل ، وأعظم قسط يفوز به فائز ، وهي أولى الاشياء بالملك الفاضل ، والسائس العادل ، وكل مدبر عاقل فان مراجعة الحق خير من التملادي في الباطل . وان كان دعواه باطلا ومذهبه فاسدا ، فالوجه : أن يدعوه الى

(١١١) في الاصل (يلقفه) وهو تصحيف .

(١١٢) في الاصل : عليها .

الحق سرا ، ويدس اليه جماعة يبصرونه الدين ، ويعرفونه الحق ، فلعل ذلك مما يرده ، ويردعه ، ويكفى مؤنته ، ويصلح به ، فان لم يصلحه ذلك فالوجه أن يحضره مجلسه ، ويشهده محفله ، ويأمره بمناظرته فيه ومحاботه عليه ، ويشهره به ليتبين للخاص والعام بطلان مذهبه ، وضعف مقالته ، ويشيع ذلك في الجمهور ، ليقفوا عليه ويحذروه . ثم ينظر في مقدار بدعته ومبلغ فحش مقالته ، فان استحق على مذهبه قتلا قتل بعد استتابته منه واستمساكه (١١٣) به واصراره عليه ، وأراح منه .

وان استحق تأديبا أدبه ، وان استحق حبسا حبسه ، ولا يقع هذا الباب الا في أصول الديانة وأم الشريعة دون الفروع والاحكام ، والمسائل الفقهية التي يجوز أن يتعبد الله به وبخلافه ، فانه اذا فعل ذلك رجوت أن يدفع مضرته ، ويكفى المملكة وأهلها معرفته ، ويرفع عنهم فتنته .

وان كان ما ذكرناه من حسد أو بغى وعداوة أورثه تقارب الاحوال من جهة وتباينها من جهة أخرى ، عرف أن ذلك من خلق مذموم ، وفعل مكروه في الدين والمروءة مضر بصاحبه فاضح له لا فائدة فيه فان لم ينفع ذلك فالوجه أن يحتال أن لا يجتمع له جماعة ، ولا يصير لشرذمته (١١٥) شوكة وعدة ، ويفرق بين نياتهم وضمائرهم وأبدانهم ، فيشغل جماعة ، ويقلد طائفة ، واعطاء (١١٦) أخرى ، وعقوبة عناده (١١٧) على ما يقع

(١١٣) غير واضحة في الاصل .

(١١٤) أم الشريعة : أصولها ، وهى القرآن والسنة والاجماع .

(١١٥) الشرذمة : جماعة سيئة الخلق من الناس . لسان العرب

المحيط ٢ : ٢٩٦ .

(١١٦) هكذا في الاصل والاصوب (يعطى) .

(١١٧) في الاصل : (عده) وهو تحريف .

في أمورهم وقديم أسبابهم من التدبير والتقدير بالرفق والدارة ومطالعة
الاسباب والاحداث ، والبحث عنها في كل وقت ومدة ، ويوم وساعة ، فان
لم يصلحوا فالوجه فيه وعظهم وتحذيرهم ، فان لم ينفع حتى (يتفاهم) (١١٨)
الامر وظهر الشر (٦٦/أ) ، وبرح الخفاء عن مكنون السر ، كان سبيلهم
سبيل الاعداء الخارجين على الملة أو الباغين فيها ، وسنتبين في تدبير
الاعداء من هذا الباب ما فيه كفاية بمشيئة الله .

وكل هذا الذي ذكرناه فمن تدبير الله الذي دبر عليه أمور خلقه ،
وآدابه التي أدبهم بها ، ومأخوذ من دلائله التي أقامها ، اذ كان القديم
— جل ذكره — لم يزل عالما بمن يعاديه من خليقته ، ويخالف أمره من
بريته ، ويمرق من طاعته ، ويقصيه من عبادته ، فلم يمنعه ذلك من خلقهم
واتخاذهم واحداثهم ، وابتداعهم والامتنان عليهم بالحياة ، والعقود
السليمة والاعضاء القوية ، والافصال على كل واحد منهم بما علمه أصلح
له ، وادعى الى طاعته . ثم أراهم بعد ابداء العداوة ، واظهار المخالفة
واتخاذ الالهة دونه وعبادة الاصنام معه ، واجراء كثير منهم الى ضروب
من العنود والكنود . دلائله ، وأحضرهم شواهد ، وبعث اليهم الرسل
وأنزل عليهم الكتب ، وبشرهم وأنذرهم ، ووعدهم وأوعدهم ، ودعاهم
الى ما فيه نجاتهم ، وأمهلهم المدة التي يمكنهم فيها التبين والتدبير ،
والمراجعة والتفكير . ثم يعاجلهم بالمؤاخذه الا بعد تحقق الكلمة ،
والاياس من المراجعة ، ثم لا يجوز في الحزم ، ولا يسوغ في التدبير أن
يستخف الملك ، وأن جل شأنه وعظم سلطانه بهذا الباب ، ويغفل عنه

اغترارا باقتداره على من في رعيته وضمن مملكته ، فان الشر تبدؤه
 صغارة (١١٩) ، ورب مطر بدؤه مطير .
 وقد حذر الله — جل وعز — نبيه ﷺ هذا الضرب من الاعداء أشد
 من تحذيره اياه الاعداء النائين الخارجين ، ووصفهم (به من) (١٢٠)
 الحنق والغيط بما لم يصف به أهل الحرب من المشركين ، فقال : (واذا
 رأيتم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب
 مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى
 يؤفكون) (١٢١) . وقال : (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون
 بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا ، واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من
 الغيط) (١٢٢) . وقال : (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
 شياطينهم قالوا انا معكم ، أنما نحن مستهزون ، الله يستهزي بهم) (١٢٣)
 (٦٦/ب) وقال : (سيحطون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون
 أنفسهم ، والله يعلم إنهم لكاذبون) (١٢٤) . وقال : (لئن أخرجوا لا
 يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار
 ثم لا ينصرون) (١٢٥) . وقال : (ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى

(١١٩) من الامثلة التي تضرب في الاغضاء على المكروه وتحمل الاذى
 « الشر يبدؤه صغاره » الامثال لابي عبيد القاسم ١٥٢ ، وفصل المقال ٢٣٢ .
 (١٢٠) هكذا بالاصل والاصوب وضع « الباء » قبل « الحنق » .
 (١٢١) ٦٣ / المنافقون : مدنية / ٤ .
 (١٢٢) ٣ / آل عمران : مدنية / ١١٩ وفي الاصل بداية الاية (أنتم هؤلاء)
 (١٢٣) ٢ / البقرة : مدنية / ١٤ ، ١٥ وفي الاصل : لقوكم .
 (١٢٤) ٩ / التوبة : مدنية / ٤٢ وفي الاصل في الاية : (يحلفون) بدلا من
 (سيحلفون) ، و(يشهد) بدلا من (يعلم) .
 (١٢٥) ٥٩ / الحشر : مدنية / ١٢ .

عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد) (١٢٦) . في آى
كثير من أمثالها وصف الله فيها حال المنافقين الذين كانوا في جملة مسالمى
النبي ﷺ ، ومظهرى الايمان به والطاعة له .
وقد عرف ذلك من قال :

لا تحقرن من الامور صغارها
ان الصغار غدا تكون كبارا
واعلم بأن كبارها اللاتى ترى
قد كن حينما قبل ذاك صغارا
وقد قال القائل فى أول نجوم دعوة بنى العباس :
أرى خال الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى
وان الحرب يقدمها الكلام
فان لم تطفئوها تجن حربا
مشمرة يثيب لها الغلام
مشمرة يكشف عن سناها
يكون وقودها قصر وهام
أقول من التعجب ليت شعرى
أيقاظ أمية أم نيام

(١٢٦) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ١٩ و (تدور أعينهم كالذى يغشى)
بساكنة من الاصل .

نأيتهم عن بلاد عز فيها

لئام الناس واضطهدا الكرام (١٢٧)

فناموا ولم ينتبهوا فكان الأمر على ما قال ، وكانوا يقولون : أصغر

الاعداء أحماهم مكيدة ، وأمضهم على القلب ظفرا •

وقال أرسطاطاليس لئلا سكندر فيما كتب اليه : جدد العناية والتفقد

لأمورك ، وعامل ضعيف أعدائك على أنه في الدرجة العليا من القوة (١٢٨) •

وقال : عامل الضعيف من أعدائك على أنه أقوى منك ، وتفقد جنودك

تفقد من نزلت به آفة ، فاضطرته الى مدافعتهم ، ودار الرعية مداراة من قد

انتهكت عليه مملكته ، وكثرت الفتوق عليه من أعدائه (١٢٩) •

ثم لم يكن في العالم نبوة ولا ديانة ، ولا مملكة ولا عمارة ، الا كان

بدؤها ضعيفا ثم قوى •

السياسة بين اللين والشدة :

ولا يجب أن يظن الملك المقتدر المعجب بقدرته وأعوانه وجماعاته

(٦٧/أ) وخزائنه وعدته وعتاده أنه يقيم الأود ، ويسد الخلل في مثل هذه

الأمور بالشدة والعنف والغلظة والضرب والقتل البحت ، فان ذلك ربما

(١٢٧) قائل هذه الأبيات نصر بن سيار صاحب خرسان يصف الحرب ومبتدا

أمرها . عيون الأخبار ١ : ١٢٨ ، والعقد الفريد ١ : ٦٨ البيتان الأول والثاني ،

تاريخ الطبري ج ٧ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية ج ٨ / ٢٦٤ ، بهجة المجالس

ج ١ / ٦٨ ، فصل المقال ص ٢٣٣ ، ونسب صاحب التذكرة السعيدية البيتين

الأول والثاني الى أبي مريم البجلي ص ١٩١ وينسبها ابن برى الى أبي مريم

البجلي . اللسان ٢ : ٥٣٢ •

(١٢٨) السياسة في تدبير الرئاسة ٨٣ •

(١٢٩) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١ : ٩٩ •

يزيد النائرة (١٣٠) قوة ، والشر شدة ، والعداوة الحكاما ، فان السياسة بين اللين والعنف ، والرفق أبلغ من الخرق • والصواب في التدبير والحكمة والمصلحة والسياسة أن يقدم اللين على الشدة ، والدعوة على العقوبة ، وأن لا يعاجل بالمناجزة ما وجد سبيلا الى المحاجزة ، قال الله — تبارك وتعالى — في كتابه (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) (١٣١) • وقال : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) (١٣٢) • وكانوا يقولون : الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف (١٣٣) •

وقال أردشير في عهده : أعلموا أنا على فضل قوتنا ، واجابة الامور ايانا ، وقوة دولتنا ، وشدة بأس أنصارنا ، وحسن نية وزرائنا ، لم نستطع احكام تفتيش الرعية حتى نبلغ من الرعية مكروها ومن أنفسنا محبوبها (١٣٤) •

وكتب ابراهيم بن العباس (١٣٥) الى أهل الحمص :

« أما بعد ، فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه فيما يقوم من وقع ، ويقيم من أود استعمال خلال ثلاث : يقدم بعضها أمام بعض : أولاهن : الوعظ والتنبيه ، ثم الایعاد والتحذير ، ثم الواقع اذا لم يحسم

(١٣٠) النائرة : العداوة والفتنة والشحناء . المصباح المنير ٢ : ٦٣٠ •

(١٣١) ٧ / الاعراف : مدنية / ١٦٨ •

(١٣٢) ٢١ / الانبياء : مكية / ٣٥ •

(١٣٣) من أقوال عمر بن الخطاب « ان هذا الامر — السياسة — لا يصلح

له الا اللين في غير ضعف والقوة في غير عنف » عيون الاخبار ١ : ٩ •

(١٣٤) عهد أردشير ٨٢ مع اختلاف يسير •

(١٣٥) ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، ويكنى أبا اسحاق ، كاتب

العراق في عصره ، أصله من خراسان ، وكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل ،

وله «ديوان شعر» و «كتاب الدولة» ومات ٢٤٣ هـ . وفيات الاعيان ١ : ١٢٥

تاريخ الطبري ٩ : ٢٠٩ ، الاعلام ١ : ٣٨ •

الداء غيره • (قال الشاعر) : (١٣٦)

أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم تغن غنت عزائمه
قال الله — جل ذكره — في أول هذه القضية : (فبما رحمة من الله
لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم
واستغفر لهم ، وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) (١٣٧) •
وقال : (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) (١٣٨) • ثم قال : (فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (١٣٩) • وأمره باعطاء المؤلفة قلوبهم •
وقال النبي ﷺ : (نصف العقل — من الله — بعد الايمان مدارة
الناس) (١٤٠) فعلى هذا الترتيب يجب أن يكون استعطاف الاعداء
واستجلاب قلوب أهل البغضاء •

خطر رئاسة العامى :

والعاشرة : هي ألا يسلط الرعية والعامية بعضهما على بعض ، ولا
يجعل في المملكة أمرا غيره وغير خلفائه ، فانه لا أحد ألم طفرا ولا أسوأ
رعاية ولا أجفى مقدرة من العامى اذا نال رئاسة أو ولى ولاية (٦٧/ب)

(١٣٦) وافيات الاعيان ٢٦:١ ، وجملة « قال الشاعر » ساقطة من

الاصل •

(١٣٧) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٥٩ •

(١٣٨) ٢٣ / المؤمنون : مكية / ٩٦ •

(١٣٩) ٤١ / فصلت : مكية / ٣٤ •

(١٤٠) أورده بلفظه أبو عبيد القاسم في كتابه الامثال وقال : حديث

مرفوع • الامثال ١٥٧ وأورده الطبرانى بلفظ « أفضل الاعمال بعد الايمان » (١٠٠)

مكارم الاخلاق « ١٣٩ وفي مسند الشهاب للقضاى « رأس العقل بعد الايمان

التودد الى الناس ١٤٧:١ ورواه البزار كما قال الهيثمى وفيه ضعف • مجمع

الزوائد ٨ : ١٧ •

وربما اذا نال ذلك حسده من هو مثله ، وطمع في مرتبه من هو شكله ،
وصار لكل تبع ، فأدى ذلك الى مؤونة على السلطان عظيمة ، وجناية على
المملكة جسيمة • بل يجب على الملك أن يكون في بعد همته وتتمام قوته ، وشدة
صولته ، وطهارة أخلاقه ، ومحاسن عاداته ، وصواب تدبيره ، وكريم أرائه
ملكا ، وفي تواضعه لله ، ولين جانبه ، واستقامة دينه ، ومخافته لربه
ومراقبة زوال دولته ، والتفكر في عاقبته ناسكا ، وفي قربه من رعيته
ورأفته بأهل مملكته ورفقه بأهل ولايته عاميا ، وفي حدة فكره ودقة نظره
في أسباب ملكه سوقيا ، وفي معرفته بما فوض اليه ، وعصب به من العدل
بين رعيته عالما فقيها •

فهذه خصال رجوت أن من أخذى عليها سيرته ، وساس بها
رعيته ، كان قد نال فضيلة السياسة ، وأدى حق المملكة ، واستحق من الله
المثوبة ، ومن العقلاء على مر الايام حسن الثناء والمديحة (١٤١) بعون
الله وقوته •

ثم يجب على الملك أن ينوى بذلك كله اقامة الدين ، والالتزام بأمر
الله في التأديب بأدبه ، والرغبة فيما عنده ، فانه ان فعل ذلك سدد ووفقه
للسواب ، وأرشد السداد ، وما عند الله خير للذين آمنوا ، والذين هم
محسنون •

الباب الثامن

التدبير في الاموال

فنقول وبالله التوفيق ، اذ فرغنا من ملح التدبير في أبواب
السياسات الثلاث ، أوجب حق الترتيب أن يتبعه باب التدبير في الاموال
لان الله — تبارك وتعالى — جعلها قواما للابدان، وتلوا للانفس، وسببا لبقاء
الاجسام ، وحياة للبشر ، وآله لطلب المعالى ، وأداة لنيل الامانى ، وزينة
للحياة الدنيا ، وطريقا الى النجاة فى الآخرة والاولى ، وأكد فيها الاحكام،
وبين فيها الحلال من الحرام ، وجعل فيها من التعبد حظا وافرا ، وقسطا
كاملا ، فقد قال فى تعظيم منزلته واعلاء درجته ، وما بين من حاجة الجميع
اليه ، وانتفاعهم به : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم
قيامها) ^(١) • وقال : (وأنه احب الخير لشديد) ^(٢) • وقال : (المال
والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات) ^(٣) (٦٨ / أ) وقال : (لتبلىون
فى أموالكم وأنفسكم) ^(٤) ثم بين أن المال وان كان هذا محله فليس مما
يجب أن يباع به الدين ولا (يشتري) ^(٥) به الآخرة ، بل يجب أن تكتسب
به ، ويطلب لها ، ويقدم اليها ، فقال : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة) ^(٦) • وقال : (زين للناس حب الشهوات من

(١) ٤ / النساء : مدنية / ٥

(٢) ١٠٠ / العاديات : مكية / ٨ •

(٣) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٦ •

(٤) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٨٦ •

(٥) هكذا فى الاصل ، والاصوب (يشري) بمعنى يبيع •

(٦) ٩ / التوبة : مدنية / ١١١ •

النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب (٧) وقال : (قل أُوْنِبْتُكُمْ بخير من ذلكم للذين اتَّقُوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ، ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد) (٨) . وقال (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الدنيا في الآخرة الا قليل) (٩) . وقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا) (١٠) .

وقال لنبيه ﷺ حين أراد رفع منزلته واختصاصه بفضيلته وكرامته : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) (١١) .

المال بين الحلال والحرام :

ولا يجوز لمن أخذ في الدنيا بالحزم ، وحكم في أموره العقل أن يبيع دينه بدنياه وآخرته بأولاه ، اذ لا مقدار للدنيا في الآخرة ، ولا خطر لها في جنب الدين ، ولا يأخذ المال الا من حقه ، ولا يضعه الا في موضعه فان الله — جل وعز — قد أغلظ الوعيد على مستحله ، وأكد النهي عن الظلم فيه فقال : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) (١٢) . وقال : (ولا تقربوا

(٧) ٣ / آل عمران : مدنية ١٤ وفي الاصل : من الانعام .
(٨) ٣ / آل عمران : مكية / ١٥ وفي الاصل : انفقوا .
(٩) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٨ .
(١٠) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٦ .
(١١) ٢٠ / طه : مدنية / ١٣١ .
(١٢) ٢ / البقرة : مدنية / ١٨٨ .

مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده (١٣) • وقال : (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) (١٤) • وقال : (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) (١٥) •

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : (من لم يبال من حيث كسب المال لم يبال الله من حيث أدخله النار) (١٦) • وقال : (لن تبرح عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : شبابه فيما أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه فيما عمل به) (١٧) (٦٨ / ب) • ثم قد حرم الله — جل وعز — من صنوف المكاسب والمطالب : الربا ، والرشا ، والغصب ، والغلول ، والغش ، والخيانة ، والسرقة ، وكل مال (ملا أود من أحد من طيبه نفسه) (١٨) أو حق يجب عليه أو ميراث يورث

(١٣) ٦ / الانعام : مدنية / ١٥٢ •

(١٤) ٤ / النساء : مدنية / ١٠ •

(١٥) ٤ / النساء : مدنية / ٢ •

(١٦) اخرج البخارى عن ابى هريرة — فى البيوع ، باب من لم يبال من حيث كسب — عن النبى ﷺ قال : « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام » صحيح البخارى ٧١:٢ ، ٧٢ •

(١٧) حديث صحيح ، أخرجه الترمذى عن أبى برزة الاسلمى ، كما أخرجه البيهقى وغيره • الترغيب والترهيب ٧٦:١ من حديث معاذ عن النبى ﷺ بلفظ « ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١١ : ٤٤٢ •

وقال المنذرى : رواه البزار والطبرانى بأسناد صحيح • وأورده الألبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة ٢ : ٥٤٣ — ٥٤٤ رقم ٩٤٦ ، وصحيح الجامع الصغير ١٤٨:٥ رقما ٧١٧٦ ، ٧١٧٧ •

(١٨) هكذا بالاصل والاصح ان تكون « أخذ من غير طيب نفس » •

من بعده سوى ما أوجب الله على أهل الملة من حق في أموالهم فيأخذهم الامام
من أغنيائهم فيرد في فقرائهم •

فالواجب على الملك الذي أحله الله المحل الجليل ، وأنزله المنزلة
الرفيعة ، أن يتوقى ما نهاه الله عنه ، فان فيه ما بينا في غير موضع من
المأثم والمذام والملاوم ، وقد كره الحكماء والعقلاء والفضلاء من أهل
كل صنف وشريعة ، وجيل وديانة المكاسب الدنية ، والمطالب التي تكسب
العار والفضيحة ، وتبقى قبح الاحدوثة ، ولا شيء أولى بهذه الصفة
من الكسب مما حرم الله ، فان الله لم يحرم الا القبيح ، ولم يحظر على
عباده الا الدنيء الخسيس • ولم يزل الملوك الفضلاء والائمة الحكماء
يتنظفون عن ظلم الرعية والطمع في أموالها الا ما وظفت عليهم سنتهم ،
وأباحته لهم ملتهم وشريعتهم من أخذ فضول أموالهم ثم ردها عليهم
في عوام مصالحهم من تحصين دمائهم ، وتثمين أموالهم ، وإيمان
سبلهم ، ودفع معرة أعدائهم ، وقمع ذعارهم •

وقد بين ذلك أرسطاطاليس في رسالته الى الاسكندر (حيث قال) (١٩)
« لا تلح في أخذ أموال رعيك فتضعفهم ، وتتبغض اليهم ، واصرف ما
تناله من أموالهم في مصلحة عامتهم ، واشتهر بذلك تسعد به » (٢٠) •
ثم نهى الله جل وعز فيما أحله لهم من الأموال عن التبذير والتقتير
جميعا ، فقال لنبيه ﷺ : (ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) (٢١) • وقال مثنيا على القاصدين :

(١٩) ساقطة من الاصل •

(٢٠) السياسة في تدبير الرئاسة ٧٨ ، ٧٩ مع اختلاف لفظي يسير •

(٢١) ١٧ / الاسراء : مكية / ٢٦ : ٢٧ •

(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما) (٢٢) .
وقال لنبيه ﷺ : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط
فتتعد ملوما محسورا) (٢٣) .

البخل والتبذير :

ولم يزل فضلاء الملوك وحكماء أهل الأديان وعلماء الأمم يذمون
التبذير ذمهم التقدير ، ويرون رأيا حقا أن التبذير مؤد إلى التقدير ، وأن
بذل ما فوق الطاقة من المال ، ووضعه في غير موضعه قطع لمادة (١/٦٩)
الجود ، وخروج من الحدود ، وتعجيز عن القيام بالحقوق . وكانوا يقولون
ما في الأرض مال وضع في غير (موضعه) (٢٣) إلا وإلى جانبه حق مضيع .
وكان بعض مشايخنا يقول : ما في الدنيا أبخل من مفسد .

وحد أرسطاطاليس الجود ، فقال : هو بذل ما يحتاج إليه عند
الحاجة وإيصاله إلى من يستحقه بقدر الطاقة ، فمن جاوز هذا الحد
افراطا وإسرافا فقد خرج عن حد السخاء والجود إلى حد التبذير ،
والتبذير مؤد إلى التقدير (٢٤) .

ثم قد ذم الله الباخلين بأموالهم فقال : (الذين ييخلون ويأمررون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا

(٢٢) ٢٥ / الفرقان : مكية / ٦٧ .

(٢٣) ١٧ / الإسراء : مكية / ٢٩ .

(٢٣م) في الأصل ، « موضع » ولا يستقيم بها المعنى .

(٢٤) السياسة في تدبير الرئاسة ص ٧٣ وأدب الدنيا والدين للماوردي

تحقيق السقا ١٨٥ .

مهينا (٢٥) • وقال : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) (٢٦)
 فيجب على الملك الفاضل الذى يعرف حق نعمة الله عليه ، فيما خوله منه وآتاه ، ومهد له وأعطاه ، أن لا يبخل بمال الله على عباده فيما فيه صلاحهم ، ولا يدخل نفسه نار الابد بما يستحق به عليه ذم الامد • فقد بان بما ذكرناه ما عرضناه من جلاله قدر المال ، وعظم امتنان الله وفضله به ، وبان مذمة التقتير والتبذير فيه ، ومحمدة الجود به ، وحقيقة الجود ، وبان به أن البخل هو منع المال من مستحقه ، والتبذير : هو مجاوزة الحد فيه بالوجيز من القول •

ونحن نبسط معنى البخل والتبذير بسطا ، ونجرى فيهما على عادتنا من الاستشهاد بقول الله جل ذكره ، وبشواهد ، ودلائله الظاهرة ، وبقول الرسول ﷺ ، وآثار الحكماء والملوك فنقول :
 ان من أدنى منازل البخل أن يمنع المال عن سبل الحق التى شرعها الدين ، واتفقت عليه كلمة المؤمنين ممن بين الله حقوقهم فى كتابه وعلى لسان رسوله عليه السلام من الفقراء والمساكين ، وما فى هذا الباب ، فان بخله بذلك بخل على نفسه يقول الله : (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) (٢٧) • وقالوا : ومر بالنبى ﷺ أعرابى فقيل له أن هذا أكثر بدوى نعرفه مالا ، اذا حل بوالد لم يحل ما معه من النعم ، فقال له النبى ﷺ

(٢٥) ٤ / النساء : مدنية / ٣٧ •

(٢٦) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٨٠ وفى الاصل (تحسبن) بدلا من (يحسبن) و (الله) ساقطة •

(٢٧) ٤٧ / محمد : مدنية / ٣٨ •

(ان ما في مالك شركاء ثلاثة : دهر يأتى على أوله وآخره وأوسطه ، روارث
ينتظر موتك فيحويه ، فان استطعت (٦٩/ب) أن تكون أكيس الشركاء
فافعل) (٢٨) فأخذ هذا المعنى بعض الحكماء فأوجز فيه اللفظ فقال : ان
لك في مالك شريكين : الوارث والحدثان (٢٩) .

وقال ابن المعتز : بشر مال البخيل بحادث أو وارث (٣٠) .

وقد قرر الله — جل ذكره — ذلك في عقول الحكماء قبل إيراد الخبر
عليهم . وأراهم ذلك عيانا قبل استدلالهم ، بخل البخيل بماله ، عما يكسبه في
آخرته ثوابا وأجرا ، وفي دنياه شرفا وذكرا ومحمدة وفخرا ونعمة وخيرا
(محل) (٣١) الاجير الذى يكد في مال غيره ويشقى في هلك من سواه ، فيكون
حظه لغيره وتعبه عليه .

ثم انه ان جمعه من غير حله ، وأخذه من غير حقه ، ومنعه من وجهه ،
ثم خلفه لاحب قرابته وأقرب خاصته لديه ، كان أشقى الاشقياء ، وأجهل
الجهلاء ، وأخبث ذوى الحظوظ والانصباء ، حيث باع آخرته بدنياه غيره ،
وباقية بفساده من سواه ، ولم يحصل منه الا عابا قائما ، وعذابا دائما ،
وعارا لازما في حياته وبعد وفاته ، وخرج منها نادما على ما خلق سادما .

(٢٨) ثبت عن أبي ذر انه قال : « في المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستأمر
ان يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت ، والوارث ينتظر ان تضع رأسك
ثم يستاقها ، وانت ذميم فان استطعت ان لا تكون اعجز الثلاثة فلا تكونن »
حلية الاولياء ١ : ١٦٣ ، وفي نفس المعنى : العقد الفريد ١ : ١٥٥ ، ونهاية
الارب ٣ : ٢٠٦ .

(٢٩) من قول أبي ذر . العقد الفريد ١ : ١٥٥ وقارن نهج البلاغة وانه
من أقوال على ٢ : ٢٨١ .

(٣٠) الثعالبي : التمثيل والمحاضرة ٤٤٠ .

(٣١) هكذا في الاصل ، والاصوب (مثل) .

ولقد بلغنا عن الحسن البصري أنه دخل على عبد الله بن الاهتم في مرضه الذي مات فيه ، قال : فنظر اليه وعيناه تدوران في رأسه فقال له : يا أبا سعيد ما تقول في مائه ألف في جانب هذا الصندوق لم تؤد منه زكاة ، ولم يوصل منه رحم ؟ • قال الحسن : فلأى شيء كنت تجمعها لا أبا لك ؟ قال : لجفوة السلطان ، وروعة الزمان ومكاثرة العشيرة • قال : فخرج الحسن من عنده فاذا الصراخ عليه ، فقال : انا لله واذا اليه راجعون انظروا كيف أتاه شيطانه فخوفه جفوة سلطانه ، وروعة زمانه ، ومكاثرة عشيرته فيما استودعه الله اياه ، وعمره فيه حتى أخرجه منه حزينا سليبا لم يؤد منه زكاة ولم يوصل منه رحم دونك أيها الوارث أتك هذا المال عفوا صفوا لم تكدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، أتك هذا المال ممن كان يقطع فيه لجج البحار والمفاوز ، جمعه فأوعاه ، وشد فأوكأه ، (٣٢) من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، إياك أن تخدع كما خدع صويحبك بالأدس اذكر يوم القيامة ، فانه يوم حسرات وندامة ، وكيف ذاكم عبد آتاه الله مالا فغل يده عما افترض الله (عنه) (٣٣) فيه فمات فورثه وراث فأنفقه في طاعه الله ، فاذا اجتمعا يوم القيامة ، نظر هذا فاذا هو يرى ماله في ميزان غيره ، أدخل الله به هذا الجنة ، وأدخل هذا به النار فيالها حسرة (٧٠/أ) لا (تنال) (٣٤) ، وعثرة لا تنال (٣٥) •

(٣٢) أوكاه : أحكم ربطه . المصباح المنير ٢ : ٦٧١ •

(٣٣) هكذا في الاصل ، والصحيح (عليه) •

(٣٤) هكذا في الاصل ، والاصوب (تزال) •

(٣٥) ورد النص في حية الاولياء ٢ : ١٤٥ ، ونهاية الارب ٣ : ٢٩٦ مع

اختلاف لفظي يسير •

وأنشدوا فيما يلائم هذا الباب :
أنفسك عندك أولى النفوس
فبالبؤس من غمها جاهدا
فان قلت أخشى صروف الزمان
فكن من تصاريقه واجدا
وان قلت أجمعه للبينين
فقد يسبق الولد الوالدا
وأنشد :

إذا كنت جماعا لملك ممسكا
فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذهبوما الى غير حامد
فياكله عفوا وأنت دفين (٣٦)
وما أحسن ما وصف العطوى (٣٧) هذا المعنى في قوله :
يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه
أغاديا أم بها تسرى فتطرقه

(٣٦) أوردهما الخطيب البغدادي في «البخلاء» ص ١٩٦ ونسبهما الى أبي العباس أحمد بن يحيى « ثعلب » المتوفى عام ٢٩١ هـ .
أوردهما الماوردي في أدب الدنيا والدين ونسبهما الى بعض الشعراء ص ١٨٦ ، ومحاضرات الادباء ١ : ٢٥٢ .

(٣٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، ويكنى أبا عبد الرحمن العطوى ، مولده ومنشأه بالبصرة ، وكان معتزليا ، وتوفى نحو ٢٥٠ هـ . سمط اللالي ١٤٠ و ٣٣٩ ، طبقات الشعراء ٣٩٤ ، الثعالبى الايجاز والاعجاز ٦٠ ، والاغاني ٢٣ : ١٢٣ ، والاعلام ٧ : ٦١ .

جمعت مالا فقدر هل جمعت له
يا جامع المال أياما تفترقه
المال عندك مخزون لو ارثته
ما المال مالك الا حين تفترقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة
أن الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ليس يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه (٣٨)
وأجاد الخريمى (٣٩) فى هذا المعنى حيث قال :
إن كنت ذا مال فلا والذى
خبرولنى المال وأغناني
ما قرت العين به ساعة
الا تذكرت فأبكائى
أذكر انى صائر للبلائى
وفاقد أهلى واخوانى
وتارك مالى على حاله
نهبا لهيان بن بيان

(٣٨) وردت الابيات — على غير هذا الترتيب — فى الاغانى ٢٣ : ١٢٤ .
(٣٩) يبدو لنا أنه الخريمى ، وهو اسحاق بن حسان بن قوهى ، ويكنى
أبا يعقوب ، وأصله من خراسان من أبناء السعد ، وكان متصلا بخريم بن عامر
المزى وآله منسب اليه ، وله مدائح فى محمد بن منصور بن زياد ، ويحيى بن
خالد وغيرهما ، وقال أبو حاتم السجستاني الخريمى ، أشعر المولدين . تاريخ
بغداد ٢٣٢٦:٦ الشعر والشعراء ٨٥٣:٢ ، زهر الاداب ٢٠٨:٤ وطبقات
الشعراء ٢٩٣ .

لامرأة ابني ولزوج ابنتي
يا لك من غبن وخسران

ان اتفقوا كان لهم أجره

وخف من ذلك ميزانى

ومن أفحش البخل ، وأقبح التقدير والمنع كثرة المال الذى يمنع به
صاحبه ثمرة ماله ، ودرة نفسه وعبرة في حياته وبعد وفاته ، ولذلك أغلظ
الله الوعيد للكانزى الاموال ، فقال : (والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم ، يوم يحمى عليها في نار
جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذكروا ما كنتم تكزون) (٤١) .

(٧٠/ب) وقال : (جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخذه ، كلا
لينبذن في الحطمة) (٤٢) .

وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه أربع من الشقاء : كثر العين ،
وقساوة القلب ، وبعد الامل ، وحب الدنيا (٤٣) .

قالوا : وكتب بعض الحكماء الى أخ له : أما بعد ، فانفق مما آتاك
الله فيما أمرك الله ، ولا تكن في مالك كالبخيل المتعجل للفقر الذى منه
يهرب ، والتارك للسعة التى اياها يطلب ، ولعله يموت بين طلبه وهربه ،
فيكون عيشة في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الاخرة حساب
الاغنياء (٤٤) ، ومن أنه لم ير أحد أشقى بماله من البخيل ، لانه في الدنيا

(٤١) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٤ ، ٣٥ .

(٤٢) ١٠٤ / الهمزة : مكية / ٢ - ٤ .

(٤٣) رواه البزار عن أنس عن رسول الله ﷺ . الترغيب والترهيب

٤ : ١٣١ .

(٤٤) ورد النص مع تعديل يسير للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه =

مهتم بجمعه ، وفي الآخرة محاسب على منعه ، وغير آمن في الدنيا من
همه ، ولا ناج في الآخرة من اثمه •
وفي ذلك ما أقول (٤٥) :

أمن خوف فقر تعجلته
تؤخر أنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى
وهل كان يعدوا الذي تصنع (٤٦)

وهن التبذير أن ينفق ماله فيما يجدى عليه نفعا في دنياه ولا يكسبه
أجرا في آخره ، بل يكسبه في دنياه ذما ، ويجمل الى آخرته اثما كأنفاقه
في المحرمات ، وشرب الخمر واثيان الفواحش ، واعطائه السفهاء الذين
نهى الله عن اتيانهم من المخانيث والمغنيين والملهيين والمساخر والمضحكين
والفاسقين الذين يصدون عن سبيل الله ، وينسون ذكر الله ، ويدعون الى
خلاف ما أمر الله ، ويندبون الى ما نهى الله عنه ، ولعل كثيرا ممن ينفق
ماله على هؤلاء ، قد عرف وأبصر محاييج من أهل الشرف والفضل والدين
والعقل من أولاد الرسول عليهم السلام وعترته وورثة أصحابه وأنصاره ،

نهج البلاغة ٢ : ٢١٧ ، ونثر الدر ١ : ٣٢٦ .

(٤٥) يبدو لنا أن الصواب : ما قيل ، فقد أورد ابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ)
البيتين ٢ : ٣٦ دون نسبه ، وابن عبد ربه (٣٢٨هـ) ونسبهما الى بعض الشعراء
العقد الفريد ١ : ١٥٤ .

(٤٦) البيتان في العقد الفريد ١ : ١٥٤ ، ونهاية الارب ٣ : ٢٠٥ كالتالى :

أمن خوف فقر تعجلته
وأخبرت أنفاق ما تجمع ؟
فصرت الفقير وأنت الغنى
وما كنت تعدو الذي تصنع

ثم أهل العلم والادب والحكمة والنسك والعبادة ، وهم بين عابد جائع ، ومضطر قانع ، ومستور متكفف ، ومحتاج متعفف ، وهو أن فكر علم أن الاجر في هؤلاء أوجب ، والذكر فيهم أشرف ، والصناعة فيهم أبغى ، وهم بمال الله أحق وأولى •

ومن التبذير أن يشغل المال بفضول الدور التي لا يحتاج اليها ، وعساه لا يسكنها ، أو يبنيتها لأعدائه أو لخراب الدهر الذي هو قاتله وسالبه •

ومن التبذير أن يجعل المال في الفرش (الاثيرة) (٤٧) ، والاوناسي الكثيرة الفضية والذهبية التي لعل أياها لا تتسع للارتفاق بها ، ولعلها يجمعها لعدوه ، ويتنوق (٤٨) فيها لغيره ، و(يصنع) (٤٩) منها حظه ، ويثقل بها ظهره ، ويكثر بها وزره •

وكل ما أنفقه الانسان مما يكسبه عند الله أجرا ، ويرفع اليه منزلة ، أو يكسب عند العقلاء وأهل التهيب حمدا ، فهو جود وليس بتبذير ، وأن عظم وكثر ، وكل ما أنفقه في معصية الله التي يكسبه الله أثما وعند العقلاء ذما فهو تبذير وان قل ونزر • فان رسول الله ﷺ كان يقول : (دا أحب أن لي مثل أحد ذهبا أمسى ثلاثة عندي منه دينار الا دينارا أرصده لدين الا أن أقول في عباد الله هكذا وهكذا وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه) ثم قال : (ان الاكثرين هم الاخسرون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا) (٥٠) •

(٤٧) هكذا بالاصل ، والاصح أن تكون (الوثيرة) •

(٤٨) يتنوق : يعجب ويتأنق • لسان العرب المحيط ١ : ١١٦ •

(٤٩) هكذا بالاصل ، والاصح (يضيع) •

(٥٠) حسن ، أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة بلفظ « ما أحب أن أحدا عندي ذهبا • فتأني على ثلاثة وعندى منه شيء • الا شيء أرصده في قضاء دين » سنن ابن ماجه ١٣٨٤ رقم ٤١٣٢ وصحيح الجامع الصغير ١١٩٠٥ رقم ٥٨٨٦ وأخرجه الخطيب البغدادي عن ابن عباس بلفظ (الاكثرين هم الاسفلون) • تاريخ بغداد ٧ : ٢٦٤ •

ولم يكن مع هذا مبدرا ، ولم يأمره الله بالتبذير ، ولم ينفق في معصية الله درهما ولا دينارا ، ولم يكن بخيلا •

وروى عن أمير المؤمنين على أنه قال : الناس على أربعة أصناف : جواد ، ومسرف ، وبخيل ، ومقصد • فالجواد الذي يعطي دنياه لآخرته ، والمسرف الذي يجعل نصيب آخرته لدنياه ، والبخيل الذي لا يعطي كل واحدة منهن نصيبها (٥١) •

حسن تدبير المال :

وأما جهة ترتيب المال وحسن التدبير في جمعه وتفريقه فنقول :
ان من حسن التدبير في المال لمن سلك فيه المذهب القويم ، والطريق المستقيم ، أن لا يؤخذ أصل المال ، ولا يؤئل (٥٢) ولا يثمر الا من حله ، وأن ينفق منه قدر ما يحتمله رأس المال فان النفقة اذا جاوزت وفاقست التمييز لم تلبث أن تضر بيت المال (وتنفذه) (٥٣) ، وكذلك أن ساوى الدخل المخرج •

ثم لا يجوز أن ينفق منه الا في إحدى ثلاث : أما ذخرا للمعاد ، أو نعمة ولذة في المعاش ، أو ذكر حسن يبقى في الحياة وبعد الممات • وقد بينا أن أشرف هذه الوجوه ما يجعله ذخرا لآخرته لانه لا يعدم من قصدها هذه الوجوه كلها ، وقد بينا ذلك فيما تقدم من كتابنا ، فان أختار منفق المالك

(٥١) ينسب هذا القول الى سقراط • ابن مسكويه : الحكمة الخالدة ٢٨١

(٥٢) يؤئل : يؤصل بمعنى استثمار وتكثير أصل المال « رأس المال » •

اللسان ١ : ٢١ •

(٥٣) في الاصل (وينفذه) وهو تصحيف •

لهذه السبل فتمامه في (أربعة أشياء) (٥٤) .

أولها : أن يتبع فيه أمر الله ، ولا يضع المال إلا حيث أمر بوضعه ، ويتحرى من ذلك في كل حال الأولى واللاحق .

والثانية : أن يبتغى بذلك القربة (٧١/ب) الى الله — جل ذكره — والزلفة لديه لا الى غيره دون عاجل المكافأة والجزاء والشكر والثناء ، وهذبه من السمعة والرياء ، فان الله تعالى لا يقبل ما أشرك فيه غيره ، لانه يقول : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد) (٥٥) . وقال : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآنت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) (٥٦) .

روى عن النبي ﷺ أن الله يقول : (أنا أكرم الشركاء ، من أطاعني وأشرك في طاعتي غيري جعلت مالي لشريكي) (٥٧) . وقال النبي ﷺ (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه) (٥٨) .

(٥٤) هكذا في الاصل ولكنه لم يذكر غير ثلاثة أشياء .

(٥٥) ١٨ / الكهف : مكية / ١١٠ .

(٥٦) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٥ وفي الاصل : مثل .

(٥٧) رواه البزار باسناد لا بأس به والبيهقي عن الضحاك بن قيس بلفظ (ان الله تبارك وتعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معي شريكا فهو لشريكي) الترغيب والترهيب المنذرى ١ : ٢٤ .

(٥٨) صحيح ، أخرجه البخاري ومسلم ، البخاري ١ : ٣ ، مسلم ٣ : ١٥١٥ في كتاب الامارة ، باب « انما الاعمال بالنية » ، وجامع الاصول ١١ : ٥٥٥ برقم ٩٨٦٣ في « النية والاخلاص » .

والثالثة : أن يزين أنفاقه بالسر والكتمان ، ويضـوئه من الـاذى والامتنان فان الله — جل وعز — يقول : (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) (٥٩) .

ويقول : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) (٦٠) .
ويقول : (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٦١) ويقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالـمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا) (٦٢) .

ففى هذه الخلال تزيين ما أنفق فى سبيل الله وتمامه وترتيبه .
فأما من أنفق المال واصطنع المعروف رغبة فى شرف الذكر ، وطيب النشر ، وعاجل الشكر ، فان سبيله يقرب من هذه السبل ولا يكاد يفرق بينهما الا القصد والنية ، لانه لا يحسن ذلك الا بمن عفا عن المكاسب الدنية ، والمطالب الخسيسة ، ويتجنب فيها المظالم ، ويتنقى من المآثم ، فاذا فعل ذلك كان ما يتعجل من شكاية المتظلم ، ونسوء ثناء المظلوم ، وفحش دعائه ، ونعته ، وحرقة قلبه ، أجل خطرا ، وأعظم قدرا فى باب من شكر المصطنع ، وحمد المنعم عليه ، وحسن ثناء المقصود بالعرف ،

(٥٩) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٧١ .
(٦٠) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٣ .
(٦١) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٢ .
(٦٢) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٤ .

وفرحه به ، واذا قايست هذا بذاك (٧٢/أ) لم يف الخير بالشر ، والنفع بالضر ، والشكر بالشكاية ، وما يخيف بعد ذلك من لعن رب العالمين ، وعباد الله الصالحين ، وذم الفضلاء من أهل الدين ، ثم عذاب الله الاليم أشد ، وأبقى ، وأقطع ، وأدهى ، نعوذ بالله منها •

وكذلك روى عن عمرو بن عبيد أنه ذكر عنده الاسخياء فأكثروا في عدهم ، وأطنبوا في وصفهم (٦٣) وهو ساكت • فقيل كيف لا تتكلم في هذا الباب ؟ قال : ماعسى أن أقول وماذكرتم منذ اليوم سخيا ؟ أنما السخى من جاد بماله ، وعف عن أموال الناس ولقد بالغ في الذم من هجا بعض الظلمة الخونة ورآه قد بنى سقاية يحتسب فيها شعر (٦٤) •

بنيت ، بما خنت الانام (٦٥) سقاية

فلا شربوا الا أمر من الصبر

وما كنت الا كبائعة أستها

تعود على المرضى به طلب الاجر (٦٦)

ثم يجب على العاقل أن يختار للمعروف أهله ، فانه ليس في وسع البشر اغناء كل البشر ، ولا الافضال على كل أحد ، فاذا لم يكن فيه مطمع فاصطناع ذوى الاخطار وأولى الاقدار ، والذين يصدقون في مدحهم

(٦٣) السخاء : سباحة النفس لمستحق البذل ، وبذل الرغائب الجليلة في مواضعها . الحكمة الخالدة ٨ ، وقيل السخاء : اعطاء الاقل وأمساك الاكثر الغرر للوطواط ١٤٨ •

(٦٤) الشعر لابى نواس في اسماعيل بن صبيح •

(٦٥) في الديوان : « الامير » بدلا من الانام ص ٣٣٢ •

(٦٦) ديوان أبى نواس ٣٣٢ •

إذا مدحوا ، ولا يهتمون في صدقهم إذا شكروا أولى بالاختيار والحق
بذوى الافضال ، وقد روى عن النبي ﷺ : « لا تكون الصنعة صنعة الا
عند ذى حسب أو دين » (٦٧) .

وقديما ما قيل :

ومن يجعل المعروف في غير أهله

يكن حمده ذما عليه ويندم (٦٨)

قالوا : وقال معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد لما بايع له : قد وطأت
لك الامور ، فانظر الى كل ذى شرف من كل جنس فواجههم ، وقربهم ،
وأحسن اليهم ، فانهم أشكر الناس ان أعطوا ، وأصبرهم ان جفوا (٦٩) .
وقد كان جماعة من الكرام الاسخياء المعروفين بكثرة العطساء من
الملوك والفضلاء (لا) (٧٠) يفعلون المعروف شهوة وطبعا فيلقونه في كل
موضع ويصنعونه في كل مصنع ، ويبذرونه في كل مزرع ، وذلك مذهب قد
ذهب اليه جماعة ، فقد قال قائلهم (٧١) :

(٦٧) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ٢٠٥ بلفظ « لا تنفع الصنعة
الا عند ذى حسب ودين » وذكره ابن عبد البر بلفظ « ان الصنعة لا تكون الا في
ذى حسب أو دين » بهجة المجالس ١ : ٣٠٥ ، وفي نثر الدر ١ : ٣٥٦ أنه من
أقوال جعفر بن محمد ، وأيضا في سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٦٢ .
(٦٨) الشاعر هو زهير بن أبى سلمى . وهو جاهلى شهر بالحكمة توفى
عام ١٣ قبل الهجرة والبيت في معلقته بجمهرة أشعار العرب ١١٠ .
(٦٩) بهجة المجالس ١ : ٣٠٦ مع اختلاف يسير .
(٧٠) هكذا في لاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .
(٧١) هو عبد الله بن المبارك ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، تابعى زاهدا ،
وأول من صنف في « الجهاد » وله كتاب الزهد والرفائق ، وتوفى ١٨١ هـ ،
الحلية ٨ : ١٦٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٩٥ .

يبد المعروف غنم حيث كانت
تحمّلها كفور أو شـكـور
فعند الشاكرين لها جزاء
وعند الله ما كفر الكفور (٧٢)

(٧٢/ب) وقال آخر :
سأمنح مالى كل من جاء طالبا
وأجعله وقفا على الفرض والقرض
فأما كريم صنت بالمال عرضه
وأما لئيم صنت من لؤمه عرضى (٧٣)

وروى جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « اصنع
المعروف الى من هو أهله والى من ليس هو أهله ، فان كان هو أهله فهو
أهله ، وان لم يكن هو أهله فانت أهله » (٧٤) .
وان قصد قاصد أو ذهب ذاهب فى معروفه الى طلب الشكر وبقاء
الذكر فان تمامه فى أربعة أشياء : تعجيله ، وتيسيره ، وستره (٧٥) ،
وترتيبه (٧٦) وقد روى الثلاث من هذه الأربع عن ابن عباس وجعفر بن

(٧٢) البيتان فى بهجة المجالس ١ : ٣٠٧ مع نسبتها الى عبد الله بن المبارك .

(٧٣) التذكرة السعيدية ٣٣٩ وينسبه الى أعرابى .

(٧٤) ضعيف ، أخرجه الخطيب البغدادي فى رواية مالك عن ابن عمر ،
وابن النجار عن على . ضعيف الجامع الصغير ١ : ٢٨٧ رقم ٩٩٣ .

(٧٥) العقد الفريد ١ : ١٥٨ .

(٧٦) قارن ابن سينا : السياسة ص ٩٥ حيث يجعل شرائط المعروف
خمسة : تعجيله ، كتمانها ، تصغيره ، ربه ومواصلته ، واختيار موضعها .

محمد كلاهما ، روى سفيان الثوري عن جعفر أنه قال له : علمت أنى نظرت في المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث ، قلت وما هي جعلت فداك ؟ قال : تعجيله ، وتصغيره ، وتيسيره (٧٧) ، فانك ان عجلته هنأته ، واذا يسرته اتممته ، واذا صغرته عظمته واذا مطلته وأخرته ، وسوفته كدركته ونقصته وأفسدته .

وجعل ابن عباس بذل التيسير من هذا الكلام الستر (٧٨) . وكان يقال : ستر رجل ما أولى وشكر ما أولى (قال) (٧٩) ثم قال جعفر بن محمد : والمعروف أوثق الحصون ، وأشرف الامور ، وهو كنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفر ، ولا جحود من جحد ، فقد يشركك عليه من لا يستمتع منه بشيء .

قالوا : وكتب الحسن بن سهل الى المأمون في شيء طلبه لبعض المتصلين به : ان داعى نداك ، ومنادى جدواك جمعا ببابك الوفود ، ويرجون نائلك المعتيد منهم من يمت بحرمة ، ومنهم من يدل بخدمة ، وقد أجحف بهم ، وطالت عليهم الايام ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسببه ويحقق ظنهم بطوله فعل ان شاء الله قال : فوقع المأمون : الخير متبع وأبواب الملوك مواطن لطلاب الحوائج ، فاكتب أسماءهم ، وأخبر مراتبهم ليصير الى كل أمرى استحقاقه ، ولا يكدر معروفه بالمطل

(٧٧) نثر الدر ١ : ٢٥٥ وفيه « كتمان » بدلا من تيسيره . وفي نهاية الارب ٢٠٤ : ٣ « ستره » وأيضا في سير أعلام النبلاء ٢٦٣ : ٦ ، والفهرست للوطواط ١٦١ .

(٧٨) بهجة المجالس ١ : ٣٠٣ . وأدب الدنيا والدين ٢٠٣ .

(٧٩) هكذا بالاصل ، والمعنى يستقيم بدونها .

والحجاب^(٨٠) ، وقد قال (الاول) (٨١) :

فانك لن ترى طردا لحر

كالصاق به طرف الهوان

ولم تحرز مودة ذي وفاء

بمثل البذل أو لطف اللسان^(٨٢)

قالوا : وقال خالد بن عبد الله القسري^(٨٣) على منبره : أول ما صعد

بالعراق :

(٧٣/١) يا أيها الناس ، تنافسوا في المكارم ، وسارعوا الى المغنم ،

واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكسبوا بالمطل ذما ، ولا تعتدوا بمعروف لم

تعجلوه ، واعلموا أن حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم ، فلا تملوا

نعم الله عليكم فتحور نقمنا .

وكذلك يجب على الكريم أن ينزه معروفه عن انتظار جزاء أو مكافأة

عليه أو شكر عاجل ، فانه قد قيل في الكتب القديمة : «من جعل المعروف

لعامل الجزاء فهو كملقى البذر ليصيد به الطير لا لينفعه ، ولا يكدره

بالذكر والتعيير والمن والاذى ، فقديما ما قيل : أن المنة مفسدة للصنيعة .

(٨٠) ورد النص بلفظه في زهر الاداب ٢ : ١٣١ .

(٨١) هكذا بالاصل ، والصحيح (الشاعر) .

(٨٢) ورد البيتان بلفظهما دون نسبه في زهر الاداب ٢ : ١٣٢ .

(٨٣) خالد بن عبد الله القسري ، أبو الهيثم ، أمير العراقيين ، وأحد خطباء

العرب وأجوادهم ولى مكة سنة ٨٩ هـ والكوفة والبصرة سنة ١٠٥ هـ ، ومقتل

الكامل في التاريخ ٤ : ٢٦٢ ، وافيات الاميان ٢ : ٦ — ١٠ .

وكذلك ما قال الحكماء : اذا أتخذتم عند حر يدا فأنسوها ، أى لا تذكرها .

فأما ترتيبه فقل ما يفى به الا الحازم الجزل ، ولا شيء أحسن منه بالملوك والاشراف وقد أكد ذلك الحكماء ، وذكره الاسخياء والفضلاء حتى قالوا : الابتداء بالمعروف نافلة ورده فريضة . وقالوا : الابتداء بالتفصيل يد موفورة ، والبذل بغير الطلب يد منقوصة ، وأحسن أحوال الجود أن تكون أجابتك بعد السؤال ، وأنجازك بعد الملطب .

ولقد مدح بذلك مادح الكرام فقال :

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا

لم يوهنوا لبنائهم أساسا

واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى

جعلوا لها طول البقاء لباسا

وقال قائل يمدح طلحة الطلحات (٨٤) :

أرى الناس قد ملوا الثواء ولا أرى

بنى خلف الا رواة الموارد

اذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه

وكائن ترى من نافع غير عائد

وقال آخر :

(٨٤) هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ، أحد الاجواد المقدمين ، كان أجود أهل البصرة فى زمانه ذهبت عينه بسمر قند ، وكان يميل الى بنى أمية ، فيكرمونه ، وولاه زياد بن مسلمة على سجستان فتوفى فيها واليا نحو سنة ٦٥ هـ . المحبر ١٥٦ ، ٣٥٦ ، البرصان ٣٦٣ خزانة البغدادى ٨ : ١٦٠١٥ العقد الفريد ١ : ٢٠٢ ، الاعلام ٣ : ٣٣١ .

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا
فأحسن ثم عدت له فعادنا
مرارا ما دنوت اليه الا
تبسم ضاحكا وثنى الوسادا
سألناه الجزيل فما تأبى
وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأما من أنفق ماله في منال اللذة أو قضاء شهوة أو أظهر جمال وزينة فلا
يتم ذلك له ولا يحسن به الا اذا أخذ المال من حيث يحسن في الدين
ويجمل ، وتمتع به فيما يطيب ويحل ، تجنب فيه المحارم والمذام (٧٣ / ب)
فانه ان لم يفعل ذلك كان كفر اش النار الذي يتهافت فيها اغترارا بضوئها
فيحرق نفسه ، وكالذباب الذي يلقي نفسه شرها فيما يموت فيه سريعا •
فلا خير في منال شهوة تفنى لذته ، و (تنقضى) (٨٥) شهوته ، وتبقى
تبعته ، (ويسوء) (٨٦) في الناس قائلته ، وتنقص آخرته ، ويدوم على
مركبها عقوبته ، فانك اذا قايست بين حرص النفوس على منالها ، ومييل
الطباع اليها والتذاذها عند الظفر بها ، وبين نهى العقل والدين عنها ،
يرتأبى النفس الفاضلة بما يتعقبه من هذه المكاره عايتها علمت أن النفع فيها
أقل من الضرر ، والشر فيها أدهى من الخير ، ولذلك ما اشترط كل من
أدخل هذا القسم في القسم الثالث أقسام مساعي اللذة من غير محرم •
فقالوا : وجدت في حكمة آل داود : ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن

(٨٥) هكذا في الاصل ، والاصوب (تنقضى) •

(٨٦) هكذا في الاصل ، والصواب (تسوء) •

أربع ساعات : ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجى فيها ربه ، وساعة
يخاو فيها بأهل (ثقاته) ^(٨٧) الذين يصدقونه عن غيوبة وينصحونه في
نفسه ، وساعة يكون فيها بين نفسه ^(٨٨) وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان
هذه الساعة عوننا على تلك الساعات واستجماما للقلوب ، وفضل بلغة •
قالوا : وعالى العاقل أن لا يرى ظاعنا الا في إحدى ثلاث : مرمة لمعاشه
أو خطوة لمعاده ، أو طلب لذة في غير محرم ^(٨٩) •

وقد قال في صدق هذه القضية بعض الشعراء :

تفنى اللذاتة ممن نال شهواتها

من الحرام ويبقى الاثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها

لا خير في لذة من بعدها النار ^(٩٠)

فهذه الابواب الثلاثة هى التى يجوز لمميز عاقل أو عالم فاضل صرف
شئ من الاموال ، وانفاقه فيها ، وما خرج منها ، فانما هو تبذير وفساد
وذهاب عن سبيل الرشاد فى القول العام المطلق ، والرأى الاصول الارفق

المال العام :

فأما أموال الله التى فى أيدي الملوك والامراء من حقوق بيوت الاموال
الاموال التى تدخل على المسلمين من : فيئهم ، وغنائمهم ، وأخرجتهم ،

(٨٧) هكذا فى الاصل ، والاصوب (ثقته) .

(٨٨) ساقطه من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونيه .

(٨٩) من الامثال الواردة فى صحف ابراهيم . حلية الاولياء ١ : ١٦٧ .

(٩٠) من شعر الامام على بن أبى طالب . رضى الله عنه . انظر ديوانه ٢٨

وأعشارهم ، وجزية أهل ذمتهم فان الله قد بين سبيلها ، وأبان عن طرقها ،
وروضعها مواضعها ، فقال : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن
السبيل) (٩١) (٧٤/أ) .

وقال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعته الى اليمن : « وأعلمهم أن
الله قد اوجب عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم » (٩٢) وقال
تعالى في الفىء (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (٩٣) .

فالسنة في صدقات السوائم (٩٤) والعشور (٩٥)
والاخماس (٩٦) وكل ما في الصدقات أن تقسم على هذه السهام المذكورة
الا سهم المؤلفة قلوبهم ، لان الله قد أغنى عنهم ورفعهم بعز الاسلام ،
وظهور الحق ، ويعطى العاملون عليها على مقدار الكفاية ، ولا يحل من

(٩١) ٩ / التوبة : مدنية / ٦٠ .

(٩٢) صحيح رواه البخارى ٣ : ٢٥٥ في الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال
الناس في الصدقة مسلم ١ : ٥٠ رقم ١٩ كتاب الايمان ، باب الدعاء الى
الشهادتين وشرائع الاسلام الترمذى ٣ : ٢١ رقم ٦٢٥ (تحقيق محمد فؤاد عبد
الباقي) في الزكاة ، باب ما جاء في كراهية اخذ المال في الصدقة ، ابو داود رقم
١٥٨٤ في الزكاة ، باب الكنز ، والنسائي ٥ : ٥٥ في الزكاة باب اخراج الزكاة
من بلد الى بلد .

(٩٣) ٥٩ / الحشر : مدنية / ٧ ولفظة (تعالى) ساقطة من الاصل .

(٩٤) السوائم : الانعام التى ترعى فى كلاً مباح . مختار الصحاح

٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٩٥) العشور : جمع العشر وهو فى أموال أهل الذمة فى التجارة

لسان العرب (المعارف) ٢٩٥٣ .

(٩٦) الاخماس : جمع الخمس وهو خمس أموال الفنائم . لسان العرب

(المعارف) ١٢٦٤ .

الصدقات لآل الرسول ﷺ ، ولا لغنى موسى ، ولا ملك مقتدر .

وأما الغنيمة والنسب فقد كان على عهد النبي ﷺ فيآن :

أحدهما ، للنبي ﷺ خاصة ، لم يوجف (٩٧) المسلمون عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من بنى النضير وأهل فدك فكان ذلك لرسول الله ﷺ خاصة الا أن النبي عليه السلام لم يبن به دارا ولم يشتتر به عقارا ، ولم يتمتع به في الدنيا فضل تمتع ، بل كان يأخذ منه قوته وقوت عياله ، ويجعل الباقي منها في نوائب المسلمين ، وحوادث أمور الدين .

والآخر ، هو ما يفيء من أموال الكفار على المسلمين من غنيمة أو جزية أو خراج بنى تغلب ، فانه يعطى منه ذوى القربى ، وهم عندنا قرابة النبي ﷺ مقدار كفايتهم ، ويصرف الباقي في نوائب المسلمين من السلاح والكراع وأغطية الجيوش التى تغزو أرض العدو ، ويعطون مقدار كفايتهم فان فضل شيء من ذلك صرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيل .

وان نقص مال من صنوف الاموال عن هذه الوجوه فلا بأس على الامام أن يجعله كله في باب واحد اذا مست الحاجة ودعت الضرورة اليه ، والله أعلم .

وليس للعاملين عليها الا مقدار القوات ، فهكذا كان النبي ﷺ يصنعه ويصنع به ، وينفق على نفسه ، وكان عمر يقول لعماله : «قد أنزلتكم من هذا المال ونفسي منزلة وصى اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف» (٩٨) .

(٩٧) يوجف : يحارب باعمال الخيل وغيره في الحصول عليه . المصباح المنير ٢ : ٦٤٩ .

(٩٨) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٧٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٩ ،

(٧٤/ب) وروى عن عمر بن عبد العزيز (٩٩) انه كان اذا سهر بالليل لعمل نفسه أسرج من ماله ، واذا سهر لامر العامة أسرج من بيت مال المسلمين (١٠٠) .

وروى مجمع بن أبي رجاء قال : خرج اليينا على بن أبي طالب — رحمه الله — بسيف يبيعه . فقال : من يشتري منى هذا ؟ ولو كان عندي ثمن ازار ما بعته ، قال : فقلت أنا أبيعك وأنسئك ثمنه . قال : فلما خرج عطاؤه قضاني (١٠١) .

ثم لما فتح الله على المسلمين البلاد ، ومكنهم من خزائن الملوك ، وكثر فيها الجيوش ، جعل أمير المؤمنين عمر لطبقات الناس ديوانا ، وأجمعت الامة عليه فجعل أهل بيت الرسول ﷺ في أول الدواوين ، ثم المهاجرين ، ثم الانصار ، ثم أحياء العرب بعضهم بعد بعض (١٠٢) . وكان يأمر بقسم ما يجتمع في بيت المال من هذه الاموال بعد اخراج المؤن ، وازاحة العلل على ما بينه الله لرسوله فيما فضل عنده من خمس الفى وما في بابيه قسمة بين المسلمين على ما أمر الله به .

وسنة أخرى في هذا الباب هي أن ما اجتمع من هذه الوجوه في بلد من البلدان لا ينقل منه الى غيره حتى تراح عليهم ، ويعطى فقراؤهم كفايتهم ، ويحمل أبناء السبيل منها الى بيوتهم ، وتفك رقابهم

(٩٩) (بن عبد العزيز) ساقط من الأصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه .

(١٠٠) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق د . أحمد الشرباصى ٧٧ ،

سير اعلام النبلاء ٥ : ١٣٦ .

(١٠١) حلية الاولياء ١ : ٨٣ ، ٨٤ .

(١٠٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨٢ ، سيرة عمر لابن الجوزى ٤٤ ، تاريخ

الخلفاء للسيوطى ١٣٧ ، تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام ١٣٩ .

التي أسرت في عدوهم ، ويؤدى عن غارمهم ، فان النبى ﷺ قد بين ذلك في سننه حيث قال : (لا يترك في الاسلام مقدح) (١٠٣) . وقال : (من ترك مالا فلاهله ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فالى ، وعلى) (١٠٤) .

فان استغنى عنه أهل بلد في وقت من الاوقات فاحتاج اليه بلدان أخر حمل الى أقرب البلدان اليه ، فقزاح عليهم ، ثم على هذا الترتيب حتى تراح العلل التى فى ذلك الوجه كلها ، ويسد الخلل ، فان فضلت فضلة تحمل الى بيت المال الذى عند الامام .

وروى عيسى بن رستم قال : قرىء علينا كتاب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وكان عامله على الكوفة : أيما رجل كان عليه دين لا يقدر على قضائه فاعطوه من مال الله أيما رجل تزوج امرأة ولم يقدر على صداقها فاعطوه من مال الله وأمر للمؤدبين والزمنى (١٠٥) .

وسن رسول الله ﷺ التفضيل فى العطاء مرة ، والتسوية ثارة على ما أوجبه (١/٧٥) الحال .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية ، وكان عمر وعثمان يفضلان على مقدار البلاء فى الاسلام والغناء عنه ، ومواجب الاحوال . ثم كان على يرى التسوية (١٠٦)

(١٠٣) مقدح : عيب أو نقیصة . المصباح المنیر ٢ : ٤٩١ وفى لسان العرب المحیط ٣ : ٢٨ مقدح : ضامر لفقره ولكونه معدماً .

(١٠٤) حديث حسن ، أخرجه أحمد وابن ماجه عن ابى كريمة . صحيح الجامع الصغير ٥ : ٢٦٩ رقم ٦٠٢٣ ، سنن ابن ماجه ٨٠٧ رقم ٢٤١٦ ، وص ٩١٥ رقم ٢٧٣٨ .

(١٠٥) الزمنى : المعمرين ، والمرضى بأمراض مزمنة . المصباح المنیر ١ : ٢٥٦ .

(١٠٦) تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ص ١١٨ .

والتفضيل عندنا هو الاختيار ، وهو أشبه بكتاب الله عز وجل لأن الله يقول : (وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما ودرجات منه) (١٠٧) • وقال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (١٠٨) • في أبواب قد تلونا فيما تقدم من كتابنا •

فهذه جمل السنن التي أوجبها الله — جل وعز — في هذه الاموال • فليعلم الملك المسلط ذلك ، ولينظر نفسه في هذه الامور ، وليعلم أن كل فقير في الاسلام ، وغارم ، وابن سبيل ، وأسير ، وغار في سبيل الله ، ومسكين ، خصماؤه عند من لا يظلم مثقال ذرة ، وما هو بظلام للعبيد • ولا ينبغي أن يضيق صدر ملك عن اخراج هذه الاموال الى أربابها ، والله تعالى يأجره عليها ، ويعوضه عنها الجنة ، فانه ان صرفها عن جهاتها • وضمن بها على مستحقيها ، تركها لغير حامد ، وخرج منها غيره مشكور ، وورد على غير عاقل ، ولم يحصل له الا الاثم والعار ، وعذاب النار ، وسوء الدار ، وليس بينهما الا الحمد والذم والاجر والاثم ، فان رغب الملك في المال الكثير فان الله — تبارك وتعالى — قد جعل لطلب الاموال سبلا معلومة ، وأسبابا معروفة ، فهي أطيب ما أخذا وأحمد عاقبة ، فلا يعوزه المال من تلك الجهات أن طلبه ، ولا يتعذر عليه أن أكتسبه من تميز القليل وادراك الجليل ، وما قدره الله له ، وهو ولي التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

(١٠٧) ٤ / النساء : مدنية / ٩٥ •

(١٠٨) ٣٩ / الزمر : مكية / ٩ •

الباب التاسع

في تدبير الاعداء وأهل الجنايات

ان الله — جل وعز — حرم نفس الفطرة وأول التعبد دماء الخليقة والبشر وأشعارهم وأبشارهم بعضهم على بعض ، فلم يبيح أهراق دم ، ولا ازهاق نفس ، ولا نقص نفس ، ولا أيالام أحد من الناس الا لحاضر من الفساد يتقى أو لمتخوف منه يتوقى ، أو لصلاح عام يرتجى أو لعائدة يؤمل عودها على عامة المسلمين وجماعة المؤمنين ، أو يكون فيه تأييدا للدين وانتقاما من المذنبين ، واعتبارا للمتفكرين المعتبرين ، كالطبيب الحاذق الرفيق ، والوالد البر الشفيق الذى يقطع من ولده الجارحة الدونة أبقاء على البقية ، ويجرعه الادوية البشعة الكريهة (٧٥/ب) تأميلا لدفع علة أو إعادة صحة أو بقاء سلامة وعافية ، (كالباثن)^(١) الحاذق الحريص على عمارة بستانه ، وتعهده ريحانه ، يقلع منه الحشيش الضار ، ليحيا به الريحان النافع ويقطع منه الشجر الذى يضر بظله ولا ينفع ثمره لينثى وينمى المثمر الذى يجدى ثمره ، ويطيب جناه . وكالحريص على توفير ماله وتدبير قنيانه^(٢) يغذى بعضها بعضا ، وينفق كثيرا من أجزائها قصدا لتوفير مابقى منها .

قال الله — جل وعز — فى صحة جملة هذه القضية : (لا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيمًا)^(٣) . وقال : (ولا تلقوا بأيديكم الى

(١) هكذا فى الاصل ، والصحيح (كالباثنى) .

(٢) قنيانه : مصادر كسبه . لسان العرب (المعارف) ٣٧٥٩ .

(٣) ٤ / النساء : مدنية / ٢٩ .

التهلكة) (٤) • وقال : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) (٥) •
وقال : (نلا يسرف في القتل أنه كان منصوراً) (٦) ثم قال من بعد ذلك (ولكم
في القصاص حياة يا أولى الألباب) • وقال (كتب عليكم القصاص
وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن
تحبوا شيئاً وهو شر لكم) (٨) •

فأباح الله جل ثناؤه على هذه القضية وصحة هذه الدلالة ، دماء
ثلاث أصناف ، بل أمر بإهراقها اعزازاً للدين ، ونصرة للأنبياء والمرسلين
وأوليائهم من المؤمنين ، وإرادة منه لحياة العباد وعمارة البلاد .

الاعداء على الحقيقة :

أولهم : المشركون الذين يقاتلون على أصل التوحيد والنبوة
والشريعة التي هي أس المملكة ، ورأس العمارة ، والطريق الى تمام
السعادة •

وهؤلاء هم الاعداء على الحقيقة ، نص الله على قتالهم في كتابه
فقال : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (٩) • وقال : (واقتلوهم
حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) (١٠) • وبين عند ذلك
العلة فيه حيث قال : (والفتنة أشد من القتل) (١١) • وقال : (فاقتلوا

(٤) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩٥ •

(٥) ٦ / الانعام : مدنية / ١٥١ ، و ١٧ الاسراء : مدنية ٣٣ •

(٦) ١٧ / الاسراء : مدنية / ٣٣ •

(٧) ٢ / البقرة : مدنية / ١٧٩ •

(٨) ٢ / البقرة : مدنية / ٢١٦ •

(٩) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٦ •

(١٠) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩١ •

(١١) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩١ •

المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم وأقعدوا لهم كل مرصد (١٢) وقال : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يغطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١٣) • ثم خص الله أهل العهد والذمة من هؤلاء فأمر بالوفاء لهما بما وقعت شرائطهم عليه فقال : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) (١٤) (٧٦/أ) وقال : (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أن الله يحب المتقين) (١٥) • وقال : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) (١٦) • وقال النبي صلى الله عليه « أنا أحق من أوفى بذمته » (١٧) وقال : « لا يقتل مسلم لكافر ولا ذو عهد » (١٨) ، فهؤلاء صنف •

الباغون :

والصنف الثاني : وهم الباغون ، الذين يخرجون على المسلمين ، والائمة العادلين متغلبين أو متأولين ، من أهل الملة ، أمر الله جل وعز —

(١٢) ٩ / التوبة : مدنية / ٥ وفي الاصل : وأقتلوهم •

(١٣) ٩ / التوبة : مدنية / ٢٩ •

(١٤) ٩ / التوبة : مدنية / ٦ •

(١٥) ٩ / التوبة : مدنية / ٧ •

(١٦) ١٦ / النحل : مكية / ٩١ •

(١٧) ضعيف ، أخرجه دار قطنى عن ابن عمر ، نصب الراية ٤ : ٣٣٥ ،

٣٣٧ وشرح السنة للبغوى ١٠ : ١٧٥ ، ١٧٦ •

(١٨) حديث حسن ، أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس بلفظ « لا يقتل مؤمن

بكافر » ولا ذو عهد في عهده » سنن ابن ماجه ٢ : ٨٨٨ رقم ٢٦٦٠ ، صحيح

الجامع الصغير ٦ : ٢٤٣ رقم ٧٦٢٨ •

بقتالهم بعد دعودتهم الى السلم ، والفىء ، والصلح ، ومناظرتهم فيه ،
وبيان الحق لهم ، فقال : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا
بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تقىء الى
أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب
المقسطين) (١٩) . وقال : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين
أخويكم) (٢٠) .

روى عن أمير المؤمنين على رضوان الله عليه أنه قال : «أمرت بقتال
القاسطين والناكثين والمارقين» .

وروى عن النبي صلى الله عليه أنه قال (لشهاد نوران، ولمن قتله الخوارج
عشرة أنوار) (٢١) . قال : وذكر بين يدي أمير المؤمنين «على» أيام
صفين أصحاب معاوية فكفرهم بعضهم ، فقال : لا تكفروهم فانهم زعموا
أننا بغينا عليهم ، وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم على ذلك .
وقال النبي صلى الله عليه عليه لعمار بن ياسر (٢٢) : « تقتلك الفئة الباغية

(١٩) ٤٩ / الحجرات : مدنية / ٩ .

(٢٠) ٤٩ / الحجرات : مدنية / ١٠ .

(٢١) لم أقف عليه ، ويبدو لى أنه من الأحاديث الموضوعة فى الحث على
محاربة الخوارج وقتالهم ، وأن واضعه من شيعة الامام على بعد خروج بعض
المسلمين عن طاعته أبان فترة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان .

(٢٢) عمار بن يسار بن عامر الكناني ، صحابى ، من الولاة الشجعان
ذوى رأى ، وهو أحد السابقين الى الاسلام والجهر به ، وكان يلقبه الرسول ﷺ
« الطيب المطيب » ، وهو الذى بنى أول مسجد بالمدينة (قباء) ، واستشهد فى
صفين عام ٣٧ هـ . الاستيعاب ١١٣٥ والمجبر ٢٨٩ ، ٢٩٦ وحلية الاولياء
١ : ١٣٩ .

تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار» (٢٣) .

وقال أمير المؤمنين ان قاتلوا اماما عدلا فقاتلوهم ، فان قاتلوا اماما جائرا فلا تقاتلوهم فان لهم بذلك مقالا .

فالسنة في قتال هؤلاء : أن يدعوا الى الرجوع والصلح ، وينظروا فيما أداهم الى البغى ، فان وجدوا محقين في دعواهم ، حمل الباقون على الخروج من حقوقهم ، وتسليم مالهم اليه ، وتوفيره عليهم ، وان وجدوا مبطلين بين لهم بطلان دعواهم ، وألزموا الحجة على ذلك ، فان أبوا الا اصرارا على البغى ، وتماديا في الغى ، قوتلوا عليه حتى يفيئوا الى أمر الله ، فان فاءوا كف عنهم ، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم (٢٤) فان استحقوا القتال وقوتلوا فالسنة في قتالهم أن يتربص بهم حتى يكون منهم أو يظهر على فساد من قتل أو أخذ مال ، فاذا فعلوا شيئا من ذلك طولبوا برد المال وبذل (٧٦/ب) القود ، فان أبوا حل قتالهم ، هكذا فعل أمير المؤمنين على يوم الجمل ، ويوم صفين ، ويوم نهروان (٢٥)

(٢٣) أخرجه ابن عبد البر من حديث عمار . الاستيعاب ١١٣٩ ويقول ابن عبد البرص ١١٤٠ . تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال : «تقتل عمار الفئسة الباغية» وهذا من اخباره بالغيب واعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الاحاديث . وأخرجه مسلم عن أم سلمة . صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٦ رقم ٢٩١٦ في الفتن واشراط الساعة ، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ٥ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ . وانظر سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني ٢ : ٢٦٩ رقم ٧١٠ .

(٢٤) انظر في ذلك : الام ٤ : ١٣٣ ، ١٣٤ ، المذهب ٢ : ٢١٨ ، والروضة ١ : ٥ ، تحرير الاحكام في تدبير أهل الاسلام ٢٤٠ .

(٢٥) النهروان هو مكان بقرب بغداد ، وذكره ابن الجواليقي في كتابه المعرب بفتح النون والراء فارسي معرب . المعرب ٣٨٦ ، وتهذيب الاسماء واللفات القسم الثاني الجزء الثاني ١٧٨ .

على ما جاءت به الروايات • وإن لم يكن ذلك ففى آبائهم أكفى كفاية فى
ايجاب قتالهم •

ثم السنة الاخرى فيهم ألا يجهز على جريحهم ، ولا يتبع موليهم ،
ولا يسبى ذراريهم ، ولا يكون شىء من أموالهم مغنما للمؤمنين بل هو لهم
أو ميراث لورثتهم (٢٦) ، فانهم كانوا على جملة الدين ، وكان لهم ولأولادهم قبل
القتال • فرقت السنة به بينهم وبين المشركين وهؤلاء صنف •

قطاع الطرق :

والصنف الثالث : قطاع الطرق ومخيفو السبيل ، الذين لا يستحلون
دماءهم بتأويل ولا يعتقدونه بتنزيل ، بين الله أحكامهم ، وفرض عقابهم
وخالف بين أحوالهم نصا فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فقال : (أما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو
يصلبوا أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) (٢٧)
فاختلف العلماء فى اقامة هذه الحدود عليهم •

فقال بعضهم : الامام مخير فى هذه العقوبات فمن ظفر به منهم ان
شاء قتله وصلبه ، وان شاء قطع يده ورجله من خلاف ، وان شاء نفاه (٢٨)

(٢٦) أنظر فى ذلك : المغنى ١٠ : ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ، المذهب ٢ : ٢١٨
الروضة ١٠ : ٥٧ ، ٥٨ •

(٢٧) ٥ / المائة : مدنية / ٣٣ •

(٢٨) هذا قول سعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد والحسن والضحاك
والنخعى وأبى الزناد وأبى ثور وداود • المغنى ١٠ : ٣٠٥ • وقال أبو حنيفة
ان أخذوا المال وقتلوا ، فالامام بالخيار ، ان شاء قطع أيديهم وأرجلهم من
خلاف أو قتلهم أو صلبهم وان شاء صلبهم ، وان شاء قتلهم ولم يصلبهم •
الانصاح ٢ : ٢٦٢ •

واختلفوا في النفي ، فقال بعضهم : هو الحبس (٢٩) وقال بعضهم : هــ و
النفي عن أرضه التي أحدث فيها هذا الحدث ، وجنى فيها هذه الجناية
الى غيرها من الارضين النائية عنها (٣٠) .

وقال بعضهم : ان الله قد بين تأويل هذه الاية ورتب هذه العقوبات
وخص كل طبقة ، وأهل كل مرتبة ، من ذوى الجنايات منهم بعقوبة خاصة
به ملائمة لمقدار جنايته (٣١) بما روى عن النبي ﷺ أن جبريل أتاه عن ربه
فقال : (من قتل وأخذ المال صلب ، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ، ومن
أخذ المال ولم يقتل قطع) (٣٢) .

قالوا : ومن سعى بعد ذلك في الأرض فسادا ، أو حمل سلاحا فأخاف
السبيل أو قطع الطريق ، ورأى الامام نفيه أو حبسه كان له ذلك .
الجنايات والعقوبات :

فأما أصحاب الجنايات الذين يأتون الامام سلما فقد حققت ملة

(٢٩) هو رأى أبو حنيفة وأصحابه ، قال أبو حنيفة : نفيه حبسه حتى
يحدث توبة ونحو هذا قال الشافعى : فانه في هذه الحال يعزروهم الامام ، وان
رأى أن يحبسهم حبسهم . المغنى لابن قدامة ١٠ : ٣١٤ ، والروضة ١٠ : ١٥٦ ،
وهو مشهور ومذهب مالك في غير بلد الجناية . أحكام القرآن لابن العربي
٢ : ٥٩٨ وتفسير القرطبي ٦ : ١٥٣ .

(٣٠) وهو رأى الامام أحمد بن حنبل وأصحابه . المغنى ١٠ : ٣١٤ .
(٣١) في حد قطاع الطريق . قال أبو حنيفة والشافعى وأحمد : هو على
الترتيب وقال مالك : ليس هو على الترتيب ، بل هو على صفة قاطع الطريق ،
وللامام اجتهاده فيما يراه من القتل أو الصلب وقطع اليد والرجل من خلاف
أو انفى أو الحبس . الانصاح ٢ : ٢٦٢ ، أحكام القرآن لابن العربي ٢ : ٥٩٦ ،
٥٩٧ ، والمنهج السلوك في سياسة الملوك ١١٥ .
(٣٢) رواه ابن جرير عن أنس في تفسيره ١٠ : ٢٥٠ ، ٢٦٧ الاثران
١١٨١٦ ، ١١٨٥٤ ، وتفسير ابن كثير ٣ : ٩٤ .

الاسلام دم كل مؤمن بالله واليوم الآخر ، الا بردة بعد اسلام أو زنى بعد احسان أو نفس بنفس ، ومن ارتكب دون ذلك من أبدان أهل الملة فالجروح قصاص ، ومن قتل مؤمناً (٧٧/أ) خطأ فقد أوجب الله على عاقلته الدية يسلمها الى أهله الا أن يشاءوا أن يصدقوا ، وتحرير رقبة مؤمنة ، ليس للسلطان فيه يد ولا معترض .

ومن ارتكب ما دون القصاص ففيه أرش (٣٣) قد بينت السنة أحكامها وشرعت الملة فروضها ، ومقاديرها . قال الله — جل وعز — : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص) (٣٤) .

وقال : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٣٥) وقال : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا ، فان كان من قرم عدولكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً) (٣٦) .

وقال فيما دون الاحسان من الزنى : (والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (٣٧) .

(٣٣) الارش : الجراحات التى ليس لها قدر معلوم . لسان العرب المحيط ١ : ٤٦ .

(٣٤) ٥ / المائدة : مدنية / ٤٥ .

(٣٥) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩٤ .

(٣٦) ٤ / النساء : مدنية / ٩٢ .

(٣٧) ٢٤ / النور : مدنية / ٢ .

وقال في القاذف : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) (٣٨) .
وأجمعت الامة على جلد السكران ثمانين (٣٩) .

وفي السارق قال الله تبارك وتعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا
أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) (٤٠) .

وفيما دون الحدود من ذلك من قذع أو شتم أو سوء أدب يعود
بجرأة على السلطان أو استخفاف بالدين تعزير على ما يراه السلطان في
مذهبه أن كان أهل العلم أو يفتى له المفتون ، فان العلماء قد اختلفوا
في ذلك فمنهم من جاوز بالتعزير الحد الى ثلاثمائة سوط وأقل وأكثر ،
ومنهم من لا يرى بالتعزير الحدود في العدد ويرى أن تجاوز به الحد في
الشدة والايلام .

ثم من أظهر في الدين بدعة خرق بها أجماع الامة ، وناقض بها
التوحيد وأصول الشريعة ، أو خرج منه بشيء أو دخل فيه فعلى الامام
والسلطان أن يحضره مجلسه أو مجلس صاحبه ، ويأمر بمناظرته أو

(٣٨) ٢٤ / النور : مدنية / ٤ .

(٣٩) هذا رأى جمهور الفقهاء بيد أن الشافعى وأبو ثور وداود قالوا : الحد
في ذلك أربعون على الحر (بداية المجتهد ٢ : ٤٧٩) ، ورجحه ابن قدامة فقد قال :
أن الحد أربعون هو اختيار أبى بكر ومذهب الشافعى لأن عليا جلد الوليد ابن
عقبة أربعين ، ثم قال جلد النبى ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل
سنة . وهذا أحب الى . رواه مسلم وفعل النبى ﷺ حجة لا يجوز تركه
بفعل غيره ، ولا ينعقد الاجماع على ما خالف فعل النبى وأبى بكر وعلى رضى
الله عنهما فتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الامام .

المغنى ١٠ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٤٠) ٥ / المائدة : مدنية ٣٨ .

يُناظره بنفسه بحضرة العلماء من المتكلمين والفقهاء العارفين بأصول الدين فيقيم عليه حجة الله فان قبلها ورجع عن البدعة التي أحدثها (٧٧/ب) عفا عنه ، وان لم يقبلها ولم يرجع عنها فعليه ما على المرتد بعد الاستتابة وهكذا روى رسول الله ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه) (٤١) .

وأختلف العلماء في المرتدة فأوجب بعضهم قتلها ، وبعضهم حبسا واجبارها على الدين .

مبدأ در الحدود بالشبهات :

وسن النبي ﷺ مع تلك « درأ الحدود بالشبهات » (٤٢) .
فمن شهد عليه الشهود بارتكاب حد من الحدود وأقر على نفسه .
فان السنة ان يستأني به الى أن يدفع عن نفسه بحجة أو شبهة ، فان أتى بها درىء عنه الحد ، وكذلك ان اختلف الشهود في الشهادة ، أو شهدوا بعد مدة ، وأورد الامام المقر على نفسه ، فقال : قد سهوت أو غلطت أو كذبت أو سرقت من داري أو دار من أخرجه من ملكي ، وما أشبه هذه الامور .
ولا تقبل الشهادة بالزنى حتى يشهد أربعة من المسلمين بلا اختلاف ولا امرية على ما جاءت به السنة (٤٣) .

وكذلك السرقة لا يقطع فيها حتى يشهدوا أنه سرق ما تبلغ قيمته

(٤١) حديث صحيح ، أخرجه البخاري ، وأبو داود ، والمتردي ، والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس .

صحيح الجامع الصغير ٢٦٤٠:٥ رقم ٦٠٠١ وهداية الباري ٢:٢٠٩ وسنن ابن ماجه ٨٤٨:٢ رقم ٢٥٣٥ وأخرجه مالك في الموطأ بلفظ «من غير دينه فاضربوا عنقه» الموطأ ٧٣٦:٢ ، كتاب الاقضية ، باب القضاء فيمن ارتد عن الاسلام .

(٤٢) سبق تخريجه ص ٢٢٩ .

(٤٣) أخرج مسلم عن أبي هريرة : ان سعد بن عبادة — رضى الله عنه — قال : يا رسول الله ، أرأيت لو أتى وجدت مع امرأتى رجلا ، أمهله حتى أتى بأربعة شهداء ؟ فقال ﷺ : « نعم » . مسلم ٢ : ١١٣٥ رقم ١٤٩٨ ، ومالك في الموطأ ٢ : ٨٢٣ .

عشرة دراهم من حرز (٤٤) .

فهذه جمل أصول ما أباح الله فيه القتال والقتل ، والحد وسفك الدم ، والجلد ، ولها فروع يطول ذكرها عما عرضناه في كتابنا ، وهي معروفة عند الفقهاء مسطورة في كتب العلماء .

وما سوى ذلك فهو داخل في قول الله : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (٤٥) . وفي قول النبي ﷺ : (أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها) (٤٦) . وهذه الاسباب والابواب من حقوقها . وفي قول النبي ﷺ : «أنا أحق من وفى بذمته» (٤٧) لا يحل لامام ولا لصاحب أمام شئ من أشعار أهل الملة والذمة تعصبا الا تأديبا وتثقيفا .

ثم قيد الاسلام (الغيلة والمثلة) (٤٨) فحرمها ، فليترك الله ملك قادر أو سلطان قاهر ، ولا يحذر أن تحمله قدرته (الجروية) (٤٩) القليلة على ظلم

(٤٤) هذا رأى فقهاء العراق ، قال به : عطاء وأبو حنيفة . أما فقهاء الحجاز مالك والشافعي وأحمد وغيرهم فأوجبوا القطع في ثلاثة دارهم من فضة وربع دينار من ذهب . بداية المجتهد ٢ : ٤٨٣ ، والمغنى لابن قدامة ١ : ٢٤١ - ٢٤٣ .

(٤٥) ١٩ / التوبة : مدنية / ٥ .

(٤٦) حديث متواتر متفق عليه بين أئمة أهل الحديث . اللؤلؤ والمرجان ٦٥٥ صحيح الجامع الصغير ١ : ٤٣٤ رقم ١٣٦٦ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني ج ١ برقم ٤٠٧ .

(٤٧) ضعيف ، أخرجه الدارقطني ١ : ٣٤٥ ، شرح السنة للبغوي ١ : ١٧٥ ، نصب الراية ٤ : ٣٣٥ ، ٣٣٧ .

(٤٨) الغيلة : هي الخيانة ، والخديعة ، والاحتيال في القتل . لسان العرب المحيط ٢ : ١٠٣٨ ، والمثلة : سبق التعريف بها ص .

(٤٩) هكذا في الاصل ، والصحيح (الجزئية) .

الرعية ، ولؤم المقدرة والاسراف في المعاقبة ، واذا دعت قدرته الى ظلم عباد الله فليذكر قدرة الله • حيث يفارق ما هو فيه ويتعري مما هو بسبيله • ويرد على ما مهد لنفسه ، وقدم لها أيام مهلاته فعسى أن يكون قريبا • وقد أغلظ الله الوعيد على قاتل النفس المؤمنة بغير حقها فقال (٧٨/أ) : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (٥٠) •

فهذا ما أوجب الله في الدين من قتال الاعداء والمخالفين وقتلهم ، وقتل أهل الجنايات وتأديبهم ، فاذا حقت الكلمة ، وظهرت العداوة ، وجب في السياسة والشريعة منابذة بعض المخالفين أو مناجزتهم ، فالوجه أن يستعمل فيها ويستعان عليها بخصال عشر من خصال السياسة وتدابير المناجزة والمقارعة :

خصال تدبير الاعداء :

أولها : الإدارة والمسالمة وعرض السلم والصلح على العدو ما وجد الى ذلك سبيلا ولم يخف أن يزداد العدو بالمطاوله وفورا وقوة وعددا وعدة ، ويهتدى الى ما لم يهتد اليه من خديعة ومكيدة ، فقد قدمنا أن ذلك من أدب الله — جل وعز — الذي أدب به نبيه ، وآياته التي أقامها في خلقه ، وأن في المناجزة الخطار بالاملاك والمهج والابدان والقنيان (٥١) ، وما منها الا مضمون به ، ومشحوح (٥٢) عليه في العقل والدين ، والى حمايتها

(٥٠) ٤ / النساء : مدنية / ٩٣ •

(٥١) القنيان : سبق التعريف بها ص ٣٢٣ هامش رقم ٢ •

(٥٢) مشحوح : من الشح وهو حرص النفس على ما ملكت وبخلها به •
لسان العرب المحيط ٢ : ٢٧٦ •

ما يسعى العقلاء ، والى صيانتها ما يجرى الملوك • فما وجد الملك الى
(توفيرها) ^(٥٣) ومنعها سبيلا، والى فداء بعضها ببعض طريقا فالوجه فيه أن
يفعل •

ثم لا يجوز للعاقل أن يخاطر بشيء حتى يتيقن أن ما يخاطر له أجل
مما يخاطر به ، ولا يقدم على المحاربة والمقاتلة حتى يكون في أكثر رأيه أنه
إن قاتله أو قتل نال به إحدى الثلاث من المحامد والمحاب أو عامتها
أو أكثرها ، وانتفى به من أضدادها من المكاره والمثالب : —
أولها ، ثواب الله الذي أعده لاوليائه •

والثانية ، تحصيل الملك الذي هو أجل مراتب الدنيا وأعلاها درجة ،
الملك الذي هو مدبره وسائسه وحاميه وحارسه عليه ، وإن تركه زال عنه
كله ، وقل طمعه في مثله •

والثالثة : محمدة تبقى على غابر الايام يحيا بها ذكره ، ويطيب بها
بعد فنائه نشره ، وإن تركها خاف لزوم عار ، وبقاء شئار في الاخلاف
والاعقاب ، فإن الله — جل وعز — لما قرر في أنفس المتدينين أن عيش الجنة ،
ونعيم الابد أفضل من نعيم الابد أضعافا لا يحصياها الا الله حثهم على
الجود بأنفسهم وأموالهم في جنب ما يأملونه من عظيم ثواب الله الذي
أعده لاوليائه (٧٨/ب) وأهل طاعته ، فقال : (إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن) ^(٥٤) •

وكذلك القول في اصطفاء المحامد ، واقتناء المادح ، وحسن الذكر ،

(٥٣) هكذا في الاصل ، والصحيح (توقئها) •

(٥٤) ٩ / التوبة : مدنية / ١١١ •

وطيب النشر ، فقد قدمنا من رغبة أولى العزم من رسل الله ، وأنبيائه عليهم السلام ، وذوى الفضل من أوليائه فيه بعد رفضهم الدنيا واستخفافهم بزخرفها وزبرجها (٥٥) ، واحتقارهم لما فيها .

وكذلك (بقاء العار لشيء) (٥٦) لم يزل أنفوس الكرام تتعافاه ، وطبائع الفضلاء تأباه ، وذوو الهمم البعيدة والانفوس القوية ينفرون عنه ، ويحتالون في غسل أنفسهم منه ، (ويجروا) (٥٧) من العقل والحزم والمكرم والفضل أن لا يشترخوا حياة سريعة الفناء بعار طويل البقاء ، ولذة وشيكة الانقضاء بقبح أحدىثة تذكر على غابر الايام وباقي الدهور والاعوام .

ولقد أوجز العبارة عنه الحسن البصري حيث قال : «انما أنت أحاديث فان استطعت أن تكون حديثا حسنا فافعل» (٥٨) وأحسن أرسطاطاليس في مواعظه للاسكندر حيث قال : «واعمل على أنهم في عقبك ، وأن مديحهم أطول عمرا منك» .

وقد قال في ذلك بعض الجلة من الملوك :

سأغسل عني العار بالسيف جالبا

على قضاء الله ما كان جالبا (٥٩)

(٥٥) زبرجها : زينتها وحسنها . لسان العرب المحيط ٢ : ٨٦٧ .

(٥٦) هكذا بالاصل ، والصواب (نفيا للعار الذي) .

(٥٧) هكذا في الاصل ، والصحيح (يجدون) .

(٥٨) ورد منسوباً الى بزرجمهر حينما قدم للقتل . المحاسن والمساوى

١ : ١٤٥ .

(٥٩) قاله سعد بن ناشب ، شاعر من بني العنبر بالبصرة ، مات نحو

١١٠ هـ . الاعلام ٣ : ١٣٩ ، والشعر والشعراء ٧٠٠ ، والامثال لابن عبيد

القاسم ١١٧ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٧ - ٧٤ وعيون الاخبار

١ : ١٨٧ ، والعقد الفريد ٣ : ١٤ ط لجنة التأليف والنشر والخزانة ٣ : ٤٤٤ ط

بولاقي ، وفصل المقال ١٧٤ ، والتذكرة السعيدية ٦٠ .

وقد قال بعض المفرطين فيه وهو الليث بن رافع بن الليث بن نصر
بن سنان (٦٠)

نار ولا عار فكن سيّدا

فر من العار الى النار

وقد قال فيه الحسين بن علي — رضى الله عنه — فأنصف وأتى بما
يشبهه *

الموت خير من ركوب العار

والعار خير من دخول النار (٦١)

وقال الزبير بن العوام حين ولى عن أمير المؤمنين «على» بعد
مناظرته آياه وقيام الحجة عليه :

ترك الامور التي يخشى عواقبها

لله أروح في دنيا وفي دين (٦٢)

آثرت عارا على نار مؤججة

أنى يقوم لها خلق من طين

وهذا هو حد الانصاف في هذا الباب ، اذ ليس ينبغي أن يكون
شيء أشد على (٧٩/أ) المتدين الموقن من عذاب النار ، ثم لا يكون شيء

(٦٠) هو الليث بن رافع بن نصر بن يسار ، وقيل : الليث بن المظفر
بن نصر بن يسار ، كان من أكتب الناس في زمانه بصيرا بالشعر والغريب والنحو
بارعا في الادب ، وكان كتابا للبرامكة ، وتقرب اليه الخليل بن أحمد فكتب له
كتابه «العين» واهداه له . طبقات الشعراء ٩٧ معجم الادباء ٦ : ٢٢٢ ، ونزهة
الالباء ٤٥ .

(٦١) البيان والتبيين ٣ : ٢٧٨ ، وادب الدنيا والدين ١٤٥ نسبا البيت
الى الحسن بن علي وفي نشر الدرر للابى ١ : ٣٣٧ الى الحسين بن علي .
(٦٢) ورد البيت الاول في حلية الاولياء ١ : ٩١ ، وسير اعلام النبلاء ١ : ٦٠ .

من مصائب الدنيا عليه أشد من ركوب العار ، ولا يحتدل العار في موضع
من المواضع ولشيء من الأشياء الا عند مخافة عذاب النار ، وما أقبح ما
هجا به من يقول :

وكنيت اذا حالت بدار قـوم

رحلت بخزية وتركت عارا (٦٣)

والشعر الحسن والحديث الجيد في هذا الباب كثير ، وفيما ذكرنا ما
يبين عن الغرض ، ويوضح عن محض الحق .

الوعد والوعيد :

والثانية : تقديم الوعيد والايعاد ، والتحذير والانذار ، واقامة
الحجة وابلاغ المعذرة ، فقد ذكرنا أن ذلك من أدب الله الذي أدب به
عباده ، وسننه التي استعملها فيهم ، فانه بعد ما ابتداهم به من الافضل
والانعام والمنن الجسم ، ودعاهم الى ما هو أكثر منه وأفضل وأبقى
وأجزل ، ثم أراهم دلائله ، وأحضرهم شواهد ، وحذرهم ، وأنذرهم ،
ووعدهم ، وأوعدهم بالكتب الواضحة ، والاعلام اللائحة ، والانبياء
 والمرسلين ، والائمة الراشدين المهديين ثم أمهلهم المدة التي يمكن فيها
التذكير والتفكير ، وتنقطع فيها مواد المعاذير كما ذكر جل وعز — من
ذلك في كتابه حيث يقول : (بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى
معاذيره) (٦٤) ، وقال : : (أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت ، والى

(٦٣) هو لجريز بن عطية بن حذيفة ، المتوفى ١١٠ هـ ، وورد البيت
في قصيدته الرائية في ديوانه المطبوع بمصر ١٢٧٠ : ١٢٩ ، ولباب الاداب
٣٧ ، وتحفة الادباء ٣ : ١٩٥ ، ومفيد العلوم ومبيد الهموم ١٣٧ .

(٦٤) ٧٥ / القيامة : مكية / ١٤ ، ١٥ .

السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف
سطحت (٦٥) ، في آيات كثيرة ذكرهم بها ما يلزمهم من حجج العقول التي
ان فكروا فيها ، عرفوا الله ، وأوجبوا شكره عليهم ، ثم قال : (رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٦٦) وقال : (ولو أنا
أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك
من قبل أن يذل ونخزي) (٦٧) • وقال : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير) (٦٨) •

فقطع من جميع الوجوه عذرهم ، وألزمهم في كل ذلك وزرهم •
ثم قال النبي ﷺ : (أن الله بعثني بين يدي الساعة رحمة لمن تبعني ،
وحجة على من خالني) (٦٩) •

ثم ان ذلك لم يزل من عادة الملوك الحزمة والائمة الكاملة ، فكم من
جيش مجتمع قد شئت جمعهم ظهور الحجة عليهم ، وفرق بين نياتهم ،
وعزائمهم انقلاب الدلائل عليهم ، وأضعف منتهم (٧٠) بيان باطلهم لهم ،
وكم (٧٩/ب) من خطيب مصقع وبليغ مفوه صور الباطل عند أصحابه في

(٦٥) ٨٨ / الفاشية : مكية / من ١٧ الى ٢٠ •

(٦٦) ٤ / النساء : مدنية / ١٦٥ •

(٦٧) ٢٠ / طه : مكية / ١٣٤ في الاصل : لو •

(٦٨) ٣٥ / فاطر : مكية / ٣٧ •

(٦٩) صحيح عن ابن عمر ، أخرجه أحمد بن حنبل والطبراني بلفظ
«بعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له ،

وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل ائذل والصغار على من خالف أمري »

صحيح الجامع الصغير ٣ : ٨ رقم ٢٨٢٨ •

(٧٠) المنة (بضم الميم) : القوة • مختار الصحاح : ٦٣٦ •

صورة الحق وأراهم الشبهة في لباس الحجة ، فاستغواهم به حتى قاتلوا وقتلوا ، وهم عند أنفسهم محقون ، فكان فيه هلاكهم ولذلك ما قال أرسطاطاليس لاسكندر : « اذكر احتجاجك عليهم من كتبك ، ودع من كتبهم ما يجب ستره من العامة » .

وقال الله تبارك وتعالى : (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) (٧١) ولن يؤيد صاحب جيش وقائد عسكر بصائر أصحابه ولن يقوى منهم بشيء هو آخرى وأولى ببلوغ الغاية منهم ، من أن يريهم أن حجة الله معهم ويقرر عندهم أنهم ان قتلوا أجروا وأثيبوا ، وان قتلوا انقلبوا الى خير مما بهم منقلبا ، وأحسن مما يؤملونه مكتسبا . وكذلك فعل أمير المؤمنين (على) (٧٢) في حروبه ووقائعه ، فما فرق بين طلحة والزبير وبين عسكرهما الا بالحجة والمناظرة ، وكذلك فعل بالخوارج حتى خالف بين كلمتهم ، وفرق بين آرائهم ، وشئت بين المجتمع من أهوائهم وغلبهم . ومن جهتها احتال معاوية حين أحس من أصحابه بالوهن والضعف حيث رفع المصاحف على أطراف القنا (٧٣) ودعا الى كتاب الله الذي كان يدعى اليه فيأبى ، وهذا باب لو أخذنا نتتبع ما يحضرنا منه لطال الكتاب .

اليقظة :

والثالثة هي استعمال اليقظة ، وترك التناوم والغفلة والاستغفال بشيء من اللذات والملاهي والملاعب والمطارب مالم يفرغ من الحرب ،

(٧١) ٨ / الانفال : مدنية / ٦٥ .

(٧٢) (على) ساقطة من الاصل .

(٧٣) القنا : جمع قناة وهي الرمح . مختار الصحاح ٥٥٤ .

ويشغله من هذه الامور ، ولا يرضى حتى يجعل على العدو في كل احواله
عيونا راقبة ، واذانا واعية ، فانه يجمع بذلك خلاا جلييلة هي ازمة
تدابير الحروب : منها أن يطلع على ما يحدثه العدو من مكيدة أو يضمرة
من خديعة أو يجمعه من مباينة ، فيأخذ من ذلك حذره ، ويعد له عدته فلا
ينال منه غرة ، ولا يصاب منه غفلة ، فيهلك .

ومنها ، أن ينتهز الفرصة ، ويراقب منهم النهضة ، فان ذلك أبلغ
ما يستعمله المحارب في حروبه ، «فان الفرص تمرر السحاب» (٧٤) وقل
ما فات منها فائت فأدرك على غابر الايام ، ورب من ضيع شيئا فمات عليه
حسرة .

وفي كتب الاولين : من استمكن من الجسيم فأضاعه لم ينله بعد .
ومن طلب فرصة فأمكنته فتركها فاته العمل ولم ترجع اليه الفرصة .

وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : «افترض (٨٠/أ) من عدوك
الفرصة واعلم على أن الدنيا دول» (٧٥) .

ومن بليغ الهجاء قول القائل :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته

حتى اذا فات أمر عائب القدر (٧٦)

(٧٤) من حكم الامام على بن ابي طالب رضى الله عنه . نهج البلاغة
١٨٧ : ٢ العقد الفريد ١ : ٧١ ، نهاية الارب ٦ : ٤٧ ، بهجة المجالس ٢ : ١٨٧
(٧٥) عيون الانباء في طبقات الاطباء ١ : ٩٨ ، ولباب الاداب ٦٣ ، ٦٤
مع اختلاف يسير ، وفي السياسة في تدبير الرئاسة ١٥ بلفظ : « وتأمل احوال
العدو ، فحيث رأيت تخللا فاجعل الصدمة فيه » .
(٧٦) نسبه ابن قتبية الى الرياشي . عيون الاخبار ١ : ٣٤ ، ٢ : ١٤١
وأورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣٥ والماوردي في قوانين الوزارة ١٥٣
وادب الدنيا والدين ٨٩ دون نسبة .

منها ، أن يقف على عدد العدو وعدته وآلته التي يحذق باستعمالها
في حروبه من رمى أو طعن أو ضرب أو هذ (٧٧) فانما هي جماع آلات
الحروب .

فمن العدو من الغالب عليه الرمي بالفتشاب ، ومنهم من الغالب عليه
الطعن بالرماح والرايات والمزاريق والزوينات (٧٨) ومنهم الغالب عليه
الضرب بالسيوف . ومنهم من الغالب عليه الكسر والهد بالعصى والاحجار ،
وهو الامر الطبيعي الذي ربما يستعمله كثير من حرس الحيوان والناس
في كثير من الاحياء والبلدان .

ومنما أن يقف على رسوم العدو في وقائعهم ، فمن الاعداء من رسمه
في ذلك المغالبة بحمله أو حملتين وثلاث ثم يولى اذا لم ينقد له ما يريد ،
ومنهم من يغلب بالثبات والصبر على المكان حتى يعيا عدوه بكثرة الحملات
ويتعب بالحركات ثم يحمل عليه وادعا مستريحا . ومنهم من يفعل ذلك
بالكمين والغدر وصنوف المعاني التي يخرجها والبدع التي يبتدعها في
الحرب ، والكراديس (٧٩) التي يقيمها ، والمصافات التي يصفها ، فاذا
رقف صاحب الجيش على ذلك من عدوه ، أعد لكل باب من ذلك عدته ،
وأخذ له أهبطه ، ونهياً له أن يبتدع عليه عند الوقعة بدعة لعله لا يعرفها
فيكون ذلك أحد أسباب الغلبة ، فان القليل من البدعة يدهش ، ويحير ،
ويرعب ويهول .

(٧٧) الهذ : القطع السريع . المصباح المنير ٢ : ٦٣٦ .

(٧٨) الزوينات : نوع من الرماح القصيرة كالمزارق . لسان العرب
(المعارف) . هامش ١٨٩٤ .

(٧٩) الكراديس : مجموعات كبيرة من الخيل لسان العرب «المعارف»

بلغنا أن ملوك الاعاجم كانت سيرتهم أو سيرة عامتهم ، اذا دهمهم أمر جليل ، وظهر لهم عدو قوى ، أمروا بالموائد التى كانت توضع لهم قترفع وظائفها ، واقتصرت على مائدة ويحضر ثلاثة : الموبذان ، ومؤبد (والدبيريدبو) ^(٨٠) وزير الحرب ، ولا يوضع عليها الا الخبز والبقل والخل والملح فيأكل منه شيئا ومن معه ، ثم يأتيه الخباز بالبرماورد ^(٨١) فيأكل منه شيئا ، ثم ترفع المائدة ، ويشغل الملك بتدبير حربه ، وتجهيز سراياه وجنوده ، فلا يزال هذا حاله حتى يفتح عليه ويرتق فتقه ويأتيه من النصر ما يحبه ، فاذا أتاه ذلك أمر باعادة الموائد الى حالتها ، والمراتب عليها على ما كانت عليه ^(٨٢) ، وكانوا يقولون : « من حق النعمة ان يرى أثرها ويؤدي شكرها » ^(٨٣) .

وكذلك حكى عن غير واحد (٨٠/ب) من الملوك الاسلاميين : فحكى عن معاوية أنه كان يقول : ما ذقت أيام صغين لحما ولا شحما ، ولا حلوا ولا حامضا ، ما كان الا الخبز والنجين وجريش الملح ^(٨٤) حتى نصر الله وليه وخذل عدوه .

وكذلك حكى عن مروان بن محمد أنه أقام ثلاثين شهرا لا يطأ جارية حتى قتل ، وكان اذا استهدفت له جارية يقول : اليك عنى فوالله لا دنيت منى ، ولا حالت لها عقدا ، وخراسان ترجف بنصر بن سيار وأبو مجرم ^(٨٥)

(٨٠) اندبيريدبو : وزير الحرب « كما فسرهما المؤلف » .

(٨١) البرماورد : هكذا فى الاصل ، والصحيح (البرماورد) وهو طعام من البيض واللحم (مغرب) لسان العرب (المعارف) : هامش ٤١٢٩ .

(٨٢) النص فى التاج لاخلق الملوك ١٧٤ مع اختلاف يسير .

(٨٣) التاج فى اخلاق الملوك ١٧٤ .

(٨٤) نفس المصدر ١٨٤

(٨٥) أبو مجرم : هكذا بالاصل ، ويبدو أنه يقصد أبا مسلم الخراسانى

داعية العباسيين .

قد أخذ منه بالمخنق (٨٦) .

ولذلك ما قالوا : ان احزم بيت قالته العرب قول القائل : (٨٧)

قوم اذا حاربوا شذوا مآزرهم

دون النساء ولو باتت بأطهار (٨٨)

تعهد العسكر :

والرابعة : هي أن يتعهد أمر عسكره في الحل والترحال والانهاض والانزال ، ومن محكم التدبير في ذلك أن لا ينزل عسكره الا في أحسن المواقع وأوثقها ، وأخفها لمؤنهم وأرفقها بهم في نقل العلوفة والماء والسقى والاستسقاء ، وأنزها بقعة وأوسعها رقعة ، فان لكل شىء من هذه المعاني نفعا بينا ، وعونا ظاهرا ، فان لم يتفق هذا فأحصنها وأرفقها بهم في ابتياع حوائجهم ووجود ما لا بد لهم منه من مرافقهم ، فان لم يتفق فأرفقها بهم ، فان الملك الشهم حصن ما لا حصن له ، وفي تفرق الجيوش في طلب الحوائج واضطرارهم اليها شق عظيم ، وضرر جسيم ، فاذا دبر ذلك فالتدبير في انزال العسكر أن يتعهد منه خلا لا عدة .

منها ، أن لا ينزل منزلا ولا ينيخ (٨٩) بمعسكر حتى يعرف طرفيه ومناهجه وسبله ومبايسته كلها حتى لا يخفى عليه شىء منها .

(٨٦) نفس المصدر (التاج) ١٧٥ .

(٨٧) القائل هو الاخطل : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ، ويكنى أبا مالك ، شاعر في شعره ابداع ، اشتهر بمدح ملوك بني أمية ، توفي ٩٠ هـ .
الاجانى ٨ : ٢٨٠ ، والشعر والشعراء ١ : ٤٩ ، خزنة الادب ٢ : ٤٥٩ .

(٨٨) البيت في التاج ١٧٥ ، وآثار الاول ١٧٤ ، والبيت للاخطل يمدح يزيد بن معاوية لما منع قطع لسانه ، والاجانى ١٥ : ١٠٦ ، والمستظرف ١ : ٢٥٦ .

(٨٩) ينيخ : من الاستناخة للابل بمعنى ابراكها ، ومنها النوخة أى الإقامة . لسان العرب (المعارف) : ٤٥٧١ والمختار الصحاح : ٦٨٤ والمصباح المنير : ٢ : ٦٢٩ .

والثانية ، أن يأمر بضرب أخبيتهم (٩٠) وفساطيطهم (٩١) متلاصقة متدانية متشابكة الاطناب والاولتاد ، ويصفها صفا يشبه شكله شكل مدينة مجتمعة البنيان عامرة السور والحيطان ، وأوثقها أن تكون مدورة الشكل أو ما يقرب من الدائرة ، ويجعل أبوابها أقل ما يحتمل حال ذلك العسكر في مقداره وعدده من واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة منها ، واليها يخرج ويدخل من أراد الدخول والخروج .

والثالثة : أن يقيم لها سوقا يجدون فيه عامة ما لا بد لهم منه من مرافقهم وحوادثهم ، ويتقدم اليهم في انصاف أهل السوق ، وتحقيق معاملتهم ، وينهى عن (معاشرتهم) (٩٢) ومضايقتهم والحيث عليهم في المعاملة والمبايعة ليرغب فيه (٨١/أ) أهل الصناعة فيعمر سوقهم ، ويكون للعسكر فيه رفق كثير وخير عظيم .

والرابعة : أن يرتب على كل باب من أبواب المعسكر قائدا جليدا ، ورجلا شهما ، يكون في عدة من أصحابه أو جماعة لهم شوكة تكون حافظة الابواب والموكلين بعهدا وضبطها .

وخامسة : أن يأمر بحفر خندق يحيط بمعسكره أو على (أبوابها) (٩٣) على مقدار ما يوجبه الحال من الاحتياط ، ولا سيما اذا كان العدو قريبا والمقام طويلا .

(٩٠) أخبيتهم : مفردا (خابية) وهى كل ما يختبئ فيه الانسان ويستتر مختار الصحاح : ١٦٧ .
(٩١) فساطيطهم : مفردا (فسطاط) وهى بيت من الشعر . المصباح المنير ٢ : ٤٧٢ ، ومختار الصحاح : ٥٠٣ .
(٩٢) هكذا فى الاصل ، والصحيح (معاشرتهم) أى سوء معاملتهم .
(٩٣) هكذا فى الاصل ، والاولى (أبوابه) لان الضمير يعود على (المعسكر) قبله .

وسادسة : وهى أن يتقدم الى أهل معسكره بالتزام الاسلحة فى كل حال حتى يكونوا كأنهم قد أظلم العدو ، واضطربهم للمقارعة والمدافعة .
وسابعة : أن يبيث طلائعه فى (الطريق) ^(٩٤) التى يتوهم منها مفاجأة العدو نائيا ودانيا ، ويرسم لذلك غير واحد من جلد أصحابه ومتيقظهم يتناوبون ويطوفون عليهم ، ويأمرونهم بالتزام الاسلحة وأخذ الاهبة .

وثامنة : هى أن ينزل خاصته الذين يعول على دفاعهم عنه ووزراءه الذين يعتمدون فى الاشارة عليه قريبا منه ، وبحيث ان دعاهم أجابوه وان أرادهم بلغوا اليه ، وجاعوه فى أقرب مدة وأوحى لمة ^(٩٥) ، وان فاجأهم أمر كانوا أقرب الناس منه .

وتاسعة : أن ينهى أهل العسكر من افشاء فسق أو فجور أو شرب أو سكر فان فيه فسادا كثيرا وقد أتينا على ذكر بعضه فيما تقدم من كتابنا وسبق من كلامنا ، وحكيينا عن غيرنا ، وخبرنا أن ذلك من علامات البوار والهلاك وأمارات الزوال .

وعاشرة : هى من تمام الحزم فى هذا الباب ، وهى ان لا ينزل الملك حتى ينزل أهل عسكره ، ويطوف حوالى عسكره فيأمر بسد ما يراه من الخلل ، ورم ما يشاهده من (الثلم) ^(٩٦) واصلاح ما يجب اصلاحه ، فان لم يقع ذلك منه كذلك . فليوكل الامين الثقة الذى يقوم مقامه ويكون مكانه ، ويسد مسده من اليقظة والشفقة ، والرأى والشهامة ، والمعرفة

(٩٤) هكذا فى الاصل ، والاصوب (الطريق) .

(٩٥) أوحى لمة : أى فى أسرع اشارة خفية . مختار الصحاح : ٧١٣ .

(٩٦) الثلم : بضم اللاء . المخل . المصباح المنير .

والتجربة وكذلك القول في الترحال فان من تمام الحزم فيه أن يسيرهم على حالة يصلح أن يلقوا فيها العدو ، (ويناجزوا) ^(٩٧) فيها اللقاء من العتاد والعدة ، وأخذ السلاح والاهبة ، ويجعل على مقدمته من يصلح أن يكون مقدمته عند اللقاء ويوم الوقعة •

وكذلك على ساقته (٨١/ب) ويكون بين يديه ووراءه من يصلح أن يكونوا معه في القلب عند القراع والحرب ، ويكون في (ابقاء له) ^(٩٨) عدد يمكنهم الدفع والمنع ان دهمهم أمر أو عرض ليم عارض ، وأن يكون جنده وجماعته متفقة غير مختلفة ، ومجتمعة غير متفرقة ، وأن يقارب بين مراحلها ما أمكنه ، فان ذلك أبلغ في (جمامهم) ^(٩٩) ، وأقرب من تقوية أبدانهم ودوابهم ، وأدل على استخفافهم بعدوهم وأشبهه بأداب الله التي أدب بها خلقه ، وأجرى عليه تدبيره ، فهذه خلال من تعهدا رجوت أن يكون قد أدى حق الحل والترحال في عسكره ، وأخذ بالثقة والاحتياط لجنده وجماعته •

مواضع المقارنة مع العدو :

والخامسة : هو أن يقايس بينه وبين عدوه في أربعة أشياء قد ذكرها العلماء بالحرب في مواضع كثيرة من الكتب الحديثة والعتيقة ، وهي المكان والامة ، والعدد ، والعدة •

أما الامة : فمعناه أن بعض الامم (من) ^(١٠٠) الناس أشجع من بعض ، وأكثر ممارسة للحروب ودرية بالوقائع ، وأكثرها ظفرا بمساعدة

(٩٧) هكذا في الاصل ، والاصح (يناجزوه) •

(٩٨) هكذا في الاصل ، والاولى (اقباله) •

(٩٩) جمامهم : بفتح الجيم ، والميم الاولى . راحتهم . المصباح المنير

١ : ١١٠ •

(١٠٠) «من» ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها •

الدول في بعض الزمان ، ولذلك ما حكى في سير العجم : أن ملوكهم كانوا اذا أنفذوا جيشا الى الهند أنفذوا بازاء كل رجلين رجلا ، واذا أنفذوا الى الترك أنفذوا بازاء كل رجل رجلا ، واذا أنفذوا الى الديلم أنفذوا الى كل رجل رجلين ، فكان مقدار الرجل من الديلم عندهم مقدار أربعة من الهند وقد أمر الله (عز وجل) (١٠١) الرجل من المؤمنين لما تكفل بنصرهم ، وامدادهم وتفرّد بتأييدهم بأن يخرج الى كل عشرة من المشركين رجل واحد ، فقال : (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) (١٠٢) . ووعدهم النصر والغلبة والظفر على ذلك ، فلما كان من المؤمنين من جزع من ذلك ، وضعف قلبه ، ولم يف بالشرط الذي شرطه الله عليه من الصبر لقلة جرى العادة به خفف ذلك عنهم ، وأمرهم أن يبرر الى كل رجلين رجل منهم ففعلوا . (ففعل) (١٠٣) وقد كان من المؤمنين من انتصر بالدين وبالنبي ﷺ قبل ذلك وبعده ، فبرز الرجل منهم الى عشرة من المشركين فغلبوا وهزموا ونصروا وانتقموا . وقد كان في أول خروج النبي ﷺ واقعة بكر بن وائل (١٠٤) وخيول العجم وهي أربعة آلاف على ما جاءت به الآثار (٨٢/أ) والعجم على ما ذكروا في هذه الاخبار ستون ألفا فغلبوا وقتلوا « هامون » زعيمهم .

(١٠١) الجملة الدعائية (عز وجل) ساقطة من الاصل .

(١٠٢) ٨ / الانفال : مدنية / ٦٥ .

(١٠٣) هكذا بالاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .

(١٠٤) يبدو لنا أنها واقعة « ذى قار » وكانت بين الجيش الذي أنقذه كسرى أبرويز وبين بكر بن وائل وكان ذلك عند أول الرسول — ﷺ — وقال فيها (هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبى نصروا) وفيها انتصرت بكر بن وائل وقتل قائد الفرس «الهامرز» تاريخ الطبرى ١٩٣:٢ ، ٢١٠ ، الكامل ١ : ٢٨٥ ونهاية الارب ١٥ : ٤٣١ .

وكان المسلمون يوم « القادسية »^(١٠٥) وهو أعظم يوم كان بين العرب والعجم على ما جاءت به الكتب ثمانون ألفا والعرب اثني عشر ألفا، وهم أشد الأعداء فغلبوهم وهزموهم وقتلوا « رستم »^(١٠٦) ، وكان في ذلك اليوم ملكهم وزعيمهم ، ، وهم أولوا البأس الشديد الذي ذكر الله في القرآن على ما جاءت به التفاسير .

فأما الروم فقد اتفق غير مرة أن لقي الفئة القليلة من المؤمنين الفئة الكثيرة منهم فغلبوا وظفروا ، إلا أن هذا ليس في القياس ولا في العام ، ولكن وعد من الله — جل وعز — لرسوله وللمؤمنين أنجزه لهم حيث يقول : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)^(١٠٧) . ويقول : (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا)^(١٠٨) .

وأما المكان فإن بعض الامكنة والملاجيء أحصن وأمنع وأصعب من بعض ، وقد اتفق غير مرة أن منع ودفع العدد القليل الجيش العظيم عن أنفسهم بحصانة العقل ووثاقه أركان المؤئل من عمارات طبيعية وتكليفية فلم يتهيأ للجيش العظيم فيهم شيء .

(١٠٥) القادسية : واقعة بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وبين الفرس بقيادة رستم بن الفرخزاد الأرمني وفيها انتصر المسلمون على الفرس عام ١٤ هجرية . المعارف : ٢٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٩٥ ، نهاية الأرب ١٩ : ١٨٩ / ١٩٤ .

(١٠٦) هو رستم بن فرخزاد ، كان من أعظم رجال فارس ، وقائد الجيوش يزدجرد ملك ساسان في وقعة القادسية ، وقد قتل في هذه الواقعة . نهاية الأرب ١٩ : ١٨٩ ، ١٩٤ .

(١٠٧) ٦١ / الصف : مدنية / ٩ ، ٩ / التوبة : مدنية / ٣٣ .

(١٠٨) ٩ / التوبة : مدنية / ٤٠ .

ولقد بلغنى أن (أحد) (١٠٩) أصحاب الجيوش المحدثين فى عصرنا هذا نازله العدو وحاذاه فى أضعاف عدده ، وكان معسكره يحاذى عين الشمس من مشرقها إذا طلعت ، عسكر عدوه يدابرها ، فأمر صاحبه أن يبادر العدو بتعبئة الجيوش وتحويلهم الى موضع تدابرهم عين الشمس إذا طلعت ، ففعل ذلك ، فاضطر العدو الى التحول عن مكانه ومقابلة قرص الشمس بعيونهم ، ثم ركب وواقف القوم حتى بزغت الشمس فى وجوههم ، ثم حمل عليهم وجالدهم فكان ذلك أحد أسباب ظفره بهم .
وكذلك فقد ظهر غير واحد من العساكر بالمكامن (بأرض) (١١٠) فيها من الكمين ما لم يتهيأ لصاحبه ، فكان ذلك سبب غلبته ، وكان منهم من احتال للسبق الى ماء ونهر كان بينهما فأخذه على العدو فأعطشه ، فكان ذلك سبب هلاكه .

فيجب على الملك السائس أن يعرف أمور الامكنة التى يلاقى فيها عدوه ، فان الامر فى ذلك عظيم والخطب فيه جليل . فان كان العدو أصعب من مكانه وامنع احتال فى جذبته عنه واخرجه منه (بحيلة) (١١١) أو مكيدة ليصير بحيث يتهيأ له موازاته فى المكان ، فان لم يكن ذلك بالمسارعة فبالمطاوله حتى يضطره بالمجاعة وسد الطرق عنه الى الانتقياد للصالح والسلم والطاعة وبوجوه كثيرة من الحيل . فان لم يكن شئ من ذلك فترك المناجزة خير من ركوب الغرر وتسليم النفس والعسكر للعطب ، والقاء النفس فى التهلكة .

(١٠٩) (أحد) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها . قارن بدائع الملك فى طبائع الملك ١: ١٦٦ .

(١١٠) (بأرض) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .
(١١١) هكذا بالاصل ، والصحيح (بحيلة) .

وأما العدد والعدة : فإنه لا يجب أن يقاتل العدد القليل بالعدد الكثير من جنسه وأمثه الذى لم تجر العادة أن يغلب مثله بمثله

وكذلك لا يجب أن يقاتل العراة العزل الدارعين المستلثمين (١١٢) الا عند انتهاز فرصة أو مصادفة غرة ، والا كان القتال قتال غرر وتهور ، ان غلب لم يحمد ولم يشكر ، وان غلب لم يعذر ولم يؤجر ، فان الله قد نهى عن الالتقاء فى التهلكة ، ولم تزل الملوك الحزمة تدم هذه الخلة وتعددها تهورا لا تجلدا ، وتجاهلا لا تيقظا .

وما أحسن ما قال فيه عبد الله بن طاهر حيث يقول :

ركوبك الهول ما لم تبد فرصته

جهل وأمرك بالاقدام تغريز

فكن مصيبا وخذ بالحزم مأثرة

فان يذم لاهل الحزم تدبير

فان ظفرت بجهل ثم فزت به

قالوا جهول أعانته المقادير

وان ظفرت بحزم أو هلكت به

فأنت عند ذوى الالباب معذور

(١١٢) المستلثمين : مفردها (مستلثم) أى لبس لامته بمعنى درعه أو ما

يتخفى به . المصباح المنير ٥٦٠:٢ .

أنكد بدنيا ينال المخطئون بها

حظ المصبيين والمغرور مغرور (١١٣)

فهذه خلال الاربع التي ذكرنا أنه يجب أن يقايس بها بينه وبين
عدوه ، ويراقبها من محاربه •

تحصين الاسرار :

والسادسة : من هذه الخصال تحصين الاسرار من أن يقف العدو منه
على مثلك ما ذكرنا أنه يجب أن يقف عليها منه ، فانه لا شيء أبلغ من تنفيذ
الحيل ، وأعوز على بلوغ الغرض من كتمان السر ، والملوك أحوج الناس
الى ذلك ، وأولاهم بالضم به والشح عليه • وقد ذكرنا أن النبی ﷺ كان
إذا أراد سفرا وري بغيره (١١٤) وكان يقول : « استعينوا على قضاء
الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود » (١١٥) ، وقال أرسطاطاليس
(ليس) (١١٦) آى ملك جاوز سره وزيره فهو فى حد ضعيفى السوقة •

(١١٣) تنسب هذه الابيات لطاهر بن الحسين والد عبد الله — السالف
ذكره — المتوفى ٢٠٧ هـ بمدينة مرو ، وهو الذى انتزع بغداد والعراق من يد
الامين وقتله وخان المأمون أواخر أيامه وعزم على الخروج عليه وخطب ولسم
يدع للمأمون فوجد ميتا فى فراشه . وفیات الاعيان ٢٠١ : ٢٠٦ . ونهاية
الارب ٧٧ : ٧٨ .

وأورد الماوردى البيت الاول والثانى فى تسهيل النظر ١٢٨ ، ١٢٩
ونسبهما الى طاهر بن الحسين ، وفى البيت الاول « الامر » بدلا من « الهول » كما
وردت الابيات منسوبة اليه ايضا فى تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعى
٢٣٧ ، وفى لباب الاداب ٧٤ غير منسوب .

(١١٤) فيقول مثلا اذا أراد غزوة حنين : كيف طريق تجد ومياها ومن بها
من العدو . زاد الميعاد ٣ : ٩٦ فى صحيح البخارى تحقيق البغاص ١٠٧٨ الحديث
رقم ٢٧٨٨ ، كان رسول الله ﷺ كلما يريد غزوة يغزوها الا وري بغيرها ، حتى
كانت غزوة تبوك ، فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا
ومفاوز ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلنى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا عدوهم
وأخبرهم بوجهه الذى يريد .

(١١٥) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

(١١٦) هكذا بالاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .

وقد ذكرنا ما في هذه (٨٣/أ) الخلة من الفضل والحزم فيما تقدم

من كتابنا •

الحيلة قبل القوة :

والسابعة : أن تقدم الحيلة على القوة فقديمًا ما قيل : الحيلة أبلغ من القوة ، وهى خاصة الانسان لان الله انما فضله بالعقل ، وخصه بالتميز ابانة له عن سائر الحيوان المباشر بالابدان من البهائم الراعية والسباع الضارية ، فكلما بعد المباغت عن المباشرة من الفتوح كان أروج وأحسن وأهنأ وأزين • وقد قال النبى ﷺ : « الحرب خدعة » (١١٧) وقال أمير المؤمنين على مهما حدثتكم بشيء عن رسول الله ﷺ فلأن آخر من السماء أحب الى من أن أكذب على رسول الله ﷺ ومهما حدثتكم بشيء فان الحرب خدعة •

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : « لا تطلب الغلبة بالمباشرة ولكن بالمكايدة واستعمل المكائد فان فتوحها أهنأ الفتوح وأسلمها » (١١٨) وفي حكم الاولين عن بعض الملوك المتقدمين : « صرعة اللين بالمكر والحيلة أبلغ من صرعة الشدة بالمكابرة ، كالماء بليونة وبرده يتغلغل الى عروق الشجر فيضبط أصلها ، والنار بجذتها وحرها لا تحرق الا ما فوق الارض » •

(١١٧) حديث صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وأحمد ابن حنبل عن جابر • الجامع الصغير ١٣٩ اللؤلؤ والمرجان ٤٣٧ برقمى ١١٣٤ و ١١٣٥ ، وآل البخارى تحقيق البغا ١١٠٢ الاحاديث ٢٨٦٤ و ٢٨٦٥ : ٢٨٨٦ ، مسلم ١٧٣٩ — ٢٧٤١ الترمذى رقم ١٦٧٥ ، أبو داود رقم ٦٢٣٦ ، وجامع الاصول ٢ : ٢٧٥ رقم ١٠٥٤ •
(١١٨) سر الاسرار ١٥١ مع اختلاف يسير •

وقالوا : النجد اذا اجتهد قتل عشرة والمدبر بحيلته يهلك العسكر
بأسره (١١٩) .

وقالوا : وأهدى ملك الروم الى هارون الرشيد هدايا فيها سيوف
مكتوب على سيف منها أيها المقاتل احتل تغنم ولا تفكر في العاقبة فتهزم ،
وعلى الثانى : اذا لم يصل سيقتك فصله بالقاء خوفك .

ومما وجد فى دفائن الاولين وكنوز الملوك المتقدمين : ثلاث تبطل مع
ثلاث : الشدة مع الحيلة ، والعجلة مع التأنى ، والاسراف مع القصد (١٢٠)
قالوا : ووجد حجر مكتوب عليه بالحميرية (١٢١) : أيها الشديد احذر
الحيلة ، أيها العجول احذر التأنى . وقال : وأوصى حكيم ملكا أراد سفرا
فقال : «اجعل تأنيك زمام عجلتك ، وحياتك رسول شدتك ، وعفوك مالك
قدرتك» .

قالوا : وكانت ملوك الاعاجم تقول : «ينبغى للملك السعيد أن يجعل
المحاربة آخر حيلة ، فان النفقة فى كل شىء انما هى من الاموال ، والنفقة
فى الحروب انما هى من الانفس فان كان للحيل عاقبة محمودة فذلك بسعادة
الملك اذ ربح مال ، وحقق دماء جيوشه ، وان اعيت المكيدة والحيل كانت
المحاربة من وراء ذلك» والملوك العجم فى هذا تدبير وتقدم على سائر

(١١٩) التمثيل والمحاضرة ١٥٣ بلنظ « المكيدة ابلغ من النجدة» وحاضرات
الادباء ٢ : ٥٧ « المكر ابلغ من النجدة» .

(١٢٠) الحكمة الخالصة ٩ مع تعديل يسير .

(١٢١) الحميرية : لغة حمير ، وحمير اسم ابو ملوك اليمن واليه تنتهى
القبيلة ، ولهم الفاظ ولغات تخالف لغات سائر العرب . اللسان لمحيط ٢ : ٧١٦
المتاج فى اخلاق الملوك ١٧٦ ، سوك المالك فى تدبير الممالك ١٠٧ مع اختلافات يسير

(٨٣/ب) الملوك ، ولذلك ما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : احذر مكاييد
الفرس فان الملك فيهم منذ دهر غير قصير .

الرسل الى الاعداء :

والثامنة : أن يتفقد أمر رسله وكتبه الى العدو فلا يرسل الا من
يرضى أن تكون صورته الممثلة عند عدوه ، ولسانه الناطق بحضرته ، فلا
يختار لرسالته الا رائع المنظر كامل المخبر ، صحيح العقل ، حاضر البديهة
ذكى الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة ، ظاهر النصيحة موثوقا بدينه
وأمانته ، مجربا منه حسن الاستماع والتأدية ، كئوما للاسرار ، عفيفا عن
الاطماع ، غير منهمك في الفواحش والسكر والشرب ، فان كل هذه الخلال
عوائد يعود نفعها على الملك والمملكة اذا وجدت في الرسول ، وفي أعضادهما
ضرر عليها . واختيار الرسل على ما بينا أولا مأخوذا عن الله جل وعز —
لان الله لم يبعث رسولا من الملائكة الا أفضلهم ، ومن الانس الى الفاضل
المختار الذى يستجمع عامة هذه الخلال وأضعافها من الفضائل والمناقب .
وجملته أن (الله جل وعز) (١٢٢) لم يبعث مهتوكا ولا فاسقا ولا
ضنينا (١٢٣) ولا ماجنا ولا متهما ، بل اختار لكل رسالة أفضل أهل زمانه ،
وآمنهم ، وأعفهم ، وأقواهم قلبا ، وأصبرهم نفسا ، وأكرمهم خلقا ، كما
أقسم بخلق نبيه فقال : (وانك لعلى خلق عظيم) (١٢٤) وبذلك جرت السنة
من النبى ﷺ فى اختيار الرسل من نخبة أصحابه وبنى عمومته وقرابته .

(١٢٢) ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

(١٢٣) ضنينا : بخيلا . مختار الصحاح : ٣٨٥ .

(١٢٤) ٦٨ / القلم : مكية / ٤١ .

وكان للملوك الاولين من العرب والعجم في هذا الباب استقصاء عجيب ، ونظر دقيق وامتحان كبير ، فقد حكى عن أردشير أنه كان يقول : « كم من دم قد سفكه الرسول بغير حله ، وكم من جيوش قد قتلست ، وعساكر قد هزمت ، وحرمة قد انتهكت ، وعهد قد نقض بخيانة الرسول وأكاذيبه » (١٢٥) وكان يقول : « على الملك اذا وجه رسولا أن يردفه بآخر فان وجه رسولين اتبعهما باثنين ، وان أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة فلا يتعارفان فيتواطآن فعل ، ثم عليه ان أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر ، أن لا يحدث فيه حدثا حتى يكتب اليه مع رسول اخر يحكى له كتابا ، أولا ، حرفا حرفا ومعنى ومعنى ، فان الرسول ربما حرم ما أمل (٨٤/أ) ، فافتعل على الملك وحرّض المرسل على المرسل اليه ، وأغراه به ، وكذب عليه (١٢٦) .

ولقد بلغنا عن الاسكندر أنه وجه رسولا الى بعض ملوك المشرق فجاءه (١٢٧) برسالة شك الاسكندر في حرف منها فقال له : « ويحك ان أبواب الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد اذ مالت ، وقد جئتنى برسالة صحيحة الالفاظ ، بينة العبارة ، غير أن منها حرفا ينقضها ، أفعلى يقيين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ » فقال الرسول : « بل على يقيين أنه قاله » . فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا ، ويعاد الى الملك مع

(١٢٥) عهد أردشير ٩١ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١٢١ ، التاج في أخلاق الملوك ١٢٤ ، وبدائع السلك ٢ : ٨٠ .
(١٢٦) التاج في أخلاق الملوك ١٢٤ ، ١٢٥ ، بدائع السلك ٢ : ٨١ ، عهد أردشير ٩٢ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١٢١ ، صبح الاعشى ١ : ٧٣ .
(١٢٧) في الاصل : فخباه ، وهو تحريف .

رسول آخر ، فيقرأ عليه ويترجم له • فلما قرىء على الملك مر بذلك الحرف فأنكره ، فقال للمترجم ، «ضع يدي على هذا الحرف فوضعتها ، فأمر بقطع ذلك الحرف بسكينة فقطع • وكتب الى الاسكندر ان أس المملكة صحة فطنة الملك ، وأس الملك صحة لهجة رسوله ، اذ كان عن لسانه ينطق ، والى اذنه يؤدي • وقد قطعت بسكيني مالم يكن من كلامي اذ لم أجِد الى قطع لسان رسولاك سبيلا» فلما جاء الرسول الى الاسكندر دعا الرسول الاول فقال : « ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكي ؟ فأقر الرسول ان ذلك لتقصير رآه من الموجه اليه • فقال الاسكندر : « فأراك لنفسك سعييت ، لا لنا ، فلما فاتك بعض ما أهلت اشعلت نارا في الانفس الخطيرة الرفيعة ، فأمر بلسانه فنزع من قفاه » (١٢٨) •

وقد كان من الملوك الاولين من كان يرسل على رسله العيون ثم يقابل ما يأتي به العيون ، بما تأتي به الرسائل ، فان وجد بينهما خلا عاقب المرسل (١٢٩) •

وهذا باب عظيم نفعه ، كثير ضرره •

الملك والحرب :

والثاسعة : أنه ما وجد الملك الى انفاذ السرية ، وتوجيه جيش يتولى عنه اللقاء ويكفيه الحرب سبيلا فلا ينبغي له أن يلقي حربا بنفسه ، لان كل فائت مع بقاء الملك في قرار ملكه مرجو تداركه ، وكل ذاهب سواء مؤمل تلافيه •

(١٢٨) التاج في اخلاق الملوك ١٢٥ ، ١٢٦ ، المحاسن والمساوى ١ : ١٢٢ ، وبدائع السلك ٢ : ٨١ ، والتبصر المسبوك ٨٣ •
(١٢٩) التاج ١٢٤ ، بدائع السلك ٢ : ٨١ ، والمحاسن والمساوى ١ : ١٢٠ •

ولم تنزل هذه العادة من سنن الملوك المتقدمين والانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين . فقد كان النبي ﷺ بعد ما قوى شأنه ، وكثف جمعه وأعوانه ، يعول على هذا الباب ، وكان يبعث رجالا من أصحابه على سرايا معروفة مثل علي بن أبي طالب ، وخالد بن الوليد (٨٤/ب) ، وعمرو بن العاص ، وخرج من الدنيا وكان قد أمر أسامة بن زيد (١٣٠) على جيش ، فكان يجود بنفسه عليه السلام ويقول : « أنفذوا جيش أسامة » (١٣١) . وكذلك فعل أبو بكر وعمر وعثمان رحمهم الله — وبأشر أمير المؤمنين

علي — رحمه الله — الحروب والوقائع بنفسه فلم يتم له ما أراد . واعتاد ذلك أكثر الملوك والخلفاء من بعدهم فأضر (١٣٢) الافراط فيه بكثير منهم ، وبهذا كان أمير المؤمنين علي أثار على عمر — رحمه الله — حيث استشاره في المسير الى العدو : « انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك لم يكن للمسلمين طائفة دون أقصى بلادهم وليس بعدك من جمع يرجعون اليه ، ومتى تعلم العجم أنك المقتولى لقتالهم بنفسك يكن أشد لشوكتهم ، واحتشادهم طمعا في أنك ان نكبت لم يكن وراءك غاية ولا للمسلمين فئة » (١٣٣) .

(١٣٠) أسامة بن زيد بن حارثة ، أبو محمد ، صحابى جليل ، ولد بمكة ، ونشأ على الاسلام (لان أباه كان من أول الناس اسلاما) وكان الرسول يحبه حبا جما وينظر اليه نظره الى حفيديه الحسن والحسين ، وأمره الرسول ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، ومات سنة ٥٤ هـ . الاستيعاب ١ : ٧٥ — ٧٧ ، طبقات ابن سعد ٤ : ٦١ — ٧٢ أسد الغابة ١ : ٧١ .

(١٣١) أورده ابن سعد في طبقاته ٤ : ٦٧ . وقال ابن الاثير ، ان النبي ﷺ استعمل أسامة على جيش أمره ان يسير الى الشام وفيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما اشتد المرض برسول الله ﷺ أوحى أن يسير جيش أسامة ، فساروا بعد موته ، أسد الغابة ١ : ٧١ .

(١٣٢) فى الاصل : (فاضطر) .

(١٣٣) نهج البلاغة ١ : ٣١١ مع اختلاف طفيف .

ولقد كتب أرسطاطاليس بذلك الى الاسكندر : « اياك واللقاء ببदनك
فانك ان سلمت كنت مخطئا مخاطرا ، وان ظفر بك كنت قتيلا خرق » (١٣٤)
وقال : « لا تلق حربا ان قدرت وان ضعف محاربك ، فان لم يتهيا له ذلك
وأعياه كل هذه المقدمات ولم يروجها دون اللقاء ببدنه فوجه الصواب أن
يستعين عن اللقاء (بسته خلال) (١٣٥) :

أولها : أن يكون متوكلا على الله ، ومتبرئا اليه من الحول والقوة الا
به ، وله أن لا يقاتل الا وهو عند نفسه محق متقرب الى الله متيقن أنه ان
فاته جميع ما هو فيه من بدنه وأملاكه وفتيانه فانه يستعيز منه ما هو
أجل منه قدرا وأعظم خطرا ، ويقرر ذلك عند أصحابه عند تحريضهم على
القتال وحثهم على اللقاء .

والثانية : تأليف أصحابه وجمع كلمتهم على معاونته بالبذل والاحسان
قديما ، والوعد والاطماع حديثا ، وتوفير الارزاق والعطايا واقامة الجرايات
والوظائف في الحال ، فان لقاء العدو بقلوب مختلفة وأيد متعادية ، وآراء
متباينة ، وأهواء متفرقة صعب شديد ، واغترارا عتيد ، وقل ما يسلم معه
جيش ، ويظفر به ملك .

والثالثة : ان يستعد للقاء بأوفر عدة ، ويتخذ له أتم أهبة ، وأجمع
آلة يستعان بها على مثل تلك الحال ، فان أحوال اللقاء تختلف في المكان
والجنس (٨٥/أ) والوقت على ما بينا منه أطرافا ، فلا يدع شيئا مما فيه
الحزم الا جمعه ، واستوثق به ، واحتاط من جهته .

(١٣٤) لباب الاداب ٦٤ مع اختلاف يسير .
(١٣٥) هكذا في الاصل ، والصواب (بسبع خلال) : أولها أن يكون .

والرابعة : أن يجعل شغله وشغل وزرائه مطالعة الفتنتين ومراقبة
أحوال الجيش دون الاشتغال بالقتال ببدنه وبالطعان بنفسه ، بل فيما
يحدثه العدو من بدعة في الحرب أو يبدعه من هكيدة أو يلفقه من خديعة
أو يجدد من حملة أو يخرج من كمين من ناحية ، أو يحدث في عسكره
من وهن أو نكساف من نواحي مصافه ، لينتهاز من عدوه الفرصة ، ويسد
من أنصاره الخلة بالامداد والتأييد ، والتقديم والتأخير ، والتحريض
(والتخيير) (١٣٦) من فئة الى فئة ، والاراحة من شدة التعب ودوام النصب
فان اشتد القتال وتفاقم الامر ، واحتاج الى تولى ذلك بنفسه ، فالواجب
أن يكون قتاله قتال (المخرج) (١٣٧) الذي يعلم أنه أن هرب وأدير قتل
لا محالة وذم وأثم . واذا قتل وصبر ربما غلب وظفر وحمد وأجر ،
ويضرب عن ذكر كل ما خلفه من نعمة وقينة ودار ومملكة وأهل وقرابة ،
ونخدم وحرمة ، ويتوهم أنه فائت بئد ان لم يستفده بالصبر والثبات
مستأنفا ثم يتذكر ويذكر أصحابه عند التحريض أن من قتل مدبرا أكثر
ممن قتل هقلا ، وليس الادبار بمنج مما (سبق) (١٣٨) به الاقدار ، ولا
الاقبال بمقرب من الاجال ، ويذكر الايات التي أنزلها الله في هذا الباب
مثل قوله : (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم وليبتلى الله ما في صدوركم) (١٣٩) . وقوله : (أيما تكونوا

(١٣٦) هكذا في الاصل ، والاولى أن تكون (والتحيز) .

(١٣٧) المخرج : من خرج بمعنى ضاق وتعبد واضطر . المصباح المنير

١ : ١٢٧ ، ومختار الصحاح : ١٢٩ .

(١٣٨) هكذا في الاصل ، والاصوب (سبقت) .

(١٣٩) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٥٤ .

يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (١٤٠) . وقوله : (ان بنصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) (١٤١) .

ومثل قول النبي ﷺ : « لثلاثمائة ضربة بالسيف أهون من موت على فراش » (١٤٢) . وقوله : « أكرم الموت الشهادة » ثم الابيات التي تذكر عن أهل القدوة في الدين والشجاعة مثل أبيات على رضى الله عنه :
أى يومى من الموت أفر
يوم لا يقدر أم يوم قدر

ومثل بيتى معاوية :

كأن الجبان يرى أنه

سيقتل قبل القضاء الاجل

(٨٥/ب) فقد يدرك الحدثان الجبان

ويسلم منها الشجاع البطل (١٤٣)

وأبيات الشجعان والابطال التي ذكرنا شيئاً منها فيما تقدم من كتابنا .

ونذكر الايات التي حث الله بها المؤمنين على القتال ، وأوجبه بها عليهم ، وما أوعده به الفار من الزحف مثل قوله : (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (١٤٤) وقوله : (قاتلوهم يعذبهم الله

(١٤٠) ٤ / النساء : مدنية / ٧٨ .

(١٤١) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٦٠ .

(١٤٢) (لثلاثمائة) هكذا في الاصل ، والصواب (لثلاثمائة) .

(١٤٣) عيون الاخبار مجلد ١ / ١٦٥ وكان يتمثل بالبيتين معاوية بن أبى

سفيان .

(١٤٤) ٦١ / الصف : مدنية / ٤ .

بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) (١٤٥) فإن
في تذكر هذه الايات في المعارك والمواقف الصعبة تأييدا للقلوب على
مباشرة القتال ، وضربا من الفأل ، والفأل تحريك (للجدود) (١٤٦) ،
وبشارة للنفوس ، وتقوية للقلوب ، وربما خطر ببال الملوك ، وأصحاب
الجيوش ، وجرى على ألسنتهم في تلك المواقف وغيرها من أوقات المخاوف
والاخطار آية أو بيت أو كلام يتطير بها فتتكسر بذلك قلوب السامعين ،
وتضعف به منتهم ، ويكون سببا للضعف والخور والخذلان والفشل ، ولقد
ذكر المدائني أن أبا مسلم صاحب الدعوة بينما هو يسير مع عيسى بن
موسى (١٤٧) منصرفه الى أبي جعفر المنصور في اليوم الذي قتل فيه ، اذ
جرى على لسان عيسى فقال :

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت

وما حل في أكناف عاد وجرهم

ومن كان أربي منك عزا ومفخرا

وانهد بالجيش اللهم العرمم (١٤٨)

فقال أبو مسلم : ويحك هذا مع الامان الذي أعطيتني ، فحلف عيسى
أو اعتق ما يملكه من رقيق ، ان كان هذا الشيء من أمرك وما هو الا خاطر

(١٤٥) ٩ / التوبة : مدنية / ١٤ .

(١٤٦) الجدود : الحظوظ . مختار الصحاح : ٩٤ ، المصباح المنير ٩٢ : ١

(١٤٧) عيسى بن موسى بن محمد العباسي ، أبو موسى ، يلقب «شيخ
الدولة» ، كان من الولاة القادة وهو ابن أخى السفاح ، مات سنة ١٦٧ هـ . تاريخ
الطبري ٨ : ١٦٧ ، الكامل في التاريخ ٥ : ٦٩ ، دول الاسلام للذهبي ١ : ١١٢ في
وفيات ١٦٨ هـ ، وسير أعلام النبلاء ٧ : ٤٣٥ .

(١٤٨) أوردهما الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦ : ٧١ ونسبهما الى صالح
عم المنصور .

أبداه لسانى • فقال : بئس والله خاطر ، اذن ، وظن أنه هالك ، وكان على
ما ظن •

ولقد ذكر أن دعبل بن على الخزاعي (١٤٩) ورد على «محمد بن طاهر
بن عبد الله» فطال عليه مجابهة ، فجعل يسأل على بابه عن أحواله وأوقاته
حتى بلغه أنه يريد التفرغ للهو يوما في بعض بساطينه وهناك نهى على
شفاه مجالسه ، فأخذ بطة وعلق على جناحها رقعة مكتوب فيها :

يا أيها الملك المسرّيل هيبه

لا تأمنن بوائق الحدثان

صاح الزمان بآل برمك صيحة

خروا لحيثها على الاذقان

(٨٦/أ) وثنى عليهم فاستباح حريمهم

وأتى الزمان على بنى هامان

هذا لعمرك قد شهدت وقوعه

والدهر رقب عن بنى ساسان

وأرسلها في الماء ، فأخذت ، وقرئت الرقعة ، فتنغص عليه سروره ،

وتمكن ذلك من نفسه فما نسيه حتى حل به ما حل ، وطلب كاتبها فلم يقدر
عليه ولا شعر به الا بعد حين •

ولقد أخبرت أن يحيى بن خالد لما قرب زوال دولته رأى في منامه

كأن هاتف يهتف به ويقول :

(١٤٩) دعبل بن على بن رزين الخزاعي ، أبو على ، شاعر هجاء، أصله

من الكوفة ، أقام ببغداد ، له أخبار ، وشعره جيد ، عمر قرابة قرن من الزمان ،
مات سنة ٢٤٦ هـ . وفيات الاعيان ٢ : ٣٤ - ٣٨ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ ،
والشعر والشعراء ٨٥٣ ، طبقات الشعراء ٢٦٤ - ٢٦٨ •

وكان لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس لم يسممر بمكة سامر

فأجابه يحيى وهو في منامه :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا

صروف الليالى والجدود العوثر

وجعل هذا البيت يتردد على لسانه حتى صار الامر الى ما قال •

وبلغنا أن أبا خالد الاعور لما لقي العرب من جيوش بنى أمية على

قنطره السرحان ببلخ ، وكان (قدروا) (١٥٠) ما لقيه منهم أربعين ألف فارس

من قواد العرب وأنجادهما ووجوههم وأعيانهم ، وأبطالهم ، وفرسانهم ،

وأبو داود في عدد قليل فلما (التقيا) (١٥١) التفتان صاح منهم صائح

(نحن جميع منتصر) (١٥٢) فسمع ذلك أبو داود فقال مجيبا بما أجاب الله

به أهل هذه الدعوة (سيهزم الجمع ويولون الدبر) (١٥٣) • فكان كما قال •

وهذا باب محكم والاخبار فيه كثيرة فيجب على صاحب الجيش أن

يتعهده فلا يجرى على لسانه ، ولا يفعل ما يتطير به ، ويتعمد لما يتفائل

به ، «فان النبي ﷺ كان يحب النأل ويكره الطيرة» (١٥٤) •

ولقد كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر وأكد عليه وأخبره أن الفرس

(١٥٠) هكذا في الاصل ، والصواب (قدر) •

(١٥١) هكذا في الاصل ، والصواب (التقت) •

(١٥٣) ٥٤ / القمر : مدنية / ٤٥ •

(١٥٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢ : ٣٣٢ والمعجم المفهرس لالفاظ

الحديث النبوى ٥ : ٤٠ •

أصحاب فآل فاستعمله معهم ، ووصف من ذلك أبوابا عدة وفنونا مذكورة •
والخامسة : أن يراقب حال جيشه ، ويتعهد أمر أصحابه فان رأى
منهم لا محالة ضعفا لا يمكن تقويته ، وخورا لا يستطيع تداركه باصلاح
أو علتهم هزيمة لا حيلة في ردها واحتال في الرجوع سالما • ولا يهلك
نفسه لجاجا ، وبعد خروج الامر من اليد ، فان الحرب سجال ، والدنيا
ادبار واقبال ، وفي الايام دول والقاء النفس الى التهلكة خطأ ، وكم من
ملك غلب ثم غلب ، وظفر به ثم ظفر ، وهزم (١٨٦/ب) ثم هزم ، وليس مع فقد
الحياة رجاء الظفر ، ولا مع بقائها يأس من تقلب الاحوال •

والسادسة : هي حسن الظفر ان فتح الله عليه ، وكرم المقدرة ان
نصره الله ، وبذل العفو ان غلب ، واستعمال السنة في أهل القبلة حتى لا
يغرق في اتباع المنهزمين ولا الاجهاز على جرحاهم ان وجدوا ، الا أن يكون
كافرا لا يرجى ايمانه ولا يؤمل الخير في ابقائه ، فان هذا من أدب الله الذي
أدب به نبيه ﷺ حيث قال : (خذو العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
الجاهلين) (١٥٥) وقال : (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها
ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) (١٥٦) • واحتال النبي ﷺ يوم فتح مكة
بكل حيلة ليعفو فقال : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (١٥٧) • ومن
على عمه العباس ، وكذلك فعل الخلفاء بمن قدروا عليه حيا ، كفعل أبي بكر

(١٥٥) ٧ / الاعراف : مكة / ١٩٩ •

(١٥٦) ٤٧ / محمد : مدنية / ٤ •

(١٥٧) سبق تخريجه ص ٢٦٦ •

رحمه الله — بقيس بن معد يكرب حين قوتل على الردة فأخذ ، وكذلك كانت السنة .

وبشر أمير المؤمنين «علي» بن جرموز بالنار لما قتل الزبير مدبرا .
وقد قال أرسطاطاليس لالاسكندر : (لا تقتل صريعا ولا تطلب منهزما أكثر من ليلة) .

والسابعة : أن يحذر كل الحذر كرة العدو عليه بعد الهزيمة بغدرة أو خبرة أو انتهاز فرصة ، وليجعل حذره من ذلك في ثلاثة أبواب :
منها — أن لا يفرق جيشه في اتباع المنهزمين وينفرد عنهم ، أو يبقى في عدد قليل لا منعة لهم وفيهم .

ومنها — أن لا يدع أصحابه يشتغلون بأخذ الغنائم عن كرة تكون للعدو وساعة الهزيمة ، فانها احدى حيل الملوك وأصحاب الجيوش ، فكثيرا ما سمعنا من أمثال ذلك في قديم الايام وحديثها أن اشتغل عسكر غالب هازم بأخذ الغنائم فكان فيه هلاكه ، وكم من صاحب جيش احتال بتسليم معسكره وخزائنه العامرة الوافرة وأمواله الجمة الكثيرة الى العدو ، وصب كثيرا مما معه من الصفراء والبيضاء والصوامت (١٥٨) والقيمت المضمون بها على طريق العدو الذي في أثره ، فكان ذلك سببا لقوته أو ظفره .

ومنها — أن لا يبادر بالنزول ووضع السلاح قبل الامعان بأخذ (الحذر) (١٥٩) من العدو أو قتله أو بعده عنه بعدا لا يخاف كروره عليه وسرعة رجوعه اليه ، واقامة الطلائع على الطرق التي يخاف رجوعه منها (٨٧/أ) .

(١٥٨) الصوامت : الذهب والفضة . لسان العرب المحيط ٢ : ٤٧٢ .

(١٥٩) ساقطه من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

فهذه خلال (الست) (١٦٠) التي ذكرناها • انها مما يجب أن يستعملها الملك اذا دفع الى القتال بنفسه ، ويتقدم بها الى صاحب جيشه ان تولى عنه الحرب •

ثم العاشرة من التقسيم الاول هي أن يشكر الله — عز وجل — اذ فتح عليه ونصره ، سرا وعلانية ، وفي الخلاء والملا ، ويفوض الامر كله اليه ويتبرأ من الحول والقوة الا بالله ، ويحمده في كتبه الى الاولياء والاعداء فان الله عز وجل يقول : (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) (١٦٠م) • وقديما ما قيل في الشكور يزداد •

وقال الله : (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور) (١٦١) •

على أن ذلك لم يزل من عادة الانبياء والمؤمنين والملوك الاولين عند تجديد الله — عز وجل — لهم الفتوح ، واظهارهم على العدو ، ويشكر أهل البلاء والكفاية والغناء والبسالة من أصحابه وخاصته وعامة أوليائه ويمدحهم في مغيبهم ومشهدهم ، ويشهر باسم من صدق الوقعة واللقاء ، وبارر الاقران وانكمش (١٦٢) في القراع ، ويجدد لهم العطايا والجوائز والمبار ورفع المراتب لمن استحقها منهم • فان الله قد أدب بذلك خلقه وحث عليه في قوله : (بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يبطأون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين • ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا

(١٦٠) هكذا في الأصل ، والصحيح « السبع » •

(١٦٠م) ١٤ / ابراهيم : مكية / ٧ •

(١٦١) ٣٤ / سبأ : مكية / ١٦ •

(١٦٢) انكمش : أسرع وشمر عن ساعده • لسان العرب المحيط ٣: ٢٩٥ •

كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (١٦٣) • وقال الله عز وجل : (وفضل الله المجاهدين على المقاعدین أجرا عظیما درجات منه ومغفرة ورحمة) (١٦٤) • وقال الله فی عام من یقترب الیه بطاعته أو یعصیه بمعصيته قلت أو كثرت (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (١٦٥) • وقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خیرا یره) (١٦٦) • وجعل من دلائل حکمته وعدله ورأفته (أن من) (١٦٧) تقرب الیه بطاعته أوجب له جزاءین عاجلا وآجلا ، فالعاجل أن أمر المؤمنین بتعظیمه وتبجیلہ والثناء علیه والدعاء له وقبول شهادته والصلاة خلفه ثم أمده بتوفیقه وعصمته وتسديده ، وحبب الیه طاعته وبغض الیه معصيته (٨٧/ ب) كما ذکر من ذلك فی كتابه حیث خاطب به المطیعین من عباده ، فقال : (ولكن الله حبب الیکم الایمان وزینه فی قلوبکم وکره الیکم الکفر والفسوق والعصیان) (١٦٨) فی آیات كثيرة ودلائل حاضرة تشهد بما ذکرنا وتبین عما قلنا •

ثم یتعهد جیوشه بتفقد أحوالهم ، فیأمر بمداواة جرحاهم ، وتمریض مرضاهم ، ودفن قتلاهم ، وابدال ما ینفق من دوابهم ، ویضیع ویفسد من

(١٦٣) ٩ / التوبة : مدنیة / ١٢٠ ، ١٢١ •

(١٦٤) ٤ / النساء : مدنیة / ٩٥ ، ٩٦ •

(١٦٥) ٦ / الانعام : مکیة / ١٦٠ •

(١٦٦) ٩٩ / الزلزلة : مدنیة / ٧ ، وفی الاصل (ومن) بدلا من (نمن) •

(١٦٧) فی الاصل « من أن » وهو تحریف •

(١٦٨) ٤٩ / الحجرات : مکیة / ٧ •

كراهم وسلاحهم ، ويكفى ويعول ورثة قتلاهم وموتاهم ، فان ذلك مما
يحثهم على العود الى مثله من اظهار البلاء والغناء وتحمل المشقة والعناء،
والاجتهاد في التقدم في المراتب •

فهذه الخلال تمام ما يستعان به على كسر الاعداء واذلالهم ، واعزاز
الاولياء وانعاشهم ، وهي كلها من أوامر الله تعالى في الدين ، وأفعالك
الائمة المهديين والخلفاء الراشدين • وبالله نستعين فانه خير موفق ومعين

من البيع والهبة والميراث والعوض من التعاون والتعاقد ، لما علم في ذلك من فساد (٨٨/أ) العباد وهلاك البلاد •

ومنها ، أشياء خلقها لهم لضرب من ضروب المرافق ، ونوع من أنواع المنافع ، ونهاهم عن أن يعدلوا بها عن جهتها الى غير ما خلقها له ، جهلا بموضع النفع فيه ، ومكان الرفق به ، مثل السموم التي جعلها للأدوية ، فريما جعلها بعضهم في الاغذية وكان فيه هلاكه وهلاك غيره •

ومنها ، أشياء حظرها عليهم اقتصارا بهم على المقدار الذي يكون فيه كفايتهم ، وينسد به خلقتهم ، وتنزاح به علتهم ، ثم يكون أرفق بهم وأفرغ لقلوبهم من دواعي البغى والكفران والتعدي والطغيان ، فنهاهم أن يتعدوا أطوارهم وتجاوزوا أقدارهم •

ومنها ، أشياء جعلها لهم في أول الخلقة لضرب من الاستعمال ونهاهم عن استعمالها في غيره تأديبا لهم • وتنظيفا كالميتة التي حرم عليهم أكلها (٥) وأباح لهم عند أكثر العلماء الانتفاع بها بها (٦) وعظامها ، وجعل لحمها غذاء للسباع الارضية والهوائية من كلاب تحرسهم ، وتصطاد لهم وتؤنسهم ، وسباع جعل لهم في عظام كثير منها ومرارها وجلودها وبرائثها (٧) وأنيابها مرافق مختلفة • فلم يحرم شيئا منها من جهة الا يجعل عنه عوضا هو أنفع منه وأرفق بهم ، ثم أباحه لهم من جهة أخرى ليتم به المنفعة والغرض ، ويستحق به العبد على الطاعة من الله — تبارك

(٥) الاجماع لابن المنذر تحقيقنا ص ١٢٥ وفيه: أن ما يقطع من الانعام وهي أحياء ميتة ، ويحرم أكل ذلك ، كما أجمعوا على اباحة الميتة عند الضرورة •

(٦) الاهاب : الجلود . المصباح المنير ١ : ٢٨ •

(٧) برائثها : جمع « برثن » وهو الظفر من صيد كالتسباع والطيور المصباح المنير ١ : ٤١ •

اسمه... العوض • فيجب على العبد اذا علم أن ذلك كذلك أن لا يتعدى حدود الله ، ولا ينتهك محارمه ، فيحرم حظه من العوض دنيا ، ويلتزم سمة الجهل ديناً ، ويستحق من الله — جل وعز — العقوبة في العقبى ، ومن العقلاء من المتدينين الذم في الاولى •

ثم ان الاشياء تنقسم في بابى التحليل والتحريم الى ثلاثة أقسام : حرام بين ، وحلال بين ، ومشتبه مكروه •

فأقل ما يجب من حق الله على المرء المسلم أن يتجنب الحرام ، ومن حق الورع أن يتجنب الشبهة ، فمن لم يفعل ذلك طلب في الشبهة موضع تأويل يتأوله وحجة يعتمدها • ثم ينقسم هذا الباب قسمة ثانية ، وهى أن منها أشياء حرمها الله بالاجماع والاطلاق ، وأشياء أحلها وأباحها بالاتفاق ، وأشياء قد اختلف العلماء فيها • فالواجب على المقر بالله وبالشرعية ، والمعترف بحق التنزيل والديانة أن يجتنب الحرام المطلق بالاتفاق ، وينظر في موضع الاختلاف ، فمن لم يفعل واقتصر على أحد أقاويل الامة وأئمة أهل الملة كان أوسع طريقاً وأقرب الى الحق سبيلاً •

ثم جعل الله — وله الحمد — الى استنباط المشكل واستيضاح المشتبه منها طرقاً لائحة ، وسبلاً واضحة ، وجعل (٨٨/ب) للهارب من الحرام الى الحلال سبلاً معلومة ، وعن كل محرم بدلاً يستكن اليه المتدين ، ويقنع به المستخرج •

طبقات الناس :

والناس في هذا الباب على طبقات ثلاث .

فمنهم ، الناسك الورع الذى يدع كثيراً مما أحل الله له ، ويقنع من الدنيا بالقوت الذى (يزجى) ^(٨) به يومه ، رغبة عنها وزهداً فيها ، اذ عرفت

(٨) يزجى : أى يدفع الايام برفق . مختار الصحاح : ٢٦٩ •

وعاين سرعة زوال ما في هذه الدار ووشك انتقالها من حال الى حال ، وكثرة غدرها بأهلها : واذلالها لمن أعزها ، وقتلها لمن عمرها ، سموها بهمته البعيدة ونفسه الزكية الى نعيم لا زوال له ، ودار لا انتقال عنها ، فصار في الدنيا ملكا بطيب الحياة ، وفي الآخرة ملكا بنيل المثوبات والمكرمات وبهذا كتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له : « ان أمكنك أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل ، فان من استوعب الحلال كله تاقث نفسه الى الحرام » (٩) .

ومنهم : المتهتك بمحارم الله ، الذي لا يفكر في عاقبة ولا ينظر في آخرة ، ولا يترفع في الدنيا عن لؤم الاحدوثة وقبح المقالة ، ولا يعتبر بالعقوبات المؤلمة المعجلة ، فمن كانت هذه سبيله وطريقه فبعدا لهم وسحقا ومنهم : من رغب من الدنيا في لذة العيش وطيب الحياة ، ومن الآخرة في نيل الاجر والثواب ، فتوخى فيه الحلال واجتنب الحرام ، وتمتع بالدنيا ، وقام بوظائف الدين ، وأمل أن يكون من الذين آتاهم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ومن الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعسى الله أن يتوب عليهم اذا تابوا ، ويغفر لهم اذا أنابوا .

فمن الواجب على الملك العاقل الفاضل اذا عرف ما قلنا : ان نم تطاوعه بنفسه على رفض الدنيا حتى يلحق بمنزلة الزهاد الاخيار ، أن لا يرضى بمنزلة الفساق الفجار فيكتسب المآثم ، ويدخل النار فيخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

مدى جواز العمل مع الملك الجائر :

ثم قد اختلف العلماء في تولى العمل للملك الجائر والسلطان الظالم فحرمه كثير منهم ، وكرهه طائفة ، وأجازوه آخرون ، مالم يأمر السلطان العامل بالجور ولم يجبره على الظلم ، فإذا أمره بذلك حرم عليه تولى عمله الا مضطرا كارها (١/٨٩) خائفا على نفسه القتل والضرب الذى لا صبر له عليه وخالف كثير منهم بين هذه الاعمال فحرم منها بعضا دون بعض وهو كل عمل يدخل فيه أخذ المال من غير حله ، أو اهراق دم في غير حقه ، أو حبس أو تعذيب وأباحوا الكتابة ، والقضاء ، والحسبة و(الحجاجة والهدى) (١٠) وأشبه هذه الاعمال .

واحتج المحرمون بقول الله عز وجل : (لا ينال عهدى الظالمين) (١١) وقوله : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) (١٢) . ويقول النبي ﷺ : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١٣) .

فالوا : فكيف يجوز مؤازرته ومعاذته ، وليس له من الله ولاية ولا

عهد ؟ .

وقال آخرون : اذا لم يأمره بالمعصية وأباح له الحكم بما أمره به فالمستحب له أن يفعل ذلك ليقيم حقا ، ويمضى حكما ، ويرد باطلا ، ويدفع ظلما ، فقد قال الله : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من

(١٠) غير واضحة في الاصل ، والهدى : هو العمل على النصيح والارشاد الى الطريق القويم . المصباح المنير ٢ : ٦٣٦ ، مختار الصحاح ٦٩٢ .

(١١) ٢ / البقرة : من الآية / ١٢٤ .

(١٢) ١٨ / الكهف : من الآية / ٥١ .

(١٣) سبق تخريجه ، انظر ص ٢٥٤ .

صَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» (١٤) . قَالُوا : وَلَا قَدْوَةَ أَجَلَ مِنْ يُوسُفَ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ
تَقْلُدُ الْعَمَلُ مِنْ تَحْتِ يَدِ الرِّيَّانِ بْنِ الْوَلِيدِ وَهُوَ كَافِرٌ ، وَقَوْمُهُ كُفَّارٌ ، وَهُوَ
نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ أَوْ وَاجِبٌ لِمَا عِلْمٌ فِيهِ
صَلَاحًا ، وَنَوَى فِيهِ خَيْرًا . وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَا أَحَدٌ أَعْظَمَ
أَجْرًا مِنْ وَزِيرٍ مَعَ سُلْطَانٍ يَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللَّهِ » (١٥) . فَعَلَى الْمُتَقَلِّدِ أَنْ يَنْوِيَ
الصَّلَاحَ وَالْخَيْرَ ، وَيَأْمُرَ بِالْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ ، وَلَا يَضُرَّهُ التَّقْلِيدُ وَإِنْ كَانَ
مِنْ يَدِي ظَالِمٍ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ
أَمْرٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ لِمَرْأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ
إِلَيْهِ » (١٦) .

وَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَحْدَثَهُ الْمُلُوكُ مِنْ إِقَامَةِ الْحِجَابِ وَالْعُلَمَانِ شَدَّةَ
الْحِجَابِ ، وَقَالُوا أَنَّهُ بَدْعٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى الْخِيَلَاءِ وَالتَّكْبَرِ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَثَلَ لَهُ الْعَبْدُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنْ
النَّارِ » (١٧) .

(١٤) ٥ / المائدة : من الآية / ١٠٥ .

(١٥) ورد هذا الحديث في «قوانين الوزارة» للماوردي ص ٤٧ هكذا «ما من
رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله
تعالى» . والحديث ضعيف ، انظر مسند الشهاب للقضاي بتحقيق الشيخ /
حمدي عبد المجيد السلفي ٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، الحديثان رقما ٨٠٧ ، ٨٠٨ .

(١٦) سبق تخريجه انظر ص ٣٠٧ .

(١٧) حسن ، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن معاوية . الجامع
الصغير ٢٩٥ أبو داود رقم ٥٢٢٩ في الادب ، باب في قيام الرجل للرجل ،
والترمذي رقم ٢٧٥٦ في الادب باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، راسناده
صحيح نقلا عن جامع الاصول ٦ : ٥٣٦ .

وأجازته آخرون اذا لم يقصد به هذه الاسباب ، وتوقى فيه الاحتياط لدينه والذب عن نفسه وحريمه ، واعزاز مملكة الاسلام سيما عند فساد الزمان وأهله ، وادبار الامور وتهافت الناس في دور السلطان ، وتحارصهم على (صحبتة) ^(١٨) مرة والغدر به تارة .

الملك وشراء العبيد :

(٨٩/ب) ولذلك فلا بأس بشراء العبيد ^(١٩) لينصر بهم الدين ، ويذب عن حوزة المسلمين من غير ميل الى شهوة ، أو قصد الى محرم ، اذا جعل ذلك من خاصة ماله (فيكون) ^(٢٠) عبيده ، ولا خير في الغلمان المزوقة والباسهم الملابس المكروهة في الدين من الديباج والحرير الا ما رخص به في الوقعة والحرب وعند الطعن والضرب ، فان النبي ﷺ قد حرهما على رجال أمتة الا في تلك الحال .

ثياب الملك وسلاحيه :

ولا بأس بعد الحرير والديباج بلبس كل ثوب فاخر من الخزوز والبرود . وكره كثير من العلماء قياسا على الحرير والديباج كل ثوب نسج من الابرسيم ^(٢١) الخالص ، ورجعوا في الثياب التي سداها قطن ولحمشها

(١٨) في الاصل : صحبتهم .

(١٩) الاسلام أقر الرق كضرورة وقتية ومعاملة للاعداء بالمثل ، وقد حرم العالم اليوم الرق مستضيئا بنور الاسلام ومقتبسا من روحه فالاسلام لا يبيح الدق وشراء العبيد في العصر الحديث ، وقد قرر مجمع البحوث الاسلامية بالازهر عدم وجود رق في أى جزء من أجزاء العالم يقره الاسلام . راجع رسالتنا للدكتوراه في مبدأ المساواة في الاسلام ، دراسة مقارنة ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢٠) هكذا في الاصل ، والصحيح (فيكونوا) .

(٢١) الابرسيم : نوع من الحرير الخالص . لسان العرب «المعارف» :

٢٥٧ ، المزهر ١ : ٢٨٦ .

ابريسم مثل المسمط (٢٢) والملاحم (٢٣) ، وكل ما لم يكن فيه ذب عن الحوزة ومعونة للامة وصيانة للاملة ولا عدة للحرب ونصر لمنفعة فيه يثبت المال فهو حرام ، الا أن يفعل ذلك السلطان من خاصة ماله أو رزقه في الديوان .
فأما سائر أنواع العدد والعتاد والسلاح من الطبول والاعلام ومعاون الاسلام فلا بأس به اذا نوى بها الخير الذي ذكرناه ، فقد كان للنبي ﷺ فرسان ونعلان وراية ودرع وسيف محلى وقضيب ورمح وترس (٢٤) وكان لأصحابه سلاح كثير ، وكان لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — ولعبد الله بن مسعود وعلى بن أبى طالب وغيرهم من الصحابة سيوف محلاة .
استعمال الاوانى الذهبية والفضية :

وأما استعمال أوانى الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجواهر فان الدين قد حرمها كلها وأوعد النبي ﷺ على الشرب بآنية فضية أو ذهب وعيدا غليظا ، فلا يجوز للسلطان في الاسلام ولا لغيره استعمالها أو صرف أمواله وأموال المسلمين وبيت مال المؤمنين اليها فان فيها سرفا وتبذيرا ، وقد جعل الله الزجاج النظيف وأنواع الجواهر التى خلقها للالات بدلا من الذهب والفضة اللذين لم يخلقا للاوانى والشرب ، على ما فى ذلك من اضاءة الجيوش ، واغفار الجنود ، وفتنة الرعية ، والاجفاف بها ، وكل ذلك ايدان بزوال الملك والمملكة ، ودلالة على النخيلاء والشره والحرص المذموم فى الدين والعقل ووضع الشئ فى غير موضعه .

(٢٢) المسمط : هو الخيط ما دام فيه الخرز ، وهو السيور أيضا . مختار الصحاح : ٣١٣ .

(٢٣) الملاحم : الثوب الملاحم أى الذى ضم اجزائه فنقول : اللحم الفاسج الثوب . مختار الصحاح : ٥٩٤ .

(٢٤) أنظر فى ذلك : تحرير الاحكام فى تدبير اهل الاسلام ١٢٩ — ١٣٤ .

على الملك اجتناب الفواحش :

فأما الفواحش المحرمة (٩٠/أ) في الدين بالاتفاق والتي يقع فيها قطع النسل وفساد الانساب ، وابطال المواريث والاحساب فالملك أجل حالا وأرفع منزلة من القدنس به والتقدير ، بعاره وشناره (٢٥) ، بل الواجب عليه في جلالة رتبته وشرف همته وعلو منزلته أن لا يخطره بباله فضلا عن تناوله ، وليس يبعث عليه الا الشيطان وسوء العادة التي يتعودها الانسان وقد عوض الله عنه وأبدل منه ما هو أرفع منه ، وأطيب وأحمد عاقبة وأصوب ، وأعمل في عمارة الدنيا ، وبقاء النسل وخيرة الذكر ، من تزوج النساء مثنى وثلاث ورباع ، واستبدال زوج مكان زوج الى ما لا غاية له ، وشراء الاماء وتسرى الجوارى الى ما تبلغ اليه الطاقة وتنتهي اليه المهمة . وأما الشرب فقد أجمعت الامة ونطقت الاية بتحريم الخمر (٢٦) ، وهو عند العرب عصير العنب غير المطبوخ ، فلم تختلف الامة أن الله حرمها قليلا وكثيرا ، وحرم السكر من كل شراب لما ذكر الله فيه من أنواع الفساد من وقوع العداوة والبغضاء المؤديين الى خراب العالم وتضييع الصلاة والدين المؤدى الى أليم عذاب الله (٢٧) وشديد عقابه ، نعوذ بالله منه . واختلفوا فيما دون السكر مما دون الخمر من الاشربة ، مثل الباذق (٢٨) والنبيد الزبيبي والتمرى فمنهم من حرم كل مسكر الجنس ، ومنهم من

(٢٥) الشنار : العيب والعار . لسان العرب المحيط ٢ : ٣٦٧ .

(٢٦) الاجماع لابن المنذر ص ١١١ .

(٢٧) في الاصل : عذاب اليم الله ، ولا يستقيم المعنى بها .

(٢٨) الباذق : ما طبخ من عصير العنب ادنى الطبخ ، وهو مسكر ، واصطلاح

فارسي . لسان العرب المحيط ١ : ١٨١ .

أباح بعضه دون بعض • ووردت الرخصة والروايات عن النبي ﷺ وأهل القدوة من السحابة والتابعين والعلماء المتقدمين دلالة وتصريحا في إباحة بعضه والزببى خاصة • فالأحوط في الدين بكليتها ومجربتها بجملتها لما يتوقع فيها من الفساد • ومن لم يسلك هذا المسلك فالمختلف فيه أقرب من الحق وأشبهه من المتفق على تحريمه •

فيجب على الملك أن لا يختار أفحش المذاهب وأبعدها من الدين •

هدى جواز سماع المزامر والمعارف :

وأما السماع من المزامر والطنابير والمعارف فإن الناس قد اختلفوا فيه ، فحرمه كثير منهم ، وتخرج عنه عامة أهل الدين والورع والفضل • قالوا وذلك أنه لهو ولعب وصد عن سبيل الله ، وقد جاء الدين بتحريم هذه الأبواب جملة وقد قال الله : (وذري الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) (٢٩) وقال : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) (٣٠) • (٩٠/ب) وقال بعضهم إن ذلك مباح ما لم يتغن فيه بكلام قبيح من حث على الزنى أو فاحشة أو كفر أو هجاء ، فإن النبي ﷺ سن في الدفن (٣١) سنة عند العرس والزفاف ، ولقن فيه كلاما صدقا ، وهو مشهور بالحجاز ومكة إلى يومنا هذا ، وقد كان مباحا بل ومأمورا به في الشرائع المتقدمة • وعلى لسان داود عليه

(٢٩) ٦ / الانعام : مكية / ٧٠ •

(٣٠) ٢٣ / المؤمنون : من الآية ١١٥ •

(٣١) أخرجه الترمذى في النكاح • باب ما جاء في اعلان النكاح — عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه في المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف » ، الحديث رقم ١٠٨٩ ، وجامع الأصول ٤٣٩:١١ برقم ٨٩٧٥ •

الصلاة والسلام على ما جاءت به الروايات ولجلالة حال السماع عند الاوائل
واباحته لهم بما ألفت الفلاسفة فيه كتاب الموسيقى وعنوا به العناية
الشديدة ، وأما العرب فقد كانت لهم ضروب من الاغانى فى صدر الامة
وقبله وبعده قد عرفت فيما بينهم فلم ينهوا عنه نهيا باتا ، وما ورد بالنهاى
الفاصل فيه كتاب محكم ولا خبر مجمع عليه ، والوجه فيه أن يتخرج من
كثير منه ويكتفى من جميع السماع والاغانى بالقرآن فقد روى عن النبى
ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم » (٣٢) وروى عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال : (ما أذن الله لشيء عما أذن لنبى يتغنى بالقرآن) (٣٣) .
فان جاوز ذلك فراوية الاشعار العربية وغيرها مما يفيد المعانى الشريفة
ويبعث على مكارم الاخلاق من الجود والشجاعة والكرم والسماحة والحلم
والعفة والعلم والديانة ، وينتقى منها أجودها وأفصحها وأبلغها وأحكمها
وتكون النية فى ذلك استفادتها واستعمالها (٣٤) .

واختلف الناس فيما يستعمله الملوك — فى الملة — من الركوب الى
الصيد والصولجان والطبابة (٣٥) وما أشبهها ، فحرمه قوم وكرهه قوم ،

(٣٢) أخرجه أبو داود رقم ١٤٦٨ فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى
القراءة والنسائي ٢ : ١٧٩ ، ١٨٠ فى الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ،
واسناده صحيح ، وأخرجه المدارمى ٢ : ٤٧٤ ، وأحمد ٤ : ٢٨٣ ، ٨٥ : ٢٩٦ ،
٣٠٤ ، وابن ماجه رقم ١٣٤٢ نقلا عن جامع الاصول ٢ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ برقم ٩٠٩ .
(٣٣) فتح البارى ٩ : ٦٠ ، ٦١ فى فضائل القرآن ، باب من لم يتغن
بالقرآن ، مسلم ١ : ٥٤٥ برقم ٧٩٢ فى صلاة المسافرين ، باب استحباب تحسين
الصوت ، وأبو داود رقم ١٤٧٣ فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى القراءة ،
والنسائي ٢ : ١٨٠ فى الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ، وجامع الاصول
٢ : ٤٥٥ برقم ٩١٠ فى آداب التلاوة ، تحسين القراءة والتغنى بها .
(٣٤) أنظر فى هذا الموضوع : نهاية الارب ٤ : ١٣٣ — ١٧٠ .
(٣٥) الطبابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة . المعجم الوسيط ٢ : ٥٥٥ .
لسان العرب المحيط ٢ : ٥٦٦ .

وزعموا أن ذلك من باب اللعب واللهو ، وفيه حمل على الدواب فوق طاقتها
وإفناء للعمر فيما لا فائدة فيه ، ولا معنى له •

وأجازوه آخرون واختاروا منها ما يخف على الدواب والافراس ،
وأجازوا الاصطياد على نية الانتفاع والنفع به ودفع ضرر الحيوانات
المؤذية عن المسلمين ، ورياضة الدواب والابدان بالفروسية للذب عن الملة
وحماية الحوزة • قالوا : ولا بأس به إذا قصد هذا القصد ، وذهب إلى
هذا النحو ، وتجنب فيه الإفراط ، فقد روى عن النبي ﷺ أنه كان يسابق
بناقته العضباء (٣٦) ، وقل ما كانت تسبق •

قالوا : وكانوا يستبقون على الركاب وعلى الخيل وعلى أقدامهم •
(٩١ / ٩) •

قالوا : وكتب عمر بن الخطاب — رحمه الله — إلى أهل حمص أن
علموا أولادكم الفروسية والرمي ، واختلفوا بين الأغراض • وروى النزائي
بن سبرة (٣٧) ، قال : أتانا كتاب عمر بن الخطاب — رحمه الله — بثلاث :
تعلموا الرمي ، واختنوا ، وارفعوا الأزر • وروى عن النبي ﷺ أنه قال :
« ان الملائكة لا تحضر شيئاً من لهوكم إلا النضال والرهان » (٣٨)

(٣٦) أخرجه البخاري ٦ : ٥٥ في الجهاد ، باب ناقة النبي ﷺ ، وأبو داود
رقم ٤٨٠٢ في الأدب ، باب في كراهية الرفعة في الأمور ، والنسائي ٦ : ٢٢٧ في
الخيال ، باب السبق ، جامع الأصول ٥ : ٤٠ رقم ٣٠٣٨ في السبق •
(٣٧) النزال بن سبرة الهلالي ، ذكره فيمن رأى النبي ﷺ وسمع منه
قال ابن عبد البر : ولا أعلم له رواية عن علي وابن مسعود ، وهو معروف في
كبار التابعين وفضلائهم الاستيعاب ١٥٢٤ •

(٣٨) أم أئف عليه بلفظه ، وقد صح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :
لا سبق إلا في خف أو حافر ، أو نصل ، صحيح الجامع الصغير ١٩٢ : ٦
رقم ٧٣٧٤ •

وليس بين هذه الابواب وبينها فرق • وقد كان للنبي ﷺ من المهاجرين
والانصار فرسان أشداء مذكورون أبطال مشهورون : كالزبير بن العوام ،
وخالد بن الوليد ، والعباس بن مرداس السلمى (٣٩) ، وعبد الله بن رواحة
الانصارى (٤٠) ، وكعب بن مالك (٤١) ودونهم ومعلوم ان مثل تلك الفروسية
لا يبلغها الانسان الا بالرياضة الكثيرة والعناية الشديدة •

وأما الصيد فأصله مباح ، وهو حلال بالاتفاق ما لم تنفع فيه نية فاسدة •
فهذه جمل ما أردنا أن نذكره من الخصال التي يشتغل بها الملوك
والامراء والرؤساء ، ويولعون بها ويستعملونها ، وقد شرحناها ، وبينناها ،
وأوضحنا ما يجب أن يقدم فيها من نية صادقة أو يتأول لها من تأويل

صحيح •

(٣٩) العباس بن مرداس السلمى ، يكنى أبا الفضل ، أسلم قبل فتح مكة
بيسر ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ومن حسن اسلامه منهم ، وكان شاعرا
محسنا شجاعا ، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية . الاستيعاب ٨١٧-٨٢٠ ،
تهذيب الاسماء واللغات ٢/١ : ٤٩ •

(٤٠) هو عبد الله بن رواحة الثعلبى ، الانصار الخزرجى ، يكنى أبا محمد
وأبا رواحة ، وليس له عقب ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ الا الفتح
وما بعدها لانه قتل يوم مؤته شهيدا ، وهو أحد الامراء في غزوة مؤته . الاستيعاب
٨٩٨ ، حلية الاولياء ١١٨:١ - ١٢١ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢٦٥:١ سير
اعلام النبلاء ١ : ٢٣٠-٢٤٢ ، تهذيب التهذيب ٥ : ١١٢ ، وامتناع الاسماء
٢٧٥ •

(٤١) كعب بن مالك الخزرجى الانصارى السلمى ، يكنى أبا عبد الله ، شهيد
العقبة الثانية ، وكان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الاذى عنه
وكان مجودا مطبوعا ، وهو أحد الثلاثة الانصار الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ،
فتاب الله عليهم ، وعذرهم ، وغفر له ، ونزل القرآن المتلوفى شأنهم ، توفى
كعب في زمن معاوية ، سنة خمسين . الاستيعاب ١٣٢٤:٣ ، سير اعلام النبلاء
٢ : ٥٢٣ - ٥٣٠ ، العبر ١ : ٥٦ ، وشذرات الذهب ١ : ٥٦ •

خاتمة

خلال الملوك الاولين والخلفاء الراشدين :

ورأينا أن نختم الكتاب بخصال مأثورة وخلال مذكورة عن الملوك الاولين والخلفاء الراشدين والحكماء المتقدمين ، وذوى التجارب والحجى والاحلام والنهى مما مدحوا بها وامتدحوا ، وفاخروا وافتخروا ، وعدوها أعمدة السلطان ، وأركان الدول ، وأساس السياسة ، وجمال الملك والخلافة وان كانت قد دخلت متفرقة في خلال الابواب التى قد منهاها .
روينا عن النبى ﷺ أنه قال : «ايما راع بات ليلة واحدة غاشا لرعيته حرمت عليه الجنة» (٤٢) .

قالوا : وتخير غلامان الى الحسن بن على — رضى الله عنهما — في خط قد كتباه في لوح ، فقال على تثبت فيه يا بنى ، فانه حكم ، الله سائلك عنه يوم القيامة (٤٣) .

قالوا : وكتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعري بعد كلام له «باشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغنى أنه فشا لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومركبك ومطعمك

(٤١) أخرجه أحمد في المسند ٥ : ٢٥ ، ٢٧ والبخارى ومسلم بلفظ « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » . فتح البارى ١٣ : ١١٢ في الاحكام ، باب من استرعى رعية فلم يتصح . ومسلم برقم ١٤٢ في الايمان ، باب استحقاق الوالى الغاش لرعيته النار . جامع الاصول ٤ : ٥٤ ، ٥٣ برقم ٢٠٣١ فيما يجب على الامام والامير .
(٤٢) قارن عيون الاخبار ٧٥٠ : ١ ورد فيه « يأتى لمعلم المصبيان يوم القيامة ، فان كان عدل بين الغلمان والا اقيم مع الظلمة » وينسبه الى مجاهد .

(٩١/ب) ليس مثلها • فايك يا عبد الله أن تكون بهنزة البهيمة التي مرت
بواد خصيب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حثفها في السمن « (٤٤)
وقال عامل من عمال عمر بن الخطاب له : عظمى ، قال : «أوصيك
ببتقوى الله ، ودعوتين ترجو احدهما وتخاف الاخرى ، دعوة لهفان تعينه
بالشيء فيدعو لك ، ودعوة مظلوم وهي أو شك صعودا الى الله وأسرع كرة ،
ان الله أمر بالطاعة ، وأعان عليها ، ولم يجعل في تركها عذرا ، ونهى عن
المعصية وأغنى عنها ولم يجعل في ركوبها حجة » •

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يقول : «والله لولا أنى أنعش سنة
أو أميت بدعة لما سرنى أن أعيش في الدنيا فواقا ، ولو ددت أنى كلما
أنعشت سنة أو أمت بدعة أن عضوا من أعضائى سقط » (٤٥) •
قالوا : وكتب عمر الى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (٤٦) «أن أنظر كل
ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عم فاكتبه ، فأنى
قد خفت دروس العلم وأهله » (٤٧) •

وقال : «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم
يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه » (٤٨) •
وروى عمر بن العزيز وهو يقول : «اللهم زد محسن أمة محمد احسانا ،
وأرجع مسيئتهم الى التوبة » •

(٤٤) البيان والتبيين ٢ : ٢٩٣ ، نثر الدرر للابى ٢ : ٣١ ، عيون الاخبار ١ : ٢٠ .
(٤٥) تاريخ الخلفاء ٢٤٠ ، طبقات ابن سعد ٥ : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٨٣ .
(٤٦) هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، قاضى المدينة ، ولاء الوليد بن
عبد الملك المدينة حين عزل عمر ، وأبقاه عمر واليا عليها . ولد حوالى سنة ٤٠ هـ
ومات سنة ١٢٠ هـ دول الاسلام ١ : ٨٢ ، شذرات الذهب ١ : ٩٧ ، ١٥٧ .
(٤٧) الاموال لابى عبيد القاسم ٥٧٨ ، سنن الدارمى من ١٢٦ : ١ .
(٤٨) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٧٢ ، حلية الاولياء ٥ : ٢٩٠ .

وقال : « باصبعه اللهم حط من أوزارهم برحمتك » (٤٩) .
قالوا : ووفد عمرو بن أمية الضمري (٥٠) على النجاشي ، فدخل
عليه فقال : انا وجدناك كأنك في الرقة علينا منا ، وكأنا في الثقة بك منك ،
لانا لم نردك لامر قط الا نلناه ولم نخفك عليه الا أمناه .

قالوا : ووفد وفد على سليمان بن عبد الملك ، فمدنا متكلمهم فقال : يا أمير
المؤمنين انا والله ما أتينك رغبة ولا رهبة ، قال : فما جاء بك ؟ لا جاء الله بك .
فقال أما الرغبة فقد وصلت اليها في رحالنا ، وأما الرهبة فقد أمناه بعد
ذلك ، ولقد حببت اليها الحياة وهونت علينا الموت ، فاننا نرجوكم لمن نخلف
من أعقابنا (٥١) .

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : (من حسن التدبير أن يأمن
أهل الورع والسلامة عقوبتك ، ويوطن أهل الريبة والذعارة أنفسهم
على نزول نقمته بهم) (٥٢) ولقد حسن في هذا المعنى صريح (٥٣) حيث
يقول في يزيد بن مزيد (٥٤) (٩٣/١) :

(٤٩) حلية الاولياء ٥ : ٢٣٩ .

(٥٠) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري ، نسبه الى ضمرة ،
صحابي جليل من الشجعان ، عاش أيام الخلفاء الراشدين ، وشهد وقائع كثيرة
علت بها شهرته في لبسالة ، ومات بالمدينة في خلافة معاوية نحو ٥٥ هـ . تاريخ
الطبري ٢ : ٣٤٣ ، ٥٤٢ - ٥٤٥ ، الاستيعاب ١١٦٢ ، الاعلام ٥ : ٢٣٨ .

(٥١) عيون الاخبار ١ : ١٠٦ .

(٥٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء ١ : ٩٩ مع اختلاف يسير .

(٥٣) هو مسلم بن الوليد الانصاري ، المعروف بصريح المسواني ، لقبه به
الرشيد ، شاعر غزل ومدح الرشيد والبرامكة وغيرهم ، مات سنة ٢٠٨ هـ
تاريخ بغداد ١٣ : ٩٦ ، الشعر والشعراء ٨٣٦ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٦ ،
الاغانى ١٩ : ٣١ - ٧٢ ، وسير اعلام النبلاء ٨ : ٣٦٥ .

(٥٤) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني ، أبو خالد ، من القادة الشجعان
الكرماء ، ولي اليمن ، ومات سنة ١٨٥ هـ . تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٤ ، وفيات
الاعيان ٥ : ٣٧٠ ترجمة ٧٩١ ، المعارف ٤١٣ ، مرآة الجنان ١ : ٤٠٠ ، وسير
اعلام النبلاء ٩ : ٧١ .

الزائديون قوم في رماحهم

خوف المخوف وأمن الخائف الموجل^(٥٥)

وفي كليلة ودمنة : «انما يؤتى السلطان من قيل ست : الحرمان ،

والفتنة ، والفظاظة ، والهوى ، والزمان ، والخرق » •

أما الحرمان : فأن يحرم ست خصال أو يعطاها نواقص منها : صلح

الوزراء ، والحياة ، والمال ، والبلد ، والحصون ، والرسيل •

وأما الفتنة : فتتهيج الاعوان ، وتثغب الجند ، وتحارب الناس •

وأما الفظاظة : فافراط الخشونة بارسال اللسان بالشتيم ، والييد

بالبسط في غير موضعها •

وأما الهوى : فالاغرام بالنساء والشراب والملاهي والصيد ، حتى

يستفرغ الفراغ فيه •

وأما الزمان : فما يصيب الناس فيه من السنين ، والموتان ، ونقص

الثمرات ، والافات في الحرث والنسل •

وأما الخرق : فسوء التدبير ، ومعاملة العدو في حال السلم بالحرب ،

وفي حال الحرب بالهدنة ، وأعمال الشدة في موضع اللين ، واللين في

موضع الشدة (م٥٥) •

وقالوا ان الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يرهب المواثبة ان قرب ،

والغارة ان بعد والكمين ان انكشف ، والاستطراد ان ولى ، والمكر ان

(٥٥) ديوان صريع الفوانى ص ٦٠ وفي الديوان «المخيف» بدلا من «المخوف»

(م٥٥) كليلة ودمنة ترجمة عبد الله المقفع ٧٠ تذكرة ابن حمدون ٤٤٤هـ مع

اختلاف لفظي يسير واللباب ٤٢ •

اتاه وحيدا ، ويكره القتال ما وجد منه بدا ، لان النفقة فيه من الانفس ،
والنفقة في غيره من المال (٥٦) .

وفيه : اذا كان الملك محصنا لسره ، بعيدا من أن يعرف ما في نفسه ،
متخيرا للوزراء ، مهيبا في انفس العامة ، متكافيا بحسن البلاء ، لا يخافه
البريء ولا يأمنه المريب ، مقدرا لما ينفق كان خليقا ببقاء ملكه (٥٧) .

قالوا : وقال الفضل بن سهل (٥٨) : وان كانت رسل الملوك الاطراف
اذا جاءت بالهدايا يجعل اختلافها الى ، فيكون للجوابات ولما معهم من ذلك
موضع من ديواني . وكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سير ملوكهم وأخبار
عظمائهم ، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذله عرفه
وجرد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، ولا يبهظ (٥٩) جنده
ولا يخرج رعيته ، سهل النوال ، حزن (٦٠) البطل ، فالرجاء والخوف
معقودان في يده . قلت فكيف حكمه ؟ قال : يردع الظالم ويرد الظلم ،
ويعطي كل ذي حق حقه ، فهم اثنان راض ومغبط قلت وكيف هيبتهم له ؟
قال : يتصور في القلوب فتغضى له العيون (٩٢/ب) . قال : فنظر رسول

(٥٦) كيلة ودمنة ١٢٨ ، عيون الاخبار ١ : ١١٢ ، ونهاية الارب ٣ : ٢٥٠

(٥٧) كيلة ودمنة ١٢٨ ، ١٢٩ مع اختلاف لفظي طفيف .

(٥٨) في الاصل : الفضل بن مروان ، وهو خطأ ، لانه وزير المعتصم ،
ومات الفضل ٢٥٠ هـ . بينما الفضل بن سهل ، هو وزير المأمون وصاحب تدبيره
ويلقب بذى الرئاستين (الحرب والسياسة) ، وقد ولد في ٥٤ هـ وقتل سنة
٢٠٢ هـ . انظر في ترجمته : تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣٩ ، وسير اعلام النبلاء
١٠ : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٥٩) يبهظ : يثقل ويشق عليه . مختار الصحاح : ٦٧ .

(٦٠) حزن : من الغلظة ، وهي خلاف السهولة . المصباح المنير ١ : ١٣٤

الحبشة الى اصغائى اليه واقبالى عليه ، فسأل ترجمانه ما الذى يقول ؟
قال : يصف ملكهم وسيرته • قال فكلم الترجمان بشيء فقال لى الترجمان
انه يسألك أن تصغى اليه ، وتقبل بعينك عليه ليحدثك عن ملكهم ، ففعلت
فكلم الترجمان طويلا ، ثم قال الترجمان : انه يقول ان ملكهم ذو أناة
عند المقدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة
عند الاجترام (٦١) ، وقد كسا رعيته جميل نعمته ، وقصد بهم تعنيف
عقوبته ، يترأونه ترائى الهلال جمالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ،
قد وسعهم عدلا ، وردعهم سوطه وكيله ، ولا تمتنه مرحة ، ولا تؤنسه
غفلة ، اذا أعطى أوسع ، واذا عاقب أوجع ، فالناس اثنان راج وخائف ،
فلا الراجى خائب الامل ، ولا الخائف يفقد الاجل • قلت : فكيف هيبتهم
له ؟ فقال : لا ترفع اليه العيون أجفانها ، ولا تتبعه الابصار انسانها كأن
رعيته قطا فرقت عليه صقور •

قال فحدثت المأمون بهذين الحديثين ، فقال لى : كم قيمة (مقالة) (٦٢)
الرجلين عندك ؟ قلت ألفا درهم يا أمير المؤمنين • قال : والله يا فضل ان
قيمتها عندى أكثر من الخلافة • أما عرفت حديث أمير المؤمنين على برحمه
الله - وفيه : كل انسان وما يحسن ؟ اتعرف أحدا يحسن أن يصف بعض
خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هاتين الصفتين ؟ قلت : لا • قال :
فهذان قد أهرت لهما بعشرين ألف دينار ، وأنا مستريد لهما فاخاع عليهما ،
وأجعل العذر سدة بينى وبينهما فلا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما

(٦١) الاجترام اى عند معاقبة المجرمين والمذنبين • مختار الصحاح : ١٠٠ •

(٦٢) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها •

ما في بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه (٦٣) .

قاله الواقدي (٦٤) : توفي بعض رسل الملوك بدمشق زمن عبد الملك بن مروان ، فوجد في جيبه لوح من ذهب فيه ثلاثة أسطر : اذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، واذا مات الاعتصام عاش الانتقام ، واذا ظهرت الخيانات استخفت البركات .

وذكر المدائني أن مما وجد في كتب الاولين من الخصال التي هي أعمدة السلطان هذه الاحرف : ما أزيل الملك بمثل الاهمال ، ولا جوهده بمثل الرأي ، ولا استنبط الرأي بمثل المشاورة ، ولا قل العدو بمثل العدل ، ولا استنزل النصر بمثل الكف ، ولا حصنت النعمة بمثل المواساة (٩٣/٩) ولا كوفى الاحسان بمثل النية ، ولا حليت الاشراف بمثل التواضع ، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر .

(٦٣) ورد النص عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة لابن هذيل بهامش غرر الخصائص الواضحة للوطواط ١٤٨ ، ١٤٩ وينسبه صوابا الى الفضل بن سهل .

(٦٤) هو محمد بن عمر بن واقد المسهمي الاسلمي ، يكنى ابا عبد الله الواقدي ، من اقدم المؤرخين في الاسلام ، ومن أشهرهم ، ولد بالمدينة ١٣٠ هـ وكان حناطيا (تاجر حنطة بها) وضاعت ثروته فانتقل الى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد ، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي ، فافاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة ، فولى القضاء ، وله من الكتب «المغازي النبوية» و «فتح أفريقية» وفتح مصر والاسكندرية ، وتفسير القرآن ، وينسب اليه كتاب فتوح الشام ومات سنة ٢٠٧ هـ . تاريخ بغداد ٣ : ٣ - ٢١ ، وفيات الاعيان ٣ : ٤٧٠ ترجمة رقم ٦١٦ ، دول الاسلام ١ : ١٢٨ ، سير اعلام النبلاء ٩ : ٤٥٤ - ٤٦٩ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٤ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٨ .

وقال عبد الله بن المقفع^(٦٥) : ينبغي للسلطان العاقل أن يعلم أن عليه أربع خصال هن أعمدة السلطان وأركانه التي بها تقوم وعليها يثبت : الاجتهاد في التخير ، والمبالغة في التقدم ، والتعهد الشديد ، والجزاء العتيد .

أما الاجتهاد للتخير : فانه التخير للعمال والوزراء ، فانه نظام الامور ووضع مؤونة البعيد المنتشر ، فانه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا ، لانه من كان من العمال خيرا ، فيتخير كما اختير ، ولعل عمال العامل ، وعمال عماله يبلغون عددا كثيرا ، فمن سن التخير فقد أخذ بركن وثيق ، ومن أسس أمره على غير ذلك لم يجد لبنائه قواما .

وأما التقدم والتوطيد : فانه ليس كل ذي لب وذى أصالة يعرف وجوه الامر والاعمال ، ولو كان بذلك عارفا لم يكن صاحبه حقيقا أن يكون ذلك الى (عمله)^(٦٦) دون توفيقه عليه ، وتنبيهه له ، والاحتجاج به عليه .

وأما التعهد الدائم : فان الوالى اذا فعل ذلك كان سميعا بصيرا ، فان العامل اذا فعل ذلك به كان متحصنا حريزا .

وأما الجزاء العتيد : فانه يثبت المحسن والراحة من المسىء .

(٦٥) عبد الله بن المقفع ، أصله من الفرس ، ولد في العراق سنة ١٠٦ هـ ، وكان مجوسيا (مزدكيا) وأسلم على يد عيسى بن على « عم السفاح » وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى ، وترجم عن الفارسية كتاب « كيلة ودمئة » وهو أشهر كتبه ، كما يعد كتابة الادب الكبير « ملخص لكتاب » الاوستا وهو الكتاب الدينى للزاردشتية ، ومات سنة ١٤٢ هـ . فهرست ابن النديم ١٧٨ ، الامالى للمرئضى ١ : ٩٤ ، الاعلام بمناقب الاسلام ٦٢ ، ١٦٠ ، الاعلام ٢ : ٢٨٣ (٦٦) فى الاصل (عليه) ، ولا يستقيم بها المعنى .

وقال : « لا تستطاع الاعمال الا بالوزراء والاعوان ، ولا ينفع
الوزراء والاعوان الا بالمودعة والنصيحة ، ولا تنفع المودعة والنصيحة الا مع
الرأى والعفاف » (٦٧) .

قال : وكتب قيصر الى أنوشروان يسأله عما ضبط به ملكه فكتب اليه
« لم أهزل فى أمر ولا نهى قط ، ولم أخلف وعدا ولا وعيدا ، ووليت للغناء
لا للهوى ، وعاقبت للادب لا للغضب ، وأودعت الرعية الرهبة من غير
صنيعة ، وأسكنت نفوسهم المحبة من غير جرأة ، وعممت بالقوت ، ومنعت
الفضول » (٦٨) .

وفى حكم الهند : لا ينبغي للسلطان اقضاء البعيد اذا نفع قربه ،
فلا شيء ينفع أقرب من الجسد ، وربما دوى (٦٩) فكان يروء بالدواء يؤتى
من بعيد ، والجرذ جار مدان فلما ضر نفى ، والبازى بعيد وحشى فلما نفع
أدنى واقتنى (٧٠) .

وفى كلیلة ودمنة : وليس لمصاحب الدنيا مال ولا صديق لعمل صالح
فهو حقيق أن يجعل سعيه فيما يبقى ويعود نفعه ، ويرفض ما سواه ،
وينزل المال بمنزلة المدر ، والنساء بمنزلة الافاعى والناس فيما يحب لهم

(٦٧) كلیلة ودمنه ١٦٥ .

(٦٨) عيون الاخبار ١٠:١ ، العقد الفريد ١٧:١ ، نثر الدر للاسى ٢٤١:٤ ،
عين الادب والسياسة ٢٧٧ ، تذكرة ابن حمدون ٩٤ ، وبهجة المجالس ٣٢٧:١
(٦٩) دوى : مريض . مختار الصحاح ٢١٧ .

(٧٠) قارن العقد الفريد ٥٢:١ قال : ورد فى كتاب الهند : ان السلطان
لا يقرب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ، ولكن ينظر ما عند كل رجل
منهم ، فيقرب البعيد لنفعه ، ويبعد القريب لضره . وشبهوا ذلك بالجرذ الذى
هو فى البيت مجاور ، فمن أجل ضره نفى ، والبازى الذى هو وحشى ، فمن أجل
نفعه اقتنى .

من الخير (٩٣/ب) ويكره لهم من الشر منزلة نفسه (٧١) . قال : وتكلم
أربعة من الملوك بأربع كلمات في الحكم بين الكلام فصارت أعمدة وحكما:
فقال كسرى : أنا على ما لم أقل أقدر منى على رد ما قد قلت . وقال قيصر:
لا أندم على ما لم أقل ، ولكنى أندم على ما قلت وقال ملك الصين : اذا
تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم أملكها . وقال صاحب الهند : عجبت ممن يتكلم
بالكلمة ان ذكرت عنه ضرته ، وان لم تذكر عنه لم تنفعه (٧٢) .

وكان يقال : خصال من طبائع الجهال : الغضب من غير شيء ،
والاعطاء في غير حق ، واتعاب البدن في الباطل ، وقلة معرفة الرجل
بصديقه من عدوه ، ووضعه السر في غير موضعه ، وثقته بمن لم يجربه ،
وحسن ظنه بمن لا عقل له ، ولا وفاء ، وكثرة الكلام من غير نفع (٧٣)
قال : وسأل معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال
من ترك الفضول وأقبل على الإيجاز . قال : فمن أسخى الناس ؟ قال : من
ترك دنياه في صلاح آخرته .

(الاحنف بن قيس قال) (٧٤) : قال لى عمر بن الخطاب يا أحنف لا
تضحك ، فان من كثر ضحكه ذهب هيبته ، ومن كثر مزاحه استخف به ،
ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه

(٧١) كيلة ودمنة ١٣٢ ، ١٣٣ ، والمدر : واحدته مدرة وهو قطع الطين
اليابس والحجارة .

(٧٢) كيلة ودمنة ١٦ ، ١٧ مع اختلاف في الترتيب ، وتذكرة ابن حمدون
ص ٧٥ ، ٧٦ وينسبه الى أبى بكر بن عياش .

(٧٣) الحكمة الخالدة ١٢ .

(٧٤) مكذا بالاصل ، والاصوب (وقال الاحنف بن قيس) .

قل ورعه ، ومن قل ورعه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه مات قلبه (٧٥) .
وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : قد يجب على الملك أن يكون
كما أصف عظيم الهمة ، واسع الفكر ، جيد البحث ، مطلعاً على العواقب
رؤوفاً رحيماً اذا (غضب) (٧٦) لم ينفذ غضبه ، واذا تحركت الشهوة فيه
ردها بعقله ، واذا وافق الصواب أنفذه ، غير لجوج (٧٧) ، وغير وقاح ،
ولا بذخ ولا مهتاون ، يعرف آثار من تقدمه ، وينزل الناس على أقدارهم
واستحقاقهم ولا يضع مراتبهم ، ويتزين لهم بزيينة محمودة ، وأخلاق
جميلة ، ويكون متمسكاً بالدين راغباً في الخير والفضل .

وأجاب عن مسائل كتبها اليه الاسكندر يسأله عنها فقال : أى ملك
تطاول على جنده وقواده لم يأمن الحيف . أى ملك ضيع الصغير من أمره
لم يسلم عليه كبيره ، أى ملك نظر في عواقب أموره عذب على ذلك حديث
الرعية بفضله وامتداحه بعقله .

وقال : أنظر لضعفاء (٩٤/أ) أهل مملكتك يشرك عليك أقوىاء
أصحابك وضعفاؤهم ، وتثاب عليه في العاقبة ، ونظرك الاقوياء وتضييعك
للضعفاء أمر لا يحمدك عليه الضعفاء ولا يمدحك به أهل المعرفة بالسير ،
بل حقا أقول انك تنال بالعقوبة ، ومثلك في الدنيا مثل صاحب البستان
الذى يضيع أن يسقى الشجر المحتاج الى الماء ، ويصرف الماء الى مالا حاجة
بـه اليه .

(٧٥) البيان والتبيين ٢: ١٨٨ ، نثر الدر للابى ٢: ٥١ .
(٧٦) (غضب) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٧٧) الجوج : هو المتماذى في الخصومة . مختار الصحاح : ٥٩٢ .

وفي بعض سياسة الهند ، واعلم أنك لم تفصل القضاء على من جارت عليه الخصوم ونكبتك اذ حولت خصومتها عليك ، ودخلت بينه وبين خصمه انذى جرت عليه ، وان عدل الله بعد ذلك ، من ورائه ووراءك حتى يستوفى له منك ، فلا تكثف بالعدل عليهم فيما بينهم دون أن تأخذهم من نفسك وتنصفهم منها ، وتعديل عليهم فيما ينوبهم من حقك وينوبك من حقهم قبلك فاذا أنت احرزت العدل باذن الله ، فاجمع الى عدلك على الرعية الرأفة بهم والرحمة والعفو عن جاهلهم ، وبث الاموال في مساكينهم ، ولين الجانب بعادتهم فان « البد » قال لبعض ملوكنا حين سألته عن العدل : اذا انزلت كل طفل من الولد ان لك ولدا ، وكل كبير من الرجال لك أبا ، وكل كبيرة من النساء لك أما ، وكل قرن من الرجال لك أخا (٧٨) ، وكل مثل ذلك من النساء أختا ، ثم بررتهم بر ذلك ، وجدت عليهم جود ذلك ، فقد عدلت وفي فصل له من هذا الكتاب آخر : « ان الدينار ربما أصيبت بغير حزم من الرأي ولا فضل من الدين ، فان ذات حاجتك منها أو أدبرت عنك وأنت مصيب فلا يستخفك ذلك على معاودة الخطأ ومجانبة المسواب ، فان صاحب الدنيا منها على غرور ، وصاحب الآخرة منها على يقين ، فلا يدرى صاحب الدنيا أى رأييه أنجح له في حاجته ، رأييه الحازم أم رأييه العاجز ، فهو من أمره في لبس ، ومن رأييه على شبهة ، فلا أحد أرواح قلبا ولا أقرب بأخذ رأى من أمرىء عرف رضوان الله من سخطه ، ثم عمل بمعرفته ، فما

(٧٨) استشار عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — سالم بن عبد الله . فقال له سالم : اجعل الناس ابا وأخا وابنا . فبر اباك ، واحفظ أخاك وارحم ابنك . العقد الفريد ١ : ٣٠ ، ونهاية الارب ٦ : ٤١ .

أتاه من الدنيا وهو على ذلك أتاه والله عنه راض ، وما أدبر عنه منها أدبر
وهو الى الله معذور . وان كنت عالما برضوان الله من سخطه فامض رأيك
وعامك بذلك في نفسك وفيمن وليت أمره ، وان كنت غير عالم بذلك (٩٤/ب)
فليكن أول أمرك ابتغاء علم ذلك . أن تقيس الناس بنفسك فلا تظن عليهم
بما ترغب فيه من رأيك ، ولا تأت اليهم ما تكره أن يؤتى اليك .
وفي بعض حكم العرب :

حصن عقلك من العجب ، وحياءك من الرخاوة ، وحلمك من التهاون
ومصائبك من العجلة ، وعقوبتك من الافراط ، وعفوك من تعطيل الحدود ،
وصمتك من العي (٧٩) ، واستماعك من سوء الفهم ، واستئناسك من البذاء
وخلواتك من الاضاعة ، وتعاهدك من استقراغ القوة ، وعزماتك من اللجاجة
ويأسك من القنوط ، ورضاك من الفتور ، وتأنيك من البلادة ، ومرحك من
البطر ، وروغائك من الاستسلام ، وحذرك من الجبن (٨٠) .
وقرأنا في سير ماوك العجم : أن الملك تطول مدته اذا كان فيه أربع
خصال :

- احداها : أن لا يرضى لرعيته بما لا يرضى لنفسه .
- والاخرى : أن لا يسوف (٨١) ما يخاف عاقبته .
- والثالثة : أن يجعل ولي عهده من يرضاه لا من يهواه .

(٧٩) العي : هو العجز عن ابداء الامر والحجة عليه . المسباح
المنير ٢ : ٤٤١ .

(٨٠) لباب الاداب ٤٤ مع اختلاف لفظي يسير .

(٨١) يسوف : من التسويف وهو المثل . مختار الصحاح : ٣٢٢ .

والرابعة : أن يفحص من أسرار الرعية فحصى المرضعة عن منسأم رضيعها .

وقيل : لا يستغنى السلطان عن الكفاة ، ولا الكفاة عن الافضال ، ولا الافضال عن المادة ، ولا المادة عن العدل ، فالسلطان بغير الكفاية عاجز ، والكفاة بغير الافضال مسلطون ، والافضال بغير المادة منقطع ، وأنما يقيم المواد ببسط العدل ، وفي العدل حياة الدين وبقاء الملك وصلاأ العامة ، وصلاأ العامة أعد من كثرة الجند .

وبلغنا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين بينما هو يطوف ليلا إذ سمع قائلاً يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل الى الرجل يدعوه ، فصلى ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع رسول الامام فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى (١٢) . فقال يا أمير المؤمنين أن أمنتى على نفسى أنبأتك بالامور من أصولها والا احتجرت منك واقتصرت على نفسى فثبها لى شاغل ، قال : فأنت آمن على نفسك . فقال : ان الذى داخله الطمع حتى حال بينه وبين صلاح ما ظهر من البغى والفساد لانت . فقال (٩٥/أ) : ويحك . وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء بيدي ،

(١٢) امضنى : أوجعنى وآلمنى وأحرقنى . يختار الصحاح : ٢٥٧ ، والمصباح المنير ١ : ٢٣٨ .

والحلو والحامض عندي ؟ فقال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر ، وأبوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنك نفسك منهم فيها ، وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر قد سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا المهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ، ولا أحد الا وله من هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء الففر الذين استصلحتهم لنفسك وآثرتهم على رعيته ، وأمرت أن لا يحجبوا عنك ، تجنى الاموال وتجمعها ولا تقسمها . قالوا : هذا قد خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه ، وقد سخر لنا نفسه ، فائتمروا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس شيء الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا قصموه ^(٨٣) عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، عظمهم الناس وهابوهم ، فكانوا أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقرؤهم على ظلم من دونهم ، فأمتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل فاذا جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فاذا أراد رفع قصته اليك عند ظهورك (وجدوك) ^(٨٤) قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم ، فاذا جاء ذلك الرجل فبلغ بظلمتك (سألوا) ^(٨٥) لصاحب

(٨٣) في العقد الفريد ج ١ ص ٦٤ «خونوه» وفي عيون الاخبار ج ٦ ص ٣٤٤ قصبوه أى عابوه ، وفي تهذيب الرياسة ٣١٩ «أقصوه» .
وفي الاصل (قصموه) ، والاولى أن تكون (وصموه) .
(٨٤) هكذا في الاصل ، والاصح أن تكون (وجدك) .
(٨٥) هكذا في الاصل ، والصحيح (قالوا) .

المظالم أن لا يرفع مظالمه اليك ، فان للمتظلم منه حرمة عندهم ، فأجابهم خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويتسكو ويلوذ ويستغيث ، وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا أجهد وأخرج وظهرت ، صرخ بين يديك فيضرب فربما مبرحا يكون نكالا لغيره . . . وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعة فبكى يوما بكاء شديدا ، فحثته (٦٨) جلساؤه على الصبر . فقال : أما أنى لا أبكى للبلية النازلة ، ولكنى أبكى لمظلوم بالبواب (٩٥/ب) يصرخ فلا أسمع صوته ، ثم قال : ان ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره ينظر هل يرى مظلوما ، فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه ﷺ لا يغلب بالمسلمين شح نفسك . فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله عبدة فى الطفل يسقط من بطن أمه وماله فى الارض مال ، وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ، ولست بالذى تعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء ، وان قلت انما أجمع الاموال لتسديد السلطان فقد أراك الله عبدا فى بنى أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد ، وان قلت انما أجمع الاموال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى

(٨٦) فى الاصل : (فحداه) وهو تصحيف ، وانظر عيون
الإخبار ٢٣٥:٦ ، واليعقد الفريد ٦: ٣٢٥ .

أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بخلاف ما أنت عليه ، يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ فقال المنصور : لا . فقال : كيف تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى العذاب الاليم . قد رأى ما عقد عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر اليه بصرك ، واجترحتة يدك ، ومشت اليه رجلاك ، هل يغنى عنك ما شححت عليه من طلب الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب ، على ما خولك ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتنى لم أخلق ! ويحك كيف أحتال لنفسى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ان للناس أعلاما يفرعون اليهم فى دينك فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك . قال : قد بعثت اليهم فهربوا منى ، قال : خافوا أن تحملهم على طريقك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم واقمع الظالم ، وخذالفىء والصدقات مما حل وطاب ، وأقسمه بالحق والعدل على أهله وانا الضامن عليهم أن ياتوك ويساعدوك (٨٧) على صلاح الاممة .

وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد الى مجلسه (٩٦/أ) وطلب الرجل فلم يوجد (٨٨) .

هذه موعظة جامعة تبين عن كثير من أصول فساد الممالك والاديان وصلاحها ، رأينا أن نختم به كتابنا هذا الذى جمعنا فيه جمل ما أوجب الله على ملوك أهل الملة وامرائها وائمتها وخلفائها ، وامتحنهم بها فى أنفسهم قد اسرف فيها وتعدى حدودها وعدل عن طريقها وقد اشبعت (٨٩) لهم الموعظة ، وبذلت لهم النصيحة وأديت اليهم الامانة ديننا ودنيا .

(٨٧) فى الاصل : ويسعدوك .

(٨٨) عيون الاخبار ٣ : ٣٣٣ — ٣٣٦ ، العقد الفريد ١ : ٣٦٤ — ٣٦٦ ، المنهج السلوك فى سياسة الملوك ١٣٤ — ١٣٦ ، وتهذيب الرياسة فى ترتيب السياسة ٣١٨ — ٣٢٠ .

(٨٩) هكذا بالاصل ، والاولى (اسبغت) .

وآخرة وأولى فليُنظر ناظر وليتَعظ متعظ ، وفقهم الله وإيانا للسداد ،
وهدانا وإياهم سبيل الرشاد .

تم كتاب نصيحة الملوك والحمد لله وحده والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده .

ووافق الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الأحد المبارك
رابع شهر صفر الخير ١٠٠٧ هـ (٩٠) .

تم بحمد الله

(٩٠) علقه بيده الفانية العبد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصر
إسماعيل بن سليمان بن إسماعيل البيجوري خادم نعال السادة الخلوتية ،
غفر الله للجميع .

ثم أورد : ترجمة الماوردي .

هو الإمام العلامة أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
الماوردي البصري الشافعي ، مصنف كتاب «الحاوي» في الفقه في نحو عشرين
مجلدا ليس له نظير في المذهب . وله كتاب في الفقه سماه «الاقناع» فيه فوائد
وغرائب ليست في غيره .

وله كتاب اسماء «أدب الدنيا والدين» .

وله تفسير القرآن العظيم سماه «الفتاوى» .

وكان أماما في الفقه (٩٦ / ب) والأصول والتفسير بصيرا بالعربية ،
ولي قضاء بلاد كثيرة ثم سكن بغداد ، وعاش رحمه الله تعالى ستا وثمانين سنة

الفهارس العامة

- * الفهارس قاصرة على المتن دون الحواشي
- * في فهرس الايات اذا كان الشاهد جزء من آية اقتصرنا عليه وقدّمناه بنقط هكذا (. . .)
- * تكررت بعض الاحاديث ، فقتصرنا على تخريجها عند اول استدلال لها ، واحلنا اليه عند تكراره .
- * في فهرس القوافي رتبنا القافية على حرف الاول من اللفظة .
- * في فهرس الاعلام في حالة ورود : أبو (أو) ابن وضع العلم بعد حذفها في مكانه من الحرف الهجائي ، فمثلا : أبو تمام وضعت في حرف «التاء» وأبو جعفر المنصور في حرف «الجيم» وهكذا .

١ — فهرس شواهد القرآن الكريم

رقم الآية السورة ورقمها الصفحة

سورة الفاتحة (١)

٣ الرحمن الرحيم ٢٤٩
٤ مالك يوم الدين ٦٢

سورة البقرة (٢)

١٤ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ٢٨٧
١٥ الله يستهزئ بهم ٢٨٧
١٢٤ ... لا ينال عهدى الظالمين ٣٧٥ ، ٢٤٤
١٥٢ ... واشكروا لى ولا تكفرون ١٩٦ ، ١٨١
١٥٦ الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ١٨٦
١٥٧ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ١٨٦
١٥٩ ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى ٤٣
١٦٨ يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ٣٧١
١٧٧ ... والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ١٨٦
١٧٩ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب ٣٢٤ ، ٢٣٠
١٨٨ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ٢٩٤
١٩١ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ٣٢٤
١٩٤ ... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ٣٣٠ ، ١٤٤
١٩٥ ... ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ٣٢٤ ، ١٨٨
٢٠١ ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ١٩٢

رقم الآية السورة ورقمها الصفحة

٢١٦ كتب عليكم القصاص وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً

وهو خير لكم

٣٢٤٦٠

٢٢٥ لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت

قلوبكم والله غفور رحيم

٣٢٩٦١٧٤

٢٣٣ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين

٢١٤٦٢١٣

٢٣٥ ... ان الله غفور رحيم

١٧٤

٢٤٧ ... ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً

٦٢

٢٥١ ... وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة

٦٢

٢٦٢ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا

٣٠٨

٢٦٣ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى

٣٠٨

٢٦٤ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى

٣٠٨

٢٦٥ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله

٣٠٧

٢٧١ ... وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم

٣٠٨

سورة آل عمران (٣)

٧ ... وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم

١٥١

٩ ... ان الله لا يخلف الميعاد

١٧٩

١٤ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

٢٩٤

١٥ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا

٢٩٤

١٨ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة

١٥١

٢٦ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء

٦٢

رقم الآية	السورة ورقمها	الصفحة
٩٢	لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	٧١
١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا	٩٥
١٠٥	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا	٩٥
١٠٨	... وما الله يريد ظلما للعالمين	٢٥٥
١١٩	ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم	٢٨٧
١٢٩	... والله غفور رحيم	١٧٤
١٣٢	وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون	١٤٨
١٣٥	والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم	١٤٠
١٣٦	أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم	١٤١
١٥٤	... قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل	٣٦٠
١٥٥	... ان الله غفور رحيم	١٧٤
١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنتم فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر	٢٩١، ٢٤٩، ١٩٠
١٦٠	ان ينصركم الله فلا غالب لكم	٣٦١
١٧٨	ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير	١١٨
١٨٠	ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله	٢٩٨
١٨٦	لتبطلون في أموالكم وأنفسكم	٢٩٣
١٨٧	واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب	٤٣
١٩١	الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم	١١٢

رقم الآية السورة ورقمها الصفحة

سورة النساء (٤)

- ٢ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا ٢٩٥
- ٥ ولا تؤثثوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ٢٩٣
- ١٠ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ٢٩٥
- ١٧ ٩٢، ١٠٤، ١١٧، ١٧٠، وكان الله عليما حكيما ١٥١
- ١٩ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ٦٠
- ٢٥ والله غفور رحيم ١٧٤
- ٢٩ ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ٣٢٢
- ٣١ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ٢٢٩
- ٣٦ ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ١٨٣
- ٣٧ الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل ٢٩٨
- ٤١ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ٢٠٥
- ٥٤ وآتيناهم ملكا عظيما ١٩٣، ٦٢
- ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ٢٠١، ٦٧
- ٧٨ أينما تكونوا يدرككم الموت ٣٦١
- ٩٢ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ٣٣٠
- ٩٣ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ٣٣٤
- ٩٥ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ٣٦٨، ٣٣١، ١٤٢، ٦٦
- ١٥٣، ١٠٠، ٩٦، وكان الله غفورا رحيما ١٧٥

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
١٨٨	واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة	١٠٢
١٧٨	ومن أصدق من الله قيلا	١٢٢
٢٠١	من يعمل سوءا يجز به	١٢٣
٢٠٤	واتخذ الله إبراهيم خليلا	١٢٥
٢٥٠	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط	١٣٥
١٨١	وكان الله شاكرا عليما	١٤٧
٣٣٩، ١٣٧	رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة	١٦٥
٢٠٤	لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله	١٧٢

سورة المائدة (٥)

٢٤٩	ولا يجرمكم شنآن قوم على ألا تعدلوا	٨
٢٣٥	ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل	١٢
٦٢	اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا	٢٠
٣٢٨	انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله	٣٣
٢٤٩	فاعلموا أن الله غفور رحيم	٣٤
١٣٨	لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه	٣٦
٣٣١	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	٣٨
٣٣٠	وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين	٤٥
١٩٠	والله يعصمك من الناس	٦٧
٢٣٦	لعن الذين كفروا من بني إسرائيل	٧٨
٢٣٦	كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه	٧٩

الصفحة	رقم الآية	السورة ورقمها
٢٥٩	٩٨	اعلموا أن الله شديد العقاب
٣٧٦، ٩٩	١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
١٧٨	١١٩	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
		سورة الانعام (٦)
١٦٤	٣٢	وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو
٢٠٠	٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء
١٢٠	٤٤	حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة
	٦٨	واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى
		يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تنعبد
١٦٤		بعد الذكرى
٣٨٠، ١٦٤	٧٠	وذروا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
٢٠٤	١٢٤	الله أعلم حيث يجعل رسالته
٢٠١، ٢٠٠	١٥١	ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
٣٢٤		ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
٢٩٥	١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن
١٨٠	١٥٢	وبعهد الله أوفوا
٩٥	١٥٣	وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
٣٦٨	١٦٠	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

سورة الاعراف (٧)

٣٧١	٣٢	كل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
-----	----	--------------------------------------

رقم الآية	السورة ورقمها	الصفحة
٣٣	قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن	١٨٢
٥٦	... أن رحمة الله قريب من المحسنين	١٤٠
١٤٤	... يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى	٢٣٥
١٤٥	... وأمر قومك يأخذوا بأحسنها	٢٠٦
١٥٥	واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا	٢٣٥
١٦٨	... وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون	٢٩٠
١٨٠	ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها	٢١١
١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين	٣٦٥، ٢٢٨
سورة الانفال (٨)		
٦٥	يا أيها النبى حرض المؤمنى على القتال	٣٤٨، ٣٤٠
٧٥	... ان الله بكل شىء عليم	١٥١
سورة التوبة (٩)		
٥	... فاقتلوا المشركى حيث وجدتموهم	٣٣٣، ٣٢٥
٦	وان أحد من المشركى استجارك فأجره	٣٢٥
٧	كيف يكون للمشركى عهد	٣٢٥
١٤	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم	٣٦٢
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر	٣٢٥
٣٣	هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	٣٤٩
٣٤	... والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله	٣٠٣

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
٣٠٣	يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم	٣٥
٣٢٤ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة	٣٦
٢٩٤ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ	٣٨
٣٤٩ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا	٤٠
٢٨٧ وَسِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ	٤٢
١٧٦	عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ	٤٣
٣١٧	أَمَّا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا	٦٠
١٥١ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	١٠٥، ٩٤
٣٣٥، ٢٩٣، ٧١	أَنِ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ	١١١
١٧٤ أَنِ إِبْرَاهِيمَ لَا وَاهٍ حَلِيمٌ	١١٤
١٥١ أَنِ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	١١٥
١٧٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ	١١٩
٣٦٧، ٢٣٧ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ	١٢٠
٣٦٧، ٢٣٧ وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً	١٢١
٢٤٩ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ	١٢٨
	سورة يونس (١٠)	
١١٩ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ	٢٤
	سورة هود (١١)	
١٣٧	١٠٥ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ..	
١٣٧	١٠٦ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ	

رقم الآية السورة ورقمها الصفحة

١٠٧ خالدين فيها ما دامت السموات والارض

١٣٧

سورة يوسف (١٢)

٥ لا تقصص رؤياك على أخوتك

١٧٦

٥٥ اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم

٢٠٥

سورة الرعد (١٣)

٩ ... عالم الغيب والشهادة

١٥١

١١ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

٦٩

٢١ ... والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل

٢٢٢

٣١ ان الله لا يخلف الميعاد

١٧٩

سورة ابراهيم (١٤)

٥ ... وذكرهم بأيام الله

١١١

٧ ... لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد

٣٦٧، ١٨١، ٦٩

٣٣ ... وسخر لكم الشمس والقمر دائبين

٦١

٣٤ ... وآتاكم من كل ما سألتموه

٦١

سورة الحجر (١٥)

٤٧ ... اخوانا على سرر متقابلين

١٣٨

٤٨ ... لا يمسهم فيها نصب

١٣٨

سورة النحل (١٦)

٣١ ... لهم فيها ما يشاءون

١٣٨

رقم الآية	السورة ورقمها	الصفحة
٣٣	••• وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون	٢٥٠
٧٧	••• وما أمر الساعة الا كلمح البصر	١٣٠
٨٩	••• ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء	٢٠٠
٩٠	ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى	٢٤٩، ٢٠٠، ١٨٢
٩١	وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم	٣٢٥، ١٨٠
٩٣	••• ولتسألن عما كنتم تعملون	١٣٥
١١١	يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها	١٣٦
١١٤	••• واشكروا نعمة الله	٣٧١
١٢٥	أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	١١١
١٢٨	ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون	١٤٤
سورة الامراء (١٧)		
١٦	••• ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا	٢٢٩
٢٥	••• فانه كان للاوابين غفورا	١٤٠
٢٦	••• ولا تبذر تبذيرا	٢٩٦
٢٧	ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين	٢٩٦
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك	١٩١
٣٣	••• فلا يسرف في القتل انه كان منصورا	٣٢٤
٣٤	وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا	١٨٠
٣٧	ولا تمش في الارض مريحا انك لن تخرق الارض	١٨٣
٧٠	ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر	٦١

رقم الآية	السورة ورقمها	الصفحة
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا	٢١١
سورة الكهف (١٨)		
٤٦	المال والبنون زينة الحياة الدنيا	٢٩٤، ٢٩٣
٤٩	... ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا	
	أحصاها	٢٧٦، ٢٢٨، ٢٧٧
٥١	... وما كنت متخذ المضلين عضدا	٣٧٥
١١٠	... فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا	٣٠٧
سورة مريم (١٩)		
٣٠	... وجعلني نبيا	٢٠٥
٣١	وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة	
	ما دمت حيا	٢٠٥
٣٢	وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا	٢٠٥
٥٥	وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة	٢٠٦
٧٢	ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا	١٤٤
سورة طه (٢٠)		
٧	... فانه يعلم السر وأخفى	٢٢٩
١٣	وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى	٢٠٤
١١٤	فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى	
	إليك وحيه	١٩٤، ٦٢
١٣١	ولا تهدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم	٢٩٤

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
٢٠٦	١٣٣ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها	
٣٣٩	١٣٤ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله	

سورة الانبياء (٢١)

٢٠٤	٢٠ يسبحون الليل والنهار لا يفترون
٢٩٠، ١٣٥	٣٥ ... ونبلوكم بالشر والخير فتنة
٢٥٠، ١٣٥	٤٧ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
٢٠١	٩٤ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه

سورة الحج (٢٢)

٢٣٥	٧٥ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس
٢٠٠	٧٧ ... وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

سورة المؤمنون (٢٣)

٣٧١	٥١ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
١٨٢، ٥١	٧١ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض
٢٩١	٩٦ ادفع بالتي هي أحسن السيئة
١٣٧	١٠٨ ... اخسئوا فيها ولا تكلمون
٣٨٠، ١٦٤	١١٥ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا
٦٢	١١٦ فتعالى الله الملك الحق

سورة النور (٢٤)

	٢ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
٣٣٠، ٢٥٩	

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
٢٠٩	الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة	٣
٣٣١	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء	٤
١١١	يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا	١٧
٢٢٨	وليغفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم	٢٢
٢٠٩	وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن	٣١
١٧٩	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات	٥٥

سورة الفرقان (٢٥)

١١٤	وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا	٣٧
١١٤	وكلا ضربنا له الامثال	٣٨
٢٩٧، ١٩٣	والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا	٦٧

سورة الشعراء (٢٦)

١٩٧	واجعل لى لسان صدق فى الآخرين	٨٤
١٩٧	واجعلنى من ورثة جنة النعيم	٨٥
٢٠٦	وأندر عشيرتك الاقربين	٢١٤
٢٦٥	واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين	٢١٥
٧٧	وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون	٢٢٧

سورة النمل (٢٧)

٦٦	لا عذبنه عذابا شديدا أو لاذبجنه	٢١
٦٦	انى وجدت امرأة تملكهم	٢٣

رقم الآية السورة ورقمها الصفحة

سورة القصص (٢٨)

- ٢٦ ان خير من استأجرت القوى الامين ٢٠٤
- ٤١ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون
- ٤٢ واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ١٣٩
- ٧٦ وآتيناهم الكنوز ما ان مفاتحه لتتوء بالعصبة ١١٩
- ٧٧ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ١١٩
- ٧٨ قال انما أوتيته على علم عندي ١٢٠
- ٨١ فحسفنا به وبداره الارض ١٢٠
- ٨٣ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ١٤١

سورة العنكبوت (٢٩)

- ٦٢ ان الله بكل شيء عليم ١٥١

سورة الروم (٣٠)

- ٦ وعد الله لا يخلف الله وعده ١٧٩
- ٨ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض ١١٢
- ٩ وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات ١١٣

سورة لقمان (٣١)

- ٦ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ٢١٦
- ١٧ واصبر على ما أصابك ١٨٦
- ١٨ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ١٩٢، ١٨٣

رقم الآية	السورة ورقمها	الصفحة
	سورة السجدة (٣٢)	
٦	... عالم الغيب والشهادة	١٥١
٢٤	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا	١٣٩
	سورة الاحزاب (٣٣)	
٥٠، ٥٩، ٧٣، ...	وكان الله غفورا رحيمًا	١٧٥
٦	... وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض	٢٢٢
١٩	... ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت	٢٨٨
٣٣	... ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى	٢٠٩
٤٣	... وكان بالمؤمنين رحيمًا	٢٤٩
٥١	... وكان الله عليما حلِيمًا	١٧٤
	سورة سبا (٣٤)	
١٦	... وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خبط وأثل ...	٣٦٧، ٦٩
١٧	ذلك جزيناهم بما كفروا	٣٦٧، ٦٩
	سورة فاطر (٣٥)	
٥	... فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور	١١٥
٦	ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا	١١٥
١٨	ولا تتر واخرة وزر أخرى	٩٨
٣٥	... ولا يمسنا فيها لغوب	١٣٩
٣٦	... لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها	١٣٧
٣٧	... أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر	٣٣٩، ١٣٧، ١١٨

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
٢٢٩	سورة يس (٣٦)	٤٥ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
١٧٨	سورة الصافات (٣٧)	٥٢ وصدق المرسلون
٦٥	سورة ص (٣٨)	١٥٦ أم لكم سلطان مبين
٦٥	سورة ص (٣٨)	١٥٧ فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين
٢٦٢	سورة الزمر (٣٩)	٢٦ يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
١٤٠	سورة الزمر (٣٩)	٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
١٤٠	سورة الزمر (٣٩)	٢٩ كتاب أنزلناه اليك مباركاً ليدبروا آياته
٣٢١٦٢٦٦	سورة غافر (٤٠)	٩ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون
١١٢	سورة غافر (٤٠)	١٧ فبشر عباد
١١٢	سورة غافر (٤٠)	١٨ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
١٤١	سورة غافر (٤٠)	٥٣ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
١٤١	سورة غافر (٤٠)	٥٤ وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له
١٤٠	سورة غافر (٤٠)	٧ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما
٦٢	سورة غافر (٤٠)	١٦ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
٢٢٩	سورة غافر (٤٠)	١٩ يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور

رقم الآية	السورة ورقمها	الصفحة
٨٢	افام يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم	١١٣

سورة فصـات (٤١)

٣٤	ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه	٢٩١
٤٦ وما ربك بظلام للعبيد	٢٥٠

سورة الشورى (٤٢)

٢٥	وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات	١٤٠
٣٨	وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم	١٩٠

سورة الزخـرف (٤٣)

٣٣ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا	٦٢
٥٥	فلما آسفونا انتقمنا منهم	٢٢٩

٦٨	يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون	١٣٩
٧١ وفيها ما تشتهيهِ الانفس وتلذ الاعين	١٣٨

سورة الجاثية (٤٥)

١٣	وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه	٦١
٢١	أم حسب الذين اجترحوا السيئات	٢٦٦/١٤٠

سورة محمد صلى الله عليه وسلم (٤٧)

٤ فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها	٣٦٥
٣١	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين	١٣٥

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
١٦٤	انما الحياة الدنيا لعب ولهو	٣٦
٢٩٨	ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه	٣٨

سورة الفتح (٤٨)

٢٠٧	لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة	١٨
١٥١	وكان الله بكل شىء عليما	٢٦
٢٤٩، ٢٠٧	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار	٢٩

سورة الحجرات (٤٩)

١٩٤	ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	٦
٣٦٨	... ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم	٧
٣٢٦	وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	٩
٣٢٦، ٢٥٢	انما المؤمنون اخوة	١٠

سورة ق (٥٠)

٢٢٨	عن اليمين وعن الشمال قعيد	١٧
٢٧٧، ٢٢٨	ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد	١٨
١٣٨	لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد	٣٥

سورة الأذاريات (٥١)

١١١	وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين	٥٥
-----	-------------------------------	----

سورة الطور (٥٢)

١٣٨	ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون	٢٤
-----	--	----

رقم الآية السورة ورقمها الصفحة

سورة القمر (٥٤)

٤٤ نحن جميع منتصر ٣٦٤

٤٥ سيهزم الجمع ويولون الدبر ٣٦٤

سورة الرحمن (٥٥)

٥٦ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثنهن انس قبلهم ولا جان ٢٠٩

٧٢ حور مقصورات في الخيام ٢٠٩

سورة الواقعة (٥٦)

٢٢ وحور عين ٢٠٩/١٣٨

٢٣ كأمثال اللؤلؤ المكنون ٢٠٩/١٣٨

٢٤ جزاء به — كانوا يعملون ١٣٨

٣٥ انا أنشأناهن انشاء ٢٠٩

٣٦ فجعلناهن أبكارا ٢٠٩

٣٧ عربا أترابا ٢٠٩

سورة الحديد (٥٧)

١٠ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ٢٦٥

٢٠ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ١٦٤

٢٣ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ١٨٤

٢٥ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ١٧٣

سورة المجادلة (٥٨)

٧ وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ٢٢٩

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
١٥١	٧
	٧
	٧
	١٢
	٢٠
	٢
	٣
	٤
	٩
	٤
	١٦
	١٧
	٢
	٣
	٤

رقم الآية	السورة ورقعها	الصفحة
٥	ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته	١٤٤
سورة التحريم (٦٦)		
٥	عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن	٢٠٩
٦	يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا	٢٠٦
سورة المالك (٦٧)		
٢	الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا	١٣٥
سورة القلم (٦٨)		
٤	وانك لعلى خلق عظيم	٣٥٥، ٢٠٥
٣٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين	١٤٠
٣٦	مالكم كيف تحكمون	١٤٠
سورة المعارج (٧٠)		
٦	انهم يرونه بعيدا	١٣٠
٧	ونراه قريبا	١٣٠
١١	... يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بنيه	١٣٨
١٢	وصاحبه وأخيه	١٣٨
١٣	وفصيلته التي تؤيه	١٣٨
١٤	ومن فى الارض جميعا ثم ينجيهِ	١٣٨
١٥	كلا	١٣٨
سورة الجن (٧٢)		
٢٦	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا	١٧٦

الصفحة	السورة ورقمها	رقم الآية
١٧٦	سورة القیامة (٧٥)	٢٧ الا من ارتضى من رسول
٣٣٨، ١٣٧		١٤ بل الانسان على نفسه بصيرة
٣٣٨		١٥ ولو ألقى معاذيره
	سورة الانشمان (٧٦)	
١٣٨		١٣ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
	سورة النازعات (٧٩)	
١٣٧		٣٧ فأما من طغى
١٣٧		٣٨ وآثر الحياة الدنيا
١٣٧		٣٩ فان الجحيم هى المأوى
١٨٢، ١٣٧		٤٠ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
	سورة عبس (٨٠)	
٢٠٤		١٥ بأيدى سفرة
٢٠٤		١٦ كرام بررة
	سورة التكویر (٨١)	
٢٠٤		١٩ انه لقول رسول كريم
٢٠٤		٢٠ ذى قوة عند ذى العرش مكين
٢٠٤		٢١ مطاع ثم أمين
	سورة الانقطار (٨٢)	
٢٠٤، ١١٦		١٢ كراما كاتبين
٢٠٤		١٣ يعلمون ما تفعلون

رقم الآية	السورة ورقمها	الصفحة
	سورة الفاشية (٨٨)	
١٧	أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت	٣٣٨
١٨	والى السماء كيف رفعت	٣٣٩
١٩	والى الجبال كيف نصبت	٣٣٩
٢٠	والى الارض كيف سطحت	٣٣٩
	سورة الفجر (٨٩)	
١٤-٦	ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلا فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد	١١٣
	سورة الضحى (٩٣)	
١١	وأما بنعمة ربك فحدث	١٩٦
	سورة الشرح (٩٤)	
٤	ورفعنا لك ذكرك	١٩٦
	سورة الزلزلة (٩٩)	
٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره	٣٦٨
	سورة العاديات (١٠٠)	
٨	وانه لحب الخير لشديد	٢٩٣
	سورة التكاثر (١٠٢)	
٨	ثم لتسألن يومئذ عن النعيم	١٣٦
	سورة الهمزة (١٠٤)	
٢-٤	جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخذه كلا لينبذن فى الحطمة	٣٠٣

٢ — فهرس شواهد الاحديث النبوى

الصفحة	مطلع الحديث	الحرف الهجائى
		(أ)
٢٧٠	— اتقوا المظالم فان الظلم هى الظلمات يوم القيامة	
٢١٢	— أحب الاسماء الى الله عبد الله وأمثاله	
٢١٢	— أحب الاسماء عبد الله وعبد الرحمن	
١٩٣	— أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما	
١٨٢٥١	— أخوف ما أخاف على أمتى : الهوى وطول الامل	
٣٣٢٥٢٢٩	— إدروا الحدود بالشبهات	
٢٦٦	— اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه	
١٩٥	— اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته	
٢٤٧	— اذا بويح الاميرين فاقتلوا آخرهما	
١٩٨	— اذا رأيت المداحين فاحتوا فى وجوههم التراب	
٣٥٢٥١٧٧	— استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان	
٢٠١	— أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم	
٣١١	— اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس هو أهله	
٦٧	— أطيعوا الامام ولو كان عبدا حبشيا ما أطاع الله فيكم	
١٨٩	— اعقلها وتوكل	
٣١٧	— اعلمهم أن الله قد أوجب عليهم زكاة	
٢٠١	— اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر	
٢٦٦	— اقبلوا ذوى الهيئات عشرا تم	

الصفحة	الحرف الهجائي	مطلع الحديث
٣٦١		— أكرم الموت الشهادة
٣٣٣، ٢٥٢		— أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
٣٣٣، ٣٢٥		— أنا أحق من أوفى بذمته
٣٠٧		— أنا أكرم الشركاء
٢٣٨		— أنا أولى بكل مؤمن من نفسه
٣٥٨		— انفذوا جيش أسامة
٢٣٥		— ان استخلفهم أبا بكر وجدتموه قويا في دينه
٦٦		— ان الارض لا تخلو من حجة
٣٠٥		— ان الاكثرين هم الاخسرون يوم القيامة
١٨٠		— ان حسن العهد لمن الايمان
١٣٥		— ان الدنيا حلوة خضرة
١٧٩		— ان الصدق يهدي الى البر
٢٩٩		— ان في مالك شركاء ثلاثة
٢٥٤		— ان لقريش عليكم حقا ما ان استرحموا رحموا
٣٣٩		— ان الله بعثنى بين يدي الساعة
١٥١		— ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم
٣٨٢		— ان الملائكة لا تحضر شيئا من لهوكم الا النضال والزمان
٢١٧		— ان من البيان لشعرا
٢١٧		— ان من الشعر لحكمة
١٩٢		— ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق

الصفحة	الحرف الهجائي	مطلع الحديث
٣٦٤		— ان النبي كان يحب الفأل ويكره الطيرة
١٩٢		— انك اذا فعلت ذلك هجمت عينك ونهكت نفسك
٣٧٦، ٣٠٧		— انما الاعمال بالنيات
٤٣		— انما الدين النصيحة
٢٥٥		— انما الطاعة في المعروف
١٨٤		— انما الكبر والعظمة ردائي
١٣٠		— انما مثلى ومثل الدنيا كراكب سار في صائف
١٩٤		— اياكم والحسد
٢١٠		— اياكم وخضراء الدمن
٣٨٤		— ايما راع بات ليلة واحدة غاشا لرعيته
	(ب)	
٤٤		— بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة
٢٢٢		— بلو ارحامكم ولو بالسلام
	(ت)	
٢١٠		— تخيروا لنطفكم
٣٢٦		— تقتلك الفئة الباغية
٢١٠		— تنكح المرأة : لملها ومسيمها
	(ح)	
١١٩		— حبك الشيء يعمى ويصم
١٣٩		— حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

الصفحة	الحرف الهجائي	مطلع الحديث
٧١		— حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات
٣٥٣		— الحرب خدعة
	(خ)	
١٩٢		— خير الناس النمط الاوسط
٧٥		— الخير عادة والشر لجاجة
	(د)	
٢٦٩		— دعوه فان لصاحب الحق يدا ولسانا
	(ر)	
٩٥		— رحم الله من ترك المراء وان كان محقا
	(ز)	
٣٨١		— زينوا القرآن بأصواتكم
	(س)	
٦٣		— السلطان ظل الله في الارض
	(ش)	
٢١٧		— الشعر ديوان العرب
	(ص)	
٢٢٢		— صلة الرحم زيادة في العمر
٢٢٢		— صلة الرحم وبر الوالدين
٢٥٧		— الصلاة وما ملكت ايمنكم

الصفحة	مطلع الحديث	الحرف الهجائي
	(ع)	
١٩٤	— العجلة من الشيطان والثأني من الله	
٢٥٥	— عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة	
٢٠٧	— علموا أولادكم الصلاة اذا بلغوا سبعا	
١٥١	— العلماء ورثة الانبياء	
١٣٩	— قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	
	(ك)	
٢٥٢	— كان اذا أراد سفر أوري بغيره	
٣٨٢	— كان يسابق بناقته العضباء	
٢٦٦	— كل الصيد في جوف الفرا	
٢٥٢	— كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	
١٣١	— كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل	
١٣٩	— الكيس من دان نفسه وعمل بما يرضى الله	
	(ل)	
١٨٦	— لا أحد أصبر على الاذى — يسمعه — من الله	
٢٠١	— لا تجتمع أمتي على ضلالة	
٩٥	— لا تختلفوا في الصفوف فتختلف قلوبكم	
٢١٣	— لا ترضع لكم الحمقاء فان اللبن يفسد النسب	
٢٠٦	— لا ترفع عصاك عن أهلك	
٣١٠	— لا تكون الصنعة صنعة الا عند ذي حسب أو دين	
٩٩	— لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا	

مطلع الحديث	الحرف الهجائي	الصفحة
— لا دين لمن لا عهد له		١٨٠
— لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار		١٩٦
— لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق		٣٧٥، ٢٥٥
— لا يترك في الاسلام مقدح		٣٢٠
— لا يعدن أحدكم أخاه عدة ثم لا ينجزها		١٨٠
— لا يقتل مسلم لكافر		٣٢٥
— لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم شراركم		٢٣٦
— لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة		٨٥
— لثلاثمائة ضربة بالسيف أهون من موت على الفراش		٣٦١
— للشهيد نوران ، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار		٣٢٦
— لن تبرح قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل		٢٩٥
— لو استخلف أحدا من غير مشاورة لاستخلف ابن أم عبد		١٩٠
— لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة		٩١
— لى وزيران فى السماء ووزيران فى الارض		١٩٠
(م)		
— ما أحب أن لى مثل أحد ذهباً		٣٠٥
— ما أحد أعظم أجرا من وزير مع سلطان يأمره بذاة الله		٣٢٦
— ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن		٣٨١
— ما ازداد أحد علما فازداد به على الدنيا حرصا		٢٩٢
— ما بال أحدكم اذا وليناه أمرا من أمور المسلمين		٩١

الصفحة	الحرف الهجائي	مطلع الحديث
٩١		— ما ترون هذه هانت على أهلها حتى رموا بها
١٣٠		— ما الدنيا في الآخرة إلا كرجل أدخل إصبعه في اليم
١٥٢		— ما عبد الله بمثل الفقه في الدين
١٢٥		— ما من ساعة تمر على ابن آدم لا يذكر الله فيها
٢٣٦		— ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي
٢٥٠		— ما من وال يلي جماعة إلا جاء يوم القيامة
١٣٧		— ما من وال يلي ولاية إلا جاء يوم القيامة
٦٧		— ما من قوم مشوا إلى السلطان ليذلوهم
١١٨		— مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع يقيمها الريح مرة
١٦٤		— المرء على دين خليله
١٦٥		— المرء مع من أحب
٣٧٦		— من أحب أن يمثل له العبد قياما فليتبؤا مقعده من النار
٦٧ هـ		— من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله تعالى
٣٣٢		— من بدل دينه فاقتلوه
٣٢٠		— من ترك مالا لأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وعلى
١٨٤		— من تواضع لله رفعه
٣٦٥، ٢٦٦		— من دخل دار أبي سفيان فهو آمن
٢١٨		— من روى عنى أربعين حديثاً بعث فيها عالماً
٦١		— من سره أن ينظر إلى الدنيا بحذاق فليبرها
٦٧		— من سعى إلى سلطان ليذله أذله الله

- مطلع الحديث الحرف الهجائي الصفحة
- من سن سنة حسنة كان له أجرها ١٤٩
- من غشنا فليس منا ٥٥
- من غصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين ٢٧٠
- من قتل وأخذ المال صلب ٣٢٩
- من كان عنده علم فكتمه ٤٣
- من لم يبال من حيث كسب المال لم يبال الله من حيث أدخله النار ٢٩٥
- المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يظلمه ٢٥٢
- المؤمن مرآة أخيه المؤمن ٥٣
- المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ٢٥٢
- (ن)
- الناس رجالان : عالم ومتعلم وما سوى ذلك همج ١٥١
- نصف العقل — من الله — بعد الايمان مداراة الناس ٢٩١
- (ي)
- يا بنى عبد مناف ، انقذوا أنفسكم من النار ٢٠٦
- يسير العلم خير من كثير العبادة ١٥١

٣ - فهرس القوافي

صدر البيت القافية اسم الشاعر عدد الصفحة
الأبيات

(الهمزة)

إمام يخاف الله مساء أبو نواس ١ ١٠٤

كانت قناني الامساء للنمرين تولب ٢ ١٢٣

(الألف المقصورة)

تصول على الأدنى يا يحيى بعض قرابات يحيى ٢ ٢٢٤

ابن خالد

(ب)

إذا قلت في شيء واجب لابن أبي حازم أو ١ ١٨١

أبي الأسود الدؤلى

ولا تحسبون الخير لازب النابغة الذبياني ١ ١٨٦

خليفة الله كافاً والحسب أبو تمام ٢ ١٠٦، ٧٣

ما يأكل الناس شيئاً الغضب — ٢ ٢٠٢

لعمري لقد أوفيت صعب — ٣ ٧٢

ولقد نصحتك ويوهب — ١ ٥٦

كم رأينا من مهيب صالح بن عبد القادر ٨ ١١٦

سأغسل عنى العار جالبا سعد بن ناشب ١ ٣٣٦

جفاني الأمير ومغيرة مثله جانبه بشر بن المغيرة ٤ ٢٢٣

إذا اعتصم الوالى حاجبه محمود الوراق ٥ ٢٨٠

صالح البيت	القافية	الشاعر	عدد الأبيات الصفحة
(ت)			
فإن املت	الحاليات	صالح بن عبد القدوس	١١٦ ٥
ان الشباب والفراغ	مفسدة	لأبي العتاهية	٢٣٢ ١
ما أعجب الدهر	دولته		١٢٣ ٢
(ج)			
أخلاق بنى الصبر	يلجأ	محمد بن يسير	١٨٧ ٢
(ح)			
أخاك أخاك	سلاح	مسكين الدارمي	٢٢٣ ٢
قد عذب الحب	صالح		٧٢ ٢
(د)			
فإن غليات الأمور	الأوساد	العتابي	٧٣ ١
ياخير منتصف يهدي له	الباسد	أمرأة تشكو للمأمون	٢٧٤ ٣
إذا كان ذو القربى	بعيد	الشافعي	٢٢٤ ٢
ولست أرى السعادة	السعيد	الخطيئة	١٤٥ ٣
ألا كل من يتقى	السعيد		١٤٥ ١
في دون ما قلت	الكبد	المأمون	٢٧٥ ٥
أرى الناس قد ملوا	الموارد		٣١٤ ٢
لا يصلح الناس فوضى	سبادوا	الأفوه الأودي	٨٢ ١
إذا أنت لم ترحل	تزودا	الأعشى	١٤٥ ٢
نفسك عندك	بجاهل		٣٠١ ٣

صدر البيت	القافية	للشاعر	عدد الابيات	الصفحة
احسن ثم احسن	فعادا		٣	٣١٥
عن المرء لا تسأل	مقتدى	عدي بن زيد	١	١٦٦
(ر)				
هواك فلا تكذب	أسير		٢	١٣٢
قوم إذا حاربوا	باطهار	الأخطل	١	٣٤٤
وتفكر رب الخورنق	تفكير	عدي بن زيد	١	٦٤
ركوبك الهول	تغريض	عبد الله بن طاهر	٥	٣٥١
أى يومى من الموت	قدر	علي بن أبي طالب	١	٣٦١
ولقد رأيت بباب دارك	تكدير		٢	٢٨١
وإذا اغنيت	الدهر	عثمان بن عفان	٢	١٨٥
وكان لم يكن بين الحجون ساءر		يحيى بن خالد	٢	٣٦٤
يد المعروف غم	شكور	عبد الله بن المبارك	٢	٣١١
ما هى إلا ليلة	شهر		٣	١٢٦
بنيت بما خنت الأنام	الضبر	لأبي نواس	٢	٣٠٩
تعودت مس الضبر	الضبر	لأبي العتاهية	٢	٧٥
بلى نحن كنا أهلها	العواثر	يحيى بن خالد	١	٣٦٤
نار ولا عار	النار	الليث بن رافع	١	٣٣٧
الموت خير من ركوب	النار	الحسين بن علي	١	٣٣٧
وكنت إذ احللت	عارا	جرير	١	٣٣٨
تغنى اللذادة	والعار	علي بن أبي طالب	٢	٣١٦

صدر البيت	القافية	الشاعر	عدد الصفحة
فقلنا له ما الاسم	عمرا	لأبي نواس	٢١٢ ٣
وعاجز الرأي مضيا	القندرا	الرياشي	٣٤١ ١
لا تحقرن من الأمور	كبارا		٢٨٨ ٢

(س)

ولو صالح الناس	اساس		٦٥ ١
والناس جسم	رأس	علي بن جبلة (العكوك)	٦٥ ١
إذا لم يكن صدر	المجالس		٨٢ ٢
كانوا إذا غرسوا	اساسا		٣١٤ ٢
ان البرامكة الكرام	الناس	العطوى	٧٤ ٢
دع المكارم لا ترحل	الكاسي	الخطيئة	٢٣٣ ١

(ض)

سأمنح مالي لكل	القرض	اعرابي	٣١١ ٢
شاع في الفناء	فعضوا		١٢٥ ٢

(ع)

أمن خوف نقر تعجلته	تجمع		٣٠٤ ٢
ولا أنا	جازع	لييل	١٨٥ ١
ستبلغ عذرا	راكع	النابعة الديباني	٦٤ ١
إني وجدت من المكارم	وتشبعوا	عبد الرحمن بن حسان	٢٣٣ ٢

(ف)

الحب ظهر أنت راكبه	انصرفا		٧٢ ١
--------------------	--------	--	------

عدد الأبيات	الصفحة	الشاعر	القافية	صنعت البيت
(ق)				
١٠٤	١	لأبي نواس	تخلق	وأنخفت أهل الشرك
١٣٤	١	لأبي نواس	صديق	إذا امتحن الدنيا
٣٠١	٥	العطوى	فتطرقة	يا جامعا مانعا والدهر
				يرمقه
(ك)				
٢٨٢	٢		المسالك	سأترك بابا أنت
(ل)				
٣٦١	٢	معاوية	الأجل	كأن الجنان يرى
١٢٤	١		الأجل	ما نلت شيئا من الدنيا
٢٦٨	٤	لأبي معاذ	البذل	إذا كنتم للناس
١٣٢	٢		الجميل	كم أسير شهوة
١٨٨	١		العسل	الصبر أوله
٧٦	١		فعل	إذا ركبوا الأعواد
١٨٨	١	عبيد بن الأبرص	المحتال	اصبر الناس
٨١	٢	عبيد الله بن	وال	لا بد للشاة من راع
		عبد الله بن طاهر		
٣٨٧	١	مسلم بن الوليد	الوالجل	الزائنون قوم
١١٥	٣	ليبيد بن ربيعة	هابل	فقولا له
١٣١	١	ليبيد بن ربيعة	يزايل	فاضحى كأحلام النيام
١٢٣	١	نمر بن تولب	يفعل	يريد الفتى طول السلامة

صدر البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	الصفحة
يسرى الفقى	قاتله		١	١٤٤
سأترك هذا انباب	قليلا	محمود الوراق	٣	٢٨١
رأيت التقي	ناقلا	زهير بن أبي سلمى	٢	١٤٥
اتطعم أن تحامد	تنالك	لأبي العتاهية	٥	٥٨

(م)

غضبت لغضبتك	الإسلام	لأبي محمد التيمي	٢	٢٥٨
لن يبلغ الحبد أقواما	الأقوام	لابن عائشة	٢	٧٣
إذا تم أمرا	تم	علي بن أبي طالب	٣	١٢١
أرى خلل الرماد	ضرام	لأبي مريم البجلي	٦	٢٨٨
لولا أميمة لم أجزع	الظلم		٣	٢٣٨
ما بكيتم السر	مكتوم	الحسين بن عبيد الله	٢	١٧٧
هو السبيل	النوم		٢	١٣١
سيأتيك ما أفنى القرون	وجرهم	عم المنصور	٢	٣٦٢
من يجعل المعروف	يندم	زهير بن أبي سلمى	١	٣١٠
نخنازير ناموا	ينم	محمود الوراق أو محمد بن عروس		٨٢
أناة فإن لم تغن	عزائم		١	٢٩١
أرى صاحب الدنيا	انعمسا		١	١٢٢
أرى بصرى قد رابى	تسقما	حميد بن ثور الحلالى	١	١٢٢
وان يدا بالداء قد	يتقدها		٢	٢٣٠
طال سقمها				

صدر البيت القافية الشاعر عدد الأبيات الصفحة

(ن)

الحرص عون للزمان	الأزمان	قيس بن الخطيم	٣	١٨٧
في كل عام غزوة	الأقران		٤	١٠٤
إذا كنت جماعا لمالك	أمين	الثعلب	٢	٣٠١
هو صاحب	بالقرين		١	١٦٦
يا أيها الملك المسربل	الحدثان	دعبل الخزاعي	٤	٣٦٣
ترك الأمور	دين	الزبير بن العوام	٢	٣٣٧
إذا جاور الإثنين	ضمين		٢	١٧٨
خليلى ليس الرأى	ما ترايان	عطارد بن تران	٢	١٩١
إذا كنت ذا مال	واغناني	الحزيمي	٦	٣٠٣، ٣٠٢
فانك لن ترى طرد	الهوان		٢	٣١٣
وما من شيمتى	أيرتجيني	حاتم الطائي	١٠	٢٢٣

٤ - فهرس الأعلام

(أ)

ابراهيم بن العباس (الكاتب) ٢٩٠ .
ابرويز بن هرمز (كسرى فارس) ١٨٩ ، ٤٥ .

أحمد بن أبي خالد (وزير المأمون) ٢٧٦ ، ٢٧٥ .

الأخنف بن قيس (الحكيم) ٣٩٣ .
أودشير بن بابك (كسرى فارس) ٥٤ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٩٠ ، ٣٥٦ .

ارسطوطاليس (الفيلسوف) ٥٥ ، ٥٨ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٢ ، ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ .

أسامة بن زياد (الصحابي) ٣٥٨ .
اسحاق بن أحمد الساماني (والى نخرسان) ١٠٧ .
الاسكندر المقدوني (القائد اليوناني) ٥٨ ، ٥٩ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٢ ، ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ .

أفلاطون (الحكيم اليوناني) ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٨٢ .
انشروان (كسرى فارس) ١٠٨ ، ١٧٢ ، ٢٤٣ ، ٣٩٢ .

البلد (زعيم الهند) ٧٨ ، ٣٩٥ .
بزرجمهر (وزير وحكيم فارس) ١٥٣ ، ١٥٢ .
أبو بكر الصديق (الخليفة الراشد) ٩٥ ، ١٥٦ ، ٢٣٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ .
أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم (القاضي) ٣٨٦ .
مهرام جور (كسرى فارس) ١٨٩ ، ٢٧٣ .

البلد (زعيم الهند) ٧٨ ، ٣٩٥ .
بزرجمهر (وزير وحكيم فارس) ١٥٣ ، ١٥٢ .
أبو بكر الصديق (الخليفة الراشد) ٩٥ ، ١٥٦ ، ٢٣٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ .
أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم (القاضي) ٣٨٦ .
مهرام جور (كسرى فارس) ١٨٩ ، ٢٧٣ .

البلد (زعيم الهند) ٧٨ ، ٣٩٥ .
بزرجمهر (وزير وحكيم فارس) ١٥٣ ، ١٥٢ .
أبو بكر الصديق (الخليفة الراشد) ٩٥ ، ١٥٦ ، ٢٣٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ .
أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم (القاضي) ٣٨٦ .
مهرام جور (كسرى فارس) ١٨٩ ، ٢٧٣ .

١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ .

اسماعيل الساماني (الماضي - أمير خراسان) ١٠٧ .

الأعشى (ميمون بن قيس - الشاعر) ١٤٤ .

الأعشى (سليمان بن مهران - الراوى) ٨٣ .

أفلاطون (الحكيم اليوناني) ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٨٢ .

انشروان (كسرى فارس) ١٠٨ ، ١٧٢ ، ٢٤٣ ، ٣٩٢ .

(ب)

البلد (زعيم الهند) ٧٨ ، ٣٩٥ .

بزرجمهر (وزير وحكيم فارس) ١٥٣ ، ١٥٢ .

أبو بكر الصديق (الخليفة الراشد) ٩٥ ، ١٥٦ ، ٢٣٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ .

أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم (القاضي) ٣٨٦ .

مهرام جور (كسرى فارس) ١٨٩ ، ٢٧٣ .

حميد بن عبد الحميد (قائد حربي
للمأمون) ٦٥ .

(ح)

أبو خالد الأعور (الخارجي) ٣٦٤ .
خالد بن عبد الله القسري (والي
عراق) ٢٨٠ ، ٣١٣ .
خالد بن الوليد (الصحابي) — القائد
الحربي) ٣٥٨ ، ٣٨٣ .
الحري (استحقاق بن حسان — الشاعر
٣٠٢ .

(د)

داود (النبي) ٦٢ ، ١٠٠ ، ٢٣٦ ،
٢٥١ .
أبو داود (القائد حربي) ٣٦٤ .
أبو الورداء (الصحابي) ١١٤ .
دعبل بن علي الخزاعي (الشاعر)
٣٦٣ .

(ذ)

ذو القرنين (ملك عادل) ١٠٠ .
أبو ذر (الصحابي) ٢٢٢ .

(ر)

رستم بن فرخزاد (القائد الحربي
الفرسي) ١٧٢ ، ٣٤٩ .

(ز)

الزبير بن العوام (حواري رسول
الله) ١٥٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٨٣ .
زهير بن أبي سلمى (الشاعر الجاهلي)
١٤٥ .

(ت)

أبو تمام (حبيب الطائي — الشاعر)
٧٣ ، ١٠٦ .

(ث)

ثمالة بن أشرس (المعتزلي) ٧١ .

(ج)

جالوت (ملك قديم) ٦٢ .
الجاحظ (عمرو بن بحر — الأديب)
١٩٩ .

جرير بن عبد الله (الصحابي) ٤٤ .
جعفر بن محمد (التابعي) ٣١١ ،
٣١٢ .

جعفر بن يحيى (الوزير) ١٩٥ .
أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي)
٥٦ ، ٥٧ ، ٧٩ ، ١٠٣ ، ٢٧٨ ،
٣٦٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ .

(ح)

حاتم الطائي (الجواد) ٢١٧ .
الحارث بن كلدة (الطبيب العربي)
٢١٦ .

الحجاج الثقفي (الوالي الأموي) ١٢٥
١٧٦ .

الحسن البصري (التابعي — الزاهد)
١٢٤ ، ١٣٤ ، ٢٥٧ ، ٣٠٠ ،
٣٣٦ .

الحسن بن سهل (وزير المأمون)
٣١٢ .

الحسن بن علي (سبط الرسول) ٣٨٤
الحسين بن علي (سبط الرسول) ٣٣٧ .

زياد بن أبيه (الوالى الأموى) ٢٧٧ ،
٢٧٩ .

(س)

سابترم (ملك الهند) ١٦١ ، ١٨٣ .
سابور بن اردشير (كسرى فارس)
٥٤ ، ٧٨ ، ١٠٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٢ .
سفيان الثورى (التابعى — المحدث)
٣١٢ ، ٥٦ .

سلمان الفارسى (الصحنى) ٩٥ .
سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموى)
٢٣٨ ، ٣٨٦ .

سليمان بن داود (النبي) ١٠٠ ، ١٢٣ .
ابن السماك (الزاهد) ٥٧ .

(ش)

الشافعى (الإمام) ٢٢٤ .
شريح بن الحارث (القاضى) ٢٧٠ .
شفيق بن سلمة (الراوى) ٨٣ .
الشهيد (أحمد بن نصر السامانى)
١٠٨ .

(ص)

صالح بن عبد القدوس (الشاعر)
١١٦ .
صريع الغوانى (مسلم بن الوليد —
الشاعر) ٢٤٠ .

(ط)

طرفة بن العبد (الشاعر) ١٦٦ .
طلحة الطلحات (الجواد) ٣١٤ .
طلحة بن عبيد الله (المشهود له بالجنة)
١٥٦ ، ٣٤٠ .

(ع)

العباسى بن المأمون (ابن الخليفة
الأموى) ٢٧٥ .

العباس بن مرداس (الشاعر) ٣٨٣ .
ابن عباس (الصحنى) ١٨٥ ، ٣١١ ،
٣١٢ .

أبو العباس (السفاح) ١٠٣ .
عبد الحميد بن عبد الرحمن (الوالى
الأموى) ٣٢٠ .

عبد الرحمن بن عوف (المشهود له
بالجنة) ٨٦ .

عبد الصمد بن عبد الأعلى (المؤدب
الأموى) ٢٢٠ .

عبد الله بن الأهم (البخيل) ٣٠٠ .
عبد الله بن ربيعة (الصحنى) ٣٨٣ .
عبد الله بن طاهر (الوالى العباسى)
٢٤٢ ، ٢٧٨ ، ٣٥١ .

عبد الله بن عمرو بن العاصى (الصحنى)
١٩٢ .

عبد الله بن مسعود (الصحنى) ٣٧٨ .
عبد الله بن المعتز (الشاعر) ١٥٣ ،
١٦٢ ، ١٩١ .

عبد الله بن المقفع (الأديب) ٣٩١ .
عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموى)
٧٦ ، ٢١٧ ، ٢٧٨ ، ٣٩٠ .

العتابى (الشاعر) ١٢٩ .
عتبة بن أبى سفيان (الخطيب الأموى)
٢٢٠ .

عنتره العبسي (الشاعر الجاهلي) ٢١٧
عيسى بن رستم (الراوي) ٣٢٠ .
عيسى بن مريم (النبي) ٢٠٥ ، ٢٠٦
عيسى بن موسى (الوالي العباسي)
٣٦٢ .

(ف)

الفضل بن سهل السرخسي (وزير
المأمون) ٣٨٨ .

(ق)

القاسم بن عباد الرحمن (المحدث)
٢٥١ .

قثم بن جعفر بن سليمان (الراوي)
١٩٥ .

قطبة بن حميل (الراوي) ٢٧٤ .

قيس بن عاصم (الصحابي) ٢٦٦ .

قيس بن معاذ (مرتلة) ٣٦٦ .

(ك)

كعب بن مالك (شاعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم) ٣٨٣ .

(ل)

لبيد بن ربيعة (الشاعر الجاهلي الحكيم)
١١٥ ، ١٣١ ، ١٨٥ ، ٢١٧ .

الليث بن رافع (الأديب) ٣٣٧ .

(م)

المأمون (الخليفة العباسي) ٧١ ،

١٠٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣١٢ ،

٣٨٩ .

مجمع بن أبي رجاء (الراوي) ٣١٩

عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ١٨٥
٣٢٠ ، ٣٥٨ .

عدي بن زيد (الشاعر الجاهلي) ٦٤ .
العطوي (الشاعر العباسي) ٧٤ ،
٣٠١ .

علي بن أبي طالب (الخليفة الراشد)

٧٨ ، ١٢٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ،

١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٥ ، ٢٧٠ ،

٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،

٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ،

٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ،

٣٧٨ .

عمار بن ياسر (الصحابي) ٣٢٦ .

عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد)

٥٥ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ،

٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ،

٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٣١٨ ،

٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٥٨ ، ٣٧٨ ،

٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٣ .

عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموي

الراشد) ١٠١ ، ١٧٦ ، ٣١٩ ،

٣٢٠ ، ٣٧٤ ، ٣٨٥ .

عمرو بن أمية الضمري (الصحابي)

٣٨٦ .

عمرو بن العاص (الصحابي) ٣٥٨ ،

٣٩٣ .

عمرو بن عبيد (المعتزلي — الزاهد)

٥٧ ، ٧١ ، ٧٩ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ،

٢١١ ، ٣٠٩ .

- | | |
|--|--|
| <p>معاذ بن جبل (الصحابي) ٣١٧ .
معاوية بن أبي سفيان (الخليفة
الأموي) ١٥٧ ، ١٧٥ ، ٢٦٤ ،
٢٧٧ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٦١ ،
٣٩٣ .
ابن المعتز (الأديب) ٢٩٩ .
المعتصم (الخليفة) ٧٣ ، ١٠٥ .
أبو موسى الأشعري (الصحابي)
٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٣٨٤ .
موسى بن عمران (النبي) ١٠١ .
المهلب بن أبي صفرة (الوالي الأموي)
١٧٥ .</p> | <p>محمد بن الحنفية (التابعي) ٢١١ .
محمد بن طاهر بن عبد الله (الوالي
العباسي) ٣٦٣ .
أبو محمد التيمي (الشاعر العباسي)
٢٥٨ .
محمود الوراق (الشاعر الحكيم) ٢٨٠
المدائني (الراوي - المؤرخ) ٣٩٠ .
مروان بن محمد (آخر ملوك بني
أمية في الشام) ٣٤٣ .
أبو مسلم الخرساني (صاحب الدعوة)
٣٦٢ .
مصعب بن الزبير (التابعي) ٨١ .</p> |
|--|--|

(ن)

- النابعة الذبياني (الشاعر الجاهلي) ٦٤ ، ١٠٥ ، ١٨٥ .
النزال بن سبرة (التابعي) ٣٨٢ .
نصر بن أحمد (صاحب خراسان) ١٠٧ .
النعمان بن المنذر (الملك العربي الجاهلي) ٦٤ .
أبو نواس (شاعر الحمر) ١٠٤ ، ٢١٢ .

(هـ)

- هارون الرشيد (الخليفة العباسي) ٥٧ ، ١٠٣ ، ١٩٥ ، ٢٥٨ ، ٣٥٤ .
أبو هريرة (الصحابي) ٢٥١ ، ٢٥٥ .
الهيثم بن عدي (الراوي) ٢٨٠ .

(و)

- الواثق بالله (الخليفة العباسي) ١٠٦ .
الواقدي (المؤرخ) ١٥٣ ، ٣٩٠ .

(ى)

يحيى بن أكرم (القاضي) ٢٧٥ .

يحيى بن خالد (مؤدب الرشيد) ٢٢٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

يزدجرد (الملك الفارسي) ١٨٩ ، ٢٧٢ .

يزيد بن ثابت (الصحابي) ٢٧٠ .

يزيد بن مزيد (القائد) ٣٨٦ .

يزيد بن الوليد (الناقص — الخليفة الأموي) ١٠١ :

يعقوب (النبي) ١٧٦ .

يوسف بن يعقوب (النبي) ١٠٠ ، ١٧٦ ، ٢٠٥ .

يوشع بن نون (النبي) ١٠١ .

٥ — فهرس مصادر التحقيق والتعليق

— القرآن الكريم —

— المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، اعداد : محمد فؤاد عبد

الباقي

(أ)

— آثار الاول فى ترتيب الدول : للحسن بن عبد الله بن محمد ، من

علماء القرن الثامن الهجرى ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٥ هـ .

— الاجماع : للامام ابن المنذر ، المتوفى ٣١٨ هـ ، تحقيق الدكتور

فؤاد عبد المنعم ، تقديم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ، مطبوعات

رئاسة المحاكم الشرعية ، دولة قطر ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م .

— أحكام القرآن : لابن العربى ، الفقيه المالكى ، المتوفى ٥٤٣ هـ ،

تحقيق على البجاوى ، ٤ أجزاء ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ —

١٩٥٩ م .

— الاحكام السلطانية والولايات الدينية — لابی الحسن الماوردى ،

المتوفى ٤٥٠ هـ ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .

— الاحكام السلطانية : لابی يعلى الفراء ، الفقيه الحنبلى ، المتوفى

٤٥٨ هـ ، صححه وعلق عليه الشيخ محمد حامد الفقى ، مطبعة الحلبي ،

القاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٩ م .

— أخبار القضاة : لوكيع ، محمد بن خلف بن حيان ، المتوفى ٣٠٦ هـ ،

تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٦ هـ

— ١٩٤٧ م .

— أدب الدنيا والدين : للماوردى المتوفى ٤٥٠ هـ ، تحقيق مصطفى

السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

— أساس البلاغة : للزمخشري ، محمود بن عمر ، المتوفى ٣٥٨ هـ من

مطبوعات كتاب الشعب ، القاهرة •

— الاستيعاب في معرفة الاصحاب : لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف

بن عبد الله الاندلسي المالكي ، المتوفى ٤٦٣ هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي

مطبعة نهضة مصر •

— أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين بن الاثير ، المتوفى

٦٣٠ هـ ، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ،

ومحمود عبد الوهاب فايد ، كتاب الشعب ، مصر ، ١٩٧٠ •

— الاعلام (قاهوس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب

والمستعربين والمستشرقين) : لخير الدين الزركلي ، المتوفى ١٣٩٧ هـ ،

الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •

— الاغانى : لابي الفرج الاصبهاني ، علي بن الحسين ، المتوفى

٣٥٦ هـ من مطبوعات تراثنا ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية •

— الافصاح عن المعاني الصحاح : للوزير ابن هبيرة ، يحيى بن محمد

المتوفى ٥٦٠ هـ ، جزآن ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

— أمالي المرتضى : الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

المتوفى ٤٣٦ هـ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥ هـ •

— الامثال : لابي عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى ٥٢٢ هـ ، تحقيق

الدكتور عبد المجيد قطامش ، من مطبوعات مركز البحث العلمي واهياء

التراث الاسلامي بمكة المكرمة ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ

— ١٩٨٠ م •

— الامثال والحكم : للماوردي ، المتوفى ٤٥٠ هـ ، تحقيق الدكتور

فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م •

— الام : للامام الشافعي ، محمد بن ادريس ، المتوفى ٢٠٤ هـ ،

المطبعة الاميرية ، مصر ، ١٣٢٤ هـ •

— الاموال : لابي عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى ٢٢٤ هـ ، تحقيق

محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م •

— الايجاز والاعجاز : للثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن

اسماعيل ، المتوفى ٤٢٩ هـ ، مكتبة دار البيان ، بيروت ، دون تاريخ •

(ب)

— البخلاء : للخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، المتوفى

٤٦٣ هـ ، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب مع الدكتور خديجة الحديشي وأحمد

ناجي القيس ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م •

— بدائع السلك في طبائع المالك : لابي عبد الله بن الازرق ، المتوفى

٨٩٦ هـ ، تحقيق وتعليق الدكتور علي سامي النشار ، مطبوعات وزارة

الاعلام العراقية ، ١٩٧٧ م •

— بداية المجتهد ونهاية المقتصد : لابن رشد ، محمد بن أحمد ،

المتوفى ٥٩١ هـ ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •

— بهجة المجالس ، وأنس الجالس وشحذ الذاهن والهاجس : للامام

ابن عبد البر ، المتوفى ٤٦٣ هـ ، تحقيق الدكتور محمد مرسى الخولعي

وراجعه عبد القادر القط ، جزءان ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،

القاهرة ، ١٩٦٢ م •

— البيان والتبيين : للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، المتوفى ٢٥٥ هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م •

(ت)

— تاج العروس من جواهر القاموس : لعيسى السيد محمد المرتضى الزبيدي ، المتوفى ١٢٠٥ هـ ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ •

— التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ — المتوفى ٢٥٥ هـ ، تحقيق فوزى عطوى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ١٩٧٠ م •

— تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبرى) : لابن جرير الطبرى — المتوفى ٣١١ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩ م •

— تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) : للخطيب البغدادي ، المتوفى ٤٦٣ هـ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، مصورة عن طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م •

— تاريخ الخلفاء : للسيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر المتوفى ٩١١ هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بمصر الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •

— تاريخ سنن ملوك الارض والانبياء وعليهم الصلاة والسلام : لحمزة بن حسين الاصفهاني ، المتوفى ٣٥١ هـ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ م •

— تاريخ القضاء في الاسلام : للشيخ محمود عرنوس ، المتوفى ١٣٧٤ هـ ، مصر ، ١٩٣٥ م •

- تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر) : لزين الدين
عمر بن الوردي المتوفى ٧٤٩هـ ، تحقيق أحمد رفعت البدر اوى ، المطبعة
المحمدية ، النجف ، العراق ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م •
- القبر المسبوك في نصيحة الملوك : للامام أبى حامد الغزالي ،
المتوفى ٥٠٥هـ ، مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٨٧هـ — ١٩٦٨م •
- تحرير الاحكام في تدبير أهل الاسلام : للامام بدر الدين بن
جماعة ، المتوفى ٧٣٣هـ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم وتقديم الشيخ
عبد الله بن زيد ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية ، دولة قطر ، ١٤٠٥هـ
— ١٩٨٥م •
- تحفة الادباء وسلوه الغرباء : للخيارى ، ابراهيم بن عبد الرحمن
الخيارى ، المتوفى ١٠٨٣هـ تحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائى ، الجزء
الثالث ، وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٨٠م •
- تذكرة ابن حمدون (السياسة والآداب الملكية) : بهاء الدين محمد
بن أبى سعد الحسن ، المتوفى ٥٦٢هـ ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٣٤٥هـ
— ١٩٢٧م •
- التذكرة السعدية في الاشعار العربية : لمحمد بن عبد الرحمن بن
عبد المجيد العبيدى (من رجال القرن الثامن الهجرى) ، تحقيق عبد الله
الجبورى المكتبة الاهلية ، بغداد ، العراق ، ١٩٧٢م •
- الترغيب والترهيب : لزكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى
المنذرى ، المتوفى ٦٥٦هـ ، الطبعة المفيرية ، مصر •
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر (في أخلاق الملك وسياسة الملك)
للماوردى ، على بن محمد ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق محبى هلال السرحان

ومراجعة وتقديم الدكتور حسن الساعاتي ، دار النهضة المصرية ، بيروت
١٩٨١ م •

— التعريفات : للجرحاني ، السيد الشريف علي بن محمد بن علي ،
المتوفى ٨١٦ هـ الحلبى ، القاهرة ، ١٩٣٨ م •

— تفسير القرآن العظيم : لاسماعيل بن كثير ، المتوفى ٧٧٤ هـ ،
تحقيق عبد العزيز غنيم مع محمد أحمد عاشور ، ومحمد ابراهيم البنا ،
طبعة كتاب الشعب ، مصر ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧١ م •

— تفسير الماوردى (النكت والعيون) للماوردى ، المتوفى ٤٥٠ هـ ،
تحقيق خضر محمد خضر ، ومراجعة الدكتور عبد الستار أبو عترة مطبوعات
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، الكويت ، ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م •

— القمثيل والمحاضرة : لابي منصور الثعالبى ، المتوفى ٤٢٩ هـ ،
تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٨١ هـ —
١٩٦١ م •

— تهذيب الاسماء واللغات : للنووى ، أبو زكريا محي الدين بن
شرف النووى ، المتوفى ٦٧٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مصورة عن
الطبعة المنيرية بمصر •

— تهذيب تاريخ ابن عساكر : لعبد القادر بن بدران ، المتوفى
١١٤٣ هـ ، ٧ أجزاء ، طبع في دمشق ، ١٣٢٩ هـ — ١٣٥١ هـ •

— تهذيب الرياسة وترتيب السياسة : للقلى ، محمد بن علي ،
المتوفى ٦٣٠ هـ تحقيق ابراهيم يوسف مصطفى ، مكتبة المنار ، الاردن ،
١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م •

— تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢ هـ ، ١٢ جزء
مطبوعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٢٧ هـ .

— جامع الاصول في أحاديث الرسول : لابن الاثير ، المتوفى ٦٠٦ هـ ،
تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، مكتبات الحلواني والملاح والبيان بدمشق
١١ جزء ، ١٣٨٩ — ١٩٦٩ .

— النجام الصحيح (وهو سنن الترمذى) : لابی عيسى محمد بن
عيسى بن سورة ، المتوفى ٢٧٩ هـ ، تحقيق الشيخ أحمد شاکر وآخرين
طبعة دار احياء الكتب العربية ، الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧ — ١٩٦٥ م
— وأخرى ، تحقيق عزب عبيد الدعاس ، المطبعة الوطنية ، سوريا
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

— الجامع الصغير : لجلال الدين السيوطي ، المتوفى ٩١١ هـ ، دار
القلم ، مصر ، ١٩٦٦ م
— الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي) : لابی عبد الله محمد
بن أحمد الانصارى القرطبي ، المتوفى ٦٧١ هـ ، دار الكتاب (العربي)
مصر ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .

— جمهرة أشعار العرب : لابی زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى
المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجرى ، طبع في مصر .
— جمهرة الامثال : لابی هلال العسكري ، المتوفى ٣٩٥ هـ ، على

هامش مجمع الامثال للميداني ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣١٠ هـ .
— الجوهر اللامع فيما ثبت بالسمع من حكم الامام الشافعى
المنظومة والمنثورة ، لحسين بن عبد الله باسلامة ، المتوفى ١٣٥٦ هـ ، مطبعة

• كردستان العلمية ، مصر ، ١٣٢٦ هـ •

(ح)

— أبو الحسن الماوردي (من أعلام الاسلام) : للدكتور فؤاد عبد

المنعم مع الدكتور محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ،

• ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •

— الحسن البصري : لابن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧ هـ ، طبعة الخانجي

• مصر ، ١٩٢٩ •

حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء : لأبي محمد

عبد الله بن محمد العبد لكانى الزوزنى ، المتوفى سنة ٤٣١ هـ ، تحقيق محمد

جبار المعبيد ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٣ م

— حكم الاسلام فى القضاء الشعبى (بحث مقارنة) للدكتور فؤاد

عبد المنعم مطبعة الاسكندرية ، ١٩٧٣ م •

— حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : لأبي نعيم الاصبهاني ، المتوفى

• ٤٣٠ هـ ، ١٠ مجلدات ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ •

— الحيوان : للجاحظ ، المتوفى ٢٥٥ هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام

هارون ، المجمع العلمى العربى الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨

• هـ — ١٩٦٩ م •

(خ)

— خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادي

المتوفى ١٠٩٣ هـ ، أربع مجلدات ، طبع مصر ، ١٢٩٩ هـ •

ونسخة أخرى محققة للاستاذ عبد السلام هارون ، ٩ أجزاء ،
دار الكاتب العربى والخانجى ، القاهرة ، ١٩٦٣ — ١٩٨١ م •

(د)

— دستور معالم الحكم (من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب)
لابى عبد الله محمد القضاعى ، المتوفى ٤٥٤ هـ ، طبع مصر •

— دول الاسلام للذهبي ، المتوفى ٧٤٨ هـ ، تحقيق فهمي محمد شلتوت
محمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٤ م •

— ديوان جرير بن عطية بن حذيفة ، المتوفى ١١٠ هـ ، طبع في مصر ،

جـ — زءان •

— ديوان الحطيئة ، جرول بن أوس ، مات نحو ٤٥ هـ ، الحلبي ،

١٩٥٨ م •

— ديوان حميد بن ثور الهلالي ، المتوفى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى

مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١ هـ — ١٩٥١ م •

— ديوان على بن أبى طالب (الامام) المتوفى ٤٠ هـ ، مصر ، دون

تاريخ — خ •

— ديوان أبى العتاهية المتوفى ٢١٣ هـ ، بيروت ، ١٩١٤ م •

— ديوان عمرو بن قيمته . المتوفى نحو ٥٦٤ م ، تحقيق وشرح

وتعليق حسن كامل الصيرفى ، مجلة معهد المخطوطات العربية — مصر ،

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م •

— ديوان أبى نواس ، المتوفى ١٩٩ هـ ، دار بيروت ، ١٤٠٢ هـ

١٩٨٢ م •

(ذ)

— ذيل الامالى : لابی على اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى ،
المتوفى ٣٥٦ هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م .

(ر)

— رسائل الجاحظ ، لابی عثمر عمرو بن بحر ، المتوفى ٢٥٥ هـ ، تحقيق
عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

— روضة الطالبين : للنووى ، يحيى بن شرف ، المتوفى ٦٧٦ هـ ، ١٢
جزءا المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ — ١٣٩٥ هـ .

— روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : لابی حاتم محمد بن حيان
البستى ، المتوفى ٣٥٤ هـ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ٤ مطبعة السنة
المحمدية ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

(ز)

— زاد المسير فى علم التفسير : لابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على ،
المتوفى ٥٩٧ هـ ، ٩ أجزاء ، المكتب الاسلامى ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ .

— الزهد : للإمام أحمد بن حنبل ، المتوفى ٢٤١ هـ ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .

— زهر الاداب وثمر الالباب : لابی اسحاق الحصرى القيروانى ،
المتوفى ٤٥٣ هـ ، تحقيق الدكتور زكى مبارك ، المكتبة التجارية ، مصر .

• ١٩٢٥ م

(س)

- سراج الملوك : لابی بكر الطرطوشي ، الفقيه المالكي ، المتوفى ٥٢٠ هـ ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ ، وأخرى بالمطبعة المحمودية ، مصر ، ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م •
- سفيان الثوري : للدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الازهر ، طبعة دار المعارف ، مصر ،
- سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : لـ محمد ناصر الالباني ، جزءان ، المكتب الاسلامي ، بيروت •
- سلسلة الاحاديث الضعيفة واثرها السيء في الامة ، لـ محمد ناصر الالباني ، المجلد الاول والثاني ، المكتب الاسلامي ، بيروت •
- سلوك المالك في تدبير الممالك : لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع ، المتوفى ٢٧٢ هـ ، مصر ، ١٢٨٦ هـ •
- سنن الدارقطني ، للحافظ علي بن عمر الدارقطني ، المتوفى ٣٨٥ هـ ، ٤ أجزاء ، دار المحاسن ، مصر ، ١٣٨٦ هـ •
- سنن أبي داود : للحافظ سليمان الأشعث السجستاني ، المتوفى ٢٧٥ هـ ، تحقيق عزت الدعاس ، دار الحديث ، حمص ، سوريا ، ١٣٨٨ هـ
- ١٩٦٩ م •
- سنن الدارمي : لابی محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، المتوفى ٢٥٥ هـ ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت •
- سنن ابن ماجه : لابی عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، المتوفى

٢٧٥ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
القاهرة ، ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م •

— سنن النسائي : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، المتوفى ٣٠٣ هـ
بشرح جلال الدين السيوطي ، وحاشية السندی ، المطبعة العصرية ،
الازهرية ، ١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ م ، عيسى الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٧٢ م
— السياسة لابن سينا ، المتوفى ٤٢٨ هـ ، (ضمن مجموع في السياسة)
تحقيقنا ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٤٠٢ هـ •

— سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧ هـ ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، مصر ، دون تاريخ •
— سيرة عمر بن عبد العزيز : لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم ،
المتوفى ٢١٤ هـ ، تحقيق أحمد عبيد ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣ هـ
— ١٩٥٤ م •

— سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ تحقيق
محب الدين الخطيب ، طبعة المؤبد ، مصر ، ١٣٣١ هـ •
(ش)

— الشاهنامة : للفرودي ، جزءان ، ترجمة البنداري وتحقيق عبد
الوهاب عزام ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٣٢ م •
— شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لأبي الفلاح عبد الحي بن
العماد الحنبلي ، المتوفى ١٠٨٩ هـ ، مطبعة المقدسي ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ •
— شرح ديوان أبي تمام : لآيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ،
بيروت ، ١٩٨١ م •

— شرح السنة : للإمام بغوي ، الحسين بن مسعود الفراء ،

- المتوفى ٥١٠ هـ ، تحقيق وتعليق شعيب الارنؤوط ومحمد زهير الشاويشى ،
١٦ جزءا ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ — ١٤٠٣ هـ .
- شرح القصائد التسع المشهورات : لابی جعفر النحاس ، المتوفى
٣٣٨ هـ ، تحقيق أحمد خطاب ، العراق ، ١٩٧٣ .
- شرح المصنوع به على غير أهله : الاصل : الابيات التى انتخبها
عز الدين عبد الوهاب بن ابراهيم الخزرجى ، والشرح لعبيد الله بن
الكافى ، مكتبة دار البيان بغداد ، ودار صعب ، بيروت .
- شعر العطوى ، محمد بن عبد الرحمن (المتوفى نحو ٢٥٠ هـ) جمع
وتحقيق محمد جبار المعبيد ، مجلة المورد العراقية ، المجلد الاول ، العدد
الاول والثانى .
- شعر على بن جبلة (الملقب بالعكوك) ، المتوفى ٢١٣ هـ ، جمعه
وحققه الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢ م .
- شعر النمر بن تولب : صنعه الدكتور نوري حمودى القيسى ،
مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٩ م .
- الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، المتوفى ٢٧٦ هـ
جزءان ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة
١٩٧٧ م .
- شفاء الغليل (فيما فى كلام العرب من الدخيل) : لشهاب الدين
أحمد الخفاجى ، من علماء القرن الحادى عشر ، صححه السيد محمد بدر
الدين الفعسانى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥ هـ .
- الشفاء فى مواضع الملوك والخلفاء ، لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧ هـ
تحقيقنا ، دار الحرمين ، قطر ، ١٤٠٣ هـ .

(ص)

- صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى
المتوفى ٢٥٦هـ، طبعة دار الشعب، مصر ، دون تاريخ، مصورة عن طبعة ١٣١٥هـ
— ١٨٩٧م — وأخرى بتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار القلم ودار
الإمام البخارى ، دمشق ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١م •
- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر الدين
الالبانى ، ٦ أجزاء ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩م •
- صحيح مسام : لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، المتوفى
٢٦١هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ —
١٩٧٨م •
- صفة الصفوة : لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧هـ ، تحقيق محمود
فاخورى ، وخرج أحاديثه الدكتور محمد رواس قلعة جي ، دار المعرفة
بيروت ، ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩م •

(ض)

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر
الدين الالبانى ، ٦ أجزاء ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية
١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩م •

(ط)

- طبقات الاطباء والحكماء : لابن جليل ، أبى داود سليمان بن
حسان الاندلسى ، المتوفى ٣٧٧هـ تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد الفرنسى
للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م •
- طبقات الامم : لصاعد بن أحمد الاندلسى ، المتوفى ٤٦٣هـ ، طبع
مصر ، دون تاريخ — •

— طبقات الشافعية الكبرى : للسبكي ، تاج الدين أبى النصر عبد الوهاب بن على ، المتوفى ٧٧١ هـ ، ١٠ أجزاء ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى ، الحلبي ، القاهرة من ١٩٦٤ — ١٩٧٦ م .

— طبقات الشعراء : لابن المعتز ، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم المقتول ٢٩٦ هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٨ .

— طبقات فحول الشعراء : لمحمد بن سلام الجهمي ، المتوفى ٢٣١ هـ تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

— الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد ، المتوفى ٢٣٠ هـ ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .
— الطبقات الكبرى : لعبد الوهاب الشعرانى ، المتوفى ٩٧٣ هـ مكتبة محمد صبيح ، القاهرة ، دون تاريخ .

(ع)

— العبر فى خبر من غبر : للامام الذهبى ، المتوفى ٧٤٨ هـ ، ٥ أجزاء الجزء الاول والرابع والخامس تحقيق هـ لاح الدين المنجد ، والثانى والثالث تحقيق فؤاد السيد ، مطبوعات التراث العربى ، الكويت ١٩٦٠ الى ١٩٦٦ م .

— العقد الفريد : لابى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى ، المتوفى ٣٢٨ هـ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية القاهرة ، ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م .

— العقد الفريد للملك السعيد : لابی سالم محمد بن طلحة (الوزير)
المتوفى ٦٥٢هـ ، مطبعة الوطن ، القاهرة ، ١٣١٨هـ .

— العمدة فى صناعة الشعر ونقده : لابن رشيق القيروانى ، المتوفى
٣٦٣هـ ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ — ١٩٠٧م .

— عمر بن عبد العزيز : للامام ابن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ تعليق أحمد
الشرياصى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

— عهد أردشير ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر بيروت ،
١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م .

— عيون الاخبار : لابی محمد عبد الله بن مسلم ، المتوفى ٢٧٦هـ ،
المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣م .

— عيون الانباء فى طبقات الاطباء : لابن أبى أصيبعة ، المتوفى
٦٦٨هـ ، ٣ أجزاء ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م

(ف)

— الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية : لان طباطبا .
محمد بن على ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، ١٣١٧هـ .

— فصل المقال شرح كتاب الامثال (أمثال أبى عبيد القاسم) لابی
عبيد البكرى ، المتوفى ٤٨٧هـ ، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور
عبد المجيد عابدين ، دار الامانة ومؤسسة الرسالة ، ١٣٩١هـ — ١٩٧١م .

— فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : لابی القاسم البلخى (المتوفى
٣١٩هـ) ، والقاضى عبد الجبار (المتوفى ٤١٥هـ) والحاكم الجشمى

(المتوفى ٤٩٤ هـ) تحقيق فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٣ هـ —

• ١٩٧٤ م

— الفهرست : لابن النديم ، محمد بن اسحق ، المتوفى ٣٨٥ هـ ،

المكتبة التجارية ، مصر ، دون تاريخ •

— فوات الوفيات : لابن شاکر الکتبی ، المتوفى ٧٦٤ هـ ، تحقيق

احسان عباس ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣ م •

(ق)

— قصص الانبياء : لابن كثير ، المتوفى ٧٧٤ هـ ، تحقيق الدكتور

مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م •

— قوانين الوزارة : للماوردي ، المتوفى ٤٥٠ هـ ، تحقيق الدكتور

فؤاد عبد المنعم والدكتور محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة

الاسكندرية ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •

(ك)

— الكامل في التاريخ لابن الاثير ، لابی الحسن علی بن محمد الکریم

المتوفى ٦٣٠ هـ ، الطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٥٣ هـ •

— کتاب سیوییه : لابی بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، المتوفى ١٨٠ هـ

تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٥ أجزاء ، ١٣٩٧ هـ

• ١٩٧٧ م

— كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة

الناس : للعجلوني ، اسماعيل بن محمد ، المتوفى ١١٦٢ هـ ، تحقيق أحمد

القلاشي ، مكتبة التراث الاسلامي ، حلب ، بدون تاريخ •

- كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق : للمناوى ، محمد بن عبد الرؤوف ، المتوفى ١٠٣١ هـ ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ، ١٣٠٥ هـ .
- كلية ودمنة : لبديبا الفيلسوف الهندى ، ترجمة عبد الله بن المقفع المتوفى ١٤٢ هـ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م .

(ل)

- لباب الاداب : لابن منقذ ، الامير أسامة بن مرشد ، المتوفى ٥٨٤ هـ ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .

- لسان العرب المحيط : لابن منظور ، جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم المتوفى ٧١١ هـ ، اعداد يوسف الخياط ، دار لسان العرب بيروت ، دون تاريخ . وأخرى بعنوان لسان العرب ، طبعة المعارف ، مصر ، ١٩٧٧ م .

- لسان الميزان : لابن حجر العسقلانى ، المتوفى ٨٥٢ هـ ، ٧ أجزاء مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧١ م .

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : (تجميع) محمد فؤاد عبد الباقي ، راجعه الدكتور عبد الستار أبو غده ، وزارة الاوقاف الاسلامية ، الكويت ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

(م)

- مبدأ المساواة فى الاسلام (بحث من الناحية الدستورية ، مع المقارنة بالديمقراطيات الحديثة) : للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، رسالة دكتوراة ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ م .

— المجرّد للغة الحديث : للبغدادى ، موفق الدين عبد اللطيف ، المتوفى ٦٣٩ هـ ، تحقيق فاطمة حمزة الراضى ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ —
• ١٩٧٧ م

— المحبر : لآبى جعفر محمد بن حبيب ، المتوفى ٣٤٥ هـ ، تحقيق د. ايلزة ليختن ، المكتب التجارى ، بيروت ، دون تاريخ •
— مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمى ، فور الدين على بن أبى بكر ، المتوفى ٨٠٧ هـ ، دار الكتاب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ م •
— المحاسن والمساوى : للبيهقى ، ابراهيم بن محمد ، المتوفى ٤٥٨ هـ صححه السيد محمد بدر الدين النعسانى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٣٥ هـ —
• ١٩٠٦ م

— محاضرات الادباء : للافبهانى ، لآبى القاسم حسين بن محمد ، المتوفى ٥٠٣ هـ ، المطبعة العامرة الشرقية ، مصر •
— مختار الحكم ومحاسن الكلم : لآبى الوفا مبشر بن فائق المدعو بالامير ، المتوفى ٤٨٧ هـ ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م •

— مختار الصحاح : للرازى ، محمد بن أبى بكر ، المتوفى ٦٦٦ هـ ، تحقيق السيد محمد خاطر ، الطبعة السابعة ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م •

— المختار من شعر بشار ، اختيار الخالدين وشرحه لآبى الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي المشهور بالبرقي ، المتوفى نحو

٤٤٥ هـ ، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي ، مطبعة الاعتماد ، مصر ،

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م •

— مختصر صحيح مسلم : للهذري ، المتوفى ٦٥٦ هـ ، تحقيق الشيخ

محمد ناصر الالباني وزارة الاوقاف الكويتية ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م •

— مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع : لابن عبد الحق ،

صفي الدين بن عبد المؤمن ، المتوفى ٧٣٩ هـ ، ٣ اجزاء تحقيق وتعليق

على محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م •

— مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان :

لليافعي ، عبد الله بن سعد اليماني ، المتوفى ٧٦٨ هـ ، منشورات الاعلى

للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ •

— مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمسعودي ، أبو الحسن عن بن

حسن ، المتوفى ٣٤٦ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، كتاب

التحرير ، مصر ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م •

— المستدرك على الصحيحين : للحاكم النيسابوري ، المتوفى ٤٠٥ هـ ،

مطبعة النصر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية •

— المستطرف في كل فن مستظرف : لشهاب الدين محمد الابشيهي ،

المتوفى ٨٥٠ هـ ، المطبعة البهية ، مصر ، ١٣٠٠ هـ •

— المسند : للإمام أحمد بن حنبل ، المتوفى ٢٤١ هـ ، الاجزاء المحققة

للشيخ أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، وأخرى دون تحقيق ، المكتب

الاسلامي ، ودار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •

- مسند الشهاب : للقضاعي ، أبي عبد الله محمد بن سلامة ، المتوفى ٤٥٤ هـ ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلقى ، جزآن ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م •
- مشاهير علماء الامصار : لابن حبان البستي ، المتوفى ٣٥٤ هـ ، لجنة التأليف والنشر ، مصر ، ١٩٥٩ م •
- المصباح المضيء في دولة المستضيء : للإمام ابن الجوزي ، تحقيق ناجية ابراهيم ، جزآن ، وزارة الاوقاف العراقية ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م •
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : للمقرئ الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي ، المتوفى نحو ٧٧٠ هـ ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي ، طبعة المعارف ، مصر ، ١٩٧٧ م •
- المصنف : لابي بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني المتوفى ٢١١ هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ •
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : لابن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢ هـ ، وزارة الاوقاف ، الكويت ، ١٣٩١ هـ •
- المعارف : لابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم ، المتوفى ٢٧٦ هـ ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ م •
- معجم الادباء : لياقوت الحموي ، المتوفى ٦٢٦ هـ ، تحقيق مارجليوت ، الطبعة الثانية ، المطبعة الهندية ، القاهرة ، ١٩٢٣ م •
- معجم البلدان : لياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م •

— المعجم الصغير : للطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ،
المتوفى ٣٦٠ هـ ، جزءان ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ،
المدينة المنورة ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م •

— المعجم الكبير : للطبراني ، المتوفى ٣٦٠ هـ ، تحقيق حمدي عبد المجيد
السلفي ، ٨ أجزاء ، احياء التراث الاسلامي ، وزارة الاوقاف العراقية ،
بغداد ، ١٣٩٧ هـ الى ١٤٠١ هـ •

— المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بمصر (قام باخراجه ابراهيم
مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار) ،
أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م •
— العرب من الكلام الاعجمي : لابي منصور الجواليقي ، المتوفى
٥٤٠ هـ ، تحقيق أحمد شاكر ، دار القومية ، مصر ، ١٩٦٩ م •

— المفتي : لابن قدامة الحنبلي ، المتوفى ٦٢٠ هـ ، دار الكتاب العربي ،
بيروت ، دون تاريخ •

— مفردات غريب القرآن : للراغب الاصفهاني ، المتوفى ٥٠٢ هـ ، تحقيق
سيد محمد كيلاني ، الحلبي ، مصر ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م •

— مفيد العلوم ومبيد الهموم : لابي بكر الخوارزمي ، المتوفى ٣٨٣ هـ ،
الشئون الدينية ، قطر ١٤٠٠ هـ •

— مكارم الاخلاق : للطبراني ، المتوفى ٣٦٠ هـ ، تحقيق الدكتور فاروق
حماده ، طبعة المغرب ، ١٤٠٥ هـ •

— ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدكتور
عماد الدين خليل ، دار العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

— المنهج المسلوك في سياسة الملوك : للشيرازي ، جمال الدين عبد

الرحمن بن نصر ، المتوفى ٥٨٩ هـ ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ١٣٣٦ هـ .

(ن)

— نثر الدر : للوزير الكاتب أبي سعيد منذر بن الحسين الآبي ،

المتوفى سنة ٤٣١ هـ ، تحقيق محمد علي قرنة ، ٤ أجزاء ، الهيئة المصرية العامة

للكتاب ، ١٩٨٠ الى ١٩٨٥ م .

— النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة : لابن تغري بردي ،

المتوفى ٨٧٤ هـ ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر .

— نزهة الارواح وروضة الافراح في تاريخ الحكماء : للشهرزودي ،

شمس الدين محمد بن محمود ، المتوفى نحو ٦١٢ هـ ، تحقيق السيد خورشيد

أحمد ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

— نزهة الالباء : للانباري ، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد ،

المتوفى ٥٧٧ هـ ، طبع في مصر ، ١٢٩٤ هـ .

— نهاية الارب في فنون الادب : لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

النويري ، المتوفى ٧٣٣ هـ ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣ م .

— نهج البلاغة (الجامع لخطب ورسائل أمير المؤمنين بن أبي طالب

رضي الله عنه) : جمعه الامام اللغوي محمد بن أحمد الحسيني الملقب

بالشريف الرضي ، المتوفى ٤٠٦ هـ ، تحقيق محمد حسن نائل المرصفي ، دار

الكتب العربية الكبرى ، مصر .

(و)

— الوحشيات : لابي تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، المتوفى ٢٣١ هـ ،

تحقيق الميمنى ومحمود شاكر ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ م •

— الوزراء والكتاب : للجهشياري ، أبى عبد الله محمد بن عبد ، المتوفى

٣٣١ هـ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، طبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٥٧ هـ —

• ١٩٣٨ م

— وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ، لابی العباس

شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ، المتوفى ٦٨١ هـ ، تحقيق محمد

محيى الدين عبد الحميد ، ٦ أجزاء ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٦٧ هـ —

• ١٩٤٨ م

— الولاة والقضاة : لابی عمر محمد بن يوسف الكندى ، المتوفى

٣٥٠ هـ ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م •

(هـ)

— هداية البارى الى ترتيب أحاديث البخارى : للسيد عبد الرحيم

الطهطاوى ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٣ هـ •

— هدية العارفين : لاسماعيل (باشا) البغدادي ، ملحق بذييل كشف

الظنون لحاجى خليفة ، طبعة المثنى بغداد ، مصورة من طبعة استامبول

• ١٩٥١ م

٦ — فهرس — ريس المضمون

٤٤٣	— تقديم
٣٣—٥	— مقدمة التحقيق والدراسة
٥	• مدى نسبة نصيحة الملوك للمواردى
٥	• أهمية البحث
٧	• حاجى خليفة ونصيحة الملوك
١٢—٨	• كتب المواردى الفقهية
٨	الاقناع
٩	• الاحكام السلطانية
١٠	• الحساوى
١٢	• الكافى شرح مختصر الزنى
	• بحث مقارنة بين الاحكام الفقهية الواردة فى كتاب
٣٣—١٣	النصيحة وكتب المواردى الفقهية
١٦—١٤	• المطلب الاول : سهم المؤلفه قلوبهم
١٩—١٧	— المطلب الثانى : مقدار ما يعطى للعاملين على الزكاة
٢٤—٢٠	— المطلب الثالث : مدى تخميس الفىء
٢٨—٢٥	— المطلب الرابع : حد السكر
٣١—٢٩	المطلب الخامس : قدر نصاب القطع فى السرقة
٣٢	• لمن نصيحة الملوك
٣٣	• منهج التحقيق
٤٠—٣٥	• لوحات المخطوط

- ٤١ • النص المحقق
- ٤٣ • المقدمة
- ٤٣ • دواعي تأليف الكتاب
- ٤٦ • منهج المؤلف
- ٤٧ • خطة وأبواب الكتاب

الباب الاول

- ٤٩—٦٠ الحث على قبول النصائح
- ٤٩ — علل نصيح الملوك
- ٥٣ — تقريب الملوك لنصائحهم
- ٥٤ — من نصائح الحكام والحكماء

الباب الثانى

- ٦١—٨٣ فى فضائل الملوك وعلو مراتبهم وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم
- ٦٣ — علو مرتبة الملوك
- ٦٧ — طاعة الرعية للملوك
- ٦٨ — طاعة الملوك لله سبحانه
- ٦٩ — واجب الملك حيال نفسه

الباب الثالث

- ٨٥—١٠٩ فى الخلال التى من جهتها يعرض الفساد فى الممالك والملك
- ٨٥ — الدين القويم أساس الملك
- ٨٦ — أسباب فساد الملك
- ٩٠ — الراشدون وحماية الدين

- ٩٢ — الملوك وسير السابقين
٩٣ — الملك وأصحاب الهواء
٩٤ — الملك ووحدة أمته
٩٧ — حسم أطماع العدو
٩٨ — وجوه التحرز من الفساد

الباب الرابع

- في فصول من المواعظ ينتفع بها ويعالج بها قساوة القلب ١١١—١٤١
١١١ فصل — الوعظ فريضة
١١٨ فصل آخر — عدم الامان للايام
١٢٤ فصل آخر — الوقت وصالح العمل
١٢٧ فصل آخر — غرور الانسان وضعفه
١٣٠ فصل آخر — التخلي عن الشهوات
١٣٣ فصل آخر — الدنيا عدو في ثياب صديق
١٣٥ فصل آخر — محاسبة الله للملوك

الباب الخامس

- في سياسة النفس ورياضتها ١٤٣—٢٠٢
١٤٣ — الملوك وتقوى الله
١٤٦ — في معنى التقوى
١٤٩ — الملوك واقامة الدين
١٥٠ — الملوك والفضائل الواجبة
١٥١ — في فصل العلم

- ١٥٤ — أقسام العلوم الدينية
١٥٥ — تقديم علم الدين
١٦١ — تحصيل العلوم الدينية
١٨١ — في شكر الله على نعمه
١٨٣ — في وجوب التواضع
١٨٦ — في الصبر
١٨٩ — في الحزم
١٩١ — في التوسط
١٩٣ — في الحسد
١٩٤ — في التأني والتدبر
١٩٦ — في بقاء الذكر
١٩٩ — في المدح والثناء
١٩٩ — اشتغال الملوك بعظائم الأمور
٢٠٠ — الالتزام بالكتاب والسنة والاجماع

الباب السادس

في سياسة الخاصة من الأهل والولد والقراية والخدم

- ٢٠٣—٢٤٧ والجنود
٢٠٢ — الملك وأخلاق خاصته
٢٠٦ — في تأديب الخاصة
٢٠٨ — طبقات خاصة الملك
٢٠٩ — حق الولد على أبيه
٢٢١ — ذو الأرحام والأقارب
٢٢٤ — الخدم والحشم

- تقويم الخاصة ٢٢٥
- في شروط معاونو الملك ٣٣٨
- في تقويم معاوني الملك ٢٤١

الباب السابع

في سياسة العامة وتدبير أهل المملكة ٢٤٩—٢٩١

- بالرحمة والعدل ٢٤٩
- خصال تحقق الصلاح ٢٥٧
- الحدود والحبس ٢٦٠
- اختيار القضاة ٢٦١
- مراعاة مراتب الناس ٢٦٤
- دفع الظلم عن العامة ٢٦٩
- رصد أخبار العامة ٢٧٦
- تسهيل الحجاب ٢٧٨
- معرفة الحقائق وقضاء الحقوق ٢٨٢
- السياسة بين اللين والشدّة ٢٨٩
- خطر رئاسة العامي ٢٩١

الباب الثامن

- في تدبير الاموال ، جمعها وتفريقها ٢٩٣—٣٣١
- المال بين الحلال والحرام ٢٩٤
- البخل والتبذير ٢٩٧

٣٠٦ — حسن تدبير المال

٣١٦ — المال العام

الباب التاسع

٣٦٩—٣٢٣ في تدبير الاعداء وأهل الجنايات

٣٢٤ — الاعداء على الحقيقة

٣٢٥ — الباغون

٣٢٨ — قطاع الطرق

٣٢٩ — الجنايات والعقوبات

٣٣٢ — درأ الحدود بالشبهات

٣٣٤ — خصال تدبير الاعداء

٣٣٨ — الوعيد والوعد

٣٤٠ — اليقظة

٣٤٤ — تعهد العسكر

٣٤٧ — مواضع المقارنة مع العدو

٣٥٢ — تحصين الاسرار

٣٥٣ — الحيلة قبل القوة

٣٥٥ — الرسل الى الاعداء

٣٥٧ — الملك والحرب

الباب العاشر

٣٨٣—٣٧١ في تقديم النيات وطلب التأولات

٣٧١ — الخلق لنفع العباد

- طبقات الناس ٣٧٣
— مدى جواز العمل مع الملك الجائر ٣٧٥
— الملك وشراء العبيد ٣٧٧
— ثياب الملك وسلاحه ٣٧٧
— استعمال الاواني الذهبية والفضية ٣٧٨
— على الملك اجتناب الفواحش ٣٧٩
— مدى جواز سماع المزامر والمعارف ٣٨٠

خاتمة

- خلال الملوك الاولين والخلفاء الراشدين ٤٠١
— الفهارس العامة ٤٠٣

طبع بمطابع السفير



